شرح نهج البلاغه شیخ میثم بحرانی

وقال امیر المؤمنین علی بن ابی طالب ع

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من حيرت ابصار البصائر عن كنه معرفته وقصرت السن البلغاء عن اداء مدحته
وكنه صفته وشهدت مع ذلك بداية العقول بربوبيته وجلال الرهبته واقرت
كرت ما عداه بحدثيته وحاجته واعترفت حاجتها اليه بغنائه وواجبيته
ونطقت انواع مخلوقاته بعلو شانه وتمام قدرته ونبهت بدايع مصنوعاته على كمال علمه
وبلاغ حكمته واشارت بحدوثها الى قدمه ووجوب ازليته سبحانه جليلا عن احاطة
الزمان عليا عن الكون والمكان متعاليا عن التشبيه والنظير متنزها عن المعين
والظهير فسبحانه من عظيم لا ينبغي التسبيح الا لمجده تسبح له السموات والارضين
ومن فيهن فان من شيء الا يسبح بحمده اسبحه تسبيحا يليق بجلاله وتقدسه و
احمده حمدا كما هو اهله وكما اثنى على نفسه اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
شهادة مؤيدة بالبرهان مؤكدة لحقيقة الايمان واشهد ان محمدا عبده
المصطفى من نوع الانسان المبعوث الى الاسود والاحمر باشرف الاديان صلى الله
عليه وعلى اله البررة الكرام مصابيح الظلام وينابيع الاحكام وعلى اصحابه
افضل الصلاة وسلام عليهم اكمل السلام وبعد فلما كان من تمام نعم الله علي
وكمال احسانه الي اتصالي بخدمة حضرة من تحلت بنجوم كرمه وجوه المكارم
وتحلت بعقود نعمه صدور المراحم وتزينت بذكره فروع المنابر واشرقت
بجوده سماء الماثر ذي المناقب والمحامد والمفاخر وارث المجد الاقدم كابرا
عن كابر مولى ملوك العرب والعجم صاحب ديوان ممالك العالم علاء الحق و
الدين غياث الاسلام والمسلمين عطا ملك بن الصاحب المعظم الشهيد
السعيد بهاء الدنيا والدين محمد الجويني لا زالت اوامر اقلامه

نافذة

وقف

نافذة في الافاق ولا برحت الظلة اعلامه على العباد ممتدة الرواق ما
استبدل الله بقوم قوما وما يوم في الزمان يوما وجدت حضرته العلية مملاء العيون
جماله والقلوب هيبته وجلاله والنفوس علمه وكماله والخلايق انعامه و
افضاله ووجدته لشرف همته العلية وصفاء نفسه القدسية اشد اهتماما و
تعظيما لما روي من الاحاديث الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم وما نقل عن علي عم
في كتاب نهج البلاغة وغيره من فنون الكلام واسند اليه وجعل دابه الكريم
بث محاسن تلك الاخبار والاستهتار بنشر تلك الاثار والحث على تاويلها و
الهام كنوزها والامر بتعلمها واستكشاف رموزها ونسبه من تولى تاديبه
الى التقصير لشغله بغيرها من كتب الادب والتاسف لقطع وقته باعلاها
ككتاب العيني ومقامات الحريري وساير منثور كلام العرب لكون هذه الالفاظ
في نظم جواهرها لا تخلو عن سجع وتكلف وفي ابرازها بهيئة يستلذها النفس
لا تنفك عن عسر وتكلف ولكونها في وضعها خالية عن مطالب اولي الهمم
العالية والمقاصد الحقيقية الباقية مقصورة على حكايات مضحكة واوضاع
كاذبة ملهية تكدر لوح النفس والخيال وتمنع عن قبول الحق والترقي في معارج
الكمال وتكسب نفس المرتاض بها رذيلة الكذب ويوجب للناظر فيها محبة اللهو
واللعب وتصد عن اكتساب الاخلاق المحمودة وتلفت وجهها عن سمت القبلة
المقصودة فكل منها كشبح خلا عن الروح فظن حيا او كسراب بقيعة يحسبه الظمآن
حتى اذا جاءه لم يجده شيئا واما الالفاظ النبوية والكلمات العلوية فانها موارد
عين صافية امن كدرها وعذب وردها وصدرها وهي عين الحكمة التي من اوتيها
فقد اوتي خيرا كثيرا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا او في وضعها من
البلاغة البديعة والفصاحة التي هي مقتضى الطبيعة والتركيب الموجز والاسلوب
المعجز ما يشنف الاسماع ويجل عن ساير الاساليب والاوضاع وفي علمها من التحلي
بالانوار الالهية ما يهدي الى سبيل الرشاد ومن التحلي بكمالات الحكم والفضايل الخلقية

افضل زاد ليوم المعاد وهي قواعد الدين القويم واساسه وعليها مدار ركنه ومنها اقتباسه
وفيها بغية كل اديب ومنها بلاغة البليغ وفصاحة الخطيب والبيان سنة العالم
الحكيم وعنها يؤخذ كل خلق كريم فالسابق اليها سابق بالخيرات والمقصر عنها ظالم لنفسه
بما حرمها من الكمالات فكيف يقاس بها قول قايل او يعدل عنها الى غيرها طايل ثم
استدرك الفارط فيها كرامتها لديه فالزم بملازمتها والتمسك بها ولديه الاميرين
الكبيرين المعظمين العالمين الفاضلين الكاملين جلالي الدولة وعضدي الملة والدين
لم يزالا من سن الطفولية سالكين لاحد المناهج في اكتساب الكمالات النفسانية حتى
بلغت بهما الهمم العلية ما لم يبلغه همم الكهول في الاستكمال بالفضايل الانسانية
نظام الدنيا والدين ابي منصور محمد ومظفر الدنيا والدين ابي العباس علي لا زالت
الافلاك بدوام دولة دايرة ولا برحت شمس اقبالهما في بروج شرفهما سايرة و
وندبهما الى حفظ فصوصها وحرضهما على اقتباس انوار نصوصها وشغل بها
من لاذ بخدمتهما من البطانة والاتباع وقصد بذلك احياء ميت السنة وعموم الانتفاع
ورايت تشوف خاطره المحروس الى شرح كتاب نهج البلاغة وايضاح دقايقه و
الاشارة الى اسراره وحقايقه فوجدت السعي في ذلك من اعظم القربات لاداء
شكره واشرف الوسايل الى خدمته لمعرفته بقدره اذ كان الناس قبله اعز الله
انصاره وابد فضله بين جاهل بما في هذا الكتاب من الحكمة وفصل الخطاب
يظهر تهجنه لجهله وقصوره وبين معاند للحق عادل عن الصواب يجتهد في
اخفاء شرفه واطفاء نوره الى ان وقعت انظاره الصايبة على ما فيه من لطايف
النكات واطلعت افكاره الباقية على ما اشتمل عليه من غوامض الاسرار وبينات
الايات فنجم لذلك نجم سعوده وتوجه لشرفه فرح صعوده فخدمت
مجلسه العالي بشرح مناسب لعلو همته موافق لكمال بغيته واودعت فيه
من المباحث الالهية واللطايف الحكمية ما لا يوجد مجموعا في كتاب ولا يحيط به
الا افراد اولي الالباب لكنه اشتمل مع ذلك على كثير من اسباب الخطب وموجبات

الرسايل

وقف

الرسايل والكتب وكبر لذلك حجمه وتحاماه كثير من الطباع وان كثر عليه فاشار الي
خلد الله اقباله وضاعف جلاله ان الخص منه مختصرا جامعا لزبد فصوله خاليا
عن زيادة القول وطوله لتكون تذكرة لولديه اسعد الله جدهما وشيد
مجدهما فيسهل عليهما ضبط فوايده والوقوف على غاياته ومقاصده
وعلى من عساه يحذو حذوهما في اقتناء الفضايل والتوسل الى تحصيلها
باعظم الوسايل فبادرت الى امره العالي بالسمع والطاعة وبذلت في تهذيبه و
تنقيحه جهد الاستطاعة وسالت الله تعالى ان يوفقني لاتمام ارادته وسعة اوليائه
ببقاء دولته ودوام سعادته انه اكرم من سئل واولى من امل خطبة
الكتاب قال السيد الشريف ذو الحسبين رضي الدين محمد بن الحسين
الموسوي قدس الله روحه بسم الله الرحمن الرحيم اما
بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمنا لنعمائه ومعاذا من بلائه ووسيلا الى جنانه
وسببا لزيادة احسانه والصلوة على رسوله نبي الرحمة وامام الائمة وسراج
الامة المنتجب من طينة الكرم وسلالة المجد الاقدم ومغرس الفخار المعرق وفرع
العلاء المثمر المورق وعلى اهل بيته مصابيح الظلم وعصم الامم ومنار الدين
الواضحة ومثاقيل الفضل الراجحة صلى الله عليهم اجمعين صلاة تكون ازاء
لفضلهم ومكافاة لعملهم وكفاء لطيب فرعهم واصلهم ما انار فجر
ساطع وخوى نجم طالع فاني كنت في عنفوان السن وغضاضة الغصن (الشباب)
ابتدات بتاليف كتاب في خصايص الائمة عليهم السلام يشتمل على محاسن
اخبارهم وجواهر كلامهم حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب
وجعلته امام الكلام وفرغت من الخصايص التي تخص امير المؤمنين
عليا عليه السلام وعاقت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الايام و
مماطلات الزمان وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك ابوابا وفصلته فصولا
فجاء في اخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عم من الكلام القصير في المواعظ الحكم والمنظوم

افضل ادلیلهم المعاد وهی قواعد الدین القویم واساسه وعلیها مداره ومنها اقتباسه
وفیها بغیة کل ادیب ومنها بلاغة البلیغ وفصاحة الخطیب والیها نسبة العالم
الحکیم وعنها یؤخذ کل خلق کریم فالسابق الیها سابق بالخیرات والمقصر عنها ظالم لنفسه
بما حرمها من الکمالات فکیف یقاس بها قول قایل او یعدل عنها الی غیرها طایل ثم
استدرک العارض فیما ذکر امتیاز الدیه فالزم بلاذمتها والتمسک بها ولدیه الامیرین
الکبیرین المعظمین العالمین الفاضلین الکاملین جلالی الدولة وعضدی الملة اللذین
لم یزالا من الطفولیة سالکین لاحد المناهج فی اکتساب الکمالات النفسانیة حتی
بلغت بهما الهمم العلیة ما لم یبلغه همم الکهول فی الاستکمال بالفضایل الانسانیة
نظام الدنیا والدین ابی منصور محمد ومظفر الدنیا والدین ابی العباس علی لازالت
الافلاک بدوام دولتهما دایرة ولا برحت شمس اقبالهما فی بروج شرفهما سایرة و
وندبهما الی حفظ فصوصها وحرضهما علی اقتباس انوار نصوصها وشغل بها
من لاذ بخدمتهما من البطانة والاتباع وقصد بذلک احیاء میت السنة وعموم الانتفاع
ورایت تشوق خاطره المحروس الی شرح کتاب نهج البلاغة وایضاح دقایقه و
الاشارة الی اسراره وحقایقه فوجدت السعی فی ذلک من اعظم القربات لاداء
شکره واشرف الوسایل الی خدمته لمعرفته بقدره اذ کان الناس قبلها عز الله
انصاره وابد فضله بین جاهل بما فی هذا الکتاب من الحکمة وفصل الخطاب
یظن تجمله بجهله وقصوره وبین معاند للحق عادل عن الصواب یجتهد فی
اخفاء شرفه والمفاد نوره الی ان وقعت انظاره الصایبة علی ما فیه من لطایف
النکات واطلعت افکاره الباقیة علی ما اشتمل علیه من غامض الاسرار وبینات
الآیات فنجم لذلک نجم سعوده وتوجه لشرفه ورد صعوده فخدمت
مجلسه العالی بشرح مناسب لعلو همته موافق لکمال العنایة واودعت فیه
من المباحث الالهیة واللطایف الحکمیة ما لا یوجد مجموعا فی کتاب ولا یحیط به
الافراد اولی الالباب لکنه اشتمل مع ذلک علی کثیر من اسباب الخطب وموجبات

الرسایل

الرسایل والکتب وکبر للکتب حجمه وغاماه کثیر من الطباع وان کثر علیه فاشار الی — ووقف
خلد الله اقباله وضاعف جلاله ان الخص منه مختصرا جامعا للزبد فصولا خالیا
عن زیادة القول وطوله لتکون تذکرة لولدیه اسعد الله جدهما وشید
مجدهما فیسهل علیهما ضبط فوایده والوقوف علی غایاته ومقاصده
وعلی من عساه یحذو حذوهما فی اقتناء الفضایل والتوسل الی تحصیلها
باعظم الوسایل فبادرت الی امره العالی بالسمع والطاعة وبذلت فی تهذیبه و
تنقیحه جهد الاستطاعة وسالت الله تعالی ان یوفقنی لاتمام ارادته وسعد اولیاه
ببقاء دولته ودوام سعادته انه اکرم من سئل واولی من امل خطبة
الکتاب قال السید الشریف ذو الحسبین رضی الدین محمد بن الحسین
الموسوی قدس الله روحه بسم الله الرحمن الرحیم اما
بعد حمد الله الذی جعل الحمد ثمنا لنعمائه ومعاذا من بلائه ووسیلا الی جنانه
وسببا لزیادة احسانه والصلوة علی رسوله نبی الرحمة وامام الایمة وسراج
الامة المنتخب من طینة الکرم وسلالة المجد الاقدم ومغرس الفخار المعرق وفرع
العلاء المثمر المورق وعلی اهل بیته مصابیح الظلم وعصم الامم ومنار الدین
الواضحة ومثاقیل الفضل الراجحة صلی الله علیهم اجمعین صلاة تکون ازاء
لفضلهم ومکافاة لعملهم وکفاء لطیب فرعهم واصلهم ما انار فجر
ساطع وخوی نجم طالع فانی کنت فی عنفوان السن وغضاضة الغصن — الشباب
ابتدات بتالیف کتاب فی خصایص الایمة علیهم السلام یشتمل علی
محاسن اخبارهم وجواهر کلامهم حدانی علیه غرض ذکرته فی صدر الکتاب
وجعلته امام الکلام وفرغت من الخصایص التی تخص امیر المومنین
علیا علیه السلام وعاقت عن اتمام بقیة الکتاب محاجزات الایام و
مماطلات الزمان وکنت قد بوبت ما خرج من ذلک ابوابا وفصلته فصولا
فجاء فی آخرها فصل یتضمن محاسن ما نقل عنه علیه السلام من الکلام القصیر فی المواعظ — الحکم والمواعظ

والحکم والامثال والآداب دون الخطب الطویلة والکتب المبسوطة فاستحسن
جماعة من الاصدقاء ما اشتمل علیه الفصل المقدم ذکره معجبین ببدایعه
ومتعجبین من نواصعه وسالونی عند ذلک ان ابتدی بتالیف کتاب یحتوی علی
مختار کلام امیر المومنین علیه السلام فی جمیع فنونه ومتشعبات غصونه
من خطب وکتب ومواعظ وآداب علما ان ذلک یتضمن من عجایب البلاغة
وغرایب الفصاحة وجواهر العربیة وثواقب الکلم الدینیة والدنیاویة
ما لا یوجد مجتمعا فی کلام ولا مجموع الاطراف فی کتاب اذ کان امیر المومنین
علیه السلام مشرع الفصاحة وموردها ومنشا البلاغة ومولدها ومنه
ع م ظهر مکنونها وعنه اخذت قوانینها وعلی امثلته حذا کل قایل خطیب
وبکلامه استعان کل واعظ بلیغ ومع ذلک فقد سبق وقصروا و
تقدم وتاخروا لان کلامه علیه السلام الکلام الذی علیه مسحة من العلم
الالهی وفیه عبقة من الکلام النبوی فاجبتهم الی الابتداء بذلک عالما بما فیه من
عظیم النفع ومنشور الذکر ومذخور الاجر واعتمدت به ان ابین عن عظیم
قدر امیر المومنین علیه السلام فی هذه الفضیلة مضافة الی المحاسن الدثرة
والفضایل الجمة وانه علیه السلام انفرد ببلوغ غایتها عن جمیع السلف — غایاتها
الاولین الذین انما یوثر عنهم منها القلیل النادر والشاذ الشارد فاما کلامه علیه — لا
السلام فهو البحر الذی لا یساجل والجم الذی لا یحافل واردت ان یسوغ لی
التمثل فی الافتخار به علیه السلام بقول الفرزدق اولئک آبائی فجئنی بمثلهم
اذا جمعتنا یا جریر المجامع ورایت کلامه علیه السلام یدور علی اقطاب ثلثة
اولها الخطب والاوامر وثانیها الکتب والرسایل وثالثها الحکم والمواعظ
فاجمعت بتوفیق الله تعالی علی الابتداء باختیار محاسن الخطب ثم محاسن
الکتب ثم محاسن الحکم والادب مفردا لکل صنف من ذلک بابا ومفصلا فیه
اوراقا لتکون مقدمة لاستدراک ما عساه ان یشذ عنی عاجلا ویقع — ویقع رر

الی

الی آجلا واذا جاءنی شیء من کلامه علیه السلام الخارج فی اثناء حوار او جواب سوال — ووقع
کتاب او غرض آخر من الاغراض فی غیر الانحاء التی ذکرتها وقررت القاعدة
علیها نسبته الی الیق الابواب به واشدها ملامحة لغرضه وربما جاء فیما اختاره
من ذلک فصول غیر متسقة ومحاسن کلم غیر منتظمة لانی اورد النکت واللمع
ولا اقصد التتالی والنسق ومن عجایبه علیه السلام التی انفرد بها و
امن المشارکة فیها ان کلامه الوارد فی الزهد والمواعظ والتذکیر والزواجر
اذا تامله المتامل وفکر فیه المفکر وخلع من قلبه انه کلام مثله ممن عظم قدره
ونفذ امره واحاط بالرقاب ملکه لم یعترضه الشک فی انه من کلام من لا حظ
له فی غیر الزهادة ولا شغل له بغیر العبادة قد قبع فی کسر بیت او انقطع الی
سفح جبل لا یسمع الا حسه ولا یری الا نفسه ولا یکاد یوقن بانه کلام من ینغمس
فی الحرب مصلتا سیفه فیقط الرقاب ویجدل الابطال ویعود به ینطف
دما ویقطر مهجا وهو مع تلک الحال زاهد الزهاد وبدل الابدال وهذه من
فضایله العجیبة وللطیفة التی جمع بها بین الاضداد والف بین الاشتات — خواصه
وکثیرا ما اذاکر الاخوان بها واستخرج عجبهم منها وهی موضع للعبرة بها
والفکرة فیها وربما جاء فی اثناء هذا الاختیار اللفظ المردد والمعنی
المکرر والعذر فی ذلک ان روایات کلامه علیه السلام تختلف
اختلافا شدیدا فربما اتفق الکلام المختار فی روایة فنقل علی وجهه ثم
وجد بعد ذلک فی روایة اخری موضوعا غیر وضعه الاول اما بزیادة مختارة
او بلفظ احسن عبارة فتقتضی الحال ان یعاد استظهارا للاختیار و — فی العبارة
غیرة علی عقایل الکلام وربما بعد العهد ایضا بما اختیر اولا فاعید بعضه
سهوا ونسیانا لا قصدا واعتمادا وما ادعی مع ذلک انی احیط باقطار
جمیع کلامه علیه السلام حتی لا یشذ عنی منه شاذ ولا یند ناد بل لا ابعد
ان یکون القاصر عنی فوق الواقع الی والحاصل فی ربقتی دون الخارج

من بدى الجلى الا بدل الجميل وبلاغ الوسع وعلى الله سبحانه نهج السبيل ورشاد ل م
الدليل ان شاء الله ورايت من بعد تسمية هذا الكتاب نهج البلاغة اذ كان يفتح
للناظر فيه ابوابها ويقرب عليه طلابها وفيه حاجة العالم والمتعلم وبغية
البليغ والزاهد ويمضى في اثنائه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل
وتنزيه الله سبحانه عن شبه الخلق ما هو بلال كل غلة وشفاء كل علة وجلاء
كل شبهة ومن الله سبحانه استمد التوفيق والعصمة وانتجز التسديد
والمعونة واستعيذه من خطاء الجنان قبل خطاء اللسان ومن زلة الكلم قبل
زلة القدم وهو حسبي ونعم الوكيل اقول المعاذ الملجاء والوسيل جمع وسيلة
والمعرق ذو العرق والاصل في الكرم والمنار علم الطريق وهو مستعار
لاهل البيت عليهم السلام باعتبار هدايتهم للخلق واراد هنا جمعها على غير
قياس ولذلك انث صفته والموازاة المحاذاة وكفاء الشيء مثله وخوى
النجم سقط للمغيب وعنفوان السن اوله وكنى بغضاضة الغصن عن
الشباب وحداني بعثني والحاجزات المانعات كان الايام بدفعه عن العمل وهو
يدفعها وبجبين مكث في عجب غيرهم والبدايع الاشياء الحسنة المعجبة
وناصع كل شيء خالصه وعلما منقول له والمسحة من الشيء الاثر منه وعبق
به الطيب لصق واعتمدت قصدت والدثرة والجمة الكثيرة ويونزر
يروى والمساجلة المغالبة والمفاخرة في السقي والسجل الدلو العظيمة فيها
الماء ولا يحافل لا يكاثر بكثرة من الفضايل والاجاج تصل العزم والحوار
الخطاب والجواب والانحاء المقاصد والملامح المشابهة والجع القنفذ
ادخل راسه في جلده وكسر البيت الشقة التي تلي الارض منه من حيث يكسر
جانباه من اليمين والشمال واصلت السيف حردة والقط القطع عرضا
والقد القطع طولا وجدله القاه على الجدالة وهي الارض وينطف بالفم
سيل والمهجة الدم والابدال قوم صالحون لا تخلوا الارض منهم واحد

بدل

وفعه بدل الاخر وعقلية كل شيء اكرمه واحسنه والاقطار الجوانب وند
البعير ندد نفر وشرد والربق بكسر الراء وسكون الباء حبل فيه عرى
يشد به البهم والنهج الطريق الواضح ومقاصد الخطبة واضح وبالله
واوامره م التوفيق باب المختار من خطب امير المؤمنين عم
ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحضورة
والمواقف المذكورة والخطوب الواردة فمن خطبة له عليه السلام وللخطب
وخلقه م يذكر فيها ابتداء الخلق السماء والارض آدم عم واعلم ان هذه الخطبة
مشتملة على مباحث عظيمة محققة بترتيب طبيعي وفيها فصول الفصل الاول
في تصديرها بذكر الله تعالى والثناء عليه بما هو اهله وذلك قوله الحمد لله الذي لا
يبلغ مدحته القايلون ولا يحصي نعماءه العادون ولا يؤدي حقه المجتهدون
الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حد محدود
ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا اجل ممدود فطر الخلايق بقدرته ونشر
الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان ارضه اول الدين معرفته وكمال معرفته
التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له وكمال له
الاخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة
كل موصوف انه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد
ثناه ومن ثناه فقد جزاه ومن جزاه فقد جهله ومن جهله فقد اشار اليه
ومن اشار اليه فقد حده ومن حده فقد عده ومن قال فيم فقد ضمنه ومن قال
علام فقد اخلى منه كاين لا عن حدث موجود لا عن عدم مع كل شيء لا بمقارنة
وغير كل شيء لا بمزايلة فاعل لا بمعنى الحركات والالة بصير اذ لا منظور اليه
من خلقه متوحد اذ لا سكن يستانس به ولا يستوحش لفقده اقول
التصديق بذكره تعالى واجب لانه المبداء الاول لجميع الموجودات بالذات فهو
المستحق للتقدمة في المراتب الاربع من الموجودات والحمد يراد في الشكر وقد

يفيد ما هو اعم منه وهو التعظيم المطلق والمدحة فعلة من المدح وهي الهيئة
التي للممدوح يكون للمدح عليها وقد اشار الى جملة من صفات جلاله ونعوت كماله
فالاول من صفات جلاله عدم بلوغ القايلين مدحته وهو اشارة الى تنزيهه
تعالى عن اطلاع العقول البشرية على كنه وصفه كما هو لما علمت ان ذلك
انما يمكن بالاطلاع على كنه ذاته تعالى ليستلزم ذلك معرفة ما لها من صفات
الجلال ونعوت الكمال ومعرفة الامور كما هي انما يمكن فيما تركب منها
ولما تنزه قدسه تعالى عن ذلك لاجرم كانت عقول البشر قاصرة عن
هذا المقام بل كل مرتبة وصلت اليها من اطوار الثناء بحسب قوتها وامكانها
فوراءها اطوار اخرى لا يتناهى كما قال سيد المرسلين صلى الله عليه
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وخص القايلين دون
المادحين بالذكر لكونه ابلغ في التنزيه لان القايلين اعم من المادحين
وسلب الاعم يستلزم سلب مدح الاخص من غير عكس الثاني عدم حصاء العادين ومدح م
لنعمائه وذلك لكثرتها وعدم تناهيها واليه الاشارة بقوله تعالى وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها الثالث عدم اداء المجتهدين حقه وذلك لانه لما ثبت ان نعمه لا تحصى
لزم من ذلك عدم تمكن المنعم عليه من مجازاتها واداء حقه فيها ولان التوفيق لاداء
حقه نعمة اخرى منه لا يمكن جزاء نعمته واداء حقه بما يوجب حقا آخر وفي
الاثار ان هذا الخاطر خطر لداود عليه السلام قال يا رب كيف اشكرك وشكري
لك نعمة اخرى توجب على الشكر فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت ان النعم
مني رضيت منك بذلك شكرا الرابع كونه لا يدركه بعد الهمم اي الهمم البعيدة
والهمة هي العزم الجازم وبعدها تعلقها بعليات الامور دون محقراتها
اي لا يدركه النفوس ذوات الهمم البعيدة وان امعنت في الطلب كنه حقيقته
وقدم الصفة للعناية بها الخامس كونه لا يناله غوص الفطن اي الفطن
الغايصة واستعار وصف الغوص هنا للتعمق الافهام الثاقبة في بحار

صفات

وفعه صفات جلاله التي لا قرار لها ولا غاية واعتبارات نعوت كماله الذي لا يقف
عند حد ونهاية السادس كون صفته لا حد لها اي ليس لما يعتبره عقولنا
له من الصفات نهاية معقولة يكون حدا لها ويحتمل ان يريد انه لا صفة له
فتحد كقولهم ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب بها فينجحر وقوله حد محدود
كقولهم شعر شاعر السابع ولا المطلق ما يوصف به ايضا نعت بجمعه و
يحصر فيه الثامن ولا لصفته وقت معدود اي داخل في العدد وذلك لتقدسه
تعالى عن احاطة الزمان المتاخر عنه بمراتب التاسع وكذلك ولا اجل ممدود
لكونه تعالى واجب الوجود وابديه العاشر من نعوت كماله كونه فطر الخلايق
بقدرته والفطر الشق والابداع واستعار وصفه لايجاد الخلق ملاحظة
لما توهم من شق الظلمة ظلمة العدم بنور وجودهم الحادي عشر كونه
نشر الرياح برحمته اي بسطها لكونها سببا عظيما لبقاء انواع الحيوان
والنبات وصلاح الامزجة ونحوها واسنده الى رحمته لشمولها هذا
العالم ومن آثارها حملها السحاب المترع بالماء وفق الحكمة ليصيب الارض
الميتة فينبت بها الزرع ويملأ الضرع كقوله تعالى وهو
الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته الاية واستقراء كلام
العرب يدل على استعمالهم لفظ الرياح في الرحمة والريح في العذاب
الثاني عشر كونه وتد بالصخور ميدان ارضه المايدة فقدم الصفة لان ذكرها
اهم لكونها سببا في نصب الجبال وهو كقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد
بكم وبيان ذلك وجهين احدهما ان الارض كرة وهذه الجبال جارية مجرى
حشونات وتربيات بوجهها فلو لم يكن هذه الجبال حتى كانت الارض كرة حقيقية
خالية عنها كانت بحيث تحرك بالاستدارة بادنى سبب لان الجرم البسيط
المستدير يجب تحركه على نفسه اما اذا حصلت هذه الجبال على سطحها وكل منها
يتوجه بطبعه وثقله العظيم نحو مركز العالم فانه يجري مجرى الوتد الذي يمنع كرة

الارض من الاستدارة الثاني ما قيل ان اطلاق الاوتاد عليها استعارة
والمقصود من جعلها كالاوتاد في الارض ان يهتدى بها على طرقها فلا
يضيع زيغ جريانها المشتبهة باهلها ولا تميل بهم عن مقاصدهم الثالث عشر
كون معرفته تعالى اول الدين الواجب لزومه واعلم ان المعرفة على مراتب
ادناها ان يعرف العبد ان له صانعا الثانية ان يصدق بوجوده والثالثة
ان يترقى بجذب العناية الالهية الى توحيده وتنزيهه عن الشركاء والرابعة
مرتبة الاخلاص له بالزهد الحقيقي وهو تنحية كل سواه عن مستن الايثار
الخامسة مرتبة نفي الصفات عنه وهي غاية العارف وكل مرتبة من المراتب
الاربع الاولى مبدا لما بعدها وكل من الاربع الاخيرة كمال لما قبلها وقد
اشار الى هذه المراتب بقوله وكمال معرفته التصديق به الى قوله نفي الصفات
عنه ويرجع هذا القياس الى قياسات تشبه قياس المساوات لعدم
الشركة بين مقدمتي كل منها في تمام الاوسط فيحتاج في انتاج كل منها
الى قياس اخر والمطلوب من التركيب الاول وهو قوله وكمال معرفته التصديق
به وكمال التصديق به توحيده ان كمال معرفته توحيده ومن تركيب هذه
النتيجة مع قوله وكمال توحيده الاخلاص له ان كمال معرفته الاخلاص له
ومن تركيب هذه مع قوله وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه ان كمال
معرفته نفي الصفات عنه وهو المطلوب اذا عرفت ذلك فقوله يحتمل
ان يريد بالمعرفة التي هي اول الدين المعرفة الناقصة التي هي اول ما يحصل
في النفس من مراتب المعرفة ويحتمل ان يريد بها التامة اذ هي العلة
الاولى في التصور الاجمالي للسالكين وغاية من السلوك وفي اطلاق
الكمال ههنا تنبيه على ان معرفته تعالى بكنه حقيقته غير ممكنة
لانها مقولة بالاشد والاضعف فلم يكن ممكنة الا بحسب رسوم
ناقصة تركيب من سلوب اعتبارات اضافية تلزم معقوليته تعالى

ولما لم يكن متناهية لم يمكن ان يقف المعرفة بحسبها عند حد بل كانت
متفاوتة بالزيادة والنقصان والجلاء والخفاء فاما بيان المقدمة
الاولى من القياس المذكور فلان المتصور لمعنى الصانع عارف من تلك
الجهة معرفة ناقصة اذ من ضرورة كونه موجدا للعالم كونه موجودا
فكان اعتبار التصديق بوجوده كمالا لتلك المعرفة واما الثانية فلان
وجوده الواجب يلزمه الوحدة المطلقة اذ لو كان مشتركا بين اثنين
لزم ان يتميز كل منهما بامر وجودي وراء ما به الاشتراك فيلزمهما التركيب
المستلزم للامكان فاذا التصديق بوجوده يلزمه توحيده وتصور اللازم
كمال المتصور ملزومه واما الثالثة فلان اعتبار الغير معه تعالى في الحاجة
القصد اليه والاعتماد عليه شرك خفي ينافي التوحيد الحق وان لم يكن
منافيا فهو نقصان فكان عدمه والاخلاص لله كمالا للتوحيد واما
الرابعة فقد بينها عليه السلام بقياس برهاني مطوي النتايج استنتج
منه ان كل من وصف الله سبحانه فقد جهله وذلك قوله فمن وصف الله
الى قوله فقد جهله وقوله لشهادة كل صفة الى قوله غير الصفة توطية للقياس
ببيان المغايرة بين الصفة والموصوف والشهادة ههنا شهادة الحال
فان حال الصفة تشهد بحاجتها الى الموصوف وحال الموصوف يشهد
باستغنائه عنها والحالان يشهدان بتغايرهما لان اختلاف اللوازم
يدل على اختلاف الملزومات فاما صحة المقدمات فبيان الاولى ان
الصفة لما ثبت كونها مغايرة للذات لزم كونها زايدة عليها فلزم اقترانها
بها عند فرضها صفة لها وبيان الثانية ان من قرن ذاته بشي او اشيا
فقد اعتبر في مفهومه امرين او امورا فكانت فيه كثرة وبيان الثالثة ان كل
ذي كثرة فهو مركب فهو ذو جزء وبيان الرابعة ان كل ذي جزء فهو ممكن لافتقاره
الى جزئه الذي هو غيره فالحاكم بان له جزءا حاكم بكونه ممكنا لا واجبا لذاته

فكان جاهلا به ونتيجة القياس اذن ان من وصف الله سبحانه فقد
جهله ويتبين به المطلوب وهو ان كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه اذ
الاخلاص له لما نافى الجهل به فينافي ملزوم الجهل وهو اثبات الصفة فيتحقق
اذن في نفيها الرابع عشر كونه غير مشار اليه واراد مطلق الاشارة وبين
بقياس هو قوله ومن اشار اليه الى قوله فقد عده بيان الاولى ان الاشارة
اما حسية او عقلية اما الحسية فانها تستلزم الوضع والكون في المحل او
الحيز وما كان كذلك فلا بد وان يكون له حد او حدود واما الاشارة
العقلية فلان المشير الى حقيقة شي زاعما انه وحده وتصوره فقد اوجب
له حدا يقف ذهنه عنده ويميزه به عن غيره وبيان الثانية ان من
حده بالاشارة الحسية فقد جعله مركبا من امور معدودة اذ الواحد في
الوضع ليس يحد وحده نقطة والا لم يتعلق الاشارة الحسية به بل لا بد
معها من امور اخرى مشخصة مخصصة له فكان في نفسه معدود
الكثرة من تلك الجهة ومن حده بالاشارة العقلية فلا بد انه يحكم بتركيبه
لما علمت ان كل محدود مركب في المعنى فكان ايضا ذا كثرة معدودة فاذن
الاشارة المطلقة ممتنعة في حقه تعالى مستلزمة للجهل به الخامس عشر
كونه تعالى غير حال في شي وبينه بقوله ومن قال فيم فقد ضمنه وهو في
قوة صغرى ضمير تقديره كبراه ومن ضمنه فقد اوجب الى المحل المنافي لوجوب
وجوده اما الصغرى فلان ما سواك عن الظروف ولا يصح ذلك الا في
ذي المحل واما الكبرى فلان الحال في المحل ان يجب كونه فيه فهو استغناؤه
عنه والغني عن المحل يستحيل ان يعرض له وان لم يجب كونه فيه كان محتاجا
اليه فكان ممكنا هذا خلف السادس عشر كونه تعالى ليس في مكان ولا جهة
واشار اليه بقوله ومن قال الى قوله منه وهو في قوة ضمير كالذي قبله
وتقدير كبراه ومن اخلى منه فقد كذب به اما الصغرى فلان السؤال

بعلام يستلزم كونه في جهة فوق وذلك يستلزم اخلا ساير الجهات عنه واما
الكبرى فلقوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض وقوله وهو معكم اينما كنتم
فالمخصص له بجهة فوق مكذب لذلك وانما خص عليه السلام الجهات
العلوية بالانكار لكونها هي المتوهمة لله تعالى دون غيرها السابع عشر كونه
كاينا لا عن حدث واعلم ان الحدوث يقال في الاصطلاح العلمي على معنيين بالاشتراك
احدهما الحدوث الذاتي وهو كون الشي من حيث هو هو لا يستحق من ذاته
وجودا ولا عدما وانما يستحق احدهما بامر خارج عن ذاته وهو معنى الامكان
والثاني الحدوث الزماني وهو كون الوجود مسبوقا بالعدم سبقا زمانيا وهو
اخص من الامكان ويقابله القدم بمعنييه اذا عرفت ذلك فاعلم انه عليه
السلام نزهه في هذه القرينة عن الحدوث بالمعنى الاول اذ كان تعالى واجب
الوجود بذاته ودل بالكاين على وجوده المجرد عن الزمان وخرج الزمان
عن مفهوم كان بالدليل العقلي المانع من لحوق الزمان له وكان هنا تامة الثامن عشر
كون وجوده لا عن عدم وهو اشارة الى تقدسه عن لحوق الحدوث له بالمعنى
الثاني وقد استلزم هذان الصفتان اثبات الازلية والقدم بمعنييه له
التاسع عشر كونه مع كل شي لا بمقارنة واعلم ان كونه مع غيره نسبة تعرض
له بالقياس الى جميع مخلوقاته اذ كلها منه وتصدق عليه ذلك بمعنى ان
ذاته المقدسة مساوية لوجودها متصلة العلم بكليها وجزئيها كما قال تعالى
وهو معكم الاية لا على وجه المصاحبة في زمان او محل او مجاورتها في مكان ولما كان
مفهوم المقارنة يستتبع الزمان والمكان لا جرم نزه تلك المعية عنها بقوله لا بمقارنة
العشرون كونه غير كل شي لا بمزايلة ولما كانت المزايلة وهي المفارقة اضافة لا تعقل
الا بالقياس الى مقارنة وكانت في وجوده تعالى وغيريته للاشياء منزها عن
لحوق هاتين الاضافتين لاعتبار الزمان والمكان في مفهوميهما لا جرم نفاها عن
غيريته للاشياء كما نفى المقارنة عن معيته لها بل غيريته للاشياء بذاته المقدسة

المدالحادي والعشرون كونه فاعلا لا بمعنى الحركات والالة اى لا يدخل الحركة والالة
فى فاعليته لكونهما من خواص الاجسام المنزه تقدسه عنها ولانه لو توقف فعله على الالة
لكان بدونها غير مستقل فيكون ناقصا بذاته مستكملا بغيره وهو محال الثانى
والعشرون كونه بصيرا الى قوله خلقه واراد اثبات البصر له حيث مبصر ولما كان تعالى
منزها عن الادراك بالة البصر فمعنى كونه بصيرا كونه عالما بالمبصرات والحلاق
لفظ عليه مجاز اطلاق لاسم السبب على المسبب واشار بذا الى اعتبار الازل فانه
اذ لا مخلوق ولما ثبت ان العالم حادث الثالث والعشرون كونه متوحدا الى قوله
لفقده وهو وصف بتفرده بالوحدانية لذاته ازلا اذ المتوحد المطلق من له الوحدانية
لذاته واشار بذا الى اعتبار الازل ايضا ولما ثبت ان العالم حادث ثبت انه لا سكن
فى الازل يجاوره ولانه ليس من شانه ان يكون له انيس يتفرد عنه ويستوحش لفقده
اذ الاستيناس والتوحش يتعلقان بمثل الطبع ورقة الطبيعة التابعة للمزاج وقد تنزه
تعالى عن ذلك فهو المتفرد بالوحدانية المطلقة لا بالقياس الى شيء الفصل الثانى
فى نسبة ايجاد العالم الى قدرته تعالى جملة وتفصيلا والاشارة الى كيفية ذلك فى معرض
مدحه تعالى وذلك قوله انشاء الخلق انشاء وابتداه ابتداء بلا روية اجالها ولا — ابتداوه
تجربة استفادها ولا حركة احدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها اجال الاشياء
لاوقاتها ولأم بين مختلفاتها وغرز غرائزها والزمها اشباحها عالما — استاخص
بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقرائنها واحنائها ثم
انشاء سبحانه فتق الاجواء وشق الارجاء وسكائك الهواء واجرى فيها ماء — واجازها
متلاطما تياره متراكما زخاره حمله على متن الريح العاصفة والزعزع
القاصفة فامرها برده وسلطها على شده وقرنها الى حده الهواء
من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق ثم انشاء سبحانه ريحا اعتقم
مهبها وادام مربها واعصف مجراها وابعد منشاها فامرها بتصفيق — تصفيق
الماء الزخار واثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها — الموج و التج

بالفضاء

بالفضاء ترد اوله على آخره وساجيه على مائره حتى عب عبابه ورمى بالزبد
ركامه فرفعه فى هواء منفتق وجو منفهق فسوى منه سبع سموات
جعل سفلاهن موجا مكفوفا وعلياهن سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا بغير
عمد يدعمها ولا دسار ينظمها ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب
واجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا فى فلك دائر وسقف ساير
ورقيم مائر ثم فتق ما بين السموات العلى فملأهن اطوارا من ملائكته منهم
سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسامون
لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان
ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله ومختلفون بقضائه وامره ومنهم
الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه ومنهم الثابتة فى الارضين السفلى
اقدامهم والمارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم
والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون — والموازية
تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة
لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه
بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظاير اقول انشاء الخلق ابتداء اياه ايجاده
له على غير مثال سبق من غيره وقوله بلا روية الى قوله اضطرب فيها تنزيه
لعلمه تعالى وافعاله عن كيفيات علوم الناس وشرائط افعالهم والروية الفكر
واجالتها اجالتها تقليبها فى طلب اصلح الآراء والوجوه فيما يقصد من المطالب
والتجربة مشاهدات من الانسان متكررة يستفيد عقله منها علما كليا والهمامة
الاهتمام بالامر وبرهان امتناع هذه الكيفيات على علومه تعالى وافعاله اما
الروية والتجربة فلكونهما من خواص الانسان وبواسطة الآلات جسمانية
ممتنع عليه تعالى وكذلك الحركة من عوارض الجسمية واما الهمة فلكونها عبارة
عن الميل النفسانى الجازم الى فعل الشيء مع التالم والغم بسبب تصور فقده

وذلك فى حق الله تعالى محال وقوله اجال الاشياء لاوقاتها اى ادار كل ذى وقت
الى وقته وربطه به دون ما قبله وما بعده من الاوقات وكتبه فى لوحه المحفوظ
وعلمه للتبيين واللام فى لاوقاتها للتعليل اذ كان كل وقت يستحق بحسب علم الله
وحكمته ان يكون فيه ما لم يكن فى غيره وروى احال بالحاء اى حول كلا الى وقته
وروى اجل اى جعلها ذات آجال لا يتقدم عليها ولا يتاخر عنها وقوله
ولأم بين مختلفاتها تنبيه على كمال قدرته تعالى فى ذلك والملائمة الجمع وذلك
كجمعه فى الامزجة بين العناصر الاربعة على اختلافها وتضادها وبين الارواح اللطيفة
والنفوس المجردة وبين هذه الابدان المظلمة الكثيفة على وفق حكمته وكمال قدرته
وقوله وغرز غرائزها اى اثبتها فيها وركزها والغريزة كل شيء طبيعته و
خلقه وما جبل عليه من خاصة او لازم كالتعجب والضحك للانسان والشجاعة
للاسد والجبن للارنب والمكر للثعلب وقوله الزمها اشباحها اى اشخاصها
اذ كانت كل طبيعة كلية انما توجد فى شخص وروى اسناخها والسنخ الاصل
اى جعلها لازمة لاصولها وهى طبايع الموجودات وماهياتها والضمير فى قوله
والزمها عايد الى الغرائز ويجوز ان يعود الى الاشياء ويكون المعنى انه تعالى
لما غرز غرائز الاشياء الزمها بعد كونها كلية اشخاصها وقوله عالما الى
قوله احنائها انما احاطته بذلك علمه بما تنحل اليه ماهياتها من اجزائها
وينتهى به منها وهى حدودها او بما ينتهى به ويحد من الاقطار والنهايات
وقرائنها ما يقترن بها ويلائمها كالنفس للبدن وبعض الطبايع لبعض الاشياء
دون بعض واحناؤها نواحيها وجوانبها وبيان ذلك بيان انه تعالى عالم بكل
معلوم من الكليات والجزئيات وقد بين ذلك فى العلم الالهى وقوله ثم انشاء الى قوله
سبع سموات كالتفصيل لخلق العالم وابتدائه والاجواء جمع جو وهو الفضاء
الواسع والارجاء جمع رجا مقصور وهو الناحية والسكائك جمع سكاكة كذؤابة وذوائب وهو الفضاء ما بين السماء والارض والهواء المكان الخالى

واعلم

واعلم ان خلاصة ما يفهم من هذا الفصل انه قد كان قبل وجود العالم
فضاء واسع والخلاء فى عرف المتكلمين ثم انشاء الله سبحانه فيه احياز اجسام العالم
وفتقها اى شققها واعدها لخلق الاجسام وتكوينها فيها ثم خلق ماء متلاطما
تياره اى متزايدا امعظمه ومتراكما زخاره اى ممتلى بعضه فوق بعض فاجازه
فيها اى اجراه وروى احاره اى اداره فيها وخلق له ريحا عاصفا زعزعا اى شديدة
بحمله ويحفظه من جميع جوانبه مسلطة على شده وضبطه فى مقاره بمقتضى امره
تعالى وقدرته وجعلها مقرونة الى حده بحيث لا يتوسط بينهما جسم آخر فصار
الماء من فوق الريح مندفقا والخلاء من تحتها منفتقا واستقر ثم سبحانه ريحا اخرى
لتموج ذلك وتحريكه فارسلها واعقم مهبها اى شد هبوبها وضبطه
وارسله بمقدار مخصوص على وفق الحكمة وروى اعصم مهبها اى جعل
مجراها عقيما عصما ثبت به يعوقها عن الجريان او شرة جريانها ثم ادام مربها
اى اقامتها وملازمتها لتحريك الماء واعصف جريها وابعد مبدا منشوها بحيث
لا يمكن الوقوف عليه وهو قدرته تعالى ثم امرها بتصفيق ذلك الماء الزخار شديد
الامتلاء واثارة امواجه فمخضته مخض السقاء وعصفت به كعصفها بالفضاء
برد اوله على آخره وساجيه على مائره اى ساكنه على متحركه فلما عب عبابه اى
على معظمه ورمى بالزبد متراكمة رفع الله تعالى ذلك الزبد فى هواء منفتق اى خلاء واسع
وكون منه السموات العلى واعلم انه قد اشير الى مثل ذلك فى القرآن الكريم كقوله تعالى ثم
استوى الى السماء وهى دخان والمراد بخار الماء وهذا الظاهر لا ينافى كلام المتكلمين
فى ان الاجسام مؤلفة من الاجزاء التى لا تتجزى الجواز ان يخلق الله تعالى اول الاجسام
من تلك الجواهر ثم تتكون باقى الاجسام عن الاجسام الاولى واما الحكماء فلما لم
يكن الترتيب التى اقتضته هذه الظواهر فى تكوين الاجسام موافقا لمقتضى ادلتهم
لتاخر وجود الغمام عندهم عن وجود السموات لا جرم احتاجوا الى تاويلها
توفيقا بينها وبين ادلتهم فى ذلك وقد نبهنا فى الشرح الكبير على ما يصلح ان يكون

تاويلا على قواعدهم او قريب مما يطلع لذلك وقوله وجعل سقفا اهن الى قوله بالنظاير
كالتفسير لقوله فسويه لان التسوية عبارة عن التعديل والوضع والهيئة التي عليها
السموات بما فيهن مما زجه واستعار لفظ المرج للسماء بملاحظة المشابهة
بينهما في العلو والكون ومكفوفا ممنوعا من السقوط وقوله وعليا هن سقفا
محفوظا والسقف اسم للسماء وحفظها من الشياطين قال ابن عباس كانت
الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يتخبرون اخبارها فلما ولد عيسى عليه السلام
منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد عليه السلام منعوا من السموات كلها
فمنهم استرق السمع الا رمي بشهاب فذلك معنى قوله تعالى وحفظناها
من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع الآية وسمك البيت سقفه
وقوله بغير عمد تنبيه على عظمة قدرة تعالى وعلوها عن الحاجة في مثل
هذا البنيان وقيامه بلا عمد وتنزيه لها عن مماثلة القدر البشرية في حاجتها
الى ذلك فيما ينصب البها والوسار كالمسمار ونحوه وانما سميت الشهب
ثواقب لانها تثقب بنورها الهواء واستعار لفظ السراج للشمس باعتبار
اضائتها لهذا العالم كاضاءة السراج للبيت والمستطير المنتشر والرقيع من
اسماء الفلك سمي به لرقمه بالكواكب كالثوب المنقوش واللوح المكتوب
واعلم ان مجموع هذه الاستعارات يستلزم تشبيه ملاحظة هذا العالم باسره
ببيت واحد في غاية الحسن والزينة فالسماء سقفه وهو كقبة خضراء نصبت
على الارض وحجب ذلك السقف عن مردة الشياطين كما يحمي غرف البيت
عن مردة اللصوص وزين بترصيع الكواكب الباقية فهو كسقف من
زمرد رصع باللؤلؤ والمرجان وجعل من جملتها كوكبين هما اعظم الكواكب
جرما واكثرها انوارا ثم جعل احدهما ضياء للنهار والآخر ضياء لليل ثم جعل
ذلك سقوفا وطبقات اسكن في كل طبقة منها ملأ من املائكته وخواص ملكه
وجعل تلك السقوف متحركة بما فيها من الكواكب كما اشار اليه بقوله

في فلك

في فلك دائر الى قوله مائر وجعل حركاتها اسبابا معدة لتكون الكائنات
في هذا العالم ليكون اثره تعالى ابدع وحكمته في خلقه ابلغ والضمير في قوله
وزينها يعود الى السبع سموات وذلك لا ينافي قوله تعالى وزينا السماء الدنيا
بمصابيح فان السماء الدنيا وان لم تكن فيها الا القمر فان ساير الكواكب انما زينة
لها في الاوهام البشرية التي ورد اكثر الخطاب الشرعي بحسبها وقوله ثم فتق
الى قوله العلي لما اشار الى التسوية السموات اشارة جملية فكانه قد اول ما
خلقها كرة واحدة كما عليه بعض المفسرين لقوله تعالى اولم ير الذين كفروا
ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم اشار الى تفصيلها وتمييز بعضها
عن بعض بالفتق واسكان كل واحدة منهن ملأ من ملائكته ثم الى تفصيل الملائكة
ومراتبهم موافقة للقران الكريم والاطوار الحالات المختلفة والانواع المتباينة
وذكر منهم انواعا واشار بالسجود والركوع والصف والتسبيح الى تفاوت مراتبهم
في العبادة والخضوع لان الله تعالى خص كلا منهم بمرتبة معينة من الكمال في
العلم والقدرة ليست لمن دونه وكل من كانت نعمة الله عليه اكمل كانت
عبادته اعلى وطاعته اوفى ثم ان السجود والركوع والصف والتسبيح عبادات
متعارفة بين الناس متفاوتة في استلزام كمال الخضوع والخشوع ولا يمكن
حملها في حق الملائكة على ظواهرها لاختصاص آلاتها ببعض الحيوان فتعين
حملها على غير ظواهرها والاشبه حمل المراتب المذكوره وتفاوتها على تفاوت
كمالاتهم في الخضوع والخشوع لكبرياء الله تعالى الجلال فالاسم الملزوم على الازمه
فالسجود مرتبة المقربين فالركوع مرتبة حملة العرش والصافون مرتبة الحافين
من حول العرش قيل انهم يقفون صفوفا لاداء العبادة كما حكى القران
الكريم عنهم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وجاء في الخبر ان حول
العرش سبعين الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين
اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا

الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح والمسبحون يحتمل ان يكون هم الصافون
لامر والواو وان اقتضت المغايرة الا انهم من حيث انهم صافون غيرهم من حيث
انهم مسبحون ويحتمل ان يريد نوعا آخر واما عدم غشيان النوم والسهو والغفلة
والنسيان وفترة الابدان لهم فلان ذلك من لواحق الاجسام الحيوانية والملائكة
منزهون عنها فلزم سلبها عنهم واما الامنا على وحيه فينبغي ان يكونوا
داخلين في الاقسام السابقة وانما ذكرهم ثانيا باعتبار وصف الامانة واداء
الرسالة والقضاء هنا الامر المقضي يقال هذا قضاء الله اي مقضيه واما الحفظة
فمنهم حفظة العباد كما قال تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه
من امر الله ومنهم حفظة على العباد كما قال تعالى ويرسل عليكم حفظة قال ابن عباس
ان مع كل انسان ملكين احدهما على يمينه والآخر على يساره فاذا عمل الانسان
حسنة كتبها من على يمينه واذا عمل سيئة قال من على اليمين لمن على اليسار
انظر لعله يتوب منها فان لم يتب كتبت عليه واما السدنة فهم خزان الجنة
وقوله ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم الى قوله الكنافهم فاعلم ان
هذه الاوصاف وردت في صفة الملائكة الحاملين للعرش في كثير من الاخبار
واشبه ان يكونوا هم المقصودين بها هاهنا روي عن ميسرة انه قال ارجلهم
في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم
وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من
اهل السماء السادسة وهكذا الى سماء الدنيا وعن ابن عباس انه قال لما خلق الله
تعالى حملة العرش قال لهم احملوا عرشي فلم يطيقوا فقال لهم قولوا لا حول
ولا قوة الا بالله فلما قالوا ذلك استقل عرش ربنا فنفذت اقدامهم في الارض
السابعة على متن الثرى فلم يستقر فكتب في قدم كل ملك منهم اسما من اسمائه
فاستقرت اقدامهم وقوله المناسبة لقوائم العرش اكنافهم يريد انهم مشبهون
ومناسبون لقوائم العرش في استقرارهم وثباتهم عن التزايل من تحته ابدا

الى

الى ما شاء الله ولفظ الاكناف مجاز في القوى والقدر التي بها حملت الملائكة حول العرش
وشبهها بقوائم العرش المعهود ووجه الشبه استقلالها بحمله كالقوائم و
الغيران في ابصارهم واجنحتهم راجعان الى العرش وفي الخبر عن وهب بن منبه
انه قال لكل ملك من حملة العرش ومن حوله اربعة اجنحة اما جناحان فعلى وجهه
مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق واما جناحان فيهفوان بهما ليس لهم الا التسبيح
والتحميد وكني بنكس ابصارهم عن كمال خشيتهم لله واعترافهم بقصور ابصار
عقولهم عن ادراك ما وراء كمالاتهم المقدرة لهم وضعفها عما لا نهاية له من انوار
عظمة الله تعالى وان شعاع ابصار ادراكاتهم خاسئة واقف دون حجب عزته
ويحتمل ان يريد بلفظ الاجنحة قواهم وكمالاتهم التي يطيرون بها في سبيل اجلال الله
استعارة وزيادة الاجنحة كناية عن تفاوت مراتبهم في الكمال ولما كان الطائر عند
قبض جناحه كالمتلفع اي الملتحف به احتمل اي يكون وصف التلفع لهم استعارة بالقصور
قواهم وقدرهم المشبهة للاجنحة وقبضها عن التعلق بمعلومات الله ومقدوراته
وقوله مضروبة الى قوله القدرة اشارة قصور القوى البشرية عن ادراكهم لتنزههم
عن الجسمية والجهة وقربهم من عزة مبدعهم الاول وقوله ولا يتوهمون ربهم بالتصوير
تنزيه لهم عن الادراكات الوهمية والخيالية لبعدهم عن سلطانها اذ الوهم انما
يتعلق المحسوسات ذوات المقادير والاخبار المنزه قدسه تعالى عنها وهم مبرؤون عن
الاوهام والخيالات البشرية وكذلك كونهم لا يجرون عليه صفات المصنوعين
الى آخره لان كل ذلك بقياس وهمي ومحاكاة خيالية له بمصنوعاته المحتاجة الى الامكنة
والنظاير والاشباه وهم مبرؤون عن الوهم والخيال وبالله التوفيق منها في
كيفية خلق آدم عليه وفي هذا الفصل فصلان الفصل الاول قوله في كيفية
خلق آدم عليه السلام ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها
تربة سنها بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلة حتى لزبت فجبل منها صورة
ذات احناء ووصول واعضاء وفصول اجمدها حتى استمسكت واصلدها

حتى سلصلت لوقت معدود واجل معلوم ثم نفخ فيها من روحه فمثلت
انسانا ذا اذهان يجيلها وفكر يتصرف بها وجوارح يختدمها وادوات يقلبها
ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل والاذواق والمشام والالوان والاجناس
معجونا بطينة الالوان المختلفة والاشباه المؤتلفة والاضداد المتعادية والاخلاط
المتباينة من الحر والبرد والبلة والجمود والمساءة والسرور واستادى الله سبحانه
الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم في الاذعان بالسجود له والخنوع لتكرمته
فقال اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس وقبيله اعترتهم الحمية وغلبت عليهم الشقوة
وتعززوا بخلقة النار واستوهنوا خلق الصلصال واعطاه الله النظرة استحقاقا
للسخطة واستتماما للبلية وانجازا للعدة فقال انك من المنظرين الى يوم الوقت
المعلوم ثم اسكن سبحانه آدم دارا ارغد فيها عيشته وامن فيها محلته وحذره ابليس
وعداوته فاغتره عدوه نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار فباع اليقين
بشكه والعزيمة بوهنه واستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما ثم بسط الله سبحانه
له في توبته ولقاه كلمة رحمته ووعده المرد الى جنته فاهبطه الى دار البلية
وتناسل الذرية اقول ان هذه القصة قد كررها الله سبحانه في كتابه العزيز
في سبع سور وهي البقرة والاعراف والحجر وبني اسرائيل والكهف وطه وص وذلك
لما يشتمل عليه من تذكير الخلق وتنبيههم من مراقد الطبيعة التي جذبهم اليها ابليس
والتحذير من فتنته وحزن الارض خلاف السهل والمسنون ما سنح بالماء اي ارسل
عليه فصار طينا ولزب بالكسر لصقت وصلصلت انتنت وقيل صوتت
ليبسها ولاطها بالبلة خلطها وجبل خلق والاحناء الجوانب والوصول والمفاصل
جمع كثرة لوصل وجمع القلة اوصال اخلدها اي جعلها صلبة ملساء ويختدمها
يستخدمها واعلم ان قوله ثم جمع الى قوله لزب اشارة الى امتزاج العناصر وخص
الماء والارض لانهما الاصل في تكوين الاعضاء المشاهدة التي تدور عليها صورة
الانسان ونبه باختلاف اجزائها على كون ذلك مبادي اختلاف الناس في الوانهم

الخضوع

وجنوده

بالرطوبة

واختلافهم

واختلافهم كما ورد في الخبر فجاء منهم الاسود والاحمر وقوله خلصت
ولزبت اشارة الى بلوغها في الاستعداد الغاية التي معها يكون صورة
ما يتكون منها وقوله فجبل الى قوله استمسكت اشارة خلق الصورة
الانسانية بتمامها والضمير في منها راجع الى التربة وفي اجمدها واصلدها
راجعان الى الصورة واعضائها فالاجماد لغاية الاستمساك راجع
الى بعضها كاللحم والاعصاب واشباهها والاصلاد لغايته راجع الى بعض آخر
كالعظام واسند ذلك الى المدبر الحكيم لانه العلة الاولى وان كانت هناك اسباب قريبة
طبيعية معدة لذلك واراد بالوقت المعلوم الوقت الذي يعلم الله تعالى انحلال هذا التركيب
فيه والضمير في قوله فيها راجع الى الصورة كما قال تعالى ونفخت فيه من روح واستعار وصف
النفخ لافاضة النفس على البدن واستعال نورها المعقول فيه كما يشعل النار بالنفخ والروح
يحتمل ان يراد به جبرئيل ونسبته الى الله ظاهر ويحتمل ان يراد به جود الله ونعمته
وانما سمي روحا لانه مبدا كل حياة وبه قوام كل شيء ونسبته الى الله ظاهرة ومن للتبعيض
ويحتمل ان يراد به النفس الانسانية ويكون من زائدة ونسبتها الى الله لشرفها
وبراءتها عن المواد ولها مناسبة مع علتها الاولى وقوله ذا اذهان اشارة الى
القوى الباطنة المدركة واجالتها تحريكها في المدركات ولذلك قوله وفكر يتصرف
بها ولم يرد القوة المفكرة فانها في الانسان واحدة بل اراد حركات تلك القوة فيما
يتصرف فيه وهي متعددة فلذلك جمعها والجوارح اشارة الى عامة الاعضاء اذ كانت
كلها خدما للنفس والادوات كاليد والرجل والمعرفة التي تفرق بها هي قوة العقل بما لها من
المعارف الاولى وهي البديهيات اذ كان الحق والباطل من الامور الكلية التي لا يدركها
الا العقل وقوله والاذواق الى قوله والاجناس تنبيه على ان الانسان آلات يدرك
بكل منها واحدا من هذه الاربعة واخر الاجناس لان المدرك لها هو العقل اذ كانت امورا
كلية لكن بواسطة احساس الحواس لما رايتها المحسوسات ونصب معجونا على الحال
وطينة الالوان مادتها التي خالطت بدن الانسان فاستعد بها لقبول الالوان

المختلفة وهو معنى عجنه بها والاشياء المؤتلفة كالعظام والاسنان والاضداد المتعادية
كالكيفيات الاربع التي ذكرها وهي الحرارة والبرودة والمبلة وهي الرطوبة والجمود
وهي اليبوسة والاخلاط المتباينة هي الدم والبلغم والصفراء والسوداء واما
المساءة والسرور فهما من الكيفيات النفسانية واما عهد الله الى الملائكة ووصيته
اليهم فهو قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين واستيداء
ذلك منهم هو قوله بعد خلقه اسجدوا لآدم والنقق

كالكيفيات

اي كنت اترك اخرا كما تركت اولا والغيث الشيء وجذبته والعنطة الجبهة وقيل
العطسة ويفهم انه عليه السلام كان طالبا للدنيا لكن لا لذاتها بل لنظام الخلق والقيام
لاوامر الله في اجراء امورهم على قانون كما هو مقصود بعثة الانبياء وانزال الكتب
والطرد مثال التك اجريتها وافضت وصلت ولو للتخصيص والشقشقة اللحمة
التي تخرج من فم البعير عند هياجه ومن خطبة له عليه السلام
بنا اهتديتم في الظلماء وتسنمتم العلياء وبنا انفجرتم عن السرار وقر سمع لم يفقه
الواعية كيف يراعي النبأة من اصمته الصيحة ربط جنان لم يفارقه الخفقان
ما زلت انتظر بكم عواقب الغدر واتوسمكم بحلية المغترين سترني
عنكم جلباب الدين وبصرنيكم صدق النية اقمت لكم على سنن الحق
في جواد المضلة حيث تلتقون ولا دليل وتحتفرون ولا تميهون اليوم
انطق لكم العجماء ذات البيان عزب راي امرئ تخلف عني ما شككت في الحق
مذ اريته لم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول
الضلال اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل من وثق بماء لم يظمأ
اقول واقول استعار لفظ الظلماء للجهل الحاجب لابصار البصائر عن ادراك
الحق ووصف التسنم لما حصلوا عليه من شرف الاسلام وعلو المرتبة به وو
وصف الانفجار لظهورهم في انوار الاسلام من سرار الشرك والسرار الليلة او
الليلتان في آخر الشهر يستتر القمر فيهما ويخفى ولفظه مستعار للشرك والجهل السابق
والوقر الثقل في السمع وهو دعاء على سمع لا يفقه صاحبه بسماعه علما من مقاصد
الكتب الالهية وحق له الصمم لعدم فائدة خلقه منه والنبأة الصوت الخفي
وكنى بها عن دعائه لهم الى الحق وبالصيحة عن خطاب الله ورسوله وهو
في معرض العذر لنفسه في عدم نفع دعائه لهم اي اذا كانت دعوة الله ورسوله
التي اصمتكم بقوتها لم يحسوا لها فكيف يراعون دعوتي لكم التي هي كالنبأة
من الصيحة وقوله ربط دعاء للقلوب التي تخفق خوفا من الله بالثبات والسكينة

ووه

اى ثبت قلب كان كذلك وروى رُبط بالبناء للمفعول اى ربطه الله و
قوله اتوسّمكم اى اتفرّسكم والمغترين الغافلين عن عواقب الامور اى نارئتّه
اعرفكم بصفات الغدر فى البيعة والنكث لها والجلباب الملحفة واستعار
لفظه للدين باعتبار ستره وحجبه عن العنف بهم وحملهم على الشفقة او ستره
عن عملهم فى قوّته وباسه ولو لم يكن ذلك الستر لعرفوه بذلك وروى ستركم عنى
اى عصم الدين منى دماءكم واتباع مدبركم وقوله وبصّرنيكم اى عرّفنيكم صدق
نيتى واخلاصى لله وما يؤول اليه عاقبة امركم كما قال صلى الله عليه اتقوا فراسة
المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم اشار الى فضيلته ليقتدوا به بقوله اقمت لكم
على سنن الحق اى طريقه وهى الكتاب والسنة وفى جواد المضلة وهى الشبه اذ
كان عليه السلام العالم بالكتاب والموضح لطرق الحق منه ولطرق الباطل والهادى
فيهما وذاك حيث يلتقون فى ظلمة الجهل ولا يبصرون دليلا سواه ويطلبون ما
الحياة بالحث والفحص من ادوية القلوب ولا يجدون بها ماء الا معه وماهتت
البئر خرج ماؤها واستعار وصف الاحتفار للحث عن مظان العلم ولفظ الماء له وكنى
بالعجماء عن الحال التى يشاهدونها من العبر الواضحة وعن كمال فضله وهدايته الى الله
فان هذه الامور وان لم يكن لها نطق الا انها مبيّنة بلسان حالها ما ينبغى ان يفعل
مطابقة فى الافصاح عن ذلك لاوامر الله ورسوله فلذلك ذات بيان فانطاقها هو
عليه السلام عليها اذ عبّر بلسان مقاله عما كانت تقتضيه وشاهده من نظر اليها بعين
الاعتبار وهو كقولهم سل الارض من شق انهارك واخرج ثمارك فانه يجبك حوارا اجابتك
اعتبارا وروى بعضهم انطق بفتح الهمزة وعلى ان العجماء صفة مصدر محذوف اى الكلمات
العجماء ونحوه واراد بها ما ذكر فى الخطبة فى الرموز واستعار لها لفظ العجماء وكونها ذات
البيان لما فيها من الفوائد وعزب الرأى ذهب وقوله ما شككت فى الحق مذ اريته تنبيه
على وجه عزوب رأى من تخلّف عنه وقوله ولم يوجس الى قوله الضلال اى لم يحس
موسى فى نفسه خوفا اشدّ عليه من خوف غلبة الجهال على الدين وفتنة القوم

واراد انى كذلك واوجس احسّ والشفقة الخوف وقيل اشفق فى تقدير الاستدراك
بعد النفى اى لكن اشفق وليس هو افضل التفصيل وقوله اليوم تواقفنا الخطاب
لمقاتليه والمراد انى واقف على سبيل الحق وهم واقفون على سبيل الباطل
وقوله ومن وثق بماء لم يظما تمثيل نبّه به على وجوب الثقة بما عنده اى ان
سكنتم الى قولى ووثقتم به كنتم اقرب الى الهدى والسلامة كان الواثق بالماء
فى اداوته آمن من العطش وخوف الهلاك بخلاف من لم يثق بذلك واستعار
لفظ الماء لما اشتمل عليه من العلم وكيفية الهداية به الى فانه الماء الذى لا ظماء
معه ومن كلامه عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه واله
وخاطبه العباس رحمه الله وابو سفيان بن حرب فى ان يبايعاه بالخلافة ايها
الناس شقّوا امواج الفتن بسفن النجاة وعرّجوا عن طريق المنافرة وضعوا
تيجان المفاخرة افلح من نهض بجناح او استسلم فاراح ماء آجن ولقمة
يغصّ بها آكلها ومجتنى الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه فان اقل
يقولوا حرص على الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد
اللتيا والتى والله لابن ابى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى امّه بل اندمجت
على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية فى الطوىّ البعيدة اقول
سبب لما بويع ابو بكر بالسقيفة اراد ابو سفيان الفتنة بين المسلمين فقال
للعباس ان هؤلاء قد ذهبوا بالامر عن هاشم الى تيم وانه ليحكم فينا هذا الفظّ الغليظ
من بنى عدى فقم بايع عليّا فانه عم رسول الله وان رجل وانا رجل مقبول
القول فى قريش فان دافعونا قاتلناهم فاتيا عليّا فخاطبه ابو سفيان على الامر
وعلم عليه السلام من حاله انه يريد الفتنة فاجابه بهذا الكلام واستعار لفظ الامواج
لقيام الفتنة كالبحر فى هياجه وعوجه ولفظ سفن النجاة للمهادنة والمسالمة لاستلزا
السلامة كالسفينة والتعريج العدول عن الطريق ولفظ التيجان لما يفتخر به
قومه وبنى على تيم فى ذلك من اشارة الاحقاد ثم اشار بقوله النهى عن المنافرة والمفاخرة

اضطراب م

معا

يتحزبه

الى ما ينبغى ان يكون حال طالب الخلافة عليه ليفوز بمطلوبه او نحو امن الفتنة
فحكم بالفوز لمن نهض فى طلبه بجناح واستعار لفظ الجناح للاعوان والانصار
لان بهم النهوض وحكم بالنجاة للمستسلم عند عدم الجناح وكلاهما فلاح وقوله ماء
آجن الى آكلها تنبيه على ان المطالب الدنيوية وان عظمت فهى مشوبة بالكدر
استعار لفظ الماء الآجن واللقمة الموصوفة لها ولمتاع الدنيا باعتبار ما فيها من شائبة
التكدر بالمجىء من المنافسات ونحوها وقصد بذلك التنفير عنها تسكينا للفتنة وقوله ومجتنى
الثمرة الى قوله ارضه تمثيل بحاله فى طلبه للامر فى غير وقته عن ذكر اتباع الثمرة وادراكها
ووجه تشبيهه بالزرع فى غير ارضه انه فى محل ان يمنع من التصرف ويبطل سعيه و
غرض التشبيه التنفير عن الشبه فحكى حاله وان اقل اى اطلب الامر وان اسكت اى
عنه وهيهات اى بعد جزعى من الموت بعد تعاقب الشدائد على فى اللتيا والتى كالمثل واصله
ان رجلا تزوج قصيرة ضئيلة الخلقة فقاسى منها شدائد فطلقها وتزوج طويلة فقاسى
منها اضعاف ذلك فطلقها وقال بعد اللتيا والتى لا اتزوج ابدا فكنى بهما عن الشدائد
المتعاقبة وكونه عليه السلام آنس بالموت من الطفل بثدى امّه ظاهر من حاله اذ كان رئيس
اولياء الله وقد علمت ان محبة الموت امر حاصل لهم لكونه على سبيل شهوا انه فى معرض
التغير والزوال قوله بل اندمجت الى آخره استدراك بعد نفى الجزع من الموت واشارة
الى سبب آخر لسكوته وهو العلم الذى انطوى عليه والاندماج الانطواء وذلك
عليه بعواقب الامور وادبارها وما ينتظر من الوقائع والفتن مما علمه بتعليم الله ورسوله
ونبّه على عظمة ذلك بقوله لو بحت به الى آخره واشار باضطرابهم على ذلك التقدير
الى تشتت آرائهم عند علمهم بما سيقع من ذلك ومن انتقال الامر الى بنى امية وسوته
ومدة دولتهم فان ذلك يكون سببا لنفارهم ووجه التشبيه باضطراب
الارشية فى الطوى البعيدة شدة الاضطراب لان البئر كلما كانت اعمق كان
اضطراب الرشا فيها اشد لطوله والرشا حبل البئر والطوى البئر المطوية وقيل
اراد بالعلم المنطوى عليه علم الآخرة وبعد الموت وما بعد الموت فانهم لو شرح لهم

التنفير م

ذلك لاضطربوا اشد اضطراب خوفا من الله ولذهلوا عما هم فيه من المنافسه
فى الدنيا ومن كلام له عليه السلام لما اشير اليه بان لا يتبع
طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال والله لا اكون كالضبع تنام على طول اللدم حتى يصل اليها
طالبها ويختلها راصدها ولكنى اضرب بالمقبل الى الحق المدبر عنه وبالسامع المطيع
العاصى المريب ابدا حتى يأتى علىّ يومى فوالله ما زلت مدفوعا عن حقى مستأثرا علىّ
منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه واله حتى يوم الناس هذا اقول المنقول ان الذى
اشار عليه بذلك كان ابنه الحسن عليه السلام واللدم بسكون الدال ضرب الحجر او غيره على
الارض ليس بالقوى ويحكى ان الضبع تستغفل فى جحرها بذلك لتسكن حتى تطلع فتصطاد
والختل الخديعة والاستئثار بالشىء الانفراد به ومفهوم التشبيه انه لو اخر القتال لكان
ذلك سببا ليمكن الخصم من خداعه والمريب الشاك فى وجوب طاعته وفسر الابدية العمر لانه
الابد الممكن له واردف ذلك بالشكاية فى دفعه عن حقه والاستبداد به دونه من
حيث قبض رسول الله ومن خطبة له عليه السلام اتخذوا الشيطان لامرهم
ملاكا واتخذهم له اشراكا فباض وفرخ فى صدورهم ودب ودرج فى حجورهم فنظر
باعينهم ونطق بالسنتهم فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل فعل من قد شركه
الشيطان فى سلطانه ونطق بالباطل على لسانه اقول روى ملاكا وملاك الامر ما
يقوم به والاشراك جاز ان يكون جمع شريك كشريف واشراف او جمع شرك وحبائل الصائد
والفصل ذم المخالفين له واستعار لهم لفظ الاشراك باعتبار انهم اسباب لدعوة الخلق
الى مخالفة الحق مكان الشيطان يصطاد الخلق بواسطة طاعتهم له وتصرفه فيهم
ووصف البيض والفرخ له باعتبار ملازمته لصدورهم ملاحظا تشبيهه بالطائر وتشبيه
صدورهم بالوكر ووصف بالدبيب له باعتبار ملازمته لهم كالولد لحجر والده وكنى بنظره
باعينهم ونطقه بالسنتهم عن وجوه تصرفه فيهم وكونه بهم الزلل وتزيينه لهم
الخطل وهو الفاسد من القول اشارة الى ثمرة متابعته وانتصب فعل على المصدر
اى فعلوا كذلك ومن كلام له عليه السلام يعنى به الزبير فى حال اقتضت

ذلك يزعم انه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة
فليأت عليها بامر يعرف والا فليدخل فيما خرج منه اقول الوليجة الدخيلة في الامر
واصل الفصل احتجاج على الزبير بلزوم البيعة له واشار الى عذر الزبير عن ذلك وهو زعمه
انه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه وهو التعريض في العهود والايمان وهما من الزبير ان
ذلك امر تقبله الشريعة واجابه عليه السلام بضمير صغراه قوله فقد اقر بالبيعة وادعى
الوليجة اى اقر بما يلزمه شرعا وادعى انه اضمر في باطنه ما يفسده وتقدير الكبرى وكل من
فعل ذلك احتاج الى بينة لدعواه واشار الى النتيجة بقوله فليأت الى آخره ومن
كلامه له عليه السلام وقد ارعدوا وابرقوا ومع هذين الامرين الفشل ولسنا
نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر الاشارة الى اصحاب الجمل في تعريضهم
والارعاد والابراق كنايتان عن التهدد والوعيد الصادرين منهم له والفشل
الضعف وارداف مع وعيدهم وتهديدهم ضعفهم عما توعدوا من الحرب وكما ان فضيلة
السحاب ان يقترن وقوع المطر منه برعده وبرقه وسيله عقيبه اشارة انه كذلك في
مقارنة وعيده لهم بايقاع الحرب بهم وسيل عذابه لهم بامطاره عليهم ومن خطبة
له عليه السلام الا وان الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله وان
معي لبصيرتي ما لبست على نفسي ولا لبس علي وايم الله لافرطن لهم حوضا انا
ماتحه لا يصدرون عنه ولا يعودون اليه اقول مداره على ثلثة امور اولها الذم لاصحاب
الجمل والتنفير عنهم بكونهم من حزب الشيطان والاستجلاب بمعنى والثانى التنبيه على
فضيلة نفسه وعدم جواز التلبيس منه وعليه شبهة قتل عثمان ونحوها وهو قوله وان
معي الى قوله علي والثالث الوعيد لهم بالحرب المهلكة واستعار وصف افراط الحوض وهو
ملؤه لجمع الجنود وتهيئة اسباب الحرب يقال افرطت الحوض افرطه بالضم اى ملأته وماتحه
مستقي الماء فيه وكنى به عن كونه هو المتولي لذلك بنفسه وعنى بقوله لا يصدرون عنه ان
الوارد منهم له لا ينجو فهو كمن يغرق فيه وبقوله ولا يعودون اليه ان من نجا منهم
لا يطمع في مثل ما طمعوا فيه خوفا فلا يعود واصل ايم ايمن جمع يمين حذفت النون

تخفيفا

تخفيفا كما في قوله لهم الله وقيل هو اسم برأسه وضع للقسم وتحقيقه في النحو ومن
كلامه له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما اعطاه الراية يوم الجمل تزول الجبال و
لا تزل عض على ناجذك اعر الله جمجمتك تد في الارض قدمك ارم ببصرك اقصى
القوم وغض بصرك واعلم ان النصر من عند الله سبحانه اقول اشار الى آداب
الحرب نهى عن الفرار واكده والتقدير لو زالت الجبال لا تزل وهو نهى على تقدير امر محال
وذلك يستلزم النهي على كل حال بطريق الاولى والناجذ السن بين الناب والضرس و
للعض عليه فائدتان احديهما ربط الجاش وتماسك اجزاء البدن للحركة والثانية تصلب
عضل الراس ويقاوم ما عساه يقع من الضرب فيه واستعار وصف العارية لجمجمته قيل
وفي ذلك تثبيت لمحمد رضي الله عنه واشارة له بانه لا يبخل في ذكر الحرب وتد في الارض
قدمك اى اجعله كالوتد في الثبات وفائدة رميه ببصره اقصى القوم ان يعلم ما ذا تقدم
وغض بصره بعد ذلك ليكون علامة للسكينة ولان ادامة النظر الى وقع السيوف مظنة
الرهبة وربما حيف على البصر وبرهان علمه بان النصر من الله قوله تعالى ان تنصروا الله
ينصركم ومن كلام له عليه السلام لما ظفر باصحاب الجمل وقد قال له بعض اصحابه
وددت ان اخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على اعدائك فقال اهوى
اخيك معنا فقال نعم قال فقد شهدنا ولقد شهدنا في عسكرنا هذا اقوام
في اصلاب الرجال وارحام النساء سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الايمان اقول
اراد بالحضور حضور القوى وان محبته قائمة مقام حضوره والشهود من كان
بعد في الامكان وقوة ان يشهد نصرته من شيعته اذ هو منزلة الحاضر اطلاق للفظ
ما بالفعل على ما بالقوة مجازا واستعار وصف الرعاف لوجودهم ونسبه الى
الزمان لكونه من اسباب وجودهم ومن كلامه له عليه السلام في ذم البصرة واهلها
كنتم جند المرأة واتباع البهيمة رغا فاجبتم وعقر فهربتم اخلاقكم دقاق وعهدكم
شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق المقيم بين اظهركم مرتهن بذنبه و
الشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه كاني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله

فقدح

عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها وفي رواية اخرى وايم الله
لتغرقن بلدتكم حتى كاني انظر الى مسجدها كجؤجؤ سفينة او نعامة جاثمة
وفي رواية اخرى كجؤجؤ طير في لجة بحر اقول اراد بالمرأة عائشة اذ كانت
واسطة عقدهم في الحرب وبالبهيمة جملها فانهم كانوا يحيطون به بحيث لرغائه
وهاربين لعقره وكنى برغائه عن دعوتها او كونه سببا لاجتماعهم ما دام واقفا
ودقة اخلاقهم صغرها وحقارتها واراد انهم على رذائل الاخلاق وشقاق
العهد نكثهم له ببيعته له عليه السلام وعهودهم مع امرائه وولاته والزعاق
الملح وذكره في معرض ذمهم تنفيرا عنهم وارتهان المقيم بينهم بذنبه لاكتسابه
رذائل اخلاقهم غالبا ولذلك كان الشاخص عنهم اى الراحل متداركا برحمة الله
لسلامته من اخلاقهم وشبه نفسه في مشاهدته بنور بصيرته لمسجدهم في الماء بالمشاهد
لذلك والحاضر لرؤيته بعين الحس في الجلاء والظهور وجؤجؤ السفينة والطائر صدره
والجاثمة البارك والمنقول ان البصرة غرقت ايام القادر بالله مرة وفي ايام القائم
بامر الله غرقت بجمعها وغرق من في ضمنها وخربت دورها حتى لم يبق الا اعلى مسجدها
حسب ما اخبر به عليه السلام وكان غرقها من قبل البحر ومن ناحية الجبل المعروف
بجبل السنام منها في مثل ذلك ارضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء خفت عقولكم
وسفهت حلومكم فانتم غرض لنابل واكلة لآكل وفريسة لصائد اقول
اما قربها من الماء فظاهر واما بعدها من السماء فقيل اراد بالسماء المطر فان امطارها قليلة
وقيل اراد انهم لرذائلهم بعداء عن الرحمة وسماء الجود الالهي وخفة عقولهم اى العملية
ضعفها عن درك المصالح وتسرعهم الى الباطل وسفه الحلم تبدله بضده واستعماله في
غير موضعه وكنى بكونهم غرضا لنابل الى آخره عن كونهم مظنة لاطماع الناس فيهم وتصدهم
بالبلاء لضعفهم ونقصان عقولهم واستعار لفظ الغرض والفريسة لهم ووجه الاستعارة
ظاهر ومن كلامه له عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان والله
لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته على فان في العدل سعة

ومن

ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق اقول قد كان عثمان اقطع اقاربه من
ارض بيت المال قطائع فردها عليه السلام حين ولي الامر ووجه سعة العدل بالقياس
الى الجور ان الانسان يتمكن من التصرف به اكثر من التصرف بالجور لان التصرف العدلي محل
له لرضا من يعتقد كونه مظلوما او لرضا الظالم لعلمه بانه عند انتزاع الحق منه اخذ لما
ليس له وتأكد ذلك بالوعيد للظالمين فالظالم وان قام شيطانه عند انتزاع الحق منه و
ضاق العدل عليه فهو في محل الرضا بخلاف الجور فانه اضيق عليه في الدنيا والآخرة
لسد الاوامر والنواهي الشرعية عليه وجوه التصرف الباطل وربما انتزع منه قهرا ولانه
اذا نزل عليه عدل اعتقد انه اخذ منه ما ينبغي اخذه منه واذا نزل عليه جور اعتقد انه
اخذ منه ما لا ينبغي اخذه ولا شك ان اخذ ما لا ينبغي اخذه اصعب على النفس واضيق من
اخذ ما ينبغي وخص قطائع عثمان دون قطائع عمر بالرد لاختلاف رأي الامامين ومن خطبة
له عليه السلام لما بويع بالمدينة ذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم ان من صرحت
له العبر عما بين يديه من المثلات حجزه التقوى عن تقحم الشبهات الا وان بليتكم
قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن
غربلة ولتساطن سوط القدر حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم و
ليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سابقون كانوا سبقوا والله ما كتمت
وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم الا وان الخطايا خيل شمس
حمل عليها اهلها واعطوا ازمتها فاوردتهم الجنة حق وباطل ولكل اهل فلئن
امر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق لربما ولعل ولقل ما ادبر شيء فاقبل قال السيد رضي الله عنه
اقول ان في هذا الكلام الادنى من مواقع الاحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان
وان حظ العجب منه اكثر من حظ العجب به وفيه مع الحال التي وصفنا زوائد من
الفصاحة لا يقوم بها لسان ولا يطلع فجها انسان ولا يعرف ما اقوله الا من ضرب
في هذه الصناعة بحق وجرى فيها على عرق وما يعقلها الا العالمون اقول
الذمة العهد والزعيم الكافل والمثلات العقوبات والحجز المنع وتقحم الامر دخوله بغير

وخلعت لجمها فتقحمت بهم في
النار الا وان التقوى
مطايا ذلل حمل عليها اهلها صح

واشار الى وجوب الاعتبار لوجوب التقوى وان العبرة بما يفعله الدنيا من عقوبة من اغتر بها وتبدل حالاتها عليهم مستلزمة في المعتبر تصور مثل ذلك في نفسه وذلك مستلزم لافاضة تقوى الله عليه المستلزمة لتوقفه وامتناعه من ان يلقى نفسه في تلك الامور الزايلة والشبهات الباطلة وهي احوال الدنيا المشبهة للحق والعقل الخارج من اسر الهوى قوي على تفطن الحق وغيره من الشبهة واكد ذلك برجحين ذمتيه وكنا ايته به ثم نبههم على انهم في الشبهات متورطون ليبادروا الى تقوى الله وهو قوله الا وان بليتكم قد عادت واراد بالبلية ما هم عليه من اختلاف الاهواء عن الشبهات التي يلقيها اليهم الشيطان وذكر ابن شبهه بما كانوا عليه حين بعثة الرسول صلى الله عليه واله ثم توعدهم بعاقبة ذلك ونزول غيرته بهم والبلبلة الاختلاط والغربلة تخل ونحوه وذلك اشارة الى ما يفعله بنو امية بهم من خلط بعضهم ببعض ورفع اراذلهم وحط اكابرهم كما يفعل بالقدر سايطها لفظ الغربلة مستعارة لالتقاط احادهم بالقتل والاذى كما فعلوا بكثير من الصحابة والتابعين وقوله وليسبقن الى قوله سبقوا اشارة الى ما علمه من اسرار القدر من تقصير من كان له سبق في الدين وتقدم رتبته فيه او الى سبق من كان قصر فيه اوله او سبق من كان فاجرا في اول الاسلام على الخلافة والامارة في اخر الزمان اليها وتقصير من سبق اليها عن بلوغها ثم اشار الى ان ذلك الاخبار مما اخبر به الرسول صلى الله عليه واقسم انه لم يكتم منه وشمة اى كلمة مما اخبره به وتعين عليه وان تنزه عنه والوشمة بالشين المعجمة الكلمة وانه لم يكذب فيه وهذا المقام بعثه للخلق له وهذا اليوم اى يوم اجتماعهم عليه واستعار لفظ الخيل بوصف الشماس وخلع اللجم للخطايا باعتبار ورودهم بها النار بسرعة كالفرس الجموح براكبه المتقحم به في المهالك ولفظ المطايا بعنق ذلك الاوصاف للتقوى الموصلة لصاحبها الى الجنة كراكب الذلول يصل الى غايته بها بسهوله واختياره وقوله حق وباطل اى في الوجود ولكل واحد منهما اهل كقول النبي صلى الله عليه واله وسلم كل ميسر لما خلق له وقوله فلئن امر الباطل اى كثر الى قوله ولعل كالاعتذار لنفسه ولاهل الحق في قلته وتوبيخ

لاهل

لاهل الباطل على كثرته وفي قوله لربما ولعل ترج والطماع لعود الحق الى الكثرة بعد قلته ترغيبا في لزومه كي لا يضمحل بالتخاذل عنه والاحسان في كلام السيد مصدر احسن اذا فعل حسنا ومواقع الاحسان الكلمات الحسنة منه ومواقع الاستحسان الفكر المستحسنة له لانها لا تبلغ محاسن كلامه ولا يحيط بها وقوله وان حظ الى قوله به اى ان تعجب الفصحاء من حسنه اكثر من عجبهم بانفسهم باستخراج محاسنه لان فيه محاسن لا يمكنهم التعبير عنها وان تعجبوا منها منها شغل من الجنة والنار امامه ساع سريع نجا وطالب بطئ رجا ومقصر في النار هوى اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة عليها باقي الكتاب وآثار النبوة ومنها منفذ السنة واليها مصير العاقبة هلك من ادعى وخاب من افترى من ابدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وكفى بالمرء جهلا الا يعرف قدره لا يهلك على التقوى سنخ اصل ولا يظمأ عليها زرع قوم فاستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه اقول معنى القضية الاولى ان من كانت الجنة والنار امامه كان له بهما شغل عن غيرهما وشغله بهما ملاحظتهما والهمة بما يكون وسيلة اليهما واستعار لفظ الامام لهما باعتبار كونهما غايتين ينتهي اليهما وبنا الفعل المفعول لان الغرض ذكر الشغل دون المشتغل به وقوله ساع الى قوله النار قسمة للناس بالنسبة الى ما وجب عليهم من الشغل المشار اليه الى ثلثة اقسام ووجه القسمة ان الناس اما طالبون لله وما عنده او غير طالبين والطالبون اما مجتهدون في الوصول اليه او متوانون والاولهم السابقون المقربون والثالث المقصرون في الدين وقف بهم الشيطان حيث اراد وظاهر كونهم من اهل النار واما الثاني فذو وجهين يتجاذبانه بين جهتي السفالة والعلو فسلوكه الى الله وان ضعف جاذب له الى الجنة ويد الشيطان جاذبة له الى النار الا ان رجاه الله ومسكته به اذا انضاف الى حركته البطيئة في سبيل الله كانت السلامة عليه اغلب واختص الثاني بالرجاء لانه عدته دون عمله لضعفه ونحوه قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله وقوله اليمين والشمال الى قوله الجادة اشاره باليمين

والشمال الى طرفي الافراط والتفريط من الفضايل النفسانية وبالطريق الوسطى الى العدل منها وهو الحصول على نفس الفضيلة من غير انخراق الرذايل منها وهي الصراط المستقيم في الدنيا والجادة الواضحة لمن اهتدى وعليها باقي الكتاب الكريم من المقاصد الهادية آثار النبوة ومنفذ السنة اى طريقها ومخرجها واليها تصير عاقبة الخلق في الدنيا والاخرة فان من العدل بدات السنة وانتشرت في الخلق واليه مرجع امورهم وعواقبها قوله هلك من ادعى تعريض لمعوية ودعواه الامامة واللفظ عام خرج على سبب خاص اى هلك من ادعى ما ليس له بحق وخاب من كذب في دعواه والخيبة دعاء او خبر بعدم حصول الخير في الاخرة قوله من ابدى الى قوله قدره اراد من تجرد لاظهار الحق في مقابلة كل باطل سمعه او راه من الجاهلين وحملهم على مر الحق وصعبه في كل وقت كان في مظنة الهلاك بايديهم والسنتهم وكانه ايماء الى نفسه في معرض الاعتذار في مقابلة معوية وغيره على باطلهم وجهل المرء بقدره ومرتبته من الناس جهل فاحش لاستلزامه رذايل صعبة كالعجب والكبر ونحوهما من المهلكات المهلكات وقوله المهلك الى قوله قوم فالسنخ الاصل وذكر ان التقوى كالارض الحرة لا يهلك ما غرس فيها من اصل وكالمد الموزب لا ينظما عليه ما زرع وهو ترغيب فيها لغاية ما يثمره من الخير الاخروي وامرهم بالاستتار ببيوتهم اى لزومها قطعا لمادة الفتنة من الاجتماع للمنافرات والمفاخرات وتحثهم على الرجوع الى التوبة وانها مقبولة منهم وكونها ورائهم باعتبار رجوع العاصي اليها عما هو متوجه بقلبه اليه من المعصية وقيل وراء بمعنى امام والاول اشبه ومن كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى للحكم بين الامة وليس لذلك باهل ان ابغض الخلايق الى الله رجلان رجل وكله الله الى نفسه فهو جاير عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته ورجل قمش جهلا موضع في جهال الامة غار في اغباش الفتنة عم بما في عقد الهدنة قد سماه اشباه الناس عالما وليس به بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر حتى اذا

ارتوى

ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ~~ما التبس على~~ غيره فان نزلت به احدى المبهمات هيأ لها حشوا رثا من رايه ثم قطع به فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري اصاب ام اخطا ان اصاب خاف ان يكون قد اخطا وان اخطا رجا ان يكون قد اصاب جاهل خباط جهالات عاش ركاب عشوات لم يعض على العلم بضرس قاطع يذري الروايات اذراء الريح الهشيم لا ملي والله باصدار ما ورد عليه ولا يحسب العلم في شي مما انكره ولا يرى ان من وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث الى الله اشكو من معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلالا ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا سلعة انفق بيعا ولا اغلى ثمنا من الكتاب اذا حرف عن مواضعه ولا عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر اقول البغض من الله يعود الى علمه بمخالفة العبد لاوامره واطلاقه مجاز اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه ووكله الله الى نفسه جعل اعتماده عليها ومشغوف معجب والقمش الجمع والموضع بكسر الضاد المسرع اى انه يسرع في جهال الامة الى ما يسرعون اليه وروي موضع بفتحها اى انه لبس من اشراف الناس واغباش الفتنة اوايل ظلمتها وروي غار اى غافل وظلمات الخصومات لا يهتدي لوجه تخليصها وروي اغطاش الفتنة والغطش الظلمة والهدنة الصلح اى اعمى البصيرة عن وجه المصلحة بين الناس واشباه الناس الجهال المشبهون للكامل في الصورة الحسية دون الصورة التامة التي هي كمال العلم ومكارم الاخلاق وروي جمع منونا على ان الجملة بعده صفة له وما مصدرية او بمعنى الذي وجمع بمعنى مجموع وروي مضافا وتقدير ان بعدها على طريقة قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه واستعار وصف البكرية للسبق في اول العمر الى جمع الشبهات والاراء الباطلة واستعار لفظ الماء الآجن للجهل والاعتقادات الفاسدة ووصف الارتواء التملية منها والمبهمات القضايا الملتبسة التي يدق

فيها الحق والمنسوج الكلام الكثير لا فايده فيه واكرث الضعيف ونسج العنكبوت مثل
للامور الواهية ووجه التمثيل ان ذهن الجاهل اذا تصدى لحل مبهمه ركبت عليه الشبهات
الواهية كالذباب فيلتبس على ذهنه وجه الحق ولا يخلص اليه منها فمثله في الشبهات
الواهية كالذباب في نسج العنكبوت لا يتمكن على ضعفه ان يخلص منه وخباط جهالات
كثير الخبط فيها وروي جهالات جمع جهلة فعلة من الجهل والعشوة مصدر قولك عشوت
ضوء النار اذا تبينته على ضعف واراد انه لا يستضيء بنور الحق في ظلمات الشبهات
الا على ضعف لنقصان ضوء بصيرته ولم يعض على العلم بضرس قاطع كناية عن عدم
اتقانه للقوانين الشرعية واصله ان الانسان يمضغ الشيء ثم لا يجيد مضغه و
ارادوه للروايات بصغرها وقرائتها مع عدم فهمها والانتفاع بها وكونه لا يحسب العلم
في شيء مما انكره اي لا يعده شيئا ولا يدخله في الحساب بل ينكره كسائر ما انكره واراد
دون م م — علم الاصوليين وغيرها الفروع وروي يحسب بكسر السين من الحسبان وهو الظن
اي لا يظن العلم الذي هو ورد اعتقاده فضيلة يجب اعتقادها واستحار وصف
الصراخ والعجيج وهو رفع الصوت لنطق الدماء والمواريث بلسان حالها متظلمة شاكية
ويحتمل ان يريد اهل الدماء بحذف المضاف والى الله اي اشكو الابراء وقوله ليس فيهم
الى آخره اي اذا فسر الكتاب على وجه رخص عندهم واطرحوه لمخالفته اغراضهم
واذا حرف عن مواضعه ووافق اغراضهم وشروه باغلى ثمن ولا انكر من المعروف
لقلته وغرابته بينهم ولا اعرف من المنكر لكثرة وجوده والفهم له ومن كلام له
عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا ترد على احدهم القضية في حكم
من الاحكام فيحكم فيها برايه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف
قوله ثم تجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم فيصوب اراءهم جميعا
والههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه
ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه ام كانوا
شركاء له فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى ام انزل الله سبحانه دينا تاما فقصر الرسول
ان

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم عن تبليغه واداه والله سبحانه يقول ما فرطنا في الكتاب
من شيء وفيه تبيان كل شيء وذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف
فيه فقال سبحانه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وان القرآن ظاهره انيق
وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات الا به
اقول في هذا الفصل تصريح بانه عليه السلام كان يرى ان الحق في جهة وانه
ليس كل مجتهد في الفروع مصيبا كما يراه الجمهور من الاصوليين والمسالة مشهورة
في اصول الفقه وقوله ترد الى قوله جميعا صورة حالهم التي ينكرها وقوله والههم
الى قوله واحد شروع في بطلان ما يرونه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل
قوم كانوا كذلك فلا يجوز ان يختلفوا في حكم شرعي ويكون اراؤهم للمختلفة
صائبة وقوله فامرهم الى آخره بيان للصغرى وتقريره ان ذلك الاختلاف اما
ان يكون بامر من الله اطاعوه فيه او نهي منه عصوه فيه او سكوت عن الامرين
وعلى التقدير الثالث فجواز اختلافهم في دينه وللحاجة الى ذلك اما ان يكون مع نقصانه
او مع تمامه وتقصير الرسول في ادائه وعلى الوجه الاول فالاختلاف انما يجوز على
احد وجهين اما ان يكون ذلك الاختلاف متمما لذلك النقصان او على وجه اعم من
ذلك وهو كونهم شركاء في الدين فعليه ان يرضى بما يقولون ولهم ان يقولوا
اذ شان الشريك ذلك فهذه وجوه خمسة وحصر الاقسام الثلاثة الاخيرة باستقراء
وجوه الحاجة الى الاختلاف والاقسام كلها باطلة واشار الى بطلانها ببقية الكلام
اما الاول فلان مستند الدين كتاب الله وهو يصدق بعضه بعضا فلا اختلاف
فيه فلا يكون مبدأ للاختلاف فعلى اختلافهم مستندا الى الكتاب فلا يكون من الدين
واما الثاني فلان عدم جواز المعصية لله بالاختلاف مستلزم لعدم جواز الاختلاف واما
الثالث وهو نقصان دين الله فلقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء واما الرابع والخامس
فظاهر البطلان ولا يمكن دعواها فلذلك لم يحتج الى بطلانهما ثم نبههم على ان القرآن وافٍ
بجميع المطالب اذا تدبروا معناه فيحرم عليهم قول لا يستند اليه وذكره في قوله ظاهره انيق اي

حسن معجب بانواع البيان وباطنه عميق لا ينتهي الى جواهر اسراره الا اولوا الالباب
ولا يفنى الامور المعجبة منه ولا تنقضي النكت الغريبة فيه ولا يكشف ظلمات الشبه
الا به ومن كلام له عليه السلام خاطب به الاشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب
فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الاشعث فقال يا امير المؤمنين هذه عليك لا لك
فخفض اليه بصره ثم قال وما يدريك ما علي مما لي عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين حائك
ابن حائك منافق ابن كافر والله لقد اسرك الكفر مرة والاسلام اخرى فما فداك من واحدة
منهما مالك ولا حسبك وان امرءا دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف لحري ان
يمقته الاقرب ولا يامنه الابعد قال السيد رضي عليه السلام انه اسر في الكفر مرة وفي
مرة م — الاسلام اخرى واما قوله عليه السلام دل على قومه السيف فاراد به حديثا كان للاشعث
مع خالد بن الوليد باليمامة غر فيه قومه ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد وكان قومه بعد
ذلك يسمونه عرف النار وهو اسم للغادر عندهم اقول روي انه عليه السلام كان في
خطبته يذكر امر الحكمين فقام اليه رجل من اصحابه وقال نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا
بها فما ندري اي الامرين ارشد فصفق عليه السلام احدى يديه على الاخرى وقال
هذا جزاء من ترك العقدة فظن الاشعث انه اراد هذا جزائي فقال الكلمة فاشار
الى جهله بقوله وما يدريك اذ ليس للجاهل ان يعترض على مثله بما لا يعلمه واستحق اللعن
لانه كان من المنافقين واستعار له لفظ الحائك لان كندة معروفة بالحياكة وهي مظنة
نقصان العقل وقيل لان الاشعث واباه كانا ينسجان في اول امرهما برود اليمن
وغيره بها لا انها تمام قوله ولقد اسرك الى قوله حسبك تاكيد لنقصان فطنته اذا
وقع نفسه مرتين في الاسر ولم يعقل وجه الخلاص وما فداك اي لم يخلصك من الوقوع
ولا يحمل على الفداء بعد الاسر لانه فدى نفسه كما نقل اما اسر الكفر فلان مرادا
لما قتلت اباه خرج ثائرا بدمه فاسر ففدى نفسه بثلثة الاف بعير واما اسر الاسلام
فلانه لما ارتد بحضرموت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابو بكر زياد بن
لبيد ثم عكرمة بن ابي جهل في جيش من المسلمين فالتجأ الى حصن قومه فاسره زياد
وقدم

وقدم به على ابي بكر فاستبقاه وزوجه اخته ام فروة وله قصة طويلة اشارنا اليها
في الاصل وقوله وان امرءا الى قوله الابعد اشارة الى غدره بقومه حين حصرهم زياد فطلب
الامان لنفسه ولنفر يسير من قومه فظن الباقون انه اخذ الامان لجميعهم فخرجوا فقتلوا
صبرا والحتف الهلاك واما قول السيد انه اراد حديثا كان للاشعث مع خالد بن الوليد
باليمامة فلم اقف على شيء من ذلك سفرا وتابع خالد بن باليمامة وحسن الظن به يقتضي صدق
نقله واستعارتهم لعرف النار فلان العرف عبارة عن كل عال مرتفع ولما كان الغدر
ظاهرا له وهو مستلزم كالعلم على الغاية التي اتجه اليها كاعلام الطريق ومن
قدم — خطبة له عليه السلام فانكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم
منكم — ووهلتم وسمعتم واطعتم ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا وقريب ما يطرح الحجاب
ولقد بصرتم ان ابصرتم واسمعتم ان سمعتم وهديتم ان اهتديتم بحق
اقول لكم لقد جاهرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر وما يبلغ عن الله بعد
رسل السماء الا البشر اقول الوهل بالتحريك الفزع وروي وهلتم والهلع افحش
الجزع واعلم ان الانسان ما دام ملتحفا بجلباب البدن فانه محجوب بظلمات هيآته و
معارضات اوهامه وخيالاته عن مشاهدة عالم الغيب وذلك الحجاب امر قابل
للزيادة والنقصان والناس فيه على مراتب ولو قد رفع عنهم هذا الجلباب وطرح عن
اعين بصائرهم ذلك الحجاب لشاهدوا من احوال الآخرة واهوالها ما شاهده من
وصل اليها قبلهم كقوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فجزعوا
حينئذ وفزعوا وسمعوا الداعي الله واطاعوا وقوله ولكن الى قوله الحجاب اشارة الى
سبب غفلتهم وهو الحجب المذكوره والتذكير بقرب زواله بالموت وما مصدرية في موضع
رفع بالابتداء وقوله ولقد بصرتم الى قوله اهتديتم تنبيه على طرق الهداية وانها
قد اوصلت اليهم ما ينتفع به لو انتفعوا به ومجاهرة العبر لهم وضوحها وظهور دلالتها
وما فيه مزدجر كالنواهي المؤكدة بالوعيدات الهائلة والعقوبات الحاضرة كقوله تعالى
ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر وقوله وما يبلغ الى آخره اي ليس في الامكان

طريق وراءها جذبتم به الى الله على السنة رسله يكفي ان يبلغكم رسالاته بعد رسل
السماء وهم الملائكة الاهم فلا عذر لكم في التخلف عن دعوتهم وبالله التوفيق ومن
خطبة له عليه السلام فان الغاية امامكم وان وراءكم الساعة تحدوكم تخففوا
تلحقوا فانما ينتظر باولكم آخركم قال السيد اقول ان هذا الكلام لو وزن بعد
كلام الله سبحانه وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله بكل كلام لمال به راجحا وبرز عليه
سابقا فاما قوله عليه السلام تخففوا تلحقوا فما سمع كلام اقل منه مسموعا ولا اكثر محصولا
وما ابعد غورها من كلمة وانقع نطفتها من حكمة وقد نبهنا في كتاب الخصائص على
عظم قدرها وشرف جوهرها اقول اراد بالغاية حال الآخرة من جنة تطلب او نار يهرب
عنها بما هو متوجه اليه وغاية للانسان ينتهي اليها وبذلك الاعتبار صدق عليها انها امام
واستعار لفظه لها والساعة القيمة والموت وكونها وراء باعتبار كونها مهروبا منها
والمهروب منه خلف الهارب فاستعار لفظه لها ووصفها بصفة السابق وهي الحداء
واشار بالتخفف الى الزهد الحقيقي الذي به يتخفف المسافر الى الله من اثقال الدنيا و
اوزارها المانعة من الصعود الى حضرته القدسية وبذلك يلحق المسافر منازل السابقين
الاولين والكلمتان في قوة شرط وجزاء وقوله فانما ينتظر باولكم آخركم اي انما
ينتظر بالقيمة الكبرى سعادة اولكم ومن سبق منكم ووصول كل الى ما يستحقه من كمال
او عذاب لحوق الآخرين الذين لم يلحقوا ووصف الانتظار مستعار لكمال مطلوب الله
سبحانه من الخلق باسرهم وهو وصولهم الى ساحل عزته اذ كان ينتظر عنايته اليهم
واحدا واستعار السيد لفظ النطفة وهو الماء القليل الصافي لما فيها من الحكمة وبالله
التوفيق ومن خطبة له عليه السلام الا وان الشيطان قد ذمر حزبه واستجلب
جلبه ليعود الجور الى اوطانه ويرجع الباطل الى نصابه والله ما انكروا علي منكرا ولا جعلوا (في الهامش: الجور م)
بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا تركوه ودما هم سفكوه فلئن كنت شريكهم
فيه فان لهم لنصيبهم منه ولئن كانوا ولوه دوني فما التبعة الا عندهم وان (في الهامش: هم م)
اعظم حجتهم لعلى انفسهم يرتضعون اما قد فطمت ويحيون بدعة قد اميتت

يا خيبة

يا خيبة الداعي من دعا والى ما اجيب واني لراض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم فان
ابوا اعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا من الباطل وناصرا للحق ومن العجب بعثتهم
الي ان ابرز للطعان وان اصبر للجلاد هبلتهم الهبول لقد كنت وما اهدد بالحرب
ولا ارهب بالضرب واني لعلى يقين من ربي وغير شبهة من ديني اقول
ذمر بالتخفيف والتشديد حث والجلب الجماعة من الناس يجمع ويؤلف والنصاب الاصل
والمنكر الذي ادعوه عليه قتل عثمان والسكوت عن النكير على قاتليه ولما كان عليه السلام
بريئا من ذمه صدق انهم ما انكروا عليه منكرا فعله وتركهم لذلك الحق وسفكهم لذلك
الدم هو مشاركتهم فيه فان المشهور ان طلحة كان من المحرضين على قتله والساعين
في ذلك وقوله فان كنت الى قوله قبلهم اقامة الحجة على دفع مقالتهم وتقريرها انهم
دخلوا في دم عثمان وكل من دخل فيه بالاستقلال او الشركة فليس له ان يطلب غيره و
بدمه او يطلب شريكه دون نفسه واستعار وصف الارتضاع لطلبهم منه عليه السلام
ما كانوا يعهدون من الصلات من عثمان ولفظ الام للخلافة وبيت المال المنتهاب
للسلمين اولادها المرتضعون ووصف الفطام لمنعه عليه السلام لهم من ذلك والبدعة
التي يحيونها هو التفضيل اذ كان خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله واماتتها
تركها وقوله يا خيبة الداعي الى قوله اجيب خرج مخرج التعجب من عظم خيبة الدعاة الى
قتاله ومن دعا والى ما اجيب استفهام على سبيل الاستحقار للمدعوين للقتال الباطل
للداعي اذ كانوا اعوام الناس وللمدعو اليه وهو الباطل الذي دعوا النفس اليه ويحتمل
ان يكون لتعظيم المدعو الى قتالهم يعني نفسه عليه السلام والمدعو اليه وهو الحرب
وحجة الله امره الصادر بقتال الفئة الباغية كقوله تعالى فان بغت احديهما الآية
وكل امر لله او نهي له فهو حجة له وكل حجة للحق فهو حجة الله والهبول الثواكل وهو ما
تدعو به العرب وقوله لقد كنت وما اهدد بالحرب اي من حيث كنت لا اخشى من عبد
الحرب واليقين من الله بما وعد المتقون وذكر مؤكد لعدم خشيته من الحرب والقتال و
بالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض

كقطر المطر الى كل نفس بما قسم لها من زيادة او نقصان فاذا راى احدكم لاخيه غفيرة
في اهل او مال او نفس فلا يكونن له فتنة فان المرء المسلم ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع لها (في الهامش: لم يغش دناءة م)
اذا ذكرت ويغرى بها لئام الناس كان كالفالج الياسر الذي ينتظر اول فوزة
من قداحه توجب له المغنم ويرفع عنه بها المغرم وكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة
ينتظر احدى الحسنيين اما داعي الله فما عند الله خير له واما رزق الله فاذا هو (في الهامش: من الله م)
ذو اهل ومال ومعه دينه وحسبه ان المال والبنين حرث الدنيا والعمل الصالح
حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لاقوام فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه و
اخشوه خشية ليست بتعذير واعملوا في غير رياء ولا سمعة فانه من يعمل لغير الله
يكله الله الى من عمل له نسأل الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء و
مرافقة الانبياء ايها الناس انه لا يستغني الرجل وان كان ذا مال عن عشيرته
ودفاعهم عنه بايديهم والسنتهم وهم اعظم الناس خير له من المال يورثه غيره (في الهامش: حيطة من ورائه والمهم لشعثه واعطفهم عليه عند نازلة ان نزلت به ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس م)
اقول مدار الفصل على تاديب الفقراء بترك الحسد ونحوه وفيه تاديب الاغنياء
بالشفقة على الفقراء ومواساتهم وتزهيدهم في المال وقد تقدمه حاصل الاشارة
الى ان كلما يتجدد من زيادة او نقصان فيما يكون به صلاح الخلق في معاشهم ومعادهم
من مال او جاه او اهل فانه عن قسمة ربانية والامر الذي ينزل هو حكم القدرة الالهية
على الممكنات بالوجود والمعبر عنه بقوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه الآية ونزوله
حصوله لكل نفس بما قسم لها وهو القدر في قوله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم والمراد
بالسماء سماء الجود الالهي وبالارض ارض قوابل الجود في هذا العالم ويحتمل ان يراد ظاهرها
لان السموات بحركاتها شرايط معدة لما يحدث في الارض فكانت مبادي على بعض
الوجوه لنزول الامر فجاز نسبته اليها ووجه تشبيهه بقطر المطر ان حصوله لكل
نفس مما يختلف بالاصابة وعدمها وبالزيادة والنقصان كالقطر بالنسبة الى
البقاع وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس وقوله فاذا راى الى قوله فتنة والغفيرة
الزيادة وفيه تاديب لمن حصل في حقه النقصان من احد الامور المذكورة بالنهي

عن

(في الهامش: يبتلي م)

عن الفتنة بحال من حصلت له الزيادة في احدها والفتنة الابتلاء اي فلا يبتلي نفسه
بغبطته وحسده وقوله فان المرء الى قوله خيبة تنبيه على فضيلة الاستغناء عن الفحش
باحد الامور المذكورة فنبه على كونها دنايا بقوله ما لم يغش دناءة وما يعني المروة و
كالفالج خبران ويظهر صفة لدناءة ويخشع عطف على يظهر والكلام في معرض التعليل و
معناه ان المسلم مهما لم يرتكب امرا خسيسا يظهر عنه ويلزمه بارتكابه الخجل من ذكره و
الحياء من التعيير به ويغري به لئام الناس وعوامهم في فعل مثله وقيل في هتك ستره
به فانه يشبه الفالج الياسر اي الفائز اللاعب بالميسر وهو لعب مخصوص كانت
العرب تلعب به وقد شرحنا كيفيته في الاصل ووجه الشبه ان الفائز الياسر قبل
فوزه في لعبه ينتظر اول فوزة من قداحه وهي الخشبات التي تلعب بها ووجه
فوزه انه يستوجب المغنم في بعض السهام ويسقط عنه بخروجها المغرم وبعضها يوجب
غنما وغرما وبعضها لا يوجب غنما ويوجب غرما كذلك المسلم البريء من الخيانة الضابط
لنفسه عن ارتكاب مناهي الله في صبره عنها ينتظر احدى الحسنيين في الدنيا اما ان
يدعوه الله اليه بالقبض عن الشقاء في هذه الدار فما عند الله خير له فيفوز اذن
بالنعيم المقيم ولما كان مستلزما لعدم خسرانه ظهر حسن تشبيهه بالياسر الفالج في فوزه
المستلزم لعدم غرمه واما ان يفتح الله عليه ابواب رزقه فيصبح وقد جمع الله له بين
المال والبنين مع حفظ الحسب والدين فيفوز الفوز العظيم وقوله ان المال الى قوله
لاقوام تنبيه على تحقير القنيات الدنيوية بالنسبة الى متاع الآخرة وقوله وقد يجمعهما
لاقوام تنبيه على وجوب التوكل على الله اذ كان جمعهما غير ممكن الا منه ثم اكد ذلك
بالتحذير مما حذر الله من نفسه والامر بالخشية الصادقة البريئة من التعذير وهو
اظهار العذر من غير عذر والعمل لله البريء من الرياء وجذب اليه بتفهيم صغرى قوله
فانه الى قوله له وتقدير كبراه وكل من وكله الله الى من عمل لغير الله فهو من الخاسرين
ومعايشة السعداء العيش معهم وقوله ايها الناس الى قوله غيره تاديب للاغنياء
بالمعونة للفقراء لينتظم شمل الملة من الطرفين فاستدرجهم بتفهيم صغرى الاول

انهم لا يستغنون عنهم وان كانوا اصحاب ثروة اذ صاحب المال احوج الى الاعوان
للذب عنه وتقرير الكبير اى وكل ما لا يستغنى عنه فواجب مواساته والحيطة بكسر
الحاء وسكون الياء الحفظ والمهم الاهتمام لشعثه اجمعهم لما يتفرق من حاله وشعث الثانى
قوله ولسان الصدق هو الذكر الجميل منها الا لا يعدلن احدكم عن القرابة يرى بها
الخصاصة ان يسدها بالذى لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه ومن يقبض
يده عن عشيرته فانما يقبض منه عنهم يد واحدة وتقبض منهم عنه ايد كثيرة ومن تلن
حاشيته يستدم من قومه المودة قال السيد وما احسن المعنى الذى اراده بقوله ومن
يقبض يده عن عشيرته الى تمام كلامه فان الممسك خيره عن عشيرته انما يمسك نفع يد واحدة
فاذا احتاج الى نصرتهم واضطر الى مرافدتهم قعدوا عن نصرته وتثاقلوا عن صوته
فمنع ترافد الايدى الكثيرة وتناهض الاقدام الجمة اقول الخصاصة الفقر والفضل
من تمام ما قبله وحاصله النهى عن العدول عن سد خلة الاقرباء ذوى الحاجة بالفاضل
من المال وقوله يرى فى موضع النصب على الحال وان يسدها فى موضع الجر بدلا من
القرابة وقوله لا يزيده الى قوله اهلكه اى لا يزيد امساكه فى صلاح حاله ولا ينقص اتلافه
من ذلك اذ الفضل الزايد فى حال الانسان على القدر الذى يرفع ضرورته بحسب
الشريعة ليس زيادته ولا نقصانه معتبرا فى صلاح حاله وفساده فيها واما قوله
ومن يقبض الى اخره فقد اشار السيد رحمه الله الى معناه وهو ظاهر وقوله ومن تلن
حاشيته الى اخره تاديب بالتواضع ولين الجانب فان ذلك يستلزم الالفة من الناس
وهى موجبة للمودة ومن خطبة له عليه السلام ولعمرى ما على من قتال من
خالف الحق وخابط الغى من ادهان ولا ايهان فاتقوا الله عباد الله وفروا الى
الله من الله وامضوا فى الذى نهجه لكم وقوموا بما عصبه بكم فعلى ضامن لفلجكم
اجلا ان لم تمنحوه عاجلا اقول الادهان المداهنة والمصانعة والايهان
مصدر اوهنه اى اضعفه وفى هذا الفصل رد لقول من يقول ان مصانعته
عليه السلام لمحاربيه اولى من حربهم فقال انه ليس يجب على فى قتالهم مصانعة

من جهة

من جهة الدين ولا فى ضعف عن ذلك ووصفهم بمخالطة الغى والبغى لتقام
عذره فى قتالهم من هذه صفته واجملوا الفرار الى الله الاقبال عليه وتوجيه
السر اليه وهو على مراتب اولاها الفرار من بعض اثاره الى بعض كالفرار من
اثر غضبه الى اثر رحمته الثانية ان يفنى العبد عن مشاهدة الافعال ويترقى فى
درجات القرب والمعرفة الى مصادر الافعال وهى الصفات فيفر من بعضها الى
بعض كما استعاذ من سخط الله بعفوه والعفو والسخط صفتان الثالث ان
يترقى عن مقام الصفات الى ملاحظة الذات فيفر منها اليها وقد جمع الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم هذه المراتب حين امر بالقرب فى قوله تعالى واسجد واقترب فقال فى
سجوده اعوذ بعفوك من عقابك والعفو كما يكون صفة للعافى كذلك قد يراد
به الاثر الحاصل عن صفة العفو ثم لما قرب فغنى عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادرها
وهى الصفات قال واعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم لما ترقى عن مشاهدة
الصفات واقترب الى ملاحظة الذات قال واعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه
مقام الوصول الى ساحل العزة ثم للسباحة فى لجة الوصول درجات اخر لا تتناهى و
لذلك لما ازداد صلى الله عليه وآله وسلم قربا قال لا احصى ثناء عليك وهو حذف لنفسه
عن درجة الاعتبار واعراض عن التبجح بزينة الحق فى ذاته وكان قوله بعد ذلك انت
كما اثنيت على نفسك كمالا للاخلاص وتجريدا له وعند ذلك يقول ان قوله عليه السلام
وفروا الى الله من الله امر بالترقى الى المرتبة الثالثة من المراتب المذكورة وما
نهجه لهم واوضحه هو السبيل العدل والصراط المستقيم وقد علمت ان غاية سلوك
سبيل الله بالعبادة تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وحينئذ تعلم ان
هذه الاوامر الثلاثة هى التى عليها مدار الرياضة فالامر بالتقوى مستلزم للزهد
الحقيقى وهو معين على حذف الموانع الداخلية والخارجية والامر بسلوك سبيل الله معين
على تطويع النفس الامارة والامر بالفرار الى الله امر بتوجيه السر اليه وهذه الامور
الثلاثة هى التى يتوجه نحوها الرياضة المستلزمة لكمال الاستعداد للوصول اليه

تعالى ولذلك قال عليه السلام بعدها فعلى ضامن لفلجكم اجلا ان لم تمنحوه عاجلا
والفلج الفوز والمنحة العطية وذلك للاستعداد بلزوم الاوامر المذكورة ومن
كلام له عليه السلام وقد تواترت عليه الاخبار باستيلاء اصحاب معوية على البلاد
وقدم عليه عاملاه على اليمن وهما عبد الله بن العباس وسعيد ابن نمران لما غلب
عليهما بسر بن ابى ارطاة فقام عليه السلام الى المنبر ضجرا بتثاقل اصحابه عن الجهاد
ومخالفتهم له فى الراى وقال ما هى الا الكوفة اقبضها وابسطها ان لم تكونى الا
انت تهب اعاصيرك فقبحك الله ثم تمثل بقول الشاعر

لعمر ابيك الخير يا عمرو اننى على وضر من ذا الاناء قليل

ثم قال عليه السلام انبئت بسرا قد اطلع اليمن وانى والله لاظن هؤلاء القوم
سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم وبمعصيتكم امامكم
فى الحق وطاعتهم امامهم فى الباطل وباداءهم الامانة الى صاحبهم وخيانتكم وبصلاحهم
فى بلادهم وفسادكم فلو ائتمنت احدكم على قعب لخشيت ان يذهب بعلاقته اللهم
انى قد مللتهم وملونى وسئمتهم وسئمونى فابدلنى بهم خيرا منهم وابدلهم
بى شرا منى اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح فى الماء اما والله لوددت ان لى
بكم الف فارس من بنى فراس بن غنم هنالك لو دعوت اتاك منهم فوارس مثل
ارمية الحميم ثم نزل قال السيد قلت انا والارمية جمع رمى وهى السحاب والحميم فى هذا
الموضع وقت الصيف انما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لانه اشد جفولا
لانه لا ماء فيه وانما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء وذلك لا يكون فى
الاكثر الا فى زمان الشتاء وانما اراد الشاعر وصفهم بالسرعة اذا دعوا والاغاثة
اذا استغيثوا والدليل على ذلك قوله هنالك لو دعوت اتاك منهم اقول الضمير فى
قوله انما هى للكوفة وان لم يسبق ذكرها لكونها المعهودة فى الخطاب ونحو قوله تعالى
كلا انها لظى ويحتمل ان يكون ضمير الشان ويفهم من الكلام ما بقى من البلاد التى
يعتمد عليها فى الحرب وغيره فى الكوفة على سبيل التحقير لها بالنسبة الى ملك الاسلام

قعب

والسريع خفوقا

وقبضها

وقبضها وبسطها كنايتان عن وجوه التصرف فيها والضمير بعد الا بدل مما قبلها
والجملة الفعلية بعده فى موضع الحال وخبر كان محذوف ولفظ الاعاصير يحتمل ان يكون
حقيقة لان الكوفة معروفة بهبوب الاعاصير فاتى بذلك فى معرض ذمها وتحقيرها
ويحتمل ان يكون مستعارا لما يحدث من اراء اهلها المختلفة التى هى منبع الفتنة وفيه
المشابهة الازعاج والاذى ولاستصغاره اياها تمثل بالبيت لعمر ابيك الخير ووجه
التمثيل ان الكوفة بمنزلة الوضر وهو الدرن الباقى فى الاناء بعد الاكل فى القلة والحقارة
فهو يقول انى قد بقيت من هذا الامر كالوضر فى الاناء ومن روى الا انه وهو نحو حسن
المنظر من الطعم فانما اراد انى على بقية من هذا الامر كالقدر القليل لناظرها الاّمن
حسنه مع عدم الانتفاع به وخص الكوفة دون البصرة لان جمهور من كان يعتمد عليه
من العسكر اهلها وقوله انبئت شروع فى بيان غرضه وهو استنفارهم الى الجهاد وعدوه
وبسر بالسين المهملة ابن ابى ارطاة من اصحاب معوية واطلع اليمن غشيها والاداله الغلبة
وذكر من اسباب ظفرهم ووقوعه منهم اربعة من قبلهم اسباب الانتصار واربعة من
قبل الخصم هى اسباب القهر ورتب كل امر عقيب ضده لتظهر لهم المناسبة
بين افعالهم وافعال خصومهم والقعب قدح ضخم ودعاؤه عليه السلام بوجود الاخيار
جاير بشرط المصلحة فى تخويفهم بذلك او لانه علم عدم صلاحهم كما دعا نوح ع على قومه
اذ قال رب انى دعوت قومى الى قوله لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وكما دعا لوط
ع والميث الاذابة وروى ان اليوم الذى دعا عليهم فيه ولد فيه الحجاج وفعله باهل
الكوفة ظاهر وقوله اما والله الى اخره يحتمل بتفضيل غيرهم عليهم بستنفر طباعهم بذلك
وبنو فراس بنى تغلب ابوهم غنم بفتح الغين وهو غنم بن تغلب بن وايل وخصهم لشهرتهم
بالشجاعة والحمية ومعنى البيت هو ما اشار اليه السيد رحمه ومن كلام له عليه السلام
ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله نذيرا للعالمين وامينا على التنزيل وانتم معشر العرب
على شر دين وفى شر دار منيخون بين حجارة خشن وحيات صم تشربون الكدر
وتاكلون الجشب وتسفكون دماءكم وتقطعون ارحامكم الاصنام فيكم منصوبة

والاثلم بكم معصوبة اقول امتعن حال العرب وما كانوا عليه في الجاهلية من الشدة وسوء الحال في المعاش والمعاد في معرض الامتنان عليهم بمقدم محمد صلى الله عليه واله وشردا بارضوا طار لشدة الحال بها وتنحون مقيمون والحية الصماء قيل هي التي لا تنزجر بالصوت كانها لا تسمع وقيل هي الصلبة الشديدة والجشب الطعام الخليط الخشن وقيل وقيل هو الذي لا ادام معه ومعصوبة مربوطة ومنها فنظرت فاذا ليس لي معين الا اهل بيتي فضننت بهم عن الموت فاغضيت على القذى وشربت على الشجى وصبرت على اخذ الكظم وعلى امر من طعم العلقم اقول الفصل من جملة اقتصاص حاله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب الخلافة في معرض الشكاية واهل بيته بنوهاشم وضننت بخلت والاغضاء ادناء بعض الجفون من بعض وكنى باخذ الكظم ومجرى النفس وبالامر من العلقم عن الغم والتاثر لسبب غلبته مطلوبه ومنها يذكر فيها عمرو بن العاص ولم يبايع معويه حتى شرط ان تؤتيه على البيعة ثمنا فلا ظفرت يد المبايع وخزيت امانة المبتاع فخذوا للحرب اهبتها واعدوا لها عدتها فقد شب لظاها وعلا سناها اقول بالثمن الذي اشترطه عمرو على معوية في بيعته اياه ومبايعته على حرب علي عليه السلام طعمة مصر ولم يبايعه حتى كتب له كتابا والمبتاع معوية والمبايع لانه هو عمرو وخزيت امانة المبتاع يعني معوية فيما ولي من امور المسلمين اذ كانت امانة في يده وخزيها ذلها وهوانها ومبايعة عمرو وكانت امارة لقيام الحرب فلذلك كنى عنها بقوله فقد شب لظاها وعلا سناها اي حموها كناية باستعارة وصف النار واستشعروا الصبر اتخذوه شعارا ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فتحه الله لخاصة اوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة فمن تركه البسه الله ثوب الذل وشملة البلاء وديث بالصغار والقماء وضرب على قلبه بالاسهاب واديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع النصف الا واني قد دعوتكم الى قتال هولاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا وقلت لكم اغزوهم قبل ان يغزوكم فوالله ما غزي قوم قط في

ما اشترطه عمرو ... الاحرى ... بعام

في عقر دارهم الا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الاوطان هذا اخو غامد قد وردت خيله الانبار وقد قتل حسان بن حسان البكري وازال خيلكم عن مسالحها ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المراة المسلمة والاخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها ما تمتنع منه الا بالاسترجاع والاسترحام ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم ولا اريق له دم فلو ان امرا مسلما مات من بعد هذا اسفا ما كان به ملوما بل كان عندي به جديرا فيا عجبا عجبا والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هولاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون فاذا امرتكم بالسير اليهم في ايام الحر قلتم هذه حمارة القيظ امهلنا ينسلخ عنا الحر واذا امرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القر امهلنا ينسلخ عنا البرد كل هذا فرارا من الحر والقر فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون فانتم والله من السيف افر يا اشباه الرجال ولا رجال حلوم الاطفال وعقول ربات الحجال لوددت اني لم اركم ولم اعرفكم معرفة والله جرت ندما واعقبت سدما قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا وشحنتم صدري غيظا وجرعتموني نغب التهمام انفاسا وافسدتم علي رايي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن ابي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله ابوهم وهل احد منهم اشد لها مراسا واقدم فيها مقاما مني لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها انا قد ذرفت على الستين ولكن لا راي لمن لا يطاع اقول الخطبة مشهورة ذكرها المبرد وغيره واشار الى فضايل الجهاد ترغيبا فيه واستعار له لفظ الباب للدخول به الجنة ولفظ اللباس والدرع والجنة وهي الترس لان الانسان يتقي به العدو وعذاب الاخرة وديث اي ذلل والصغار الذل والضيم والقماء ممدودا الحقارة والذل ايضا واسهب الرجل بالبناء للمفعول اذا ذهب عقله وغفل عن مصالحه وهو كقوله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة واديل الحق من بني فلان غلبه عدوه وسامه خسفا اي اولاه ذلا والنصف بكسر النون الاسم من الانصاف ولزوم الامور المذكورة

ولا تغزون ... الحر ... افر ... تمتا ... بالحرب

عن ترك الجهاد ظاهر وقوله الا واني الى اخره ذكر لغرضه وهو الحث على الجهاد والتوبيخ على تركه وعقر الشيء اصله واخو غامد هو سفيان بن عوف الغامدي قبيلة من اليمن اذ دشنوءة وشن الغارة واشنها فرقها من كل جانب والمسالح جمع مسلحة وهي الحدود والاطراف من البلاد ترتب فيها اصحاب السلاح كالثغور والمعاهدة الذمية والحجل الخلخال والقلب السوار والرعاث جمع رعثة بفتح الراء والعين وسكونها وهي القرط والرعاث ايضا من الخرز والحلي والاسترجاع ترديد الصوت في البكاء والاسترحام مناشدة الرحم وافوين غانمين والكلم الجرح وجديرا اولى وعجبا نصب على المصدر والمنادى محذوف اي يا قوم ونحوه والكرامة المصدر ليحبس ويسقه والترح الحزن وحمارة القيظ بتشديد الراء شدة حره وسبح الحر فتر وصبارة القر بتشديد الراء شدة البرد وكنى بالقيح عن شدة التالم اذ هو غاية الم العضو والحجال جمع حجلة وهي بيت العروس يزين بالستور والثياب ووجه شبه حلومهم بحلوم الاطفال سرعتها على ادنى سبب لا يصلح ان يقع به العاقل كخلعهم عن اهل الشام بخدعة رفع المصاحف ووجه شبه عقولهم بعقول ربات الحجال اي النساء ضعفها عن ادراك وجوه المصالح والسدم الحزن على الندم والتهمام الهم والنغب جمع نغبة بضم النون وهي الجرعة والتهمام بفتح التاء الهم ولله ابوهم كلمة من مدائح العرب والمراس العلاج وذرفت بتشديد الراء اي زدت وقوله لا راي لمن لا يطاع مثل قيل اول من سمع منه عليه السلام ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع وان الاخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع الا وان اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة الجنة والغاية النار افلا تائب من خطيئته قبل منيته الا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه الا وانكم في ايام امل من ورائه اجل فمن عمل في ايام امله قبل حضور اجله فقد نفعه عمله ولم يضرره اجله ومن قصر في ايام امله قبل حضور اجله فقد خسر عمله وضره اجله الا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة الا واني لم ار كالجنة نام

فوجل ... على اطلاع

طالبها ولا كالنار نام هاربها الا وانه من لا ينفعه الحق يضرره الباطل ومن لا يستقم به الهدى يجر به الضلال الى الردى الا وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد وان اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل تزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به انفسكم غدا قال السيد رضي الله عنه واقول لو كان كلام ياخذ بالاعناق الى الزهد في الدنيا ويضطر الى عمل الاخرة لكان هذا الكلام وكفى به قاطعا لعلائق الامال وقادحا زناد الاتعاظ والازدجار ومن اعجبه قوله عليه السلام الا وان اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة الجنة والغاية النار فان فيه مع فخامة اللفظ وعظم قدر المعنى وصادق التمثيل وواقع التشبيه سرا عجيبا ومعنى لطيفا وهو قوله عليه السلام والسبقة الجنة والغاية النار فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين ولم يقل والسبقة النار كما قال السبقة الجنة لان الاستباق انما يكون لامر محبوب وغرض مطلوب وهذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موجودا في النار نعوذ بالله منها ولم يجز ان يقول والسبقة النار قال والغاية النار لان الغاية قد ينتهي اليها من لا يسره الانتهاء اليها ومن يسره ذلك فصلح ان يعبر بها عن الامرين معا فهي في هذا الموضع كالمصير والمال قال عز ذكره قل تمتعوا فان مصيركم الى النار ولا يجوز ان يقال في هذا الموضع فان سبقتكم الى النار فتامل ذلك فباطنه عجيب وغوره بعيد وكذلك اكثر كلامه صلى الله عليه واله وقد جاء في رواية اخرى والسبقة بضم السين والسبقة عندهم اسم لما يجعل للسابق اذا سبق من مال او عرض والمعنيان متقاربان لان ذلك لا يكون جزاء على فعل الامر المذموم وانما يكون جزاء على فعل الامر المحمود اقول مدار الفصل على التنفير عن الدنيا والترغيب في الاخرة والاستعداد لها بالتوبة والاعمال الصالحة واذنت اعلمت بتغيرها انها زايلة ولفظ الوداع مستعار لذلك واشراف الاخرة قربها من كل شخص وينبه على وجوب الاستعداد بذكر ما يستعد لاجله وهو السباق وذكر ما يستبق اليه في قوله الا وان اليوم الى قوله النار والمضمار المدة التي يضمر فيها الخيل للسباق اي تعلف وتسمن ثم ترد الى القوت وهي اربعون يوما واستعار لفظه لمدة الحياة

اتباع ... والازدجار ... قع ... بل ... في هذا الموضع

باعتبار ان الانسان يستعد فيها التقوى لتكمل قوته العقلية فيكون من السابقين
الى لقاء الله تعالى كما تستعد الفرس بالتضمير ليسبق مثله والسباق مصدر كالمسابقة و
هو ايضا جمع سبقة كنطفة ونطاف والسبقة بضم السين وفتحها ما استبق اليه من خطر
وروى السباق مرفوعا ولا وجه له الا ان يكون مضافا اليه اقيم مقام مضاف هو الخبر
اى وقت السباق او ان يكون السباق جمع سبقة وكنى بغد عن يوم القيمة وتمام المعنى
هو كما اشار اليه السيد رحمه الله وتام فى الموضعين مفعول فانى ارى والمفعول الاول
هو المشبه بالجنة او النار والضمير فى قوله وانه ضمير الشان واستعار لفظ الظعن للسلوك
الى الله تعالى بالفكر فى ملكوت سمواته وارضه وعوالم خلقه والزاد الذى دلوا عليه
هو التقوى بقوله تعالى وتزودوا الاية ولما كان حاصل التقوى يرجع الى خشية الله
ولزوم الاعمال الصالحة ولم يمكن ذلك الا فى الدنيا فحركات الفكر فى العبرة بها وحركات
الجوارح بالعبادة فيها قال فى الدنيا من الدنيا وظاهر ان التقوى يحرز الانسان نفسه
بها من عذاب الله يوم القيمة من خطبة له عليه السلام ايها الناس المجتمعة ابدانهم المختلفة
اهواؤهم كلامكم يوهى الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم الاعداء تقولون فى
المجالس كيت وكيت فاذا جاء القتال قلتم حيدى حياد ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح
قلب من قاساكم اعاليل باضاليل دفاع ذى الدين المطول لا يمنع الضيم الذليل ولا يدرك الحق
الا بالجد اى دار بعد داركم تمنعون ومع اى امام بعدى تقاتلون المغرور والله من
غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل
اصبحت والله لا اصدق قولكم ولا اطمع فى نصركم ولا اوعد العدو بكم ما بالكم ما دواؤكم
ما طبكم القوم رجال امثالكم اقولا بغير علم وغفلة من غير ورع وطمعا فى غير حق اقول
نبههم على ما يستقبح فى الدين وحسن السيرة من احوالهم واقوالهم وافعالهم اما احوالهم
فاجتماعهم مع تفرق ارائهم الموجب لتخاذلهم عن الجهاد واما اقوالهم فكلامهم توعيد
العدو وبالحرب التى تضعف معه القلوب الصلبة لظنها صدقه واستعار لفظ الصم
من الحجارة للقلوب القوية واما افعالهم فهو التخاذل والفرار من العدو وقولهم حيدى

حياد

حياد كالمثل بقول العرب عند الفرار ومفهومه تنحى عنا ايتها الحرب وهى كقولهم فيحى
فياح وفياح اسم للحرب واعاليل جمع اعلال جمع علة اسم لما يتعلل به ويعتذر و
اضاليل اضلال جمع ضلة اسم للضلال واعاليل خبر مبتدأ محذوف اى اعذاركم اعاليل
باطلة سببها الضلال عن سبيل الله ودفاع مصدر وهو صفة مشبه به ووجه الشبه
كثرة المدافعة واراد بدارهم دار الاسلام والسهم الاخيب من سهام الميسر وهو الذى
لا فرض فيه ولا غنم به كالتى تسمى اوغادا وفيها خيبة وغرم كما علم فى الاصل وكنى بذلك
عن حصولهم فى سهمه وعداده من قومه والافوق الناصل السهم لا فوق له ولا نصل
واستعار لفظه لهم باعتبار انهم لا غناء لهم فيما تريد منهم كالسهم المذكور وقولهم بغير علم
وعدهم له بالنهوض الى الحرب مع تخلفهم وزور بغير علم اى بغير اعتقاد لذلك ولا نية فيه
والغفلة من غير ورع هى المذمومة اذ قد تعرض لذوى الورع غفلة عن مصالحهم الدنيوية
ويكون محمودة لهم ومنهم وهم البله الذين اشار اليهم الرسول صلى الله عليه بقوله اكثر
اهل الجنة البله اى سليمو الصدور من الاهتمام بالدنيا ووجوه تحصيلها واراد غفلتهم
عن مصلحة الجهاد وطمعا بغير حق اى فيما كانوا يستحقونه منه من التفضيل والزيادة على
عطياتهم كما فعل من قبله ومن كلام له عليه السلام فى معنى قتل عثمان لو امرت به لكنت قاتلا
او نهيت عنه لكنت ناصرا غير ان من نصره لا يستطيع ان يقول خذله من انا خير منه ومن خذله
لا يستطيع ان يقول نصره من هو خير منى وانا جامع لكم امره استاثر فاساء الاثرة
وجزعتم فاساتم الجزع ولله حكم واقع فى المستاثر والجازع اقول مفهوم الفصل التبرى
من دم عثمان والدخول فيه بامر او نهى فى صورة شرطيتين متصلتين يستثنى منهما نقيض
مقدميهما باستثناء نقيض لازميهما والملازمة ظاهرة فيهما اذ الامر بالقتل يسمى قاتلا
عرفا والناهى عنه يسمى ناصرا وقوله غير ان من نصره الى قوله خير منى فهو فى معرض الجواب
لمن انكر بخذلة قعوده وجميع اكابر الصحابة عن نصرة عثمان وقال انهم لو نصروه وهم
اكابر الصحابة لما اجترى عليه طغام الامة وان كانوا راوا ان الحق قتله فقد كان يتعين
عليهم ان يعرفوا الناس ذلك لترتفع الشبهة فاجابه بذلك ومفهوم القضيتين انى لو سكت

عنه لكنت

انى خاذل له فان الخاذلين له كانوا افضل من الناصرين له اذ الخاذلون اكابر الصحابة
والناصرون بنو امية واتباعهم وليس لهم ان يدعوا الافضلية على الخاذلين ولا للخاذلين
ان يعترفوا بالمفضولية لهم وهو فى قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان خاذلوه
افضل من ناصريه لم يجز لائمة خاذليه وتخصيصهم بالتعنيف فى امره لانهم افضل
والافضل اولى ان يتبع وقوله وانا الى قوله الجزع تنبيه على ان عثمان وقاتليه كانا على
طرفى الافراط اما عثمان ففى استبداده واستيثاره برايه فيما الامة شركاؤه فيه حتى
ادى ذلك الى قتله واما قاتلوه فلافراطهم فى الجزع من فعله حتى خرجوا عن فضيلة
التثبت وما ينبغى لهم من انتظار اصلاح الحال بينهم وبينه وقيل اساتم الجزع عليه بعد
قتله واثرتم الفتنة وقوله ولله حكم الى الاخرة اشارة الى حكم قدرته النازل فى عثمان بقتله
وقاتليه بجزعهم منه وقتلهم له او بجزعهم عليه واثارتهم للفتنة بسببه ويحتمل
ان يريد الحكم فى الاخرة بما يلحقهما من سعادة او شقاوة وبالله التوفيق ومن كلام له
عليه السلام لما انفذ عبد الله بن عباس الى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل ليستفيئه
الى طاعته قال عليه السلام لا تلقين طلحة فانك ان تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه قرنه
يركب الصعب ويقول هو الذلول ولكن الق الزبير فانه الين عريكة فقل له يقول لك
ابن خالك عرفتنى بالحجاز وانكرتنى بالعراق فما عدا مما بدا قال السيد وهو عليه السلام اول
من سمع منه اعنى فما عدا مما بدا اقول قوله عاقصا قرنه هو وجه الشبه بالثور سمعت منه
وكنى به عن تكبره وخشونة جانبه واصراره على الحرب والعقص التواء القرنين وكنى بقوله
تركب الى قوله الذلول عن تهوره فى ركوب الامر الصعبة والعريكة الطبع وكان
الزبير الين طبعا وذكر النسب تذكيرا بالرحم وكونه ابن خاله لان صفية ام الزبير
اخت ابى طالب وبنت عبد المطلب وقوله فما عدا مما بدا مثل يضرب لمن
يفعل فعلا باختياره ثم يرجع عنه وينكره والمعنى فما جاوز بك عن بيعتى مما بدا لك و
ظهر من الامور وقيل المعنى فما صرفك ومنعك عما كان بدا منك من اظهار طاعتى وبيعتى ومن
خطبة له عليه السلام ايها الناس انا قد اصبحنا فى دهر عنود وزمن شديد يعد فيه كنود وزمن

المحسن

المحسن مسيئا ويزداد الظالم فيه عتوا لا ننتفع بما علمنا ولا نسال عما جهلنا ولا نتخوف
منهم قارعة حتى تحل بنا فالناس على اربعة اصناف منهم من لا يمنعه الفساد فى الارض
الا مهانة نفسه وكلالة حده ونضيض وفره ومنهم المصلت لسيفه والمعلن
بشره والمجلب بخيله ورجله قد اشرط نفسه واوبق دينه لحطام ينتهزه او مقنب
يقوده او منبر يفرعه ولبئس المتجر ان ترى الدنيا لنفسك ثمنا ومما لك عند الله عوضا
ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الاخرة ولا يطلب الاخرة بعمل الدنيا قد طامن من
شخصه وقارب من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف من نفسه للامانة واتخذ ستر الله
ذريعة الى المعصية ومنهم من اقعده عن طلب الملك ضئولة نفسه وانقطاع سببه فقصرته
الحال على حاله فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس اهل الزهادة و
ليس من ذلك فى مراح ولا مغدى وبقى رجال غض ابصارهم ذكر المرجع واراق دموعهم خوف
المحشر فهم بين شريد ناد وخائف مقموع وساكت مكعوم وداع مخلص وثكلان موجع
قد اخملتهم التقية وشملتهم الذلة فهم فى بحر اجاج افواههم ضامزة و
قلوبهم قرحة قد وعظوا حتى ملوا وقهروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قلوا فلتكن الدنيا
اصغر فى اعينكم من حثالة القرظ وقراضة الجلم واتعظوا بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ
بكم من بعدكم وارفضوها ذميمة فانها قد رفضت من كان اشغف بها منكم
قال السيد رضى الله عنه وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له الى معوية وهى من كلام
امير المؤمنين عليه السلام الذى لا شك فيه واين الذهب من الرغام والعذب من الاجاج
وقد دل على ذلك الدليل الخريت ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ فانه
ذكر هذه الخطبة فى كتاب البيان والتبيين وذكر من نسبها الى معوية ثم تكلم من بعدها
بكلام فى معناها جملته انه قال وهذا الكلام بكلام امير المؤمنين اشبه وبمذهبه
الاخيار هم فى تصنيف الناس وفيما هم عليه من القهر والاذلال والتقية والخوف اليق ومتى
وجدنا معوية فى حال من الاحوال يسلك فى كلامه مسلك الزهاد ومذاهب العباد
اقول العنود الجائر والكنود الكفور والعتو الكبر والقارعة الخطب العظيم ونسبه

الخير الى بعض الازمنة والشر الى بعضها نسبة صحيحة لان الزمان من الاسباب المعدة
لحصول ما يحصل في هذا العالم من الحوادث والامور المعدودة خيرا او شرا وقد تتفاوت
الازمنة في الاعداد لقبول الخير والشر ففي بعضها يكون بحسب الاستقراء الخير غالبا
خصوصا في زمن قوة الدين والنواميس الشرعية الناظمة للعالم وفي بعضها
يكون الشر غالبا وعد المحسن مسيئا كالمتصدق سرا لنا وزيادة عتو الظالم اي
تجبره لضعف سلطان الدين وعدم انتفاع العالم بعلمه فيه عدم عمله على وفق علمه و
عدم سوال الجاهل عما جهله لقلة الرغبة في العلم والانتفاع به وعدم تخوف الناس
من الامر المخوف حتى ينزل بهم كناية عن عدم فكرهم فيما يصلح حال فاقتهم وهو ما
الى يستقبلونه من فتنة بني امية وغيرها فاما قسمته للناس فسياقها الى آخر الكلام
يقتضي خمسة اقسام وانما افرد الاربعة لاشتراكها في غرض الذم وافرد الخامس
لاختصاصه بالمدح ووجه القسمة ان الناس اما مريدون للدنيا او لله والاولون فاما
قادرون عليها او ليس الثاني اما غير محتالين او محتالون والثاني اما ان يؤهلوا انفسهم
للملك والامارة او ليس فهذه اقسام خمسة فالاول المريدون للدنيا القادرون عليها وهو
المشار اليهم في القسم الثاني من قسمته بقوله فمنهم المصلت الى قوله يقرعه وهم
الذين اطلقوا عنان النفس الامارة من الشهوة والغضب في تحصيل ما يخيلونه كمالا
واصلات السيف تجريده وكني به عن التغلب والقهر بالظلم وغيره والاجلاب بالخيل
والرجل كناية عن جمع اسباب الظلم والغلبة واشراط نفسه اعلاها ونصبها لذلك حتى
صار معروفا به واتق دينه اهلكه والحطام متاع الدنيا والانتهاز الاختلاس والاستلاب
بقدر الامكان والمقنب بكسر الميم وفتح النون الجمع من الخيل وفرع المنبر وافترعه علاه و
خص الامور الثلاثة لانها الاغلب في مطالب الدنيا وقوله ولبئس المتجر الى آخره تنبيه
لهذا الصنف على خسرانهم في افعالهم الشبيهة بالتجارة الخاسرة الصنف الثاني
المريدون لها غير القادرين عليها ولا المحتالين لها واشار اليه بقوله ومنهم من لا يمنعه
الى قوله وفره وكني بكلال حده عن عدم صرامته في الامور وضعفه عنها ونضيض

وفره

وفره قلة ماله الصنف الثالث غير القادرين عليها مع احتيالهم لها واعداد
انفسهم لامور دون ذلك واشار اليهم بقوله ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة اي بالعبادة
رياء وسمعة الى قوله الدنيا وبطاه منه من تخصصه دخوله في شعار الصالحين وستر الله
الذي حمى به اهل التقوى من موارد الهلكة قد يتردى به غيرهم ويجعلونه ذريعة الى معصيته
وزخرف من نفسه زينها الصنف الرابع غير القادرين عليها المحتالون لها المؤهلون
انفسهم للملك والامرة واشار اليهم بقوله ومنهم من اقعده الى آخره وضوله نفسه
حقارتها وتحيل العجز عن المطلوب وانقطاع السبب كقلة المال وعدم الاعوان
وقصرته الحال اي حال القدر على حاله التي لم يبلغ بها ما اراد فلزم الحيلة الجاذبة
لرغبة الخلق اليه من التحلي بالقناعة والتزين بلباس الزهادة وكني بكونه ليس من
ذلك في مراح ولا مغدى عن كونه ليس من الزاهدين في شيء الصنف الخامس المريدون لله
تعالى واشار اليهم بقوله وبقي رجال الى آخره غض ابصارهم ذكر المرجع اي كفهم
عن الالتفات الى الدنيا لاشتغال سرايرهم باحوال الآخرة والشريد الناد المطرود
الذاهب لوجهه اما لانكاره المنكر او لقلة صبره على مشاهدته والمقموع مذلل المقهور
والكعام شيء يجعل في فم البعير عند الهياج فاستعار لفظه للساكت خوفا كانه
شد فاه والثكلان موجع اما لمصابه في الدين او لكثرة اذاه من الظالمين ويحتمل
ان يكون ذلك تفصيلا لحال المتقين بالنسبة الى كل حال من الخوف فعل لكل منهم
ما هذه صفته واستعار لفظ البحر الاجاج لما هم من الدنيا واحوالها باعتبار عدم
التذاذهم بما فيه كالبحر الملح عند راكبه لا يلتذ به وان اجهده العطش وضامر الزاد
المحبة ساكنة ولي رمى وادانها ذبلة لكثرة صيامهم وبعد افواههم من
المضغ وقرح قلوبهم لخوفهم من الله والحثالة الحصا التفل والقرظ ورق السلم
يدبغ به والجلم المقص وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام عند مسيره لقتال
اهل البصرة قال عبد الله بن عباس رحمه الله دخلت على امير المؤمنين عليه السلام بذي
قار وهو يخصف نعلا فقال لي ما قيمة هذا النعل قلت لا قيمة لها قال والله لهي احب

سيرهم

نعله

الي من امرتكم الا ان اقيم حقا او ادفع باطلا ثم خرج عليه السلام فخطب الناس
فقال ان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وليس احد من العرب يقرا
كتابا ولا يدعي نبوة فساق الناس حتى بوأهم محلتهم وبلغهم منجاتهم فاستقامت
فاستقامت قناتهم واطمانت صفاتهم اما والله ان كنت لفي ساقتها حتى
تولت بحذافيرها ما عجزت ولا جبنت وان مسيري هذا لمثلها فلانقبن الباطل
حتى يخرج الحق من جنبه ما لي ولقريش والله لقد قاتلتهم كافرين ولاقاتلنهم مفتونين واني لصاحبهم
بالامس كما انا صاحبهم اليوم اقول ذو قار موضع قريب من البصرة وخصف
النعل خرزه واما لم يكن العرب يومئذ تقرا كتابا لان ما كانت اليهود تدعيه
من التورية والنصارى تدعيه من الانجيل ليس هو ما انزل على موسى وعيسى عليهما السلام
لتبديلها وتحريفهما او انه اراد بالعرب جمهورهم وكانوا اشطا وعبدة اوثان وقوله
فساق الناس اي الى غايتهم من الاسلام بعضا بالترغيب وبعضا بالترهيب ومحلتهم
منزلتهم من الناس التي ساقهم القدر اليها ومنجاتهم هو الدين والاسلام اذ هو
محل نجاتهم من عذاب الله وكني باستقامة قناتهم عن استقامة دولتهم وانتظام
امورهم وباطمئنان صفاتهم عن استقرارهم في دارهم وثبات احوالهم بعد الاضطراب
والضمير في ساقتها للكتابة الحرب وتولت بحذافيرها اي باجمعها وهو مع قوله وان
مسيري هذا لمثلها في معرض التمدح بالحال السابقة له في الحرب وكنى بنقب الباطل
للغاية المذكورة عن ازالته وتخليص الحق من شائبته وقوله ما لي ولقريش استفهام
استفهام انكار لما بينه وبينهم مما يوجب منافرته وجحد فضله وقوله والله
الى آخره توبيخ برذيلة الكفر في معرض ذكر سبب قتاله لهم لظهور عذره فيه وتهديد
بالقتل على الفتنة في الدين وتذكرهم انه ذلك المعهود ومكروه اللقاء ومن
خطبة له عليه السلام في استنفار الناس الى اهل الشام اف لكم لقد سئمت عتابكم
ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا وبالذل من العز خلفا اذا دعوتكم الى
جهاد عدوكم دارت اعينكم كانكم من الموت في غمرة ومن الذهول في سكرة

ترتج

ترتج عليكم حواري فتعمهون وكان قلوبكم مالوسة وانتم لا تعقلون ما انتم
لي بثقة سجيس الليالي وما انتم بركن يمال بكم ولا زوافر عز يفتقر اليكم ما
انتم الا كابل ضل رعاتها فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر لبئس لعمر الله
سعر نار الحرب انتم تكادون ولا تكيدون وتنتقص اطرافكم ولا تمتعضون
لا ينام عنكم وانتم في غفلة ساهون غلب والله المتخاذلون وايم الله اني لاظن
بكم ان لو حمس الوغى واستحر الموت قد انفرجتم عن ابن ابي طالب انفراج الراس والله
ان امرا يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفري جلده لعظيم عجزه
ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره انت فكن ذاك ان شئت اما انا فوالله
دون ان اعطي ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام وتطيح السواعد و
الاقدام ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء ايها الناس ان لي عليكم حقا ولكم علي حق فاما
حقكم علي فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كي لا تجهلوا وتاديبكم كيما
تعلموا واما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والاجابة حين
ادعوكم والطاعة حين امركم اقول هذه الخطبة بعد وقعة الخوارج بالنهروان
واف كلمة تضجر وغمرة الموت شكرته والذهول السهو وترتج تغلق و
الحوار الخطاب وتعمهون تتحيرون والمالوس المجنون المختلط العقل وسجيس الليالي
اي ابدا مدى الليالي والزوافر جمع زافرة وزافرة الرجل انصاره وسعر جمع ساعر
واسعار واسعار النار تهييجها والامتعاض الغضب وحمس الوغا اشتد وكني الحرب
ونسبته انفراجهم عنه عند اشتداد الحرب بانفراج الراس عن البدن في عدم عودهم
اليه وقيل بانفراج بعض عظامه عن بعض وقيل انفراج من يريد ان ينجو براسه
وعرقت اللحم اعرقه بالضم اذا لم ابق على العظم منه شيئا والمشرفية سيوف
منسوبة الى المشارف قرية من ارض العرب تدنو من الريف وفراش الهام العظام
الرقيقة تلي القحف ومدار الفصل على توبيخهم لقعودهم عن دعائه الى قتال
عدوهم ونسبتهم الى الخمول والذلة وتخويف عاقبة الامر واعذاره اليهم في

غلب

منهم

كيما

ملح المقالية

خروجه بما وجب عليه لهم مع تخلفهم عن اداء ما وجب عليهم له والفضل واضح

ومن خطبة له عليه السلام بعد التحكيم الحمد لله وان اتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل واشهد ان لا اله الا الله ليس معه اله غيره وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله اما بعد فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت امرتكم في هذه الحكومة امري ونخلت لكم مخزون رأيي لو كان يطاع لقصير امر فابيتم على اباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه فكنت انا واياكم كما قال اخو هوازن

امرتكم امري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا الرشد الا ضحى الغد

اقول هذه الخطبة بعد ان بلغه تمام حيلة عمرو بن العاص على ابي موسى الاشعري في الحكومة والخطب الامر العظيم والفادح المثقل ومفهوم قوله وان اتى الدهر على كل حال وقوله لو يطاع لقصير امر مثل يضرب لمن يخالف الناصح فيندم وقصير هذا قصير بن اللخمي مولى جذيمة الابرش بعض ملوك العرب واصله ان جذيمة كان قتل ابا الزباء ملكة الجزيرة فبعثت اليه ليتزوج بها حيلة عليه وسألته القدوم عليها فاجابها الى ذلك وخرج في الف فارس وخلف باقي جنوده مع ابن اخته عمرو بن عدي وكان قصير اشار عليه ان لا يتوجه اليها فلم يقبل فلما قرب جذيمة من الجزيرة استقبلته جنود الزباء بالعدة ولم ير منهم اكراما له فاشار عليه قصير بالرجوع عنها فلم يقبل فلما دخل عليها غدرت به وقتلته فعندها قال قصير لا يطاع لقصير امر فذهبت مثلا لكل ناصح عصي وهو مغيب في رايه وارتاب الناصح بنصحه يعني نفسه لانطباق اكثرهم على مخالفته لان المشورات امور مظنونة وقد يتغير الظن بتغير الامارات وقيل يحمل ذلك على المبالغة لانه عليه السلام منزه عن الشك فيما رآه صوابا وقوله وضن الزند بقدحه قيل هو ضرب مثل لمن يبخل بفوائده والبيت لدريد بن الصمة من قصيدة له في الحماسة اولها نصحت لعارض واصحاب عارض وانما قال اخو هوازن لنسبته اليهم فان دريد بن الصمة من جشم بن معوية بن بكر بن هوازن كقوله تعالى واذكر اخا دو وجه تمثله به تشبيه نصحهم بنصح القائل مع قومه اشتراكهما في النصيحة وعصيانهما المستعقب لندامة قومهم

في اكثر النسخ وضن بالفاد المعجمة وفي هذه النسخة بالظاء كما ذكر الشارح

وهلاكهم

وهلاكهم والذي كان اشار به عليه السلام هو ترك الحكومة والصبر على قتال اهل الشام ومن خطبة له عليه السلام في تخويف اهل النهر فانا نذير لكم ان تصبحوا صرعى باثناء هذا النهر وباهضام هذا الغائط على غير بينة من ربكم ولا سلطان مبين معكم قد طوحت بكم الدار واحتبلكم المقدار وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فابيتم علي اباء المخالفين المنابذين حتى صرفت رأيي الى هواكم وانتم معاشر اخفاء الهام سفهاء الاحلام ولم آت لا ابا لكم بجرا ولا اردت بكم ضرا

اقول الخطاب للخوارج الذين قتلهم بالنهروان وقد كان القضاء الالهي سبق بكونه كائنا منهم من الخروج على لسان الرسول صلى الله عليه روى انه بينا هو يقسم قسما جاءه رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فقال اعدل يا محمد فقال صلى الله عليه قد عدلت فقال بالله اعدل يا محمد فانك لم تعدل فقال صلى الله عليه وآله ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل فقال يا رسول الله ايذن لي في ضرب عنقه فقال دعه فسيخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يخرجون على حين فرقة من الناس يحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم وصومكم عند صومهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم فيهم رجل اسود مخدج اليد احدى يديه كانها ثدي امرأة او بضعة تدر يقتلهم اولى الفريقين بالحق وعن عائشة عن الرسول صلى الله عليه وآله يقتلهم خير الخلق والخليقة واقربهم الى الله وسيلة والاهضام جمع هضم وهو المطمئن من الارض وكذلك الغائط ما سفل منها وطوحت بكم اي توهتكم واراد بالدار الكوفة واوطانهم بها كانها قذفتهم ورمت بهم المرامي واحتبلهم المقدار وقعوا في حبائله واستعار وصف الاحتبال لاحاطته بهم وعدم خلاصهم من حكمه وخفة الهام كناية عن رذيلة الطيش والسفه ضد الحلم وقوله لا ابا لكم قال الجوهري كلمة مدح وقيل كلمة ذم وقيل دعاء بالذل لكونه لازم عدم الاب والبجر والامر العظيم

ومن خطبة كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة فقمت بالامر حين فشلوا وتطلعت حين تقبعوا ونطقت حين تعتعوا ومضيت بنور الله حين وقفوا

وكنت اخفضهم صوتا واعلاهم فوتا فطرت بعنانها واستبددت برهانها كالجبل لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف لم يكن لاحد في مهمز ولا لقائل في مغمز الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله امره اتراني اكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله والله لانا اول من صدقه فلا اكون اول من كذب عليه فنظرت في امري فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي واذا الميثاق في عنقي لغيري اقول قال بعض الشارحين هذا الفصل فيه فصول اربعة التقطها الرضي رحمه الله من كلام طويل قاله بعد وقعة النهروان ذكر فيه حاله منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وآله الى آخر وقت الاول قوله فقمت بالامر الى قوله برهانها وفيه ذكر فضيلته بالنسبة الى سائر الصحابة وهي الشجاعة والذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله في مواضع الحاجة حين ضعفهم وجبنهم ثم البلاغة والفصاحة عن مشكلات الدين حين تعتعوا وكنى عن قيامه بذلك بالنطق والتعتعة الاضطراب في الكلام عن العي والحصر ثم التطلع وهو الاشراف من عال وكنى به عن الاهتمام العالي بما ينبغي تحصيله والقيام فيه من الجهاد في دين الله حين تقبعوا عنه والتقبع التقبض وقبع القنفذ اذا ادخل رأسه في جلده وكنى به عن قصورهم وقعودهم عن مقاماته ومضيه بنور الله قبل غيره سورة براءة وهي نور الله الى المشركين حين وقف عنها كثير من الصحابة ويحتمل الذب ومضيه في سبيل الله عن نور العلم حين عنها كثير من الجاهلين وعمي عن موارده وكنى بكونه اخفضهم صوتا عن رباطة جاشه في الامور وثباته فيها ومن كان كذلك كان اشد سبقا في المعالي واقوى سعيا في درجات الكمال بحيث لا يلحق ومثل نفسه في ذلك بالمجري في البرهان الذي لا يشق غباره واستعار وصافه من الطيران بالعنان والاستبداد بالرهان والضمير فيهما للفضيلة التي يستبق عليها الثاني قوله كالجبل الى قوله آخذ الحق منه ويحكي قيامه باعباء الخلافة حين اسعابها اليه وجريه فيها على القانون العدل وشبه نفسه في الثبات على الحق بالجبل واشار الى وجه الشبه بقوله لا تحركه الى قوله العواصف

والمعز

والمعز والمعمز العيب الثالث قوله رضينا عن الله قضاءه الى قوله يكذب عليه قيل ذلك في معرض تفرسه في طائفة من قومه انهم يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبي صلى الله عليه وآله من الامور المستقبلة حتى كان فيهم من يواجهه بذلك فذكر الرضا بالقضاء تسلية لنفسه عن هذا التكذيب باسناد الى القضاء الالهي الرابع قوله فنظرت الى آخره وفيه احتمالان احدهما قال بعض الشارحين انه مقطوع من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وانه كان معهودا اليه ان لا ينازع في امر الخلافة بل ان حصل له بالرفق والا فليمسك فقوله فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي اي طاعتي لرسول الله صلى الله عليه وآله فيما امرني به من ترك القتال قد سبقت بيعتي للقوم فلا سبيل الى الامتناع منها لاداء الشاقة وقوله اذا الميثاق اي ميثاق رسول الله الى بعدم الشاقة وقيل الميثاق ما لزمه من بيعة ابي بكر بعد وقوعها اي فاذا ميثاق القوم قد لزمني الاحتمال الثاني ان يكون ذلك في معرض تضجره من ثقل اعباء الخلافة ويكون المعنى اني نظرت فاذا طاعة الخلق لي قد سبقت بيعتهم واذا ميثاقهم قد صار في عنقي فلم اجد بدا من القيام بامرهم

ومن خطبة له عليه السلام وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق فاما اولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما اعداء الله فدعاؤهم فيها الضلال ودليلهم العمى فما ينجو من الموت من خافه ولا يعطى البقاء من احبه

اقول استعار لفظ الضياء لليقين بالله ورسوله وما جاء به من الغيب باعتبار هدايتهم بذلك في طريق الحق كالضياء ولفظ الدليل لقصد هدى الله في سبيله باعتبار هدايته المقصد لهم كالدليل الهادي ويجوز بلفظ الضلال في الضلال وهو دعاء الكفار الى الاثم اللازم على لزومه واستعار لفظ العمى للجهل ولفظ الدليل له باعتبار كونه قائدهم الذي به يقتدون وقوله فما ينجو الى آخره يشبه ان يكون كلاما منقطعا عما قبله ومن كلام له عليه السلام منيت بمن لا يطيع اذا امرت ولا يجيب اذا دعوت لا ابا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم اما دين يجمعكم ولا حمية تحمشكم اقوم فيكم مستصرخا واناديكم متغوثا فلا تسمعون لي قولا ولا تطيعون لي امرا حتى تكشف الامور عن

عواقب المسألة فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام دعوتكم الى نصر اخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الاسر وتثاقلتم تثاقل النضو الادبر ثم خرج الي منكم جنيد متذائب ضعيف كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون قال السيد رحمه الله قوله عليه السلام متذائب اى مضطرب من قولهم تذاءبت الريح اى اضطرب هبوبها ومنه سمي الذئب لاضطراب مشيته اقول منيت ابتليت وتخذلكم تقعدكم والتغوث طلب النصرة بالنداء والنار الذحل والجرجرة ترديد صوت البعير عند عسفه والاسر داء يأخذ البعير في سرته والنضو البالي من تعب السير واستعار لهم وصف الجرجرة باعتبار تضجرهم من دعوته الى الحرب وشدة ذلك منهم بجرجرة الجمل الاسر وتثاقل النضو الادبر اى في شدته والتخوف والضعف ومن كلام له عليه السلام في معنى الخوارج لما قولهم لا حكم الا لله فقال كلمة حق يراد بها باطل نعم انه لا حكم الا لله ولكن هولاء يقولون لا امرة وانه لابد للناس من امير بر او فاجر يعمل في امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الاجل ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتأمن به السبل ويوخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح بر ويستراح من فاجر وفي رواية اخرى انه قال عليه السلام لما سمع تحكيمهم حكم الله انتظر فيكم وقال اما الامرة البرة فيعمل فيها التقي واما الامرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي الى ان تنقطع مدته وتدركه منيته اقول ثم قوله كلمة حق اى هذه كلمة حق ارادوا بها باطلا وهو انه ليس للعباد ان يحكم بغير ما نص كتاب الله عليه فان اكثر الاحكام الفروعية غير منصوص عليها مع انها احكام لله غير ما نص الله عليه نفي الامرة لان استنباط الاحكام والنظر في وجوه المصالح من لوازم الامرة التي هي حال الامير في رعيته ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم ولما كانوا قد نفوا الامرة قال ولكن هولاء يقولون لا امرة وكذبهم بقوله ولابد للناس الى آخره وحاصله الكلام في صورة قياس استثنائي هكذا اذا قالوا لا حكم الا لله كما تصوروه فقد قالوا بنفي الامرة لكن اللازم باطل فالقول بنفي الحكم الا لله كما تصوروه باطل وقوله ولابد في قوة استثناء نقيض لازم المتصلة وطبيعة وجود هذا العلم تشهد بضرورته

الحاجة

الحاجة الى امام كما قال تهدى الامور باهل الراى ما صلحت فان تولت فبالاشرار تنقاد وقوله حتى يستريح غاية من قوله ويقاتل به العدو الى قوله من القوي والباقي ظاهر ومن كلام له عليه السلام ان الوفاء توأم الصدق ولا اعلم جنة اوقى منه وما يغدر من علم كيف المرجع ولقد اصبحنا في زمان اتخذ اكثر اهله الغدر كيسا ونسبهم اهل الجهل فيه الى حسن الحيلة ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها مانع من امر الله ونهيه فيدعها راى عين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين اقول الوفاء الفضيلة نفسانية ينشأ من لزوم العهد الذي ينبغي والبقاء عليه والصدق فضيلة تحصل عن لزوم الاقوال المطابقة وهما داخلتان تحت فضيلة العفة فلذلك استعار لهما لفظ التوأم باعتبار اقترانهما تحت فضيلة واحدة ونشوها عنها كالام وقوله ولا اعلم جنة اوقى منه اى ليس من الفضائل المتعلقة بالمعاملات والشركة المدنية شيء اشد وقاية من عذاب الآخرة منه فانه اصل عظيم يستلزم فضائل كثيرة والجنة ما استترت به من سلاح ولفظه مستعار وقوله وما يغدر الى قوله المرجع لان علمه بكيفية المعاد الى الله يستلزم امتناعه مما يبعد منه من رذيلة الغدر ونحوها وخص الغدر بالذكر لانه في معرض مدح الوفاء والغدر نقيض حسنه الضد وقوله ولقد الى قوله الحيلة وذلك لعدم تمييز اكثرهم بين الغدر والكيس لاشتراكهما في التفطن لوجه الحيلة والخداع وان تميز الغدر بانه استعمال الفطنة في تحصيل وجه حيلة تخالف القانون الشرعي والمصلحة العامة والكيس يتميز باستعمال الذكاء في استخراج وجوه المصالح التي ينبغي والوقوف عليها ونسبة الناس لهم الى الكيس وحسن الحيلة كما نسب عمرو العاص ومعوية ولم يعلموا انه لا خير في حيلة جرت الى رذيلة وقال الله لهم ابعادهم عن رحمته والحول القلب كثير التحول والتقلب في استنباط الآراء الصالحة ووجوه المصالح وارادفه فان فطنته في ذلك الغدر اعظم لكن محافظته على حدود الله تحجره عن كثير من التصرف فيترك الحيلة راى عينه خوفا من الله واتهاز الفرصة المبادرة الى الامر وقت امكانه لعدم التحرز من الحرج وهو الاثم ومنى

خطبة له عليه السلام ايها الناس ان اخوف ما اخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فينسي الآخرة الا وان الدنيا قد ولت حذاء فلم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء اصطبها صابها الا وان الآخرة قد اقبلت ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان كل ولد سيلحق بامه يوم القيمة وان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل اقول ينفر عن اتباع الهوى وطول الامل بضمير صغرى الاول قوله اما الى قوله الحق وهو طاعة الله وصغرى الثاني قوله واما الى قوله الآخرة واراد طول الامل في الدنيا وتقدير الكبرى فيهما وكل ما كان كذلك فالواجب تركه ومن الصغريين يبين انهما اخوف ما ينبغي ان يخاف وحذاء خفيفة مسرعة لا يتعلق احد منها بشيء والصبابة بقية الماء في الاناء واستعار لفظها لما بقي الكامن الدنيا ولفظ البنون للناس ولفظ الام للدنيا والآخرة باعتبار رغبة اهل الدنيا اليها واهل الآخرة اليها كالولد لامه وامرهم ان يكونوا من ابناء الآخرة لانها افضل وهو ناصح مشفق ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فان الى قوله القيمة ولما كانت الدنيا يومئذ منقطعة عن الخلق كان اختيارها سفها لاستلزام ذلك عذاب اهلها وشقاهم بعدها وتقدير الكبرى وكل من يلحق بامه يوم القيمة فلابد ان يستعد لها بما يقربه منها ويصلح حاله فيها لئلا يمسه سوء المنقلب ويزول عنه بؤس الغربة وكنى باليوم عن مدة الحياة وبغد عما بعدها فاليوم اسم ان وخبرها محذوف اقيم عمل مقامه اى وقت العمل وكذلك قوله وغدا حساب وفايدتهما التنبيه على وقت العمل وعدمه لغاية المبادرة اليه وقت امكانه ومن كلام له عليه السلام وقد اشار عليه اصحابه بالاستعداد لحرب اهل الشام بعد ارساله الى معوية جرير بن عبد الله البجلي ان استعدادي لحرب اهل الشام وجرير عندهم اغلاق للشام وصرف لاهله عن خير ان ارادوه ولكن قد وقتّ لجرير وقتا لا يقيم بعده الا مخدوعا او عاصيا والراى عندي مع الاناة فارودوا ولا اكره لكم الاعداد ولقد ضربت انف هذا الامر وعينه وقلبت ظهره وبطنه فلم ار لي الا القتال او الكفر انه قد كان على الامة وال احدث احداثا واوجد الناس مقالا فقالوا ثم نقموا فغيروا اقول انما كان استعداده اغلاقا

الحذا التوبعه ويعا الماك من يرو لعبذا الجا اى قد نقطع درها وغيرها

للشام

للشام حينئذ لان اهل الشام كان جرير عندهم في مقام التروي في اتباعه او مخالفته فلو همّهم بالاستعداد لهم لبلغهم ذلك واصروا على الخلاف وذلك مضاد للخير وانما حصر تأخر جرير في الامرين المذكورين لان الموانع الاختيارية اما منهم وغالب الظن هو خداعه حتى يستحكم امرهم واما منه وغالب الظن هو عصيانه اذ لا يتصور من جرير في مثل هذا الامر المهم ان يعدل عنه الى شغل اختياري لنفسه او لغيره الا ان يكون عاصيا وقوله والراي مع الاناة لانها مظنة الفكر في الاهتداء الى وجوه المصالح وارودوا امهلوا ونبه بقوله ولا اكره لكم الاعداد على ان يكونوا في يقظة من هذا الامر وعلى استعداد الباطن واستعار لفظ العين والانف والظهر والبطن لوجوه الآراء اللائقة بحاله معهم في الحرب والسلم وانما يلزمه من ترك قتالهم الكفر لانه يكون راضيا بوقوع المنكرات مع قدرته على انكارها وتعاونا بامر الله ورسوله فيها وذلك كفر وقيل لان رسول الله صلى الله عليه وآله كان امره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فكان تركه مخالفة لما عليه بالضرورة من امر الرسول صلى الله عليه وآله وهو كفر وقوله انه قد كان الى آخره تنبيه على وجه عذره عما نسبه اليه معوية من دم عثمان واراد بالوالي عثمان والاحداث التي كان احدثها ما نسب اليه من الامور التي انكروها واوجد الناس مقالا اي جعل لهم سلك الاحداث محل قول في حقه فقالوا ثم انكروا ما فعل فغيروه والمشهور من تلك الاحداث عشرة ذكرناها في الاصل ومن كلام له عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني الى معوية وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل امير المؤمنين عليه السلام واعتقهم فلما طالبه عليه السلام بالمال خاس به وهرب الى الشام قبح الله مصقلة فعل فعل السادة وفر فرار العبيد فما انطق مادحه حتى اسكته ولا صدق واصفه حتى بكته ولو اقام لاخذنا منه ميسوره وانتظرنا بماله وفوره اقول مصقلة هذا كان عاملا لعلي عليه السلام على اردشير خره وبنو ناجية قبيلة كانوا على دين النصرانية فاسلم كثير منهم ثم ارتد بعضهم عن الاسلام فقتل منهم معقل بن قيس وكان بعثه عليه السلام في النفي فارين وسبا بعضهم فاختار بالسبي على مصقلة فاستغاثوا اليه فاشتراهم بخمسمائة الف درهم ونقد بعض المال

ثم خاس بعضه اى لم يف به فبعث عليه السلام يتهدده ويطالبه فهرب الى معوية وقبحه الله نحاه عن الخير وفعله فعل السادة غزوته على الاسارى وشرائهم وفراره فرار العبيد هربه وقوله فما انطق مادحه حتى اسكته تبكيت له بسرعة لحاقه المتصله بالرذيلة حتى كانه جمع بينهما وهما انطاقه مادحه بفدائه الاسرى مع هربه قبل تمام انطاقه وتصديقه لواصفه بفعل الجميل مع فعل القبيح الذى كانه كذبه به ولامه على ما رخيه والتبكيت كالتقريع والتعنيف وفوره زيادته

ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله غير مقنوط من رحمته ولا مخلو من نعمته ولا مايوس من مغفرته ولا مستنكف عن عبادته الذى لا تبرح منه رحمة ولا تفقد له نعمة فالدنيا دار منى لها الفناء ولاهلها منها الجلاء وهى حلوة خضرة قد عجلت للطالب والتبست بقلب الناظر فارتحلوا عنها باحسن ما بحضرتكم من الزاد ولا تسئلوا فيها فوق الكفاف ولا تطلبوا منها اكثر من البلاغ اقول القنوط اليأس والاستنكاف الاستكبار ومنى قدر وكنى بحلاوتها وخضرتها عن زينتها ومتاعها والتبست بقلب الناظر اى خالطت قلبه بمحبتها واحسن ما بحضرتهم من الزاد التقوى والاعمال الصالحة والكفاف ما كف عن المسئلة والبلاغ ما بلغ مدة الحياة والفعل ظاهر

ومن كلام له عليه السلام عند مسيره الى الشام اللهم انى اعوذ بك من وعثاء السفر وكابة المنقلب وسوء المنظر فى الاهل والمال والولد اللهم انت الصاحب فى السفر وانت الخليفة فى الاهل ولا يجمعهما غيرك لان المستخلف لا يكون مستصحبا والمستصحب لا يكون مستخلفا قال السيد رضى الله عنه وابتداء هذا الكلام مروى عن رسول الله صلى الله عليه واله وقد قفاه عليه السلام بابلغ كلام وتممه باحسن تمام من قوله ولا يجمعهما غيرك الى اخر الفصل اقول وعثاء السفر مشقته وتعبه والكابة الحزن وفى قوله ولا يجمعهما غيرك تنزيه له تعالى عن الجهة والجسمية اذ كان اجتماع الامرين فى الجسم الواحد محال كما علمت

ومن كلام له عليه السلام فى ذكر الكوفة كانى بك يا كوفة تمدين مد

الادم

وتركيبي مر

مد الاديم العكاظى تعركين بالنوازل وتركبين بالزلازل وانى لاعلم انه ما اراد بك جبار سوء الا ابتلاه الله بشاغل ورماه بقاتل اقول الخطاب لها بحال الكوفة اى كانى حاضر بك ومشاهد لك وتمدين وتعركين وتركبين احوال واستعار وصف المد والعرك لفعل الظلمة باهلها كفعل دابغ الاديم من مده وعركه ووجه الشبه شدة المد وعكاظ اسم موضع بناحية مكة كانت العرب تجتمع به فى كل سنة ويقيمون به سوقا مدة شهر ويتناشدون الاشعار ويتفاخرون وفى ذلك يقول ابو ذويب اذا بنى القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الالوف ورفع ذلك بالاسلام والمصايب والفتن التى وقعت بالكوفة مشهورة والجبابرة الذين ارادوا بها سوء افمثل زياد وروى انه كان جمعهم فى المسجد لسب على والبراءة منه يبتليهم بذلك ويقتل من يعصيه فبينا هم مجتمعون اذ خرج حاجبه فامرهم بالانصراف وقال ان الامير مشغول عنكم وكان قد رمى فى تلك الحال بالفالج ومنهم ابنه عبيد الله واصابه الجذام ومنهم الحجاج وتولدت فى بطنه الحيات احترق دبره حتى هلك ومنهم عمر بن هبيرة وابنه يوسف ورميا بالبرص ومنهم خالد القسرى وضرب وحبس حتى مات جوعا وممن رمى بقاتل عبيد الله بن زياد ومصعب ابن الزبير ويزيد بن المهلب والمختار بن ابى عبيدة الثقفى واحوالهم مشهورة

ومن خطبة له عليه السلام عند المسير الى الشام الحمد لله كلما وقب ليل وغسق والحمد لله كلما لاح نجم وخفق والحمد لله غير مفقود الانعام ولا مكافا الافضال اما بعد فقد بعثت مقدمتى وامرتهم بلزوم هذا الملطاط حتى ياتيهم امرى وقد رايت ان اقطع هذه النطفة الى شرذمة منكم موطنين اكناف دجلة فانهضهم معكم الى عدوكم واجعلهم من امداد القوة لكم قال السيد رحمه الله يعنى عليه السلام بالملطاط هاهنا السمت الذى امرهم بلزومه وهو شاطئ الفرات ويقال ذلك ايضا لشاطئ البحر واصله ما استوى من الارض ويعنى بالنطفة ماء الفرات وهو من غريب العبارات وعجيبها اقول حمد الله تعالى باعتبار تكرر وقتين ودوام حالتين ووقب الليل دخل وغسق اظلم وخفق النجم غاب ومقدمته التى بعثها هى زياد بن النضر وشريح بن هانى فى اثنى عشر الف فارس والشرذمة

النفر اليسير والاكناف النواحى وموطنين بكسر الطاء مستوطنين واراد اهل المداين

ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذى بطن خفيات الامور ودلت عليه اعلام الظهور وامتنع على عين البصير فلا عين من لم يره تنكره ولا قلب من اثبته يبصره سبق فى العلو فلا شئ اعلا منه وقرب فى الدنو فلا شئ اقرب منه فلا استعلاؤه باعده عن شئ من خلقه ولا قربه ساواهم فى المكان به لم يطلع العقول على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته فهو الذى تشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب ذى الجحود تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون له علوا كبيرا اقول بطونه خفيات الامور نفوذ علمه فيها يقال بطنت الامر اذا علمت باطنه واعلام ظهوره اياته واثاره الظاهرة فى العالم الدالة على وجوده الظاهر فى كل صورة منها كقوله تعالى سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم الاية وكونه لا ينكره من لا يبصره لشهادة فطرته بحاجته الى مدبر حكيم وكذلك لا يبصره بعين حسه او لا يدركه حقيقته وفى هذين السلبين تنبيه على الفرق بين مدركات العقل ومدركات الحس اذ ليس كل معقول يجب ان يكون محسوسا فى السلبان متلازمان معا كما ان وسبقه للاشياء فى العلو هو السبق بالشرف والعلية دون المكان والجهة والزمان وقربه لها فى دنوه منها قربه لعلمه وجوده ونفوذه فيها بحق لطفه وهو اقرب الى العبد من نفسه لعلمه بها دونه ولم يباعده عن شئ من خلقه استعلاؤه عنه اذ علوه ليس مكانيا ولا قربه ساواهم فى المكان به اذ ليس قربا حسيا وعدم اطلاع العقول على تحديد صفته اما لانه لا صفة له فتحد او لانه لا يتناهى اعتبار صفاته وقد سبق بيانه ولم يحجب العقول عن واجب معرفته لشهادة فطرها بوجود صانعها وهو القدر الواجب الضرورى لها ولفظ اعلام الوجود مستعار لاثاره الموجودة الدالة على وجوده وكما قدرته وعلمه وانما قال على اقرار قلب ذى الجحود لان كثيرا من الناس ربما جحده بطريق عادته او بتقليده كالمعطلة وعبدة الاصنام فاذا رجع قلبه او نبه عليه عاد معترفا بوجوده وروى ان زنديقا دخل على الصادق عليه السلام فساله عن دليل اثبات الصانع فاعرض عنه ثم التفت اليه وساله من اين اقبلت

وما

وما قصتك فقال الزنديق انى كنت مسافرا فى البحر فعصفت علينا الريح فلعبت بنا الامواج فانكسرت سفينتنا فتعلقت بساجة منها ولم يزل الموج يقلبها حتى قذفت بى الى الساحل فنجوت عليها فقال له عليه السلام ارايت الذى كان قلبك اذا انكسرت السفينة وتلاطمت عليكم الامواج فزعا اليه مخلصا له فى التضرع طالبا منه النجاة فهو الهك فاعترف الزنديق بذلك وحسن اعتقاده وذلك من قوله تعالى واذا مسكم الضر فى البحر الاية وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام انما بدؤ وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال رجالا على غير دين الله فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ولو ان الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السن المعاندين ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فهنالك يستولى الشيطان على اوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى اقول لما كان نظام العالم انما هو بوجود الشرايع والسنن الالهية وكانت هى مبادى نظامه لزم فيما خالفها من الاراء المبتدعة والاهواء المتبعة ان يكون اسبابا لخراب العالم ومبداء الفتن كاراء البغاة والخوارج وقوله فلو ان الباطل الى قوله المرتادين اشارة الى سبب اتباع الناس للاراء الفاسدة وهو امتزاج الحق بالباطل فان المقدمات اذا كانت كلها باطلة تبين فساد الحجة بادنى سعى ولم يخف على الطالبين فسادها قوله ولو ان الحق الى قوله المعاندين وذلك لوضوح الحق حينئذ والضغث القبضة من الحشيش ونحوه فاستعير لفظه للنصيب من الحق والباطل وذلك كشبهة قتل عثمان التى تمسك بها الناكثون والقاسطون فان فيها مقدمة صادقة هى كون امام المسلمين قتل مظلوما ومقدمة كاذبة وهى نسبة ذلك القتل اليه عليه السلام تارة بانه اجلب عليه وتارة بانه خذله وهنالك اى عند امتزاج الحق بالباطل يستولى الشيطان على اوليائه قرين لهم اتباع من يعتقد تلك الشبهة ونحوها وينجو من سبقت عناية الله له بتميز الحق من الباطل وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام لما غلب اصحاب معوية اصحابه على شريعة الفرات بصفين ومنعوهم من الماء قد

قد استطعموكم القتال فأقروا على مذلة وتأخير محلة أو رووا السيوف من الدماء
ترووا من الماء فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين ألا
وإن معاوية قاد لمة من الغواة وعمس عليهم الخبر حتى جعلوا نحورهم أغراض المنية
أقول استعار وصف الاستطعام لطلبهم القتال بالتحرش بهم والحلة المنزلة
وتأخيرها عن رتبة أهل الشرف والشجاعة ونفّر عن ترك القتال بضمير صغراه قوله
فالموت إلى قوله مقهورين وأراد موت الذل والقهر وتقدير كبراه وكل ما كان فيه
الموت فينبغي أن يهرب منه ورغّب فيه بضمير صغراه قوله والحياة في موتكم قاهرين
وأراد حياة الغربين بالحرب والذكر الجميل بالحمية لله وتقدير الكبرى وكل ما كانت فيه
الحياة فينبغي أن يرغب فيه واللمة بالتخفيف الجماعة القليلة وعمس بالتخفيف والتشديد
عمّى ولبّس والخبر شبهه عثمان وقتله ومن كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة
قد تقدم مختارها برواية ونذكرها ههنا برواية أخرى لتغاير الروايتين ألا وإن الدنيا
قد تصرمت وآذنت بالانقضاء وتنكر معروفها وأدبرت حذاء فهي تحفز بالفناء
سكانها وتحدو بالموت جيرانها وقد أمرّ منها ما كان حلواً وكدر منها ما كان
صفواً فلم يبق منها إلا سملة كسملة الإداوة أو جرعة كجرعة المقلة لو تمززها
الصديان لم ينقع فأزمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار المقدور على أهلها الزوال
ولا يغلبنكم فيها الأمل ولا يطولن عليكم الأمد فوالله لو حننتم حنين
الوله العجال ودعوتم بهديل الحمام وجأرتم جؤار متبتلي الرهبان وخرجتم
إلى الله من الأموال والأولاد التماس القربة إليه في ارتفاع درجة عنده أو غفران
سيئة أحصتها كتبه وحفظتها رسله لكان قليلاً فيما أرجو لكم من ثوابه وأخاف
عليكم من عقابه وتالله لو انماثت قلوبكم انمياثاً وسالت عيونكم من رغبة إليه أو
رهبة منه دماً ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية ما جزت أعمالكم ولو لم تبقوا شيئاً
من جهدكم أنعمه عليكم العظام وهداه إياكم أقول آذنت أعلمت وتنكر
معروفها تغيرها بما أنس به كل أحد منها ويعرفه وتبدله وقتاً فوقتاً والحذاء

اوجاه

أو جاه أو مال ونحوه وحذاء خفيفة مسرعة لا تدركها أحد واستعار وصف الحدو
وهو السوق الحثيث ووصف الحادي لها باعتبار سوقها لأهلها إلى غاياتهم منها وهو
الموت ومصاحبتها لهم كالسائق والحادي ومراره ما كان حلواً منها وتكدير ما كان
صفواً بالقياس إلى كل شخص من أهلها كالصحة بالسقم واللذة بالألم والسملة بفتح
الميم البقية من الماء في الإناء والمقلة بفتح الميم وسكون القاف حصاة تقسم بها الماء
عند قلته يعرف بها مقدار ما يسقى كل شخص والتمزز تمصص الماء قليلاً قليلاً و
الصديان العطشان ونقع ينقع سكن عطشه وقد شبه بقيتها ببقية الماء في
الإناء ونبه على وجه الشبه بقوله لو تمززها الصديان لم ينقع وكنّى به عن غاية
قلتها وقلة البقاء فيها والإزماع تصميم العزم والرحيل عنها أي بالسفر إلى الله
وقوله فوالله إلى قوله من عقابه تنبيه على عظيم ثواب الله وما ينبغي أن يرجى منه
وعلى عظيم عقابه وما ينبغي أن يخاف منه والوله العجال جمع واله وعجول و
هما من الإبل النوق تفقد أولادها وهديل الحمامة نوحها والجؤار الصوت المرتفع
والتبتل الانقطاع إلى الله تعالى بالإخلاص والمعنى أن الذي أرجوه من ثوابه
للمتقرب إليه منكم أكثر مما يتصور المتقرب إليه أنه يصل إليه بتقربه المتقرب
بجميع أسباب القربة والذي أخافه من عقابه عليه أكثر من العقاب الذي
يتوهم أنه يدفعه عن نفسه بذلك ويبتغي الزيادة من المنزلة عند الله أن
يخلص بكليته في التقرب إليه ليصل إلى ما هو أعظم مما يتوهم أنه يصل
إليه من المنزلة عنده وينبغي للهارب إليه من ذنبه أن يخلص في الفرار إليه
ليخلص من هول ما هو أعظم مما يتوهم أنه يدفعه عن نفسه بوسيلته فإن
الأمر فيما يرجى ويخاف من أمر الآخرة أعظم مما يتصوره عقول البشر ما دامت
في عالم الغربة وقوله وتالله إلى آخره تنبيه على عظمة نعمته تعالى على الخلق وأنه لا
يمكن جزاؤها بالغ ما أمكن وانماثت قلوبكم ذابت خوفاً منه وأنعمه مفعول جزت وهداه
في محل النصب عطفاً عليه وأفرد الهدى بالذكر وإن كان من أنعم الله لشرفه

ذكر

إنما المقصود من كل نعمة أفاضها الله تعالى على عباده منها في يوم النحر وصفة الأضحية
ومن تمام الأضحية استشراف أذنها وسلامة عينها فإذا سلمت الأذن والعين
سلمت الأضحية وتمت ولو كانت عضباء القرن تجر رجلها إلى المنسك أقول
استشراف أذنها طولها وكنّى به عن سلامتها من القطع أو نقصان الخلقة والعضباء
مكسورة القرن الداخل وكنّى بجر رجلها عن عرجها والمنسك موضع النسك و
التقرب بذبحها واعلم أن المعتبر فيها سلامتها عما ينقص قيمتها وظاهر أن العمى و
العور والهزال وقطع الأذن تشويه لخلقها ونقصان في قيمتها دون العرج وكسر القرن
وفي فضلها قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما عمل آدمي عملاً يوم النحر أحب إلى الله عز
وجل من إراقة دم وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وإن الدم ليقع من الله
بمكان قبل أن يقع إلى الأرض فطيبوا بها نفساً وكانت الصحابة رضي الله عنهم يغالون
في أثمان الهدي والأضاحي وأفضلها أغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها روي أن عمر
أهدى نجيبة فطلبت منه بثلاثمائة دينار وسأل رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبيعها
ويشتري بثمنها بدناً فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وسر ذلك أن المقصود تطهير النفس
وتزكيتها رذيلة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله تعالى فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها
ولكن يناله التقوى منكم وذلك بمراعاة النفاسة في القيمة لا كثرة العدد واللحم وليس
الغرض ذكره ومن كلام له عليه السلام فتداكوا علي تداك الإبل الهيم يوم ورودها قد أرسلها راعيها
وخلعت مثانيها حتى ظننت أنهم قاتلي أو بعضهم قاتل بعض لدي وقد قلبت هذا
الأمر بطنه وظهره حتى منعني النوم فما وجدتني يسعني إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد
صلى الله عليه وآله فكانت معالجة القتال أهون علي من موتات الآخرة أقول الفصل — من معالجة العقاب وموتات الدنيا أهون علي من
إشارة إلى صفة أصحابه بصفين لما طال منعه لهم عن قتال أهل الشام وكان عليه السلام
يتوقف عن قتالهم انتظاراً لفيء بعضهم إلى الحق الذي هو الغرض الكلي للشارع والمداكة
المزاحمة وشبه زحامهم عليه حينئذ بزحام الإبل الهيم وهي العطاش حين يطلقها رعاتها
من مثانيها يوم ورودها ووجه الشبه شدة الزحام والمثاني جمع مثناة وهي الحبل يثنى

ويعقل

ويعقل به البعير وقوله قلبت إلى قوله النوم كناية عن تقليبه لوجوه الآراء المصلحية
في القتال وتركه والكف اللازم عن تركه لاستلزام تركه التهاون بأمر الله ورسوله بقتال
أهل البغي والعقاب هو اللازم عن ذلك الكفر في الآخرة وموتات الدنيا كناية عن شدائد
الحرب وقتل الأقربا والأحبا وموتات الآخرة كناية عن نكور عذابها ودواهيها و
كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين أما قولكم أكل ذلك
كراهية الموت فوالله ما أبالي دخلت إلى الموت أو خرج الموت إلي وأما قولكم شكاً في
أهل الشام فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي و
تعشو إلى ضوئي أحب إلي من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها أقول
هذا الفصل كالذي قبله وسببه أنه لما طال منعه لهم عن قتال أهل الشام ألحوا عليه
في ذلك حتى نسبه بعضهم إلى العجز كراهية الموت وبعضهم إلى الشك في وجوب قتالهم فأورد
الأولين وأجاب عنه بقوله فوالله إلى قوله إلي وأورد السؤال الثاني وأجاب عنه
بقوله فوالله ما دفعت إلى آخره وعشا إلى النار استدل عليها ببصر ضعيف وباء بآثامه
رجع به وقوله أحب خبر مبتدأ محذوف أي وذلك أحب ومن كلام له عليه السلام
ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا
ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضياً على اللقم وصبراً على مضض الألم وجداً على
جهاد العدو ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين
يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا
منا فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر حتى استقر الإسلام
ملقياً جرانه ومتبوئاً أوطانه ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود ولا
اخضر للإيمان عود وايم الله لتحتلبنها دماً ولتتبعنها ندماً أقول صدر الفصل
ببيان صنع الصحابة رضي الله عنهم في الجهاد ليقتدي بهم السامعون في ذلك واللقم
منهج الطريق إلى الله ولأن يحمل كل منهما على الآخر مرة والكبت الإذلال وكنّى بإلقاء جرانه
عن استقراره وثباته وجران البعير مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره وتبوأ وطنه

استقر فيه واقام به واستعار لفظ الاوطان لقلوب المؤمنين وبلادهم ولفظ العمود
لاصل الدين ووصف اخضرار العمود لنضارته في القلوب ووصف اخلاق الثوب لانعدام
ملاحظة لتشبيهها بالناقة اصيب ضرعها بتغير بطئ من صاحبها وبالله التوفيق ومن
كلام له عليه السلام لاصحابه اما انه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق
البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه الا وانه سيأمركم بسبي و
البراءة مني فاما السب فسبوني فانه لي زكاة ولكم نجاة واما البراءة فلا تبرؤوا
مني فاني ولدت على الفطرة وسبقت الى الايمان والهجرة اقول الخطاب لاهل الكوفة
قال اكثر الشارحين المراد بالرجل معوية لانه كان بطينا كثير الاكل والمندحق البارز
وروي انه كان يأكل الحلو فيمل فيقول ارفعوا فوالله ما شبعت ولكني مللت و
تعبت وكان ذلك بدعاء من رسول الله صلى الله عليه وآله يحق عليه روي انه بعث
اليه مرة فوجده يأكل فبعث اليه ثانية وثالثة فوجده كذلك فقال صلى الله عليه وآله
اللهم لا تشبع بطنه ولبعضهم في وصف آخر بالاكل وصاحب لي بطنه كالهاوية
كان في بطنه معوية وقيل هو زياد بن ابي سفيان وهو زياد ابن ابيه وقيل هو الحجاج
ورخص عليه السلام في سبه ولم يرخص في البراءة منه لان السب فعل اللسان وهو امر
يمكن ايقاعه دون اعتقاده مع احتماله التعريض واما التبرؤ فليس بصفة قولية
فقط بل ما يعود الى المجانبة القلبية وهو المنهي عنه اذ هو امر باطني يمكن الانتهاء عنه
ولا يلحق بسببه ضرر فاما ان السب له زكاة فللحديث ان ذكر المؤمن بسوء هو زكاة له
وذنب على السابّ فيزيد زيادة في جاهه وشرفه والذي بدأ بسبه معوية وقطعه عمر بن
عبد العزيز وفيه يقول السيد الرضي رحمه الله من قطعة له يا ابن عبد العزيز لو بكت العين
فتى من امية لبكيتك انت نزهتنا عن الشتم والسب ولو كنت مجزيا اجزيتك غير اني
اقول انك قد طبت وان لم يطب ولم يزل بيتك والفطرة فطرة الله التي فطر الناس
عليها سليما من التدنس بالعقائد الباطلة وعبادة غير الله وسبقه الى الاسلام
سبقه الى الدخول في طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وملازمته له وهجرته معه

ومن كلام له عليه السلام كلم به الخوارج اصابكم حاصب ولا بقي منكم آثر
ابعد ايماني بالله وجهادي مع رسول الله صلى الله عليه وآله اشهد على نفسي بالكفر
لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين فأوبوا شر مآب وارجعوا على اثر الاعقاب اما
انكم ستلقون بعدي ذلا شاملا وسيفا قاطعا واثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة
قال السيد رحمه الله قوله ولا بقي منكم ابر يروى على ثلاثة اوجه احدها ان
يكون كما ذكرناه بالباء من قولهم رجل آبر للذي يأبر النخل اي يصلحه ويروى ولا
بقي منكم آثر يراد به الذي يأثر الحديث اي يحكيه ويرويه وهو اصح الوجوه
عندي كأنه قال عليه السلام ولا بقي منكم مخبر ويروى آبز بالزاء المعجمة وهو
الواثب والهالك ايضا يقال له آبز اقول انه لما كتب عهد الصلح بينه وبين
اهل الشام اعتزلت الخوارج وتبادروا من كل جانب لا حكم الا لله يا علي لا لك
ان قد امضى حكمه في معوية واصحابه ان يدخلوا تحت حكمنا وقد كنا زللنا واخطأنا
حين رضينا بالتحكيم وقد بان لنا خطأنا ورجعنا الى الله فارجع انت كما رجعنا و
تب الى الله كما تبنا وقال بعضهم انك اخطأت فاشهد على نفسه بالكفر ثم تب
منه حتى نطيعك فاجابهم بهذا الكلام والحاصب ريح ترمي بالحصباء وهي صغار
الحصا ودعاؤه عليهم ظاهر والاثرة الاستبداد والذي لقوه من الذل والقتل
على يده ويد من بعده كالمهلب واولاده والحجاج وغيرهم واستبداد الولاة بعده
بمال المسلمين بصدق ما اخبرهم به عليه السلام وقال عليه السلام لما عزم على
قتال الخوارج وقيل انهم قد عبروا جسر النهروان مصارعهم دون النطفة والله لا يفلت
منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة قال السيد رحمه الله يعني بالنطفة ماء النهر وهي افصح كناية
عن الماء وان كان كثيرا جما وقد اشرنا الى ذلك فيما عند مضى ما اشبهه اقول خلاصة الحكاية
ثم جاءه رجل من اصحابه فقال البشرى يا امير المؤمنين ان القوم قد عبروا النهر
لما بلغهم وصولك فقال الله انت رأيتهم قد عبروا فقال نعم فقال عليه السلام والله
ما عبروه ولن يعبروا وان مصارعهم الفصل ثم سار عليه السلام اليهم فوجدهم

قد كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا دوابهم وجثوا على الركب وحكموا تحكيمة واحدة
بصوت عظيم له زجل فلما قتلهم كان المفلت تسعة والمقتول من اصحابه عليه السلام
ثمانية وكان من كراماته وقال عليه السلام لما قتل الخوارج وقيل له يا امير المؤمنين
هلك القوم باجمعهم كلا والله انهم نطف في اصلاب الرجال وقرارات النساء كلما نجم
منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين اقول اشار بذلك الى من سيوجد
منهم وكنى بالقرارات عن الارحام واستعار لفظ القرن لمن يظهر من رؤسائهم ورشح بذكر
النجوم وكنى بقطعه عن قتله وجعل لتراذلهم غاية وهي كون آخرهم قطاع الطريق
وذلك كشبيب وقطري ابن الفجاءة وغيرهما واخباهم يشهد بصدقه عليه وقال عليه السلام
فيهم لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فاخطأه كمن طلب الباطل فادركه قال
السيد رحمه الله يعني من ادركه معوية اقول الفرق بينهم وبين معوية ان القوم
طلبوا الحق بالذات فوقعوا في الباطل بالعرض ومعوية طلب الباطل بالذات في
صورة تشبه الحق وانما نهى عن قتلهم بعده على تقدير ان يلزموا حدودهم و
يكفوا عن العبث والفساد في الارض وقيل انما قتلهم لانه امام عادل رأى وجوب
قتالهم وانما نهى عن ذلك بعده لانه علم انه لا يلي هذا الامر بعده من له بحكم الشريعة ان
يقتل ويتولى امر الحدود ويضعها مواضعها ومن كلام له عليه السلام لما خوف
من الغيلة وان علي من الله جنة حصينة فاذا جاء يومي انفرجت عني واسلمتني
فحينئذ لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم اقول الغيلة القتل على غرة وقد كان
عليه السلام خوف من قتل ابن ملجم لعنه الله مرارا كما نبهنا عليه في الاصل واستعار
لفظ الجنة وهي الترس ونحوه لمدة اجله المعلوم لله ووصف الانفراج لانقضائها
ولفظ السهم لاسباب الموت وكنى بعدم طيشه عن اصابته ومن خطبة له عليه
السلام الا وان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها ولا ينجى بشيء كان لها ابتلي الناس
بها فتنة فما اخذوه منها لها اخرجوا منه وحوسبوا عليه وما اخذوا منها لغيرها
قدموا عليه واقاموا فيه وانها عند ذوي العقول كفيء الظل بينا تراه سابغا حتى قلص

وزايدا حتى نقص اقول قوله لا يسلم منها الا فيها اي لا يسلم من عذاب الله عليها
في الآخرة الا بما يفعل فيها من الاعمال الصالحة والذي يكون لها هو ما يقتنى منها
للاستمتاع به والالتذاذ بنفعه لا غير دون الوصول به الى الآخرة وظاهر
ان ذلك لا يكون به نجاة في الآخرة والابتلاء بها اختبار المطيع من العاصي وليس المراد
منه ان الله تعالى يعلم ما يؤول اليه احوال العباد لانه يعلم السر واخفى بل لما
كانت الشرائع الالهية جاذبة للخلق عنها الى الغاية التي خلقوا لها وكانت مجاري
لذاتها جاذبة لهم بحسب نفوسهم الامارة اليها فمن اطاع داعي الله وصرف نفسه
عنها فاز فوزا عظيما ومن اتبع هواه بغير هدى من الله خسر خسرانا مبينا اشبه ذلك
صورة ابتلاء من الله لخلقه بها فاستعير لذلك وصف الابتلاء ولفظ الفتنة
وما اخذ منها لغيرها هو ما يقصد به وجه الله والدار الآخرة من مال يتصدق به
وينفق في سبيل الله او جاه او علم لله وليس ما يقدمون عليه في الآخرة هو عين
ما اخذ من الدنيا بل عوضه من ثواب الله ومتاع الآخرة وشبهها في سرعة زوالها
عند ذوي العقول الناظرين اليها باعين بصائرهم بفيء الظل واشار الى وجه
الشبه بقوله بينا الى آخره واصل بينا بين بمعنى الوسط فاشبعت الفتحة
فحدثت الالف وقد يراد فيها ما والمعنى واحد وقلص نقص وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلام واتقوا عباد الله وبادروا آجالكم باعمالكم
وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم وترحلوا فقد جد بكم واستعدوا
للموت فقد اظلكم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا واعلموا ان الدنيا ليست لهم
بدار فاستبدلوا فان الله لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى وما بين احدكم وبين
الجنة او النار الا الموت ان ينزل به وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها
الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري
بسرعة الاوبة وان قادما يقدم بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل العدة فتزودوا
من الدنيا في الدنيا ما تحرزون به انفسكم غدا فاتقى عبد ربه نصح نفسه قدم توبته غلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها

وَعُقْبَتُهُ التَّوْبَةُ ليسوّفها حتى تهجم منيّته عليه اغفل ما يكون عنها فيا لها
حسرة على كل ذى غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان تؤديه ايامه الى شقوة
نسأل الله سبحانه ان يجعلنا واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة ربه
غاية ولا تحل به بعد الموت ندامة ولا كآبة اقول مبادرة الآجال مسابقتها بالاعمال
الصالحة وما يبقى لهم هو ثواب الله الموعود فى الآخرة وما يزول عنهم هو الدنيا
ومتاعها واستعاد وصف الابتياع لبذل الدنيا الفانية فى تحصيل الخيرات الاخروية
الباقية وذلك بالزهد فيها والخروج عنها واشار بالموجل الى السفر فى سبيل الله
اليه وبالجد بهم الى شدة سير الليل والنهار فى هدم الاعمال والاستعداد للموت
التسلح له بالكمالات النفسانية التى لا يضر معها موت البدن وافضلكم واشرف عليكم
وقوله وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا نبه على وجوب اجابة داعى الله وهو
لسان الشريعة والانتباه بها له من نوم الغفلة ومراقد الطبيعة وسدى مهملا وكنى
بالغاية عن الاجل واراد بالغاية الانسان ما دام فى الدنيا اذ كان فى دار الغربة عن
مستقره الاصلى بحسب قصر مدة غيبته يكون سرعة او فطنة وقيل اراد به ملك
الموت وكذلك اراد بالقادم الانسان وبما تقرره من الدنيا فيها التقوى والاعمال
الصالحة وهى الحرز من عذاب الله وقوله واتقى الى قوله شهوته اوامر وردت بلفظ
الماضى حاليها عن العطف وهى بلاغة تزيد المعنى فى احسن صورة ونصيحة النفس
النظر فى مصلحتها باتخاذ الزاد الابقى وهو التقوى ومن جملتها تقديم التوبة
وغلبة الشهوة ونبه على وجوب ذلك بضمير صغراه قوله فان اجله الى قوله عنها
وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فواجب ان ينصح نفسه بلزوم اوامر الله تعالى
والتسويف التمادى فى الامر واصله قول الرجل سوف افعل واغفل نصب
على الحال وحسرة على التميز للتعجب منه والمنادى محذوف واللام فى لها قيل للاستغاثة
كانه قال يا للحسرة على الغافلين ما اكثرك وقيل لام الجر فتحت لدخولها على
الضمير المنادى المحذوف اى يا قوم ادعوكم لها حسرة وان فى موضع النصب

بحذف الجار اى على كون اعمارهم حجة عليهم يوم القيمة ومن خطبة له
عليه السلام الحمد لله الذى لم يسبق له حال حالا فيكون اولا قبل ان يكون
آخرا ويكون ظاهرا قبل ان يكون باطنا كل مسمى بالوحدة غيره قليل وكل عزيز غيره
ذليل وكل قوى غيره ضعيف وكل مالك غيره مملوك وكل عالم غيره متعلم وكل
قادر غيره يقدر ويعجز وكل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها
ويذهب عنها ما بعد منها وكل بصير غيره يعمى عن خفى الالوان ولطيف
الاجسام وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر لم يخلق ما خلقه
لتشديد سلطان ولا تخوف من عواقب زمان ولا استعانة على ند مثاور
ولا شريك مكاثر ولا ضد منافر ولكن خلائق مربوبون وعباد داخرون لم يحلل
فى الاشياء فيقال هو فيها كائن ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن لم يؤده
خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ ولا وقف به عجز عما خلق ولا ولجت عليه شبهة
فيما قضى وقدر بل قضاء متقن وعلم محكم وامر مبرم المامول مع النقم المرهوب
مع النعم اقول لما ثبت ان السبق والقبلية والتاخر والبعدية من لواحق
الزمان [illegible] لذاته ومن لواحق الزمانيات بواسطته وكان تعالى منزها عن
لواحق الزمان فى ذاته وكمال صفاته لاجرم لم يلحقه شئ من اعتبار القبلية و
البعدية قد يطلقان باعتبار آخر كالقبلية بالشرف والفضيلة والذات والعلية
لكن قد بينا فى الخطبة الاولى ان كل ما يلحق ذاته المقدسة من الصفات فاعتبارات
ذهنية تحدثها العقول عند مقايسته الى مخلوقاته ولا سبق لشئ منها على الآخر
بالنظر الى ذاته المقدسة والا لكانت كمالات ذاتية قابلة للزيادة والنقصان وبعضها
علة للبعض واشرف وبعضها معلول وانقص بالنظر الى ذاته وذلك من لواحق الامكان
هذا خلف وذلك سر قوله عليه السلام الذى لم يسبق له حال حالا الى قوله باطنا بل
معنى اوليته هو اعتبارنا كونه تعالى مبدأ لكل موجود وآخريته هو اعتبارنا لكونه
غاية لكل ممكن واستحقاقه البقاء لذاته واستحقاق غيره له بتقائه تعالى وهذا الاعتبارات

بالنظر الى الذات تعالى عن سواء وقوله كل مسمى بالوحدة غيره قليل يريد انه لا يوصف ذاته
بالقلة وان كان واحدا وذلك ان الواحد يقال لمعانى والمشهور منها هو كون الشئ
مبدأ للكثرة يكون عادا لها ومكيالا وهو الذى يلحقه القلة والكثرة الاضافيتين
فان كل واحد بهذا المعنى هو قليل بالنسبة الى الكثرة التى تصلح ان يكون مبدأ
لها والمتصور لاكثر الناس كونه تعالى واحدا بهذا المعنى فلذلك نزهه عليه السلام
بذكر لازمه وهو القليل لظهور بطلان هذا اللازم فى حقه تعالى واستلزام بطلانه
بطلان الملزوم المذكور وذلة الاعزاء غيره لدخولهم تحت الحاجة اليه وضعف
كل قوى غيره لدخوله تحت قهر قدرته التامة ومملوكية كل مالك غيره لدخوله
تحت الملك المطلق الذى ينفذ مشيته مالكه فى جميع الموجودات باستحقاق دون
غيره وتعلم كل عالم غيره لكون كل علم مستفادا من فيض جوده وهو العالم
المطلق الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وعجز
غيره عن بعض الاشياء شهيد بكمال قدرته وانها مبدأ قدرة كل قادر وكونه تعالى
سميعا يعود الى علمه تعالى بالمسموعات لتنزهه عن الآلة التى من شانها ان
تقبح لان ادراكها للصوت على قرب وبعد وحد من القوة والضعف
مخصوص فانه ان كان الصوت ضعيفا جدا او بعيدا جدا لم يصل الى الصماخ
فلم يدركه القوة السامعة فلذلك كانت تصم عن لطيف الاصوات ويذهب
عن السامع ما بعد منها وان كان فى غاية من القوة والقرب فربما اشتد
قرعه للصماخ فتفرق لنضال الروح الحامل لقوة السامع عنه بحيث يبطل
استعدادها التادية الصوت وتحدث الصمم فلذلك قال ويصمه كبيرها فيجب
تنزهه تعالى عن هذه الآلة لم يعزب عنه ما خفى من الاصوات ولم يذهب عليه ما بعد
منها ولم يلحقه لواحقها من الصمم والنقصان وخفى الالوان مثلا كاللون فى الظلمة
واللطيف قد يراد به عدم اللون كالهواء وقد يراد به رقيق القوام كالذرة وهو
غير مدرك بالعين للحيوان والمطلق اسم العمى على عدم الابصار مجازا ولما كان

كونه تعالى بصيرا يعود الى علمه بالمبصرات لم يعزب عنه شئ منها وان خفى على غيره
ولطف ولم يلحقه من لواحق الآلات آفة كالعمى ونحوه وقوله وكل ظاهر الى قوله
غير ظاهر يريد انه تعالى هو المنفرد بالجمع بين وصفى الظهور والبطون دون غيره وقد
بينا معناهما فى الاصل وقوله ولم يخلق الى قوله منافر لانه تعالى لا يفعل لغرض
وتشديد السلطان تقويته والند المثل والمثاور المواثب وداخرون ذليلون
وبرهان كونه تعالى غير حال فى شئ ولا مباين له قد سبق فى الخطبة الاولى و
آده يؤده اثقله اى لم يثقله تدبيره للاشياء على وجه الحكمة ولم تعرض له شبهة
فيما قضى اى احكم به فى خليقته لتنزه علمه عن عوارض القوى البشرية التى هى منشأ
الشكوك والشبهات وولجت دخلت والمبرم المحكم وقوله المامول الى قوله
النعم فيه ايماء الى تنزيهه تعالى عن حال البشرية فان المنتقم من الناس حين
انتقامه لا يكون مامولا وحال نعمته لا يكون مرهوبا ومن كلام له عليه السلام كان
يقوله لاصحابه فى ايام صفين معاشر الناس استشعروا الخشية وتجلببوا
السكينة وعضوا على النواجذ فانه انبا للسيوف عن الهام واكملوا اللامة وقلقلوا
السيوف فى اغمادها قبل سلها والحظوا الخزر واطعنوا الشزر ونافحوا بالظبى
وصلوا السيوف بالخطا واعلموا انكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله فعاودوا الكر واستحيوا من الفر فانه عار فى الاعقاب ونار يوم الحساب وطيبوا
عن انفسكم نفسا وامشوا الى الموت مشيا سجحا وعليكم بهذا السواد الاعظم
والرواق المطنب واضربوا ثبجه فان الشيطان كامن فى كسره قد قدم للوثبة
يدا واخر للنكوص رجلا فصمدا صمدا حتى ينجلى لكم عمود الحق وانتم الاعلون والله
معكم ولن يتركم اعمالكم اقول قد اشتملت هذه الاوامر على تعليم كيفية الحرب
وبدأ بالامر باستشعار خشية الله اى اتخاذها شعارا والشعار ما يلى الجسد من الثياب
واستعار وصف تجليب السكينة للتلبس بها كالجلباب وهى الملحفة وفايدته طرح
الفشل وارهاب العدو والنواجذ اقصى الاضراس وفايدة العض عليها نبو السيف

عن الهامة لتحلب عضل الراس ومتاوكه متيه جنيق للضربه واللامة بوزن
فعلة الدرع والكمالها بالبيضة والسواعد ويحتمل ان يريد بها جميع آلة الحرب
والغرض شدة التحصن وفايدة تلقلة السيوف في اغمادها سهولة سلها وقت
الحاجة اليها ولحظ الخزر من امارات الغضب والحمية وفايدته اخذ العزة من
العدو والشزر بسكون الزاي وهو الطعن على غير استقامته بل يمينا وشمالا وفايدته
توسعة المجال للطاعن والمنافحة بالظبي التناول باطراف السيوف وفايدته
توسعة المال ايضا فان القرب من العدو يمنع من ذلك وصلة السيوف بالخطا وفايدته
ان السيف قد يكون قصيرا فيطول بالخطوة ومد اليد ولان فيه اقدام على العدو
والزحف اليه وذلك مما يوجب الانفعال والتاخر وفيه قول الشاعر اذا قصرت
اسيافنا كان وصلنا خطانا الى اعدائنا فنضارب وكونهم بعين الله اي
بحيث يراهم ويعلم ما يفعلون وقوله وطيبوا عن انفسكم نفسا تسهيل للموت عليهم بما يستلزمه
من الثواب الاخروي والنفس هي الشخص الزايل بالموت والنفس المنسوبة على التميز هي
المدبرة للبدن وسحا سهلا والسواد الاعظم جماعة اهل الشام والرواق المطنب
مضرب للفسطاط لمعويه وكان يومئذ مضرب عليه قبة عالية باطناب عظيمة وحوله
من اهل الشام مائة الف كانوا تعاهدوا ان لا ينفرجوا عنه حتى يقتلوا وشجه وسطه
واراد بكون الشيطان في كسره كونه مظنة الشيطان او ضرب على طاعته ومعصية الله
وقيل استعار لفظ لمعوية باعتبار اغوائه الخلق وكنى بقوله قد قدم الى قوله اخرى
عن كونه مترددا في امره وعلى غير يقين في قتاله وهو في مظنته ان يرجع ويهرب
وكسر البيت جانبه والتمد القصد اي اقصدوا العدو قصدا حتى يتبين لكم
ان الحق معكم ينصركم على عدوكم اذا الطالب بغير حقه سريع الانفعال قريب الفرار
في مقاومته ولن يتركم اي ينقصكم ومن كلام له عليه السلام في معنى الانصار
قالوا لما انتهت الى امير المؤمنين عليه السلام انباء السقيفة بعد وفاة رسول
الله صلى الله عليه واله ما قالت الانصار قالوا قالوا منا امير ومنكم امير قال عليه السلام

فهلا

فهلا احتججتم عليهم بان رسول الله صلى الله عليه واله وصى بان يحسن الى محسنهم
ويتجاوز عن مسيئهم قالوا وما في هذا من الحجة عليهم قال عليه السلام لو كانت
الامارة فيهم لم يكن الوصية بهم ثم قال فماذا قالت قريش قالوا احتجت
بانها شجرة الرسول صلى الله عليه واله فقال عليه السلام احتجوا بالشجرة واضاعوا
الثمرة اقول الانباء التي بلغته هي اخبار المشاجرة بين المهاجرين والانصار
في الخلافة في سقيفة بني ساعدة واما ما اشار اليه عليه السلام من الوصية
بالانصار فهو ما رواه مسلم والبخاري في مسنديهما عن انس قال مر ابو بكر
والعباس بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون فقال ما يبكيكم فقالوا ذكرنا
مجلس رسول الله صلى الله عليه واله قد خلا من الرسول فاخبراه بذلك
فخرج معصبا راسه بحاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك فحمد الله
واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم
وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم واستعار لفظ الشجرة
لقريش باعتبار انهم اصل للرسول عليه السلام ولفظ الثمرة لنفسه واهل بيته
فانهم ثمرة النبوة في فضلهم وكمال نفوسهم القدسية والكلام في صورة احتجاج
له على قريش مثل ما احتجوا به على الانصار وتقديره انهم ان كانوا احق بهذا الامر
من الانصار لكونهم شجرة رسول الله صلى الله عليه واله فنحن اولى لكوننا ثمرته
والثمرة هي مقصود الشجرة لكن الملزوم حق فاللازم مثله ومن كلام له عليه السلام
لما قلد محمد بن ابي بكر مصر فملكت عليه وقتل رحمه الله وقد اردت تولية مصر
هاشم بن عتبة ولو وليته اياها لما خلى لهم العرصة ولا انهزهم الفرصة بلا ذم
لمحمد فقد كان الي حبيبا وكان لي ربيبا اقول كان قتله رضي الله عنه بعد وقعة
صفين واضطراب الامر على علي عليه السلام وطمع معوية في البلاد وقتله عمرو بن
وخاجتته في جوف حمار ميت واحرقه فبلغه عليه السلام ذلك فجزع له حتى ظهر
في وجهه وقال الفضل وهاشم هو ابن عتبة بن ابي وقاص وكان شيعة علي والمخلصين

احتجاج

في ولائه وقتل معه بصفين وكان رجلا مجربا والنهزة الفرصة واراد انه لم
يكن يمكنهم مما ارادوا وكان محمد حبيبا اليه لتربيته في حجره صغيرا حين تزوج
امه اسماء بنت عميس وكانت اولا تحت جعفر بن ابي طالب وهاجرت معه الى الحبشة
فولدت له عبد الله بن جعفر وقتل عنها يوم موته فتزوجها ابو بكر فاولدها محمدا
فلما مات عنها تزوجها علي عليه السلام وكان محمد ربيبه ونشا على ولائه منذ
صغره فكان عليه السلام يقول محمد ابني من ظهر ابي بكر ومن كلام له عليه السلام
في ذم اصحابه كم اداريكم كما تدارى البكار والثياب المتداعية كلما حيصت
من جانب تهتكت من اخر كلما اطل عليكم منسر من مناسر اهل الشام اغلق
كل رجل منكم بابه وانجحر انجحار الضبة في جحرها والضبع في وجارها الذليل والله
والله من نصرتموه ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل انكم لكثير في الباحات
قليل تحت الرايات واني لعالم بما يصلحكم ويقيم اودكم ولكني والله لا ارى
اصلاحكم بافساد نفسي اضرع الله خدودكم واتعس جدودكم لا تعرفون الحق
كمعرفتكم الباطل ولا تبطلون الباطل كابطالكم الحق اقول الفصل في ذم اصحابه
لتقاعدهم عن الحرب والبكار الفتية التي انشدخ باطنها استعملها النقل الحمل ويسمى
ذلك العمد ووجه شبه مداراتهم بمداراتها قوة المداراة وكرمها وخوف العثار
جمع بكرة انها اشد تضجرا بالحمل عند ذلك الداء واشار الى وجه شبههم بمداراة
الثياب المتداعية اي المتتابعة في التمزق بقوله كلما حيصت حيطت وجمعت
اي كلما اصلح حال بعضهم وجمعهم للحرب فسد بعض اخر عليه وتفرق عنه والاطل
الاشراف والمنسر بفتح الميم وكسر السين وبالعكس القطعة من الجيش من المائة الى المائتين
والوجار بيت الضبع والافوق الناصل السهم لا فوق له ولا نصل ويتمثل
به في الاستهانة بمن لا غناء فيه والباحة الساحة الدار والاود الاعوجاج
واراد بما يصلحهم ويقيم اعوجاجهم كالضرب والقتل وان كان على غير وجه
شرعي كما يفعل الملوك وقوله ولكني الى قوله نفسي كالعذر عن عدم فعل ذلك

٣٠

بهم لما يستلزمه من الاثم المفسد للدين المهلك في الاخرة واضرع اي اذل والتعس
الهلاك والجد الحظ وقوله لا يعرفون الى اخره تبكيت لهم بالجهل وعليه الباطل
على عقايدهم وافعالهم وقال عليه السلام في سحرة اليوم الذي ضرب فيه
ملكتني عيني وانا جالس فسنح لي رسول الله صلى الله عليه واله فقلت يا رسول
الله ماذا لقيت من امتك من الاود واللدد فقال ادع عليهم فقلت ابدلني الله
بهم خيرا لي منهم وابدلهم بي شرا لهم قال السيد رحمه الله ويعني عليه السلام
بالاود الاعوجاج وباللدد الخصام وهذا من افصح الكلام واقول ملكتني عينه
له كناية عن نومه وسنح عرض له خياله في المنام ومن كلام له عليه السلام
في ذم اهل العراق اما بعد يا اهل العراق فانما انتم كالمراة الحامل حملت فلما
اتمت املصت ومات قيمها وطال تايمها وورثها ابعدها اما والله
ما اتيتكم اختيارا ولكن جئت اليكم سوقا ولقد بلغني انكم تقولون
يكذب قاتلكم الله فعلى من اكذب اعلى الله فانا اول من امن به ام على نبيه فانا
اول من صدقه كلا والله ولكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من اهلها ويل امه كيلا
بغير ثمن لو كان له وعاء ولتعلمن نباه بعد حين اقول هذا الكلام منه بعد
حرب صفين واملصت المراة اسقطت والايم التي لا بعل لها ووجه تمثيلهم
بالمراة الموصفة ما فيه من تشبيهات حالهم بحالها فاستعدادهم لحرب اهل الشام
يشبه حمل المراة ومشارفتهم للظفر يشبه الاتمام فانه ما لك الاشتر سار في دمشق
صبيحة ليلة الهرير لم يحملها من غير حرب لولا خدعة معوية وقومه برفع المصاحف
وانخداع اصحابه عليه السلام ورجوعهم عن عدوهم بعد ظفرهم به يشبه الاملاص
وخروجهم عن رايه عليه السلام وتفرقهم عليه يشبه موت قيمها وهو زوجها المتسلط
لتركها وعجزها واخذ عدوهم ما لهم من البلاد وتغلبه عليها يشبه ميراث الابعد لها
واشار بسوقه اليهم الى حكم القضاء الالهي عليه بذلك او الى اكراههم له على البيعة بعد
امتناعه منها كما وصفه غير مرة وما بلغه من تكذيبهم له فهو كلام منافقي اصحابه

فانهم كانوا يكذبونه في بعض ما كان يخبرهم به من الامور المستقبلة روي انه لما قال
لو كسرت لي الوسادة لحكمت بين اهل التوريه بتوراتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم
وبين اهل الزبور بزبورهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت
في بر او بحر او سهل او جبل ولا سماء ولا ارض الا وانا اعلم فيمن نزلت قال رجل
من تحت المنبر بالله للدعوى الكاذبة وقوله وكذبها الى آخره اشارة الى جهالة
الى محل كلامه وانه غير ما ادعوه من الكذب واللهجة اللسان والقول الفصيح و
اشار بقوله عنها الى انفراده عليه السلام سماعها من الرسول صلى الله عليه وآله
وبقوله ولم يكونوا من اهلها الى ان الاستعداد لفهم مثل ذلك وسماعه طور اخرج عن
عقولهم الضعيفة انما حصلت لمثله عليه السلام وحاله مع هؤلاء مختصرة من حال
الرسول صلى الله عليه وآله مع منافقي قومه وقوله ويل امه كلمة يقال للاسترحام
وقيل للتعجب من الامر واصلها الدعاء على الام بفقد ولدها او ترحم لها عند ذلك
وقوله كيلا بغير ثمن اشارة الى ما يلقيه اليهم من الحكم البالغة والتعليم النافع لا
يريد به جزاء ثم لا يفقهونه فلذلك تعجب منهم وكيلا مصدر اي اكيل لهم العلم
والهداية كيلا بغير ثمن لو كان فيهم من يعيه ويفهمه وقوله ولتعلمن الاية في معرض
التهديد بثمرة الجهل والتثاقل عن المسارعة الى دعوته ومن خطبة له عليه السلام
علم فيها الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله اللهم داحي المدحوات وداعم
المسموكات وجابل القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها اجعل شرائف صلواتك
ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق والفاتح لما انغلق والمعلن الحق
بالحق والدافع جيشات الاباطيل والدامغ صولات الاضاليل كما حمل فاضطلع به قائما
بامرك مستوفزا في مرضاتك غير ناكل عن قدم ولا واه في عزم واعيا لوحيك حافظا لعهدك
ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبس القابس واضاء الطريق للخابط وهديت به القلوب
بعد خوضات الفتن والاثم واقام موضحات الاعلام ونيرات الاحكام فهو امينك المامون
وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك بالحق ورسولك الى الخلق اللهم

نطراتها

والاثم

افسح

افسح له مفسحا في ظلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك اللهم اعل على بناء البانين
بناءه واكرم لديك منزلته واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة مرضي
المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل اللهم اجمع بيننا وبينه في برد العيش وقرار
النعمة ومنى الشهوات واهواء اللذات ورخاء الدعة ومنتهى الطمانينة وتحف الكرامة
اقول في هذا الفصل فصول ثلثة الاول في صفات المدعو تعالى وتمجيده والثاني
في المدعو له وهو النبي صلى الله عليه وآله والثالث في انواع المدعو به فالاول هو قوله
اللهم الى قوله وسعيدها والمدحوات المبسوطات اي باسط الارضين السبع والمسموكات
السموات وداعمها حافظها بدعائم قدرته وجابل القلوب على فطراتها خالقها على ما خلقها
عليه من التهيؤ والاستعداد لسلوك سبيلي الخير والشر واستحقاق السعادة والشقاوة
بحسب القضاء الالهي كما قال تعالى ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها و
شقيها بدل من القلوب اي خالق شقي القلوب وسعيدها على ما فطر عليه وفي اللوح
المحفوظ كقوله تعالى فمنهم شقي وسعيد الثاني ذكر النبي عليه السلام احد وعشرين
وصفا هي جهات استحقاق الرحمة من الله وخاتميتها لما سبق اي من انوار الوحي و
الرسالة وفاتحا لما انغلق اي من سبيل الله قبله وطريق جنته بانوار الشرايع والحق
الذي اظهره هو الدين والذي اظهره به هو المعجزات والبراهين والحاصل انه اظهر الحق
بعضه ببعض وجيشات جمع جيشة وهي غليان القدر واستعار لفظها لثوران الاباطيل
المشركين وفورات فتنهم والدمغ كسر عظم الدماغ ويستعمل في القهر والغلبة و
الاضاليل جمع اضلولة جمع ضلال والجهل وقوله كما حمل فاضطلع اي صل عليه صلاة
مشابهة لحمله رسالتك واضطلاعه بها وقوته عليها ومستوفزا مستعجلا وقايما حابطا
من النهوض احوال والقدم التقدم اي غير راجع عن تقدمه في امر الله وحفظه
لعهده اي العهد الماخوذ عليه في تبليغ الرسالة واستعار لفظ القبس وهو الشعلة
لنور العلم والحكمة واوري قدح بذكر الوري اي اظهر انوار العلم في سبيل الله حتى اضاءت
لمن كان يخبط فيها وعشي على غير بصيرة وموضحات الاعلام هي الادلة الواضحة على الحق

منزلته

ونيرات الاحكام هي المطالب الواضحة لزومها عن تلك الادلة وعلمه المخزون
هو علمه الغيبي المشار اليه بقوله علم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الاية
وكونه شهيدا اي على امته بما علم منهم من طاعة وعصيان الثالث المدعو به و
المفسح المكان المتسع اي في حضرة قدسه وظل جوده ونباؤه هو ما يشيده من
الدين اي اعل دينه واظهره على ساير الاديان وكذلك نوره دينه او نور نفسه
الذي يسعى بين يديه ومقبول القول مفعول اجزه وذا منطق نصب على حال
وكنى بقبول شهادته عن تمام الرضا عنه ومنطق عدل لا كذب فيه وخطة فصل
اي فاصلة للحق من الباطل وبرد العيش كناية عن عدم الكلفة فيه وهو في الآخرة
ثمرة الجنة وقرار النعمة مستقرها وهو ايضا ثباتها وغايتها واهواء اللذات ما
تهواه وتميل اليه ورخاء الدعة ومنتهى الطمانينة انتهاء سكون النفس بلذة معارف
الحق والانس بالملا الاعلى وانها من موهبات الدنيا وتحف الكرامة ساير ما اعده
لكرامة اوليائه وعباده وعدوا به ومن كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم
بالبصرة قالوا اخذ مروان الحكم اسيرا يوم الجمل فاستشفع بالحسن والحسين عليهما
السلام الى امير المؤمنين عليه السلام فكلماه فيه فخلا سبيله فقالا له
يبايعك يا امير المؤمنين فقال اولم يبايعني بعد قتل عثمان لا حاجة لي في بيعته انها
يهودية لو بايعني بيده لغدر بسبته اما ان له امرة كلعقة الكلب انفه وهو
ابو الاكبش الاربعة وستلقى الامة منه ومن ولده يوما احمر اقول كنيه
بقوله يدا يهودية على غدره وخبثه لان شان اليهود ذلك والسبة الاست
ولما كان الغدر من اقبح الرذايل نسبه الى السبة في معرض الذم والاهانة
ثم نبه من امره في المستقبل على ثلثة امور احدها انه يكون اميرا للمسلمين وبنبه
قصر مدة ولايته في معرض الاستهانة وبامره بتشبيهها بلعقة الكلب انفه
وكانت مدتها اربعة اشهر وعشرا وروي ستة اشهر الثاني انه سيكون ابا الاكبش
الاكبش الاربعة وكبش القوم رئيسهم فكان له اربعة ذكور لصلبه وهم عبد الملك

وولي

وولي الخلافة وعبد العزيز وولي مصر وبشر وولي العراق ومحمد وولي الجزيرة و
يحتمل ان يريد بالاربعة اولاد عبد الملك وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام و
كلهم ولي الخلافة ولم يلها اربعة اخوة الا هم الثالث ما يلقى الامة منه ومن
ولده من القتل وانتهاك الحرمة وكنى عن ذلك بالموت الاحمر وهو كناية عن الشدايد
ويوما احمر وكنى عن زمان مدتهم واحوال الامر مع بني امية مشهورة ومن
كلام له عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان لقد علمتم اني احق بها من غيري
والله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين ولم يكن فيها جور الا علي خاصة
التماسا لاجر ذلك وفضله وزهدا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه اقول
الضمير في بها للخلافة ولاسلمن اي ذلك الامر وما للمدة وخاصة حال والتماسا
مفعول له والعامل لاسلمن والزخرف الذهب والزينة والزبرج بكسر الزاء والراء
النقش بالحلية ومن كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بني امية له بالمشاركة
في دم عثمان اولم ينه امية علمها بي عن قرفي او ما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي
ولما وعظهم الله به ابلغ من لساني انا حجيج المارقين وخصيم الناكثين المرتابين على كتاب الله
تعرض الامثال وبما في الصدور تجازى العباد اقول القرف التهمة ووزع كف و
سابقته سبقه في الدين والشرف وما وعظهم الله به كقوله تعالى ان بعض
الظن اثم وقوله ولا يغتب الآية في النهي عن الغيبة والحجيج المحاج والخصيم
المارقون الخارجون عن الدين بالكبائر والمرتابون المنافقون بشكهم في الدين
وقوله على كتاب الله الى آخره اشارة الى الحجة التي يحاج بها اي ان نسبتم قتل
عثمان الى بوجه فاعرضوا ذلك على كتاب الله فعليه تعرض الامثال و
الاشباه فان دل شيء منه على كوني قاتلا فلكم ان تحكموا بذلك ومن خطبة له
عليه السلام رحم الله عبدا سمع حكما فوعى ودعي الى رشاد فدنا واخذ بحجزة هاد
فنجا راقب ربه وخاف ذنبه قدم خالصا وعمل صالحا اكتسب مذخورا واجتنب
محذورا رمى غرضا واحرز عوضا كابر هواه وكذب مناه جعل الصبر

مطيّة نجاته والتقوى عدّة وفاته ركب طريقة الغرّاء لزم المحجّة البيضا اغتنم
المهل وبادر الاجل وتزوّد من العمل اقول الحُكْم الحكمة والرشاد الهدى والحجزة
معقد الازار واستعار لفظة لهدى الهادى ولزوم قصده والاقتداء به وفيه تنبيه
على الحاجة الى الشيخ فى سلوك سبيل الله والمراقبة المحافظة وفى عرف السالكين
مراعاة القلب للرقيب وهو الله سبحانه اذ يقول الّا انّ الله كان عليكم رقيبا واستغراق
القلب بمراعاة جلاله ويلزمها الخوف منه وتعطل الجوارح عن الالتفات الى المباحات
فضلا عن المحظورات وخالف الهوى اى عملا خالف الهوى والمدخور اجر العمل الصالح والمحذور
المحذور الاثم ورجّه للغرض حذفه لمقاصد الدنيا عن نفسه ويُروى عرّجها بالعين
المهملة وهو متاع الدنيا واحراز العوض منه متاع الآخرة بالعمل وما يلزمه
من ملكات الخير ومكابرة هواه مقاومته لشهوته وغضبه وقهرهما وتكذيب
مناه مقابلة ما يلقيه الشيطان اليه من امانىّ الدنيا بالتكذيب وتجويز
عدم نيلها وذكر غاياتها واستعار لفظ المطيّة للصبر باعتبار ان لزومه
سبب للنجاة كظهر المطيّة والعُدَّةُ ما استعدّ به الانسان للامور والغرّاء
الواضحة واراد الشريعة وهى المحجّة البيضا والمهل ايام مهلة العمل فى الدنيا
ومبادرة الاجل سابقة بالعمل لئلا ينقطع دونه ومن كلام له عليه السلام
ان بنى امية ليفوّقوننى تراث محمّد صلى الله عليه وآله تفويقا والله لئن بقيت لهم
لانفضنّهم نفض اللحّام الوذام التربة ويروى التراب الوذمة وهو على القلب
قال السيد رحمه الله ليفوّقوننى اى يعطوننى من المال قليلا قليلا كفواق الناقة
وهو الحلبة الواحدة الوذام جمع وذمة وهى الحزّة من الكرش او الكبد تقع فى التراب
فتنفض اقول استعار وصف التفويق لعطيتهم له المال قليلا قليلا
ووجه المشابهة القلة فى دفعات كما يعطى الفصيل ضرع امه ليدرّ ثم تدفع
عنها ليحلب ثم يعاد ليدرّ وتراث محمّد اشارة الى الفئ الحاصل بتركته وكذلك
استعار وصف النفض المذكور لابعادهم عن ذلك الامر ومن كلمات يدعوا

بها اللهم اغفر لى ما انت اعلم به منّى فان عدت فعُدْ لى بالمغفرة اللّهمّ
اغفر لى ما وَأَيْتُ مِنْ نفسى ولم تجد له وفاءً عندى اللّهمّ اغفر لى ما تقرّبت
به اليك بلسانى ثم خالفه قلبى اللّهم اغفر رَمَزات الالحاظ وسقطات الالفاظ و
سهوات الجنان وهَفَوات اللسان اقول حاصل الفصل سؤال المغفرة
ومغفرة الله يعود الى ستره على عبده ان يقع فى عذابه او يكشف فضائحه لاهل
الدنيا وما الله اعلم به منه هو ما جاز ان يكون سيّئة من افعاله ولا يعلم ذلك
فيفعلها والوأى الوعد ومخالفة القلب لما يتقرب به فى الظاهر من
الاعمال هو الريا والنفاق ورمزات الالحاظ جمع رمزة وهى الاشارة بالعين
والحاجب الخارجة عن الدين كما يفعل عند التنبيه على شخص ليظلم او يعاب
وسقطات الالفاظ الردى منها وسهوات القلوب غفلاتها عن الحق وتنبيه و
روى بالشين المعجمة وهى جواذب الشيطان للقلب الى ما لا ينبغى وهفوات اللسان
زلاته وغلطاته وقد سأل مغفرة الذنوب المتعلقة بكل واحد من الجوارح قاله
لبعض اصحابه لما عزم على المسير الى الخوارج فقال له يا امير المؤمنين ان سرت فى هذا
الوقت خشيت ان لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم فقال عليه السلام اتزعم
انك تهدى الى الساعة التى من سار فيها صرف عنه السوء وتخوّف الساعة التى
من سار فيها حاق به الضرّ فمن صدّقك بهذا فقد كذّب القرآن واستغنى عن الاستعانة
بالله فى نيل المحبوب ودفع المكروه وينبغى فى قولك للعامل بامرك ان يوليك الحمد دون
ربه لانك بزعمك انت هديته الى الساعة التى نال فيها النفع وامن الضرّ
ثم اقبل عليه السلام على الناس فقال ايها الناس اياكم وتعلّم النجوم الا ما يهتدى به
فى برّ او بحر فانها تدعو الى الكهانة المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر
والساحر كالكافر والكافر فى النار وسيروا على اسم الله اقول روى ان المشير اليه
عليه بذلك كان عفيف بن قيس اخا الاشعث بن قيس وكان يتعاطى علم النجوم و
اعلم انه يعقل من نهى الشريعة عن تعلم النجوم امران احدهما ان اكثر المشتغلين

بها والطالبين لمعرفة احكامها يعتمدون فيما يرجون ويخافون عليها ويفرقون الى
ملاحظة اوقاتها فينقطعون بذلك عن الالتفات الى الله والفزع اليه وذلك مما
يضاد مطلوب الشارع اذ كان غرضه الاول ليس الا دوام التفات الخلق اليه الثانى
ان الاخبار منها عما سيكون فى المستقبل يشبه علم الغيب واكثر الخلق من العوام
لا يميزون بينهما فيكون ذلك سببا لضلال الخلق وضعف اعتقادهم فى المعجزات
اذ الاخبار من الانبياء عما سيكون منها يستلزم تشككهم فى مثل قوله تعالى قل لا
يعلم من فى السموات ومن فى الارض الغيب الا الله وكان ذلك هو السبب فى تحريم
الكهانة والسحر ايضا والعقل ايضا يطابق الشرع فى تكذيب المنجم فى كثير من احكامه
فانه قد ثبت فى القواعد الحكمية ان كل كائن فاسد فى هذا العالم فلا بد له من
اسباب اربعة فاعلى وغائى وقابلى وصورى ثم القابلى مشروط فى قبوله كل حادث
بشرائط فلكية وعنصرية مما لا يتناهى ويمتنع اطلاع العقول البشرية عليها
واحاطتها بها ولان حساب المنجم مبنى على قسمة الزمان بالدور والشهر واليوم والساعة
والدرجة والدقيقة واجزائها وتقسيم الحركة بازائها ووضعه بينهما نسبة
عددية وكل ذلك امور غير حقيقية وانما توجد على سبيل التقريب انتهى ما فى الباب
ان التفاوت بينهما لا يظهر فى المدد المتقاربة لكنه يشبه ان يظهر فى المدد المتباعدة
ومع تجويز التفاوت كيف يمكن كليا او جزئيا اذا عرفت ذلك فنقول انه عليه
السلام الزم فيما يدعيه الزامات شنيعة يتبرّء بها من قبوله قوله احدها قوله
فمن صدّقك الى قوله القرآن وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كذب القرآن
كان كافرا بيان تكذيبه ان المنجم اذا ادعى انه سيقع كذا فى وقت كذا كان
كان ذلك مكذّبا لقوله وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا الآية الثانى استغناء
مصدّقه عن الاستعانة بالله فيما يعمّه من محبوب او مرجوّ وذلك لانه يرجع اليه
فى ذلك دون الله تعالى الثالث انه يقتضى الاولى بمصدقه ان يوليه الحمد دون
الله تعالى لانه بزعمه هداه الى نفعه وضره واعنى هدايته ما زعم من علمها ما

يهتدى به فى برّ او بحر لان ذلك مما منّ الله تعالى به على عباده فى قوله وهو
الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البرّ والبحر الآية وقوله ولتعلموا
عدد السنين والحساب وقوله فانها الى آخره تعليل التحذير عن تعلمها وتنفير
عنها بقياس مفصول يستنتج منه ان المنجم فى النار واما معنى الكاهن
والساحر فاعلم ان من النفوس نفوسا تقوى على الاطلاع على ما سيكون وعلى
التصرفات العجيبة فى هذا العالم فتلك النفس ان كانت كاملة خيّرة مجذوبة
من الله تعالى بدواعى السلوك اليه فهى نفوس الانبيا والاوليا ذوات المعجزات
والكرامات وان كانت ناقصة شريرة منجذبة عن تلك الجهة وغير طالبة لكمال
لتلك المرتبة بل مقتصرة على رذائل الاخلاق وخسائس الامور كالتكهن ونحوه
فهى نفوس الكهنة والسحرة واكثر ما يظهر هذه النفوس القوية فى اوقات الانبياء
وقبيل ظهورهم فانها تدعوا الى الكهانة اى يقصد لان المنجم يتشبه بالكاهن
فى اخباره عما سيكون ويتميز الكاهن عن المنجم بان ما يقوله عن قوة نفسانية
منه بخلاف المنجم وذلك ادعى الى فساد اذهان الخلق واغوائهم زيادة اعتقادهم
فيه واما الساحر فيتميز عن الكاهن بان له قوة على التأثير فى امر خارجى عن بدنه
آثارا خارجة عن الشريعة موذية للخلق ونافعة لتفريق بين الزوجين ونحوه
وتلك زيادة شئ آخر على الكاهن ادعى الى فساد اذهان الناس وزيادة اعتقادهم
فيه وانفعالهم عنه خوفا ورغبة والكافر يتميز عن الساحر بالبعد الاكثر عن الله
تعالى وحينئذ صار الضلال والفساد مشتركا بين الاربعة الا انه مقول عليهم
بالاشدّ والاضعف فالكافر اقوى فيه من الساحر والساحر اقوى من الكاهن
والكاهن اقوى من المنجم فلذلك جعل عليه السلام الكاهن اصلا فى تشبيه
المنجم به والساحر اصلا فى تشبيه الكاهن والكافر اصلا فى تشبيه الساحر
به وظهر من ذلك ان وجه التشبيه فى الكل هو ضلالهم واضلالهم للخلق
وروى انه عليه السلام سار فى تلك الساعة الى الخوارج وكان من ظفره بهم ما هو مشهور

ومن كلام له عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء معاشر
الناس ان النساء نواقص الايمان نواقص العقول نواقص الحظوظ فاما نقصان
ايمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في ايام حيضهن واما نقصان
عقولهن فشهادة امرأتين منهن كشهادة الرجل الواحد واما نقصان حظوظهن
فمواريثهن على الانصاف من مواريث الرجال فاتقوا شرار النساء وكونوا
من خيارهن على حذر ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر اقول
لما كانت تلك الحرب من الوقايع الكبار والفتن العظيمة في الاسلام المشتملة على
هلاك جمع عظيم من المسلمين منسوبة الى راى امراة اراد ان يبين وجه نقصان
النساء واسبابه ليجتنب متابعتهن ولذلك حذر بعده من شرارهن ولعن ما يكون
مع خيارهن على الحذر والتحذر منهن في ابداع سنة وقبول مشهورة وان كانت
بمعروف فلا يستلزم ذلك من طمعهن وتعديهن فيما يطمعن فيه الى حد الافراط وتجاوز
قدرهن وهو منكر ومن كلام له عليه السلام ايها الناس الزهادة قصر الامل
والشكر عند النعم والورع عن المحارم فان عزب ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم
ولا تنسوا عند النعم شكركم فقد اعذر الله اليكم بحجج مسفرة ظاهرة وكتب
بارزة العذر واضحة اقول رسم الزهد بثلثة لوازم وهي قصر الامل في الدنيا
وشكر نعم الله والورع وهي قوة خادمة مركبة وقد ذكرها بتقييد على الاول ملزوما
ولزوم الزهد وقوله فان عزب الى آخره يحتمل معنيين احدهما انه ابعد عليكم
وشق اجتماع هذه الامور الثلثة فالزموا منها الورع ونفس الصبر لانه من لوازمه
نذ الشكر وكانه رخص لهم في طول الامل بما يتصور زهده ما يبتني على عمارة الارض
لغرض الآخرة ولان قصر الامل كثيرا ما يعرض من غلبة الخوف على القلب والالتفات
عن الدنيا بالكلية وذلك غير مراد الشارع من كل الناس الثاني يحتمل الا يكون المراد
الزهد باللوازم الثلثة في معرض الامر بها قال بعدها ان صعبت عليكم هذه
فاعدلوا الى ما هو اسهل منها وهو الصبر عن المحارم عوضا عن تمام الورع وهو لزوم

الاعمال

عند النعم ح

الاعمال الجميلة والتذكر لنعمة الله عند وقوعها لغرض شكرها بحيث لا ينسى
بالكلية عوضا عن دوام الحمد والثنا وقوله فقد اعذر الله اي اظهر عذره اليكم
ومسفرة مشرقة ومن كلام له عليه السلام في ذم الدنيا ما اصف من
دار اولها عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى
فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها واتته
ومن ابصر بها بصرته ومن ابصر اليها اعمته قال السيد رحمه الله واذا تأمل
المتأمل قوله عليه السلام ومن ابصر بها بصرته وجد تحته من المعنى العجيب
والغرض البعيد ما لا تبلغ غايته ولا يدرك غوره ولا سيما اذا قرن اليه قوله ومن
ابصر اليها اعمته فانه يجد الفرق بين ابصر بها وابصر اليها واضحا نيرا وعجيبا
باهرا اقول العناء التعب وقد ذكر للدنيا في معرض ذمها والتنفير عنها اوصافا
عشرة واولها اشارة الى زمان الوجود فيها عناء الانسان فيها ظاهر والفتنة و
الابتلاء وهو من لوازم الغنى فيها وساعاتها استعارة كالمزاحم حرصا على طلبها
عليها وتعسرها عليه كالمحاربة منه سعيا وهو ساع في طلبها واقوى اسباب
فواتها لطالبها ان اكثر ما يكون تحصيلها بمنازعة اهلها ومجاذبتهم اياها
وذلك مما يوجب تعويق بعضهم لها على بعض ولما كان هذا السبب مفقودا
في حق من قعد عنها كان فواتها قليلا له ومواتاتها اكثريا كما في حق الزاهد
فيها واقبال الخلق عليهم والتقرب بها اليهم وقوله ومن ابصر بها بصرته اي
من جعلها سبب هدايته ومحل ابصاره بعين عقله استفاد منها البصر
والهداية وقوله ومن ابصر اليها اعمته اي من مد اليها بصر بصيرته محبة لها
لها اعمته عن ادراك انوار الله وهو كقوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا
به ازواجا منهم الآية وقد ظهر الفرق بين قوله ابصر بها وابصر اليها ومدح
السيد لهذا الفصل ظاهر الصدق وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام
وهي من الخطبة العجيبة وتسمى الغراء الحمد لله الذي علا بحوله ودنا بطوله مانح

هزيني

١٠٠

كل غنيمة وفضل وكاشف كل عظيمة وأزل احمده على عواطف
كرمه وسوابغ نعمه واومن به اولا باديا واستهديه قريبا هاديا و
استعينه قادرا قاهرا واتوكل عليه كافيا ناصرا واشهد ان لا اله
الا الله الذي رفع السماء فبناها وسطح الارض فطحاها ولا يؤوده
حفظهما وهو العلي العظيم واشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله عبده
ورسوله ارسله لانفاذ امره وانهاء عذره وتقديم نذره اوصيكم
عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الامثال ووقت لكم الآجال والبسكم
الرياش وارفغ لكم المعاش واحاط بكم الاحصاء وارصد لكم الجزاء وآثركم بالنعم
السوابغ والرفد الروافغ وانذركم بالحجج البوالغ واحصاكم عددا ووظف لكم
مددا في قرار خبرة ودار عبرة انتم مختبرون فيها ومحاسبون عليها فان الدنيا رنق
مشربها ردغ مشرعها يونق منظرها ويوبق مخبرها غرور حائل و
ضوء آفل وظل زائل وسناد مائل حتى اذا انس نافرها واطمأن ناكرها
قمصت بارجلها وقنصت باحبلها واقصدت باسهمها واعلقت المرء
اوهاق المنية قائدة له الى ضنك المضجع ووحشة المرجع ومعاينة المحل
وثواب العمل وكذلك الخلف يعقب السلف لا تقلع المنية اخترافا ولا يرعوي
الباقون اجترافا يحتذون مثالا ويمضون ارسالا الى غاية الانتهاء و
صيور الفناء حتى اذا تصرمت الامور وتقضت الدهور وازف النشور
اخرجهم من ضرائح القبور واوكار الطيور واوجرة السباع ومطارح المهالك
سراعا الى امره مهطعين الى معاده رعيلا صموتا قياما صفوفا ينفذهم البصر
ويسمعهم الداعي عليهم لبوس الاستكانة وضرع الاستسلام والذلة قد ضلت
الحيل وانقطع الامل وهوت الافئدة كاظمة وخشعت الاصوات مهينمة
والجم العرق وعظم الشفق وارعدت الاسماع لزبرة الداعي الى فصل الخطاب
ومقايضة الجزاء ونكال العقاب ونوال الثواب عباد مخلوقون اقتدارا ومربوبون

اقتسارا

انتم

رهاق
بعقب السلف
في نسخة منقولة
من خط المصنف

حتى اذا

حتى كانها حاضرة له وتهوينه للغير وتسهيل شدائد الدنيا على خاطره
واستحقارها في جنب ما يتصوره من الفرحة بلقاء الله ووعده ووعيده
او تسهيله لشدائد الآخرة وتهوينها بالاعمال الصالحة ونظر اي فكر في
ملكوت السموات والارض فابصر اي الحق سبحانه في عجائب خلقه بعين
بصيرته وذكر اي ربه ومعاده فاستكثر اي من الاعمال الصالحة والذكر
حتى صار ملكه واستعار لفظ العذب بوصف اللذات للعلوم والكمالات
النفسانية ووصف الارتواء التام الاستكمال بها ومواردها مظانها من العبر
والامور التي تحصل نفوس المتقين منها العلوم وتسهيلها لهم سرعة اخذهم
عنها الكمالات لكمال استعدادهم لذلك والنهل الشرب في اول الورود و
استعار لفظه لسبق احدهم اخذ الكمالات عن مظانها والسبيل الجدد سبيل
الله الواضح وخلعه سرابيل الشهوات اشارة الى طرف الزهد ولفظ السرابيل
مستعار لما تلبس به من الشهوات والهم الذي انفرد به هو الوصول الى ساحل
العزة واستعار لفظ العمى للجهل وابواب الهدى هي الفضائل والطاعات وابواب
الردى هي الرذائل والمعاصي ومناره اعلام طريق الله وهي البراهين والادلة
التي يهتدى بها وغماره ما كان مغمورا فيه من احوال الدنيا واوثق العرى الايمان
بالله وهو امتن الحبال ولفظهما مستعاران باعتبار وثاقة التمسك بهما وقوله فهو
من اليقين اي بالله وما جاءت به رسله من احوال الغيب على اتم يقين وقوله قد
نصب نفسه الى قوله امثلة لما كمل في ذاته كان اهلا لهداية الخلق وافادتهم
لقوانين طريق الله والتفريع عنها والظلمات الجهل والعشوات ما التبس على
البصائر من المسائل الدقيقة وكذلك المبهمات او المعضلات والفلوات استعار
وقوله يقول الى قوله يسلم اي يستعمل كلا من القول والسكوت في موضعه وبحسب
مقصوده واستعار لفظ المصباح باعتبار هدايته للحق ولفظ المفتاح بفتحه ما
انغلق من مشكلات المسائل ولفظ الدليل لهدايته في مفاوز الجهالات على طريق الله

ولفظ المغرور لكونه مظنة دين الله عشية ويوخذ ولفظ الوتد لكون اوتاد الله
به تحفظ ولفظ الزمان لعقله باعتبار تسليمه الى حكم الله او اوامره فكانها تقوده
بعقله في طريق الله الفصل الثاني قوله وآخر قد سمّى عالما وليس به فاقتبس
جهايل من جهال واضاليل من ضلال ونصب للناس اشراكا من حبال غرور
وقول زور قد حمل الكتاب على ارايه وعطف الحق على اهوايه يؤمن الخطايا و
يهوّن كبير الجرايم يقول اقف عند الشبهات وفيها وقع ويقول اعتزل البدع وبينها
اضطجع فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان لا يعرف باب الهدى فيتبعه
ولا باب العمى فيصد عنه فذلك ميت الاحياء فاين تذهبون وانى تؤفكون والاعلام قائمة
والايات واضحة والمنار منصوبة فاين يتاه بكم بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم
وهم ازمة الحق والسنة الصدق فانزلوهم باحسن منازل القرآن وردوهم
ورود الهيم العطاش ايها الناس خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله انه
يموت من مات منا وليس بميت ويبلى من بلي منا وليس ببال فلا تقولوا بما لا تعرفون
فان اكثر الحق فيما تنكرون واعذروا من لا حجة لكم عليه وانا هو الم اعمل فيكم بالثقل
الاكبر واترك فيكم الثقل الاصغر وركزت فيكم راية الايمان ووقفتكم على حدود الحلال
والحرام والبستكم العافية من عدلي وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي واريتكم كرايم
الاخلاق من نفسي فلا تستعملوا الراي فيما لا يدرك قعره البصر ولا يتغلغل اليه
الفكر اقول الجهال جمع جهالة واراد الجهل المركب وهو الاعتقاد غير المطابق للحق عن شبهة واستعار لفظ الاشراك والحبال لما يغرّ الناس به الناس من الاقوال الباطلة علماء
وحمله الكتاب على تفسيره بحسب رايه وكذلك عطفه على اهوائه تاويله بحسب هواه
وتامينه الناس من العظايم كاستعمال علماء السوء وجهالة الوعاظ ابواب الوعد في
كل موضع استجلابا للقلوب العوام واستعار له لفظ ميت الاحياء باعتبار عدم الانتفاع
به لجهله المركب الذى هو موت النفس المضاد لحياتها الحقيقة باستكمال العلوم والفضايل
الخلقية فالجاهل بالحقيقة ميت وان كان في صورة حي وقوله فاين تذهبون الى آخره

تنبيه

تنبيه على كونهم في ضلال عمي الحق وتخويف وتبكيت وتذكير بكتاب الله و
عترة رسوله ليكونوا هداتهم وتؤفكون تصرفون واني هنا بمعنى متى اي متى
تصرفون عن ضلال الكفر والاستفهام للتقريع واستعار لفظ الاعلام لايمة الدين و
كذلك المنار ونصبها قيام الايمة بينهم وعترة الرجل اقاربه من ولده وولد ولده
وادانى بني عمه وعترة الرسول صلى الله عليه وآله اهل بيته واستعار لهم
لفظ الازمة باعتبار كونهم قادة الخلق الى الطريق الحق كالزمام وكونهم السنة
الصدق اي تراجمة الوحي الصادق او انهم لا يقولون الا حقا لعصمتهم وقوله فانزلوهم
باحسن منازل القرآن فاعلم ان القرآن له منازل احدها القلب وله فيه منزلتان
منزلة الاكرام والتعظيم ومنزلة التصور فقط ثم منزلته في الوجود اللساني ثم في
الكتب والطوامير واحسن منازله هي الاول فالمراد الوصية باكرامهم وتعظيمهم و
محبتهم كما يكرم القرآن بذلك وقوله وردوهم ورود الهيم العطاش ارشاد لهم الى
الاسراع في اقتباس العلوم وكرايم الاخلاق منهم كالهيم وهي الابل العطاش الى الشراب
والضمير في قوله خذوها للرواية لخاطره وهو تقدير لقوله تعالى ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا الآية ويبلى اي بجسده وليس ببال اي بنفسه وذكره
وقوله ولا تقولوا بما لا تعلمون اي مما طوى عنكم غيبه وعلمناه وذلك انهم كانوا
يخوضون في امر المعاد ويقول كل منهم بحسب ما يتصور من القرآن والحديث والايمة
عليهم السلام اعلم بذلك ونبه على وجوب الانتهاء عن السرع الى القول بغير علم بتفسير
صغراه قوله فان اكثر الحق فيما تنكرون وتقدير كبراه وكلما كان اكثر الحق فيه لم يجز
التسرع الى انكاره لجواز ان يكون هو الحق والثقل الاكبر كتاب الله لكونه الاصل المتبع
والثقل الاصغر العترة الطاهرة واستعار لفظ راية الايمان لسنته المتبعة العمل
بكتاب الله وركزها وضعها بينهم ليقتدوا بها وقعر الشيء اقصاه والبصر بصر العقل
والتغلغل الدخول في الاعماق وهي نهي عن استعمال مجرد الراي في دقايق المسائل
الالهية وامر المعاد فان ذلك مهلكة منها حتى يظن الظان ان الدنيا معقولة

على بني امية تمنحهم دَرَّها وتوردهم صفوها ولا يرفع عن هذه الامة سوطها ولا
سيفها وكذب الظان لذلك بل هي مجة من لذيذ العيش يتطعمونها برهة
ثم يلفظونها جملة اقول الفصل غاية من غايات دولة بني امية وهو اخبار عما
سيكون ومعقولة محبوسة واستعار لفظ الدر للذاتها وقنياتها ولفظ المجة
لما يحصلون عليه من الدولة والملك باعتبار قلته بالنسبة الى زمان عدمه ووصف
التطعم لالتذاذهم بالامرة ووصف اللفظ لزوالها ومن خطبة عليه السلام
اما بعد فان الله سبحانه لم يقصم جباري دهر قط الا بعد تمهيل ورخاء ولم يجبر خطب
عظم احد من الامم الا بعد ازل وبلاء وفي دون ما استقبلتم من عتب واستدبرتم مقتبس
من خطب معتبر وما كل ذي قلب بلبيب ولا كل ذي سمع بسميع ولا كل ذي
ناظر ببصير فيا عجبا ومالي لا اعجب من خطاء هذه الفرق على اختلاف حججها
في دينها لا يقتصون اثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي ولا يؤمنون بغيب ولا
يعفون عن عيب يعملون في الشبهات ويسيرون في الشهوات المعروف فيهم
ما عرفوا والمنكر عندهم ما انكروا مفزعهم في المعضلات الى انفسهم وتعويلهم
في المهمات على ارائهم كان كل امرئ منهم امام نفسه قد اخذ منها فيما يرى بعرى
وثيقات واسباب محكمات اقول مقصود الفصل توبيخ الامة على اختلافهم
في الدين وتشتت ارائهم في الاحكام والمذاهب والقصم الكسر وجبر العظم
كناية عن التقوية بعد الضعف والازل الشدة والخطب الذى استقبلوه عناه
عليه السلام وما ينبغي منه والخطب الذى استدبروه الاهوال التي لحقتهم من
المشركين وغير دون ذلك معتبر لمن كان له قلب فانهم لو اختلفوا حينئذ كاختلافهم
الآن لما كان لهم مع قلتهم وقع عند المشركين فكانه قال فيجب الان ان تعتبروا
بذلك وتلازموا الاتحاد في الدين واللبيب من ينتفع بلبه وهو عقله وفايدة
قوله فما كل ذي لب الى قوله ببصير تحريك النفوس الى الاعتبار كيلا يعد القارى
غير لبيب ولا سميع ولا بصير ثم ذكر من مذاهبهم اربعة يزول بما ينبغي ان يفعلوه

وأربعة

سجادها مدرارا قد اسف هيدبه تعبوبه الجنوب درر اهاضيبه ودفع شآبيبه فلما
القت السحاب برك بوانيها وبعاع ما استقلت به من العب المحمول عليها اخرج
به من هوامد الارض النبات ومن زعر الجبال الاعشاب فهي تبهج بزينة رياضها
وتزدهي بما البسته من ريط ازاهيرها وحلية ما سمطت به من ناضر انوارها انوار هامر
وجعل ذلك بلاغا للانام ورزقا للانعام وخرق الفجاج في آفاقها واقام المنار
للسالكين على جواد طرقها فلما مهد ارضه وانفذ امره اختار آدم عليه السلام
خيرة من خلقه وجعله اول جبلته واسكنه جنته وارغد فيها
اكله واوعز اليه فيما نهاه عنه واعلمه ان في الاقدام عليه التعرض لمعصيته والمخاطرة
بمنزلته فاقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه فاهبطه بعد التوبة ليعمر ارضه
بنسله وليقيم الحجة به على عباده ولم يخلهم بعد ان قبضه مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته
ويصل بينهم وبين معرفته بل تعاهدهم بالحجج على السن الخيرة من انبيائه ومتحملي ودايع
رسالاته قرنا فقرنا حتى تمت بنبينا صلى الله عليه وآله حجته وبلغ المقطع عذره
ونذره وقدر الارزاق فكثرها وقللها وقسمها على الضيق والسعة فعدل
فيها ليبتلي من اراد بميسورها ومعسورها وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها و
فقيرها ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها وبسلامتها طوارق آفاتها وبفرج
افراحها غصص اتراحها وخلق الآجال فاطالها وقصرها وقدمها واخرها
ووصل بالموت اسبابها وجعله خالجا لاشطانها وقاطعا لمرائر اقرانها عالم
السر من ضماير المضمرين ونجوى المتخافتين وخواطر رجم الظنون وعقد عزيمات
اليقين ومسارق ايماض الجفون وما ضمنته اكنان القلوب وغيابات الغيوب
وما اصغت لاستراقه مصائخ الاسماع ومصايف الذر ومشاتي الهوام ورجع
الحنين من المولهات وهمس الاقدام ومنفسح الثمرة من ولائج غلف الاكمام ومنقمع
الوحوش من غيران الجبال واوديتها ومختبى البعوض بين سوق الاشجار و بين
الحيتها ومغرز الاوراق من الافنان ومحط الامشاج من مسارب الاصلاب

وناشئة الغيوم ومتلاحمها ودرور قطر السحاب ومتراكمها وما تسفي الاعاصير بذيولها
وتعفو الامطار بسيولها وعوم نبات الارض في كثبان الرمال ومستقر ذوات
الاجنحة بذرى شناخيب الجبال وتغريد ذوات المنطق في دياجير الاوكار وما
اوعته الاصداف وحضنت عليه امواج البحار وما غشيته سدفة ليل او ذر
عليه شارق نهار وما اعتقبت عليه اطباق الدياجير وسبحات النور واثر
كل خطوة وحس كل حركة ورجع كل شفة ومستقر كل نسمة ومثقال كل ذرة و كلمة وتحريك كل
هماهم كل نفس هامة وما عليها من ثمر شجرة او ساقط ورقة او قرارة نطفة او
نقاعة دم ومضغة او ناشئة خلق وسلالة لم تلحقه سبحانه في ذلك كلفة ولا اعترضته
في حفظ ما ابتدع من خلقه عارضة ولا اعتورته في تنفيذ الامور وتدابير المخلوقين
ملالة ولا فترة بل نفذهم علمه واحصاهم عدده ووسعهم عدله وغمرهم فضله ولا
مع تقصيرهم عن كنه ما هو اهله اللهم انت اهل الوصف الجميل والتعداد
الكثير ان تؤمل فخير مأمول وان ترج فاكرم مرجو اللهم وقد بسطت لي فيما لا امدح
به غيرك ولا اثني به على احد سواك ولا اوجهه الى الخيبة ومواضع الريبة وعدلت معادن
بلساني عن مدائح الآدميين والثناء على المربوبين المخلوقين اللهم ولكل مثن
على من اثنى عليه مثوبة من جزاء او عارفة من عطاء وقد رجوتك دليلا على ذخائر
الرحمة وكنوز المغفرة اللهم وهذا مقام من افردك بالتوحيد الذي هو لك ولم
ير مستحقا لهذه المحامد والممادح غيرك وبي فاقة اليك لا يجبر مسكنتها الا
ولا ينعش من خلتها الا منك وجودك فهب لنا في هذا المقام رضاك واغننا
عن مد الايدي الى سواك انك على ما تشاء قدير اقول هذا الفصل يشتمل على
فصلين الفصل الاول في تمجيد الله تعالى باعتبار خلقه الارض وحمله من احوالها
واعداده فيها تمام مرافقها وخلقه لآدم وذريته بعد ذلك في معرض الامتنان
عليهم بذلك وهو قوله كبس الارض الى قوله طرقها واستعار وصف الكبس لخلقها في وسط
كرة الماء والمور التحرك واستعار لفظ الاستفحال للموج ملاحظة للشبه بالفحل

عند

عند صياله والاواذي جمع آذي وهو ما عظم من موج البحر والاثباج جمع ثبج
وهو معظمها وعلو الماء واستعار لفظ الجماح لحركة الماء على وجه لا يملك
والارتماء التقاذف والتراد والتمعك التمرغ واستعار لفظ الكلكل وهو الصدر
للارض والمستخذي الخاضع واصطخاب الامواج غلبتها والساجي الساكن و
استعار لفظ الحكمة وهي ما احاط من اللجام بحنك الدابة لامر الله تعالى بتسكينه
والمدحوة المبسوطة والتيار الموج والباء والزهو وشموخ الانف كناية عن التكبر
والغلواء تجاوز الحد وكعمته شددت فاه والكظة شدة الامتلاء والنزقات
جمع نزقة وهي الخفة وهمد سكن والزيفان التمايل والاكناف الجوانب و
البذخ العالية والعرنين على الانف عند ملتقى الحاجبين ولفظه مستعار
لاعالي الجبال والسهوب جمع سهب وهو الفلاة الواسعة والبيد جمع بيداء
وهي الفلاة ايضا والجلاميد الصخور والشناخيب رؤوس الجبال والشم
العالية والصيخود الصخرة الصلبة واديمها سطحها والتسرب الدخول
في اسرابها واعماقها وجراثيم الارض اعاليها والمتنفس المستنشق والمرافق
المنافع وارض جرز لا نبات لها لانقطاع الماء عنها والانجع القطع وكذلك
القزع والكفة بالضم ما استطال من السحاب وما استدار فبالكسر وميضه
ضياؤه والكنهور العظيم من السحاب والرباب الغمام الابيض والسح الصب
واسف دنا من الارض لثقله وهيدبه ما تهدب منه الى الارض اي تدلى وتمريه
وتستخرج ماءه ودرته اللبن كثرته وسيلانه والاهاضيب جمع هضاب وهو
حلبات القطر بعد القطر والشآبيب جمع شؤبوب وهو الرشقة القوية
من المطر والبرك الصدر والبواني ما يليه من الاعضاء وهو مستعار لما ثقل من
المطر وبعاع السحاب ثقله بالمطر والعبء الثقل وهوامد الارض بالاينبت
به كانها ساكنة من الحركة بالنبات كقوله تعالى وترى الارض هامدة الاية وجبلة
زعراء لا نبت وترده تزداد وتنكشف والريط جمع ريطة وهي الازاهير النيرة

وسمطت زينت بالسمط والعقد وروي بالشين المعجمة اي خلطت والفجاج
الطرق الواسعة والمنار الاعلام واراد الجبال والجبلة الخلقة واراد اولا الجبلة
الانسانية واوعز اليه بكذا امره به وما نهاه عنه هو الاقدام على الشجرة
والاكل منها وتوبة تنبيه على البدل من الضمير في تعاهدهم وللقطع الغاية وقد
تكررت قصة آدم عليه السلام وتعاقب القرون والقرون بقاياه والاتراح في
الاحزان واستعار لفظ الاسباب وهي الحبال لما امتد من الآجال والخلج الجذب
وكذلك استعار لفظ الاشطان والمرائر والاقران جمع قرن وهي الحبال لما امتد
منها وباقي الفصل ظاهر وان تعلقت به فوائد خارجة عن المتن ذكرناها في
الاصل الفصل الثاني في تمجيده سبحانه باعتبار كونه عالما بالاشياء وعدد من
جزئياتها جملة تشهد باحاطة علمه وكماله وهي قوله عالم السر الى قوله اهله و
التخافت المسارة واستعار لفظ الرجم باعتبار الرمي بالظن كما يرمى بالحجر
ونحوه وعقد عزيمات اليقين ما انعقد في النفس من العزوم عن يقين
واستعار لفظ المسارق لمخارج اللحظ من العيون على غيره وروي مشارع مشارق
بالشين المعجمة والغيابة ظلمة قعر البئر واستعار لفظ الاكنان والغيابات
للغيوب باعتبار ما خفي فيها من الاسرار ومصائخ الاسماع خروقها ورجع الحنين
ترديده والمولهات النوق فقدت اولادها والولائج المداخل والاكمام جمع
كم بالكسر وهو غلاف الطلع والمنقمع محل الانقماع وهو الارتداع ولحى الشجرة
قشرها والامشاج النطف المختلطة بالدم ونبات الارض حشراتها واستعار لها
وصف العوم باعتبار دخولها في اعماق الرمال والشناخيب رؤوس الجبال و
الدياجير جمع ديجور وهو الظلام ووصف الحضن مستعار لاشتمال امواج
البحار على ما اشتملت عليه والسدفة الظلمة وذر طلع وسبحات النور مظانه
واثر عطف على المجرورات السابقة والهمهمة الصوت للتي والنقاعة نقرة
يجتمع فيها الدم وكني بها عن الارحام واعتورته احاطت به والتعداد الكثير

تعداد

تعداد اعتبارات وصفه بالنسبة الى مخلوقاته اذ كان له بكل نسبة الى
كل جزئي منها مدحة وثناء واستعار لفظ معادن الخيبة للناس باعتبار انهم
مظنة رد الطالب ومواضع الشك في ذلك وباقي الفصل ظاهر وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام لما اراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان دعوني والتمسوا
غيري فانا مستقبلون امرا له وجوه والوان لا تقوم له القلوب ولا
تثبت عليه العقول وان الآفاق قد اغامت والمحجة قد تنكرت واعلموا اني ان
اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ولم اصغ الى قول القائل وعتب العاتب وان
تركتموني فانا كاحدكم ولعلي اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه امركم وانا
لكم وزيرا خير لكم مني اميرا اقول اراد بوجه الامر ما كان يعلمه من اختلاف
الناس عليه بضروب الشبه الفاسدة وفتنهم واستعار لفظ الوجوه والالوان
لتلك الاختلافات ووصف الغيم لما غشي البلاد من ظلمات الظلم وتغير الشريعة
ووصف التنكر لتغير طريق الشريعة وجهل الناس بها واهمالهم لسلوكها ولا تقوم
له القلوب لا تثبت عليه بل تنفر منه لمخالفته ووزيرا واميرا حالان والعامل
فيهما هو العامل في لكم وكونه خيرا لهم في وزارته لانه في امارته يحملهم على ما
يكرهون دون حال وزارته والله اعلم ومن خطبة له عليه السلام اما بعد
ايها الناس فانا فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجترئ عليها احد غيري
بعد ان ماج غيهبها واشتد كلبها فاسألوني قبل ان تفقدوني فوالذي
نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي
مائة وتضل مائة الا انبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها
ومحط رحالها ومن يقتل من اهلها قتلا او يموت منهم موتا ولو قد فقدتموني
ونزلت بكم كرائه الامور وحوازب الخطوب لاطرق كثير من السائلين وفشل
كثير من المسؤولين وذلك اذا قلصت حربكم وشمرت عن ساق وكانت الدنيا
عليكم ضيقا تستطيلون ايام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الابرار منكم

ان الفتن اذا اقبلت شبّهت واذا ادبرت نبّهت ينكرن مقبلات
ويعرفن مدبرات يحمن حوم الرياح يصبن بلدا ويخطين بلدا الا ان
اخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني امية فانها فتنة عمياء مظلمة عمّت
خطتها وخصّت بليّتها واصاب البلاء من ابصر فيها واخطأ البلاء من
عمي عنها وايم الله لتجدنّ بني امية لكم ارباب سوء بعدي كالناب الضروس
تعذم بفيها وتخبط بيدها وتزبن برجلها وتمنع درّها لا يزالون بكم حتى
لا يتركوا منكم الا نافعا لهم او غير ضائر بهم ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون
انتصار احدكم منهم الا مثل انتصار العبد من ربه والصاحب من مستصحبه
ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية وقطعا جاهلية ليس فيها منار هدى شوهاً
ولا علم يرى نحن اهل البيت منها بنجاة ولسنا فيها بدعاة ثم يفرجها الله عنكم بنجاة
كتفريج الاديم بمن يسومهم خسفا ويسوقهم عنفا ويسقيهم بكاس مصبّرة لا
يعطيهم الا السيف ولا يحلسهم الا الخوف فعند ذلك تودّ قريش بالدنيا وما فيها
لو يرونني مقاما واحدا ولو قدر جزر جزور لاقبل منهم ما اطلب اليوم بعضه فلا
يعطونيه اقول اراد بالفتنة فتنة اهل البصرة واستعار وصف فقاء العين
لقتله والم فتنتهم وقوله ولم يكن ليجتري عليها احد غيري لان الناس كانوا لا يتجاسرون
على قتال اهل ولا يعلمون كيفية قتالهم هل يلحقون بالكفار في اتباع مدبرهم والاجهاز
على جريحهم وسبي ذراريهم واموالهم اذا بغوا ام لهم حكم آخر حتى اتم عليه السلام
على قتالهم وقتلهم وعلمهم كيف يصنع بهم واستعار لفظ الغيهب وهو الظلمة
لتلك الفتنة باعتبار التباس الحق فيها والكلب الشر واستعار اوصاف الابل ولواحقها
من الناعق والقائد والسابق والمناخ والركاب والرحال للفتنة الحادثة والمقبلة
والمعتبة والقائلة باعتبار انقيادهم لدعاتهم وجواذب الامور ما عظم خطبا وامر
والطراق السالمين لحيرتهم في عواقب تلك الخطوب وكيفية الخلاص في الدين وقوله
وذلك اشارة الى قتل المسلمين واستعار وصف التقلص وهو التقبض للحرب بملاحظة

لشبهها

لشبهها بالجد في السعي المشمر ثوبه وبقية الابرار من سلم من دولة بني امية في
دينه ومن يولد من اهل طاعة الله وقوله ان الفتن اذا اقبلت شبهت اي
تكون في مبدأ امرها مشابهة للحق في اذهان الخلق واذا ادبرت نبهت اذهانهم
على كونها فتنة بعد وقوع الهرج والمرج واضطراب الامور وقوله ينكرن الى قوله مدبرات
تفسير له واستعار وصف الحوم لدورانها الموهوم ووقوعها عن قضاء الله في دعاة
الضلال في بلد دون بلد ملاحظة لشبهها بالطائر وقوله الا ان اخوف الفتن الى آخره
اعلم ان هذه اخوف الفتن لشدتها وطول مدتها وانهدام قواعد الدين بها واستعار
لها لفظ العمياء لانها لا يهتدي فيها الخلق الجاريا فيها على غير طريق شرعي كالاعمى في
طريقه وكذلك لفظ الظلمة وعموم خطتها كناية عن احاطتها وشمولها للناس وخصت
بليتها باهل التقوى من شيعة علي ومن بقي من الصحابة والتابعين الذين هم اعيان
الاسلام ومن ابصر فيها اي علم كونها فتنة كان منها في بلاء مع نفسه بالحزن الطويل
لمشاهدة المنكرات ومن شأن ائمة الضلال تتبع من انكر افعالهم بالقتل والاذلال
فكان البلاء به اخص واما من عمي عن كونها فتنة حتى خبط معهم في ضلالهم اخطأه
بلاؤهم وشبههم في افعالهم الردية بالناب الضروس وهي الناقة المسنة التي
تعض حالبها ووجه الشبه انتصارهم من ائمة الضلال بانتصار العبد من سيده عدم
انتصافه منه الا بالغيبة والسب في الخلوة والشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من
المطر واستعار لفظ الشوها لقبحها عقلا وشرعا ولفظ المنار وهو العلم للامام العادل
باعتبار الهداية به وقوله نحن اهل البيت منها بنجاة اي من آثامها والدعوة الى مثلها
وليس المراد انا سالمون من اذاها ومن يسومها خسفا اشارة الى بني العباس وظهورهم
عليهم واستيصالهم واستعار لفظ الكأس المصبرة المرارة ما يفعل بهم وتألمهم به و
وصف الاحلاس لالزامهم البلاء ممن يلقى عليهم والحلس كساء رقيق يوضع تحت قتب
البعير وقوله حتى الى آخره اشارة الى ما ينتهي اليه هذه الفرقة المتغلبة من قريش من التخاذل
والضعف الى ان يتمنوا رؤيته مقاما واحدا وروي ان مروان بن محمد آخر ملوك بني

امية قال يوم الزاب حين شاهد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس مارا
به في خراسان لوددت ان علي بن ابي طالب تحت هذه الرايات بدلا من هذا الفتى والقصة
مشهورة وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام فتبارك الله الذي لا يبلغه
بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن الاول الذي لا غاية له فينتهي ولا آخر له فينقضي
اقول الحدس في اللغة الظن وفي الاصطلاح العلمي سرعة انتقال الذهن من المبادي
الى المطلوب وقد تقدم الخطبة وآخرها منها فاستودعهم في افضل مستودع واقرهم
في خير مستقر تناسختهم كرائم الاصلاب الى مطهرات الارحام كلما مضى سلف
قام منهم بدين الله خلف حتى افضت كرامة الله سبحانه الى محمد صلى الله عليه وآله
فاخرجه من افضل المعادن منبتا واعز الارومات مغرسا من الشجرة التي صدع منها
انبياءه وانتجب منها امناءه عترته خير العتر واسرته خير الاسر وشجرته
خير الشجر نبتت في حرم وبسقت في كرم لها فروع طوال وثمر لا ينال فهو امام
من اتقى وبصيرة من اهتدى سراج لمع ضوؤه وشهاب سطع نوره وزند برق
لمعه سيرته القصد وسنته الرشد وكلامه الفصل وحكمه العدل ارسله
على حين فترة من الرسل وهفوة عن العمل وغباوة من الامم اعملوا رحمكم الله
على اعلام بينة فالطريق نهج يدعوا الى دار السلام وانتم في دار المستعتب
على مهل وفراغ والصحف منشورة والاقلام جارية والابدان صحيحة والالسن
مطلقة والتوبة مسموعة والاعمال مقبولة اقول الاشارة الى الانبياء عليهم السلام
وافضل مستودع استودعهم فيه اما نفوسهم فحظائر القدس ومنازل الملائكة
في مقعد صدق عند مليك مقتدر واما ابدانهم واصولها فكرائم الاصلاب التي
هي مستودع النطف وارحام المطهرات التي هي مقارها والشيعة يطهرون اصول
الانبياء والائمة عليهم السلام من طرف الآباء والامهات عن الشرك واليه اشار الرسول
صلى الله عليه وآله نقلنا من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الزكية فانقضت
انتهت وكني بكرامة الله عن النبوة واستعار لفظ المعدن والمغرس والمنبت

لطينة

لطينة النبوة وهي مادته القريبة التي استعدت لقبول مثله وقيل اراد بذلك
مكة وقيل بيته وقبيلته والارومة الاصل ولفظ الشجرة لقريش وعترة الرجل نسله
واسرته قومه ووجه افضلية عترته قوله صلى الله عليه وآله سادة اهل الجنة
سادة اهل الدنيا انا وعلي وحسن وحسين وحمزة وجعفر ووجه افضلية اسرته
قوله صلى الله عليه وآله ان الله اصطفى من العرب معدا واصطفى من معد بني النضر
بن كنانة واصطفى هاشما من بني نضر واصطفاني من بني هاشم وقوله الناس تبع
لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم وقيل اراد بالشجرة في الموضعين ابرهيم عليه
السلام وقيل اراد هاشما وولده بقرينة قوله نبتت في حرم واراد مكة وبسقت
طالت وكني بفروعها عن مثله عليه السلام وذريته وبوصفهم بالطول عن بلوغهم
في الشرف والغاية البعيدة واستعار لفظ الثمر لكمالهم الذي لا يدرك من العلوم
والاخلاق الكريمة واستعار لفظ البصيرة والسراج والشهاب والزند له باعتبار
كونه سبب هداية الخلق بانوار الدين والفصل الفاصل بين الحق والباطل
والهفوة الزلة والغباوة الجهل واستعار لفظ الاعلام لائمة الدين ودلائله الواضحة
وطريق نهج واضح ودار مستعتب اي يمكن فيها طلب العتبى وهو الرجوع الى الحق
وقيل اي دار يمكنهم فيها ان يطلبوا من الله العتبى وهو الرضى والعفو عنهم
والمنشورة صحف الاعمال والجارية اقلام الكرام الكاتبين ومن خطبة له
عليه السلام بعثه الله والناس ضلال في حيرة وخابطون في فتنة قد استهوتهم
الاهواء واستزلتهم الكبرياء واستخفتهم الجاهلية الجهلاء حيارى في زلزال
من الامر وبلاء من الجهل فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة ومضى على الطريقة
ودعا الى الحكمة والموعظة الحسنة اقول الخبط المشي على غير طريق وروي
خاطبون وهو مستعار لجمعهم في فتنتهم ما لا ينبغي من اقوال وافعال واستزلتهم
استخفتهم والجهلاء وصف بما اشتق من الموصوف تأكيدا كما قال ليل اليل
والطريقة التي مضى عليها سبيل الله ودعوته الى الحكمة والبرهان والى الموعظة

الحسنة بالخطابة وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الاول فلا
شيء قبله والآخر فلا شيء بعده والظاهر فلا شيء فوقه والباطن فلا شيء دونه
اقول المراد بالظاهر هنا العالي لتأكيده بنفي الفوقية عنه والباطن هو الذي
بطن خفيات الامور علماً وهو اقرب الاشياء اليها بهذا الاعتبار فلذلك
سلب ما هو دونه اي ما اقرب اليها منه وسبق بيان هذه الاعتبارات
منها في ذكر الرسول صلى الله عليه وآله مستقره خير مستقر ومنبته اشرف
منبت في معادن الكرامة ومماهد السلامة قد صرفت نحوه افئدة الابرار
وثنيت اليه ازمة الابصار دفن به الضغائن واطفأ به النوائر والف به
اخواناً وفرق به اقراناً اعز به الذلة واذل به العزة كلامه بيان وصمته
لسان اقول مستقره مكة وهي خير مستقر لكونها ام القرى ومحل العبادة
والخلوة بالله والسلامة من عذابه ويحتمل ان يريد ما يتقلب فيه وينشأ عليه
من مكارم الاخلاق الممهدة للسلامة من سخط الله وفي قوله قد صرفت تنبيه
على ان الصارف لافئدة الابرار اليه هو لطف الله وعنايته بهم وثنيت
اي صرفت والاقران المفرق لهم المتآلفون على الشرك والذلة التي اعزها به
ذلة المسلمين والعزة التي اذلها به عزة المشركين وقوله وصمته لسان اي
سكوته مما يفيد حكماً كالكلام فان الصحابة كانوا اذا فعلوا فعلاً على عادتهم
فسكت عنه علموا انه مباح في الدين فاشبه ذلك البيان باللسان فاستعار
لفظه له ومن كلام له عليه السلام ولئن امهل الله الظالم فلن يفوت اخذه
وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه وبموضع الشجا من مساغ ريقه اما والذي
نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم ليس لانهم اولى بالحق منكم ولكن
لاسراعهم الى باطل صاحبهم وابطائكم عن حقي ولقد اصبحت الامم تخاف
ظلم رعاتها واصبحت اخاف ظلم رعيتي استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا و
اسمعتكم فلم تسمعوا ودعوتكم سراً وجهراً فلم تستجيبوا ونصحت لكم

فلم

فلم تقبلوا اشهود كغياب وعبيد كارباب اتلو عليكم الحكم فتنفرون منها
واعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها واحثكم على جهاد اهل البغي
فما آتي على آخر قولي حتى اراكم متفرقين ايادي سبا ترجعون الى مجالسكم
وتتخادعون عن مواعظكم اقومكم غدوة فترجعون الي عشية كظهر
الحية عجز المقوم واعضل المقوم ايها الشاهدة ابدانهم الغائبة
عنهم عقولهم المختلفة اهواؤهم المبتلى بهم امراؤهم صاحبكم يطيع الله
وانتم تعصونه وصاحب اهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه لوددت
ان معوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فاخذ مني عشرة منكم واعطاني
رجلاً منهم يا اهل الكوفة منيت منكم بثلث واثنتين صم ذوو اسماع وبكم
ذوو كلام وعمي ذوو ابصار لا احرار صدق عند اللقاء ولا اخوان ثقة عند
البلاء تربت ايديكم يا اشباه الابل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت
من آخر والله لكاني بكم فيما اخال لو حمس الوغا وحمي الضراب قد انفرجتم
عن ابن ابي طالب انفراج المرأة عن قبلها اني لعلى بينة من ربي ومنهاج من
نبيي واني لعلى الطريق الواضح القطه لقطاً انظروا اهل بيت نبيكم والزموا سمتهم
واتبعوا اثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى فان لبدوا فالبدوا وان
نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا — فتهلكوا
لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما ارى احداً يشبههم لقد كانوا يصبحون
شعثاً غبراً قد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم و
يقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كان بين اعينهم ركب المعزى من
طول سجودهم اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تبل جيوبهم ومادوا كما يميد
الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء للثواب اقول المرصاد الطريق
يرصد بها والشجا الغصص قوله ولئن امهل الى قوله ريقه في معرض الوعيد لمعوية واهل
الشام باخذ الله بعقوبته والقوم اهل الشام وشبههم في شهودهم بالغياب

وفائدة كان في الموضعين تقريب الاحوال المستقبلة من الاحوال الواقعة
وكذا عسى وما عسى استفهام تحقير لما يرجى من البقاء في الدنيا وكنى بالطالب وكنى — وما عسى
بالحثيث عن الموت واستعار لفظ الحدق لما يتوهم من سوق اسباب الموت و
اليه وما في قوله ما يمضي مصدرية وكنى بهادم اللذات عن الموت والمساورة والمواثبة
وانما اتى بوزن المفاعلة باعتبار ان الفعل القبيح لا بد فيه من ممانع كوازع الشرع
والعرف فيتوهم فيه معنى المواثبة وما في الفعل ظاهر ومن خطبة له عليه
السلام الحمد لله الناشر في الخلق فضله والباسط فيهم بالجود يده نحمده في جميع
اموره ونستعينه على رعاية حقوقه ونشهد ان لا اله غيره وان محمداً عبده
ورسوله ارسله بامره صادعاً وبذكره ناطقاً فادى اميناً ومضى رشيداً و — ناطقاً
خلف فينا راية الحق من تقدمها مرق ومن تخلف عنها زهق ومن لزمها لحق دليلها — مرق
مكيث الكلام بطيء القيام سريع اذا قام فاذا انتم النتم له رقابكم واشرتم اليه باصابعكم — النتم
جاءه الموت فذهب به فلبثتم بعده ما شاء الله حتى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضم
نشركم فلا تطمعوا في غير مقبل ولا تيأسوا من مدبر فان المدبر عسى ان تزل احدى
قائمتيه وتثبت الاخرى فترجعا حتى تثبتا جميعاً الا ان مثل آل محمد صلى الله عليه وآله
كمثل نجوم السماء اذا خوى نجم طلع نجم فكانكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع
واراكم ما كنتم تاملون اقول لفظ [illegible] مجاز في النعمة اطلاقاً لاسم
السبب على المسبب والمقصود في الفعل ما يكون بعده من الراحة والعيش السني
وذكر انه صلى الله عليه صدع بامر الله بمعنى انه كسر وشق عصا المشركين وقطع
ما اتصل من كفرهم ودام من عقائدهم الباطلة وروى بذكره ناطقاً واستعار
لفظ الراية لكتاب الله وسنة رسوله واشار بتقدمها الى طرف الافراط من فضيلة
الاستقامة عليه وبالتخلف عنها الى طرف التفريط منها والتقصير وكنى بدليلها عن
نفسه اذ كان هو الهادي بالكتاب والسنة الى سبيل الله كما يهدي حامل الراية
بها وكنى بكونه مكيث الكلام اي بطيئه عن تأنيه في حركاته في الامور الى حين

تبين

يتبين الرأي الاصلح وبسرعة قيامه عن مبادرته الى الامر حين ظهور وجه المصلحة
فيه والتفاته للفرصة وبالانة رقابهم له عن خضوعهم لطاعته وباشارتهم اليه
بالاصابع عن اشتهاره فيهم وتعينه وتعظيمهم له ونبه بقوله فلبثتم بعده
ما شاء الله على انهم يخلون عن امام يجمعهم مدة واراد دولة بني امية
وبقوله حتى يطلع الله الى قوله نشركم على انه لا بد لهم بعد تلك المدة من تحقق يجمعهم
ولطلوع ظهوره وتعينه للرياسة بعد اختفا فقيل هو الامام المنتظر وقيل هو قائم
بني العباس بعد بني امية وقوله فلا تطمعوا في غير مقبل اي من لم يقبل على طلب
هذا الامر من اهله وآثر تركه الى الخلوة بالله فلا تطمعوا فيه فان له بالله شغلاً
وقيل اراد بغير المقبل من انحرف عن الدين بارتكاب منكر فانه لا يجوز الطمع في ان
يكون اميراً لكم وروي فلا تطعنوا في عين المقبل اي من اقبل عليكم من اهل البيت
طالباً لهذا الامر وهو من اهله فكونوا معه وكنى بالطعن في عينه عن دفعه عما يريد
وقوله ولا تيأسوا من مدبر الى قوله فتثبتا جميعاً اي من ادبر عن طلب الخلافة من
اهلها فلا تيأسوا من عوده الى الطلب فعساه انما ادبر لاختلال بعض الشرائط
التي يتعين عليه معها القيام واشار بزوال احدى قائمتيه الى فقده لبعض
الشرائط كعدم الناصر ونحوه وبثبات الاخرى الى وجدانه لبعضها وبقوله
فترجعا حتى تثبتا الى تكامل شرائط قيامه واراد بآل محمد الائمة منهم وقالت الامامية
هم الاثنا عشر من اهل البيت عليهم السلام واشار الى وجه شبههم بالنجوم
بقوله كلما خوى نجم اي سقط للمغيب اي كلما خلا سيد منهم قام بالامر بعده
سيد والامامية يستدلون بذلك بعد بيان عصمته عليه السلام على انه لا يخلو زمان
من ازمنة التكليف من وجود قائم من اهل البيت يهدي الى الحق والى صراط
مستقيم وقوله فكانكم الى آخره تنبيه على منة الله عليهم بامام منتظر يظهر فيصلح
بوجوده احوالهم ويتكامل به نعم الله لديهم ومن خطبة له عليه السلام تشتمل
على ذكر الملاحم الاول قبل كل اول والآخر بعد كل آخر باوليته وجب ان لا اول له

وباخريته وجب ان لا آخر له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة
يوافق فيها السر الاعلان والقلب اللسان ايها الناس لا يجرمنكم شقاقي ولا يستهوينكم
عصياني ولا تتراموا بالابصار عندما تسمعونه مني فوالذي فلق الحبة وبرأ
النسمة ان الذي انبئكم به عن النبي الامي صلى الله عليه وآله ما كذب المبلغ ولا
جهل السامع لكاني انظر الى ضليل قد نعق بالشام وفحص براياته في
ضواحي كوفان فاذا فغرت فاغرته واشتدت شكيمته وثقلت في الارض
وطأته عضت الفتنة ابناءها بانيابها وماجت الحرب بامواجها وبدا من الايام
كلوحها ومن الليالي كدوحها فاذا اينع زرعه وقام على ينعه وهدرت شقاشقه
وبرقت بوارقه عقدت رايات الفتن المعضلة واقبلن كالليل المظلم والبحر
الملتطم هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف ويمر عليها من عاصف وعن قليل
يلتف القرون بالقرون ويحصد القائم ويحطم المحصود اقول المحمود
لما كان معنى اوليته كونه مبدأ لكل موجود ومعنى آخريته كونه غاية ينتهي
اليها كل شيء في جميع احواله علم من ذلك ان لا اول له ولا آخر والا لم يكن اولا ولا
آخرا بالمعنيين المذكورين ولا يجرمنكم اي لا يحق عليكم واستهواه استماله و
الضليل كثير الضلال قيل هو اشارة الى السفياني الرجال وقيل اراد معوية
فان مبدأ دولته بالشام ودعوته بها وانتهت غاراته الى نواحي كوفان والانبار
والكوفان اسم للكوفة والضواحي النواحي البارزة ومفحص الطائر برجله الارض
بحثها وفغر فوه انفتح وهو كناية عن اقدامه وقوة طمعه في اموال الناس واشتداد
شكيمته قوة باسه ونفرته وقيل اراد عبد الملك بن مروان واستعار وصف
العض للفتنة باعتبار شدتها وايذائها الناس ورشح بذكر الانياب والكلوح
بشر في عبوس وهو [illegible] الشدة والكدح فوق الخدش وكنى به عن اذى الفتنة
واينع الزرع ادرك واستعار لفظه ووصفه لتمام فعله ولفظ الشقاشق والبوارق
لحركاته الهايلة واحواله المخوفة واراد ان هذا الخارج اذا عمت فتنته اثارة

فيها

فيها كثيرة بعدها الكوفة فيها الهرج والمرج وشبه تلك الفتن في اقبالها بالليل
المظلم باعتبار انه لا يهتدى فيها للحق كما لا يهتدى في الظلمة وبالبحر الملتطم باعتبار
عظمها واشار الى ما يلحق الكوفة بسبب تلك الفتنة من الوقايع والفتن
واستعار وصفي القاصف والعاصف لما يمر بها من الشدايد كالريح وقد وقع
فيها وفق اخباره فتن كثيرة ووقايع جمة كفتنة الحجاج والمختار واشار بالتفاف
بعض القرون ببعض الى اجتماعهم في بطن الارض واستعار لهم وصفي الحصد والحطم
ملاحظة لشبههم بما يحصد من الزرع ويداس وبالله التوفيق ومن خطبة له
عليه السلام يجري هذا المجرى وذلك يوم يجمع الله فيه الاولين والآخرين لنقاش
الحساب وجزاء الاعمال خضوعا قياما قد الجمهم العرق ورجفت بهم الارض
فاحسنهم حالا من وجد لقدميه موضعا ولنفسه متسعا اقول الفصل اقتصاص
لبعض اهوال يوم القيمة ونقاش الحساب الاستقصاء فيه والجمهم العرق بلغ
منهم الافواه وهو كناية عن غاية الشدة منها فتن كقطع الليل المظلم لا تقوم
لها قايمة ولا ترد لها راية تأتيكم مزمومة مرحولة يحفزها قايدها و
يجهدها راكبها اهلها قوم شديد كلبهم قليل سلبهم يجاهدهم في الله قوم
اذلة عند المتكبرين في الارض مجهولون وفي السماء معروفون فويل لك
يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله لا رهج له ولا حس وسيبتلى اهلك بالموت
الاحمر والجوع الاغبر اقول اندرج هذا الفصل بما سيقع بعده من الفتن
وخص فتنة صاحب الزنج بالبصرة وشبهها بقطع الليل المظلم في كونها لا يهتدى
فيها لوجه الخلاص منها وكنى بكونها لا يقوم لها قايمة الى قوله راية عن شدتها
واراد بقايدها منشيها وبراكبها اعوانه فيها استعارة وكذلك حفزها وهو
سوقها وجهدها سرعتها فيها استعارة اوصاف الناقة المركوبة لغاية الشدة
ملبعها في الفتنة واهلها الزنج وكلبهم شرهم وقلة سلبهم اذ لم يكونوا اهل
حرب وعدة وخيل ووصف مقاتليهم باوصاف المتقين ويحتمل ان يريد بهم

والجمهم

في الله اخلاص جهادهم في دفعهم وهلاكهم وظاهر انه لم يكن للزنج رهج وهو
الغبار ولا حس اذ لم يكن لهم خيل ولا قعقعة لجم وظاهر انهم من نقم الله
للعصاة وان عمت الفتنة اذ قل ما تختص الفتنة النازلة بقوم كما قال تعالى
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة والموت الاحمر كناية عن
القتل بالسيف وقيل ذلك اشارة الى الطاعون ووصف الجوع بالاغبر لان الجوع
ما اغبر معه الوجه وغيرت السحنة وقيل لانه يلصق صاحبه بالغبراء وواقعة
الزنج مشهورة ومن خطبة له عليه السلام انظروا الى الدنيا نظر الزاهدين
فيها الصادفين عنها فانها والله عما قليل تزيل الثاوي الساكن وتفجع
المترف الآمن لا يرجع ما تولى منها فادبر ولا يدرى ما هو آت منها فينتظر سرورها
مشوب بالحزن وجلد الرجال فيها منسوب الى الضعف والوهن فلا يغرنكم
كثرة ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها رحم الله امرءا تفكر فاعتبر واعتبر
فابصر فكان ما هو كاين من الدنيا عن قليل لم يكن وكان ما هو كاين من الآخرة
عما قليل لم يزل وكل معدود منقض وكل متوقع آت وكل آت قريب دان اقول
نظر الزاهدين فيها الصادفين عنها نظر الاحتقار لها والاعراض عنها والثاوي
المقيم بها فالجلد القوة واللام في قوله لقلة ما يصحبكم للتعليل اي لا يغرنكم
كثيرها لان الذي يصحبكم من ذلك قليل كالكفن ونحوه والاعتبار ما يفيده حركة
الفكر الى ما هو الحق من وجوب ترك الدنيا والعمل للآخرة وبالابصار ما يلزم ذلك
الانتقال من ادراك الحق ومشاهدته بعين البصيرة ثم افاد بالتشبيه الاول تقريب
حال وجود متاع الدنيا من عدمه وبالتشبيه الثاني تقريب حال عدم الاحوال الاخروية
من وجودها ونبه على ذلك بقياس كامل من الشكل الاول وهو قوله وكل متوقع
الى آخره منها العالم من عرف قدره وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره وان
من ابغض الرجال الى الله لعبدا وكله الله الى نفسه جاير عن قصد السبيل ساير
بغير دليل ان دعي الى حرث الدنيا عمل وان دعي الى حرث الآخرة كسل كان ما عمل

له

له واجب عليه وكان ما ونى فيه ساقط عنه اقول حصر العالم فيمن عرف قدره
لان ذلك يستلزم معرفته لنفسه ونسبتها الى ومقدار مرتبته من خلق الله وفي
ذلك تمام العلم ويلزم من ذلك ان من لا يعرف قدره لا يكون عالما لان سلب
اللازم يستلزم سلب الملزوم فيكون اذن جاهلا واشار الى قوة ذلك الجهل
بقوله وكفى الى قوله قدره واراد بالدليل ما هدى الى الحق من امام او كتاب
او سنة وما عمل له هو الدنيا وما ونى فيه حرث الآخرة والفصل منها وذلك
زمان لا ينجو فيه الا كل مؤمن نومة ان شهد لم يعرف وان غاب لم
يفتقد اولئك مصابيح الهدى واعلام السرى ليسوا بالمساييح ولا بالمذاييع
البذر اولئك يفتح الله لهم ابواب رحمته ويكشف عنهم ضراء
نقمته ايها الناس سيأتي عليكم زمان يكفأ فيه الاسلام كما يكفأ الاناء
بما فيه ايها الناس ان الله تعالى قد اعاذكم من ان يجور عليكم ولم يعذكم
من ان يبتليكم وقد قال جل من قائل ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين قال
السيد رحمه الله اما قوله كل مؤمن نومة فانما اراد به الخامل الذكر القليل الشر
والمساييح جمع مسياح وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمايم والمذاييع
جمع مذياع وهو الذي اذا سمع لغيره بفاحشة اذاعها ونوه بها والبذر جمع بذور
وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه اقول ذلك اشارة الى زمان بني امية
وما بعدها واولئك اشارة الى كل مؤمن وروى نومة بسكون الواو وهو
الضعيف واستعار لهم لفظ المصابيح والاعلام لهدى الخلق بهم في سبيل الله
وكفأت الاناء كببته لوجهه واستعار وصف الكفاء للاسلام باعتبار
خروجه عن الانتفاع به كما ينقلب ما في الاناء من ماء وغيره وذلك وجه الشبه
واعاذة الله لعباده من الظلم في قوله وما ربك بظلام للعبيد ومن
كلام له عليه السلام وقد تقدم مختارها اما بعد فان الله سبحانه بعث
محمدا صلى الله عليه وآله وليس احد من العرب يقرأ كتابا ولا يدعي نبوة ولا وحيا

فقاتل بمن اطاعه من عصاه يسوقهم الى منجاتهم ويبادر بهم الساعة
ان تنزل بهم يحسر الحسير ويقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته
الا هالكا لا خير فيه حتى اراهم منجاتهم وبواهم محلتهم فاستدارت
رحاهم واستقامت قناتهم وايم الله لقد كنت من ساقتها حتى تولت بحذافيرها
واستوسقت في قيادها ما ضعفت ولا جبنت ولا خنت ولا وهنت و
ايم الله لابقرن الباطل حتى اخرج الحق من خاصرته قال السيد قد تقدم مختار هذه
الخطبة الا انني وجدتها في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان
واوجبت الحال اثباتها اقول الحسير الذي اعيا في طريقه وقوله يحسر الى قوله ثانية م
لا خير فيه بعض مكارم اخلاق الرسول عليه السلام من الشفقة على الخلق ومنجاتهم
هداهم بالاسلام الذي هو محل نجاتهم من عذاب الله ومحلتهم مقامهم من الدين
والملك وبواهم اقامهم ذلك المقام واوصلهم اياه والرحا القطعة من الارض
تستدير وترتفع على ما حولها واستعار لفظها لحالهم باعتبار اجتماعهم وارتفاعهم
على غيرهم والضمير في ساقتها للعرب وحذافيرها جميعها واستوسقت انتظمت
في دخول الاسلام واستعار لفظ البقر لتفريق الباطل عن الحق وتمييزه
منه ولفظ الخاصرة ترشيح الاستعارة وباقي الفصل ظاهر بتمامه ومن خطبة
له عليه السلام حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم شهيدا وبشيرا و
نذيرا خير البرية طفلا وانجبها كهلا اطهر المطهرين شيمة واجود المستمطرين البرية م
ديمة فما احلولت لكم الدنيا في لذتها ولا تمكنتم من رضاع اخلافها الا من بعد ما
صادفتموها جائلا خطامها قلقا وضينها قد صار حرامها عند اقوام بمنزلة
السدر المخضود وحلالها بعيدا غير موجود وصادفتموها والله ظلا ممدودا
الى اجل معدود فالارض لكم شاغرة وايديكم فيها مبسوطة وايدي القادة عنكم
مكفوفة وسيوفكم عليهم مسلطة وسيوفهم عنكم مقبوضة الا ان لكل دم ثائرا
ولكل حق طالبا فان الثائر في دمائنا كالحاكم في حق نفسه وهو الله الذي لا يعجزه

من

من طلب ولا يفوته من هرب فاقسم بالله يا بني امية عما قليل لتعرفنها في ايدي غيركم
وفي دار عدوكم الا ان ابصر الابصار ما نفذ في الخير طرفه الا ان اسمع الاسماع ما وعى
التذكير وقبله ايها الناس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ وامتاحوا
من صفو عين قد روقت من الكدر فيا عباد الله لا تركنوا الى جهالتكم ولا تنقادوا
لاهوائكم فان النازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف هار ينقل الردى على ظهره
من موضع الى موضع لراي يحدثه بعد راي يريد ان يلصق ما لا يلتصق ويقرب ما لا يتقارب
فالله الله ان تشكوا الى من لا يشكي شجوكم ومن ينقض برايه ما قد ابرم لكم انه ما قد م
ليس على الامام الا ما حمل من امر ربه الابلاغ في الموعظة والاجتهاد في النصيحة و
الاحياء للسنة واقامة الحدود على مستحقيها واصدار السهمان على اهلها فبادروا
العلم من قبل تصويح نبته ومن قبل ان تشغلوا بانفسكم عن مستثار العلم من
عند اهله وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه فانما امرتم بالنهي بعد التناهي اقول
الفصل غاية الكلام سبق فيه ذكر العرب وما كانت عليه من سوء الحال النجابة
الكرم والشيمة الخلق واستعار له لفظ الديمة وهي المطر الذي لا رعد له ولا
برق باعتبار غاية جوده صلى الله عليه وآله وكان اذا امسى آوى الى البيت
فلا يجد فيه شيئا من ذهب او فضة الا تصدق به ولم يبت في بيته شيء منه
وشيمة وديمة تمييز والاحلولاء والخطاب للعرب واستعار لفظ الاخلاف جمع
خلف وهو حلمة ضرع الناقة لوجوه المطالب والمكاسب من الدنيا ووصف
الناقة من الجولان للخطام وقلق الوضين وهو حزام القتب باعتبار عدم صلاح
الدنيا لعدم الرسول صلى الله عليه وآله ومن تجري الامور على سنن الحق ووجه
الشبه بالسدر المخضود استحلال الحرام واستعار لها لفظ الظل باعتبار كون ما
ينتفع به منها في معرض الزوال ولفظ الشاغرة باعتبار خلوها عن مدبر يقال
بعيث البلاد شاغرة برجلها اذا خلت عن مدبرها وقوله وان الثائر الى
قوله وهو الله يريد ان دماهم عليهم السلام ودما غيرهم ممن عصم دمه يجري

مجرى الحق للتقي انه لا بد من طلبه وهو الحاكم المطلق فهو الثائر بالنفسه
كالحاكم في حق نفسه لها وذكر في معرض الوعيد والتهديد في قوله لتعرفنها للدنيا
او للامرة واستعار لفظ المصباح لنفسه ورشح بذكر الشعلة ووصف الصحة لا
ستفادة العلوم والماتح جاذب الدلو من البئر ولفظ العين له ووصف تروقها
عن الكدر براءة نفسه القدسية عن شوائب شبه الباطل واشار بهذا المنزل
الى مقام الركون الى الجهل والانقياد للهوى واصل هار هائر اي متهدم
واراد ان الباني لامره على جهالته في معرض ان لا يتم عمله لكونه على غير اصل
والردى الهلاك واراد بنقله من موضع الى آخر ان المشير بالراي عن جهل منه
يشير على واحد بما يستلزم اذاه وهلاكه ثم ينقل ذلك الراي المهلك الى غيره فيكون
كناقل الهلاك من واحد الى آخر لراي يحدثه بعد راي وقوله يريد الى قوله يتقارب
اي يريد مثلا الصلح بين الناس كما كان يشير به بعض اصحابه ممن لا يرى الحرب
بينه وبين معاوية مع مخالفة ذلك الصلح للحق وكون الراي به يستلزم تفرق الكلمة
فلا يلتصق بالحق ولا يليق به ويقرب بذلك الراي ما لا يتقارب من القلوب
والطباع ومن لا يشكي شجوهم اي حزنهم كالمنافقين فلا يشيرون بما ينبغي واستعار
لفظ تصويح البيت تنبيه لموته عليه السلام ونبه على انهم ستشغلون عن العلم
وما يستفاد منه اي بالحوادث والفتن بعده واكثر الفصل ظاهر وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي شرع الاسلام فسهل شرائعه لمن ورده
واعز اركانه على من غالبه فجعله امنا لمن علقه وسلما لمن دخله وبرهانا
لمن تكلم به وشاهدا لمن خاصم به ونورا لمن استضاء به وفهما لمن عقل
ولبا لمن تدبر وآية لمن توسم وتبصرة لمن عزم وعبرة لمن اتعظ ونجاة
لمن صدق وثقة لمن توكل وراحة لمن فوض وجنة لمن صبر فهو ابلج المناهج
واضح الولائج مشرف المنار مشرق الجواد مضيء المصابيح كريم المضمار رفيع الغاية جامع
الحلبة متنافس السبقة شريف الفرسان التصديق منهاجه والصالحات مناره

والموت

اقول م والموت غايته والدنيا مضماره والقيامة حلبته والجنة سبقته شرائعه
لشرائع الاسلام جعلها واضحة للزكي والغبي واعزاز اركانه حماسها من قصد
هدمها واستعار لفظ الامن له باعتبار سلامة داخله من عذاب الله و
لفظ السلم باعتبار عدم اداءه لمن دخله فهو كالسلم لمن له ولفظ النور باعتبار
هدايته وفهما اي مفهوما واطلق عليه لفظ الفهم مجازا اطلاقا لاسم المسبب
على السبب اذ هو سبب فهم من فهم عنه وعقل متاعقه وكذلك لفظ اللب
وهو العقل اذ كان يلب تدبره سببا لمراتب العقل والآية العلامة والتوسم التفرس
من تفرس الخير في الاسلام كان علامة له عليه ومن عزم على امر كان في الاسلام
تبصرة وهداية الى كيفية فعله وعبرة لمن اتعظ اي فيه معبر لذهن الخائف
من الله اليه وفيه الثقة بالله للمتوكلين كله كقوله تعالى ومن يتوكل على الله
فهو حسبه والقران اصل الدين والاسلام وفيه الندب الى تفويض الامور الى الله
عليه وعلى ما لم يعلم منها وترك التكليف بذلك وهو راحة وجنة صبر اي على العمل
الصالح ومناهج الاسلام طرقه من الكتاب والسنة والابلج الواضح المشرق والولائج
البواطن والاسرار وهي لمن تدبرها وجوادة طرقه واستعار لفظ المنار وهي الاعلام
والمصابيح لائمة الدين وكنى باشرافها عن علو قدرهم واستعار لفظ المضمار للدنيا
باعتبار ان النفوس تضمر فيه للسباق الى حضرة الله وظاهر كرم ذلك المضمار وشرفه
وغايته الوصول الى حضرة الربوبية ولا ارفع منها مرتبة واستعار لفظ الحلبة
للقيمة والسبقة للجنة ومتنافس السبقة اي سبقته مما تنافس فيها وفرسانه
المؤمنون والصديقون وقوله التصديق منهاجه الى آخره تفسير الامور السابقة
واراد التصديق بالله وما جاء به الاسلام واشتمل عليه وبالله التوفيق ومنها
في ذكر النبي صلى الله عليه وآله حتى اورى قبسا لقابس وانار علما لحابس فهو امينك
المامون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك الى الخلق رحمة اللهم
له مقسما من عدلك واجزه مضعفات الخير من فضلك اللهم اعل على بناء

ولفظ الذوابة وهي ما تدلى من الشعر ونحوه باعتبار هبوط هذا الصنف وتوليهم
من مقام العز والشرف وهي خطاير القريش وبطحا مكة بسيط واديها وسرة
الوادي اشرف موضع فيه واستعار لفظ المصابيح للانبيا والهداية للخلق
بهم ولفظ الينابيع لتفجر العلوم والحكمة عنهم منها طبيب دوار بطبه
قد احكم مراهمه واحمى مواسمه يضع من حيث الحاجة اليه من قلوب عمي
واذان صم والسنة بكم متتبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة
لم يستضيئوا باضواء الحكمة ولم يقدحوا بزناد العلوم فهم في ذلك كالانعام
السائمة والصخور القاسية قد انجابت السرائر لاهل البصائر ووضحت محجة
الحق لخابطها واسفرت الساعة عن وجهها وظهرت العلامة لمتوسمها
ما لي اراكم اشباحا بلا ارواح وارواحا بلا اشباح ونساكا بلا صلاح
وتجارا بلا ارباح وايقاظا نوما وشهودا غيبا وناظرة عميا وسامعة صما
وناطقة بكما راية ضلال قد قامت على قطبها وتفرقت بشعبها تكيلكم
بصاعها وتخبطكم بباعها قائدها خارج من الملة قائم على الضلة فلا يبقى يومئذ
منكم الا ثفالة كثفالة القدر او نفاضة كنفاضة العكم يعرككم عرك الاديم
وتدوسكم دوس الحصيد ويستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الطير الحبة البطينة
من بين هزيل الحب اين تذهب بكم المذاهب وتتيه بكم الغياهب وتخدعكم
الكواذب ومن اين تؤتون وانى تؤفكون ولكل اجل كتاب ولكل غيبة اياب
فاستمعوا من ربانيكم واحضروه قلوبكم واستيقظوا ان هتف بكم وليصدق
رائد اهله وليجمع شمله وليحضر ذهنه فلقد فلق لكم الامر فلق الخرزة وقرفه قرف
الصمغة فعند ذلك اخذ الباطل ماخذه وركب الجهل مراكبه وعظمت الطاغية وقلت
الداعية وصال الدهر صيال السبع العقور وهدر فنيق الباطل بعد كظوم
وتواخى الناس على الفجور وتهاجروا على الدين وتحابوا على الكذب وتباغضوا
على الصدق فاذا كان ذلك كان الولد غيظا والمطر قيظا وكان اهل ذلك

الزمان

الزمان ذيابا وسلاطينه سباعا واوساطه اكالا وفقراؤه امواتا وغاض
الصدق وفاض الكذب واستعملت المودة باللسان وتشاجر الناس بالقلوب
وصار الفسوق نسبا والعفاف عجبا ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا اقول
اراد بالطبيب نفسه فانه طبيب مرض الجهل ورذائل الاخلاق ودوار
بطبه لتعرضه لعلاج الجهال ونصب نفسه لذلك واستعار لفظ المراهم
لما عنده من العلم والحكمة ولفظ المواسم وهي المكاوي لما عنده من العقوبة
على اصلاح من لا تنفعه الموعظة ومن يحتاج الى الجلد والقطع وساير الحدود
فهو كالطبيب الكامل يضع كل واحد من ادويته حيث الحاجة اليه من
عمي بعتها الفهم مراد الله واذان صم بعدها السماع الموعظة وتجوز
بلفظ الصم في عدم انتفاعها بالموعظة اطلاقا لاسم السبب على المسبب
ومن السنة بكم يطلقها بذكر الله واستعار لها لفظ البكم باعتبار عدم
تكلمها بما ينبغي ومواضع الغفلة والحيرة كناية عن قلوب الجهال و
استعار لفظ الزناد للفكر ووصف القدح لاكتساب العلم به وقوله فهم
في ذلك اي في عدم استضاءتهم باضواء الحكمة وغفلتهم في الدنيا كالانعام
الصايم وكالصخور القاسية في عدم انفعالهم عن المواعظ وانجابت انكشفت
والسراير ما يكون بعده من الحوادث وذو البصاير نفسه عليه السلام واهل
بيته ويحتمل ان يريد بالسراير امراد الدين ومنازل سبيل الله وكذلك قوله
ووضحت محجة الحق لخابطها والمحجة الطريق القاصد وكنى باسفار الساعة
عن بدوها وقرب الفطن وقربها بعلاماتها المتفرسة وهي الفتن وكنى
بكونهم اشباحا بلا ارواح عن غفلتهم وعدم انتفاعهم بعقولهم
فيما ينبغي من طاعة الله وارواحا بلا اشباح قيل هو مع ما قبله في معرض
التنقيص لهم فان فيهم من هو كروح بلا جسد في قلة نهضته للحرب والجهاد
وذلك للكثير من زهادهم ومعتزلي الحرب منهم كعبد الله بن عمر وغيره

والنساك بلا صلاح كناية عن زهد منهم عن جهل ورياء وتجارا بلا ارباح
لمعاملتهم لله بالاعمال المدخولة التي لا ثواب فيها وايقاظا نوما اي ايقاظ
العيون نوم العقول وشهودا ابدانهم غيبا بعقولهم عن قبول انوار الله و
ناظرة اي نفسا ناظرة بحستها وعميا بعين بصيرتها وكذلك سامعة صما عن قبول
قبول الموعظة وناطقة بكما عما ينبغي لها من القول وروي عميا وصما وبكما
صفة للجمع اي نفوسا كذلك وقوله راية ضلال اي هذه راية ضلالة
واراد ما قرب ظهوره من قيام دولة بني امية فهو كالموجود المشار اليه وكنى
بقيامها على قطبها عن اجتماع اهلها على من تدور عليه من الرؤساء وتفرقها
شعبها وانتشارها في الافاق واستعار لها وصف الكيل باعتبار اهلاكها لهم
جزافا ووصف الخبط ملاحظة لشبهها بالناقة النفور وقائدها القايم على الضلة
وقوفه على طريق الضلال لاضلال الخلق وفتنتهم وكنى بالثفالة عمن لا خير فيه
من الارذال والعكم العدل ونفاضته ما بقي فيه من اجزاء الزاد واراد انه لا يبقى
منهم يومئذ من يلتفت اليه ممن له شهرة واستعار وصف العرك للعنف
باعتبار ما ينزل بهم من بلائها ووصف الدوس باعتبار اهانتها لهم واستخلاص
المؤمن لايقاع المكروه به والغياهب ظلمات الجهل والكواذب النفوس
الامارة الخادعة للانسان بالامال الكاذبة وانى بمعنى متى اي متى تصرفون
عما انتم عليه من الغفلة والرباني العالم علم الربوبية وعنى نفسه وقوله وليصدق
رائد اهله مثل واصله لا يكذب رائد اهله واراد ان يبلغ كل من الحاضرين
اهله وقبيلته ما سمع منه من الحكمة والموعظة ليرجعوا الى طاعته وينتفعوا
بعلمه كما يرجع طالب الكلاء والماء الرائد له الى قومه فيبشرهم ويحتمل
ان يريد بالرائد الفكر وباهله النفس الانسانية فكانه قال فليصدق افكاركم
نفوسكم اذ كان الفكر مبعوثا من قبل النفس في طلب مرعاها وماحياتها من
العلوم والكمالات كالرائد لاهله وصدقه لها تصرفه على حسب العقل فيما

يشربه

يشربه دون مشاركة الهوى فانه اذا لم تسلمه النفس عن مشاركة هوى كذبها
وردها بعزور وقوله وليجمع شمله اي ما تفرق من خواطره وهمومه في امور
الدنيا وفلق الامر اوضحه وشق ظلمة الجهل عن مصابيح اليقين وخص
فلق الخرزة لان فلقها لا يكاد يلتحم ويخفى وقرفه قرف الصمغة التي علمه
اليهم بالكلية يقال تركته على مثل مقرف الصمغة اذا لم يترك له شيئا لان الصمغة
تقتلع من شجرتها حتى لا يبقى عليها علقة وقوله فعند ذلك متصلت بقوله من
بين هزيل الحب واخذ الباطل ما خذه استحكامه واستقراره في مقاره ومراكب
الجهل حملته واستعار له وصف الركوب ملاحظة له بالمستعد المغير والطاغية
الفئة الطاغية الداعية رعاة الدين وروي انه الداعية اي الفرقة الداعية الى الله
واستعار لفظ الفنيق وهو الفحل المكرم ووصف الهدير لاستعلال الباطل وتوقه
يومئذ ولفظ الكظوم وهو امساك البعير عن الجرات لضعف الباطل وسكون
الفتن في زمان العدل وكون الولد غيظا اي سببا للغيظ والوالد لنشوه على غير دين
وادب ناظم له او لحاجته الى مؤونته التي تصعب في زمن الجور وكون المطر
قيظا كناية عن الجدب واستعداد الزمان للشر والمفسدة لحال الخلق بسبب
الجود اذ المطر القيظي لا ينبت ما ينتفع به من الزروع ومقتضى قسمته عليه السلام
الناس اربعة اقسام سلاطين واكابر واوساط وفقراء واستعارة لفظ
السباع للسلاطين ولفظ الذباب للاكابر باعتبار تسلطهم على من دونهم
من اهل الحرفة والتجر وهم اكالا لهم جمع اكلة ولفظ الاموات للفقراء باعتبار
انقطاع مادة الحياة عنهم واستيلاء الظلمة عليهم وتشبيه لبس الاسلام
بلبس الفرو كناية عن النفاق واستعمال الاسلام في الظاهر دون الباطن بخلاف
مراد عناية الله به كلبس الفرو وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام
كل شيء خاشع له وكل شيء قائم به غنا كل فقير وعز كل ذليل وقوة كل ضعيف
ومفزع كل ملهوف من تكلم سمع نطقه ومن سكت علم سره ومن عاش

وعليهم زيغه وتشتات فالى منقلبه لم ترك العيون فتخبر عنك بل كنت قبل
الواصفين من خلقك لم تخلق الخلق لوحشة ولا استعملتهم لمنفعة ولا يسبقك
من طلبت ولا يفلتك من اخذت ولا ينقص سلطانك من عصاك ولا يزيد في
ملكك من اطاعك ولا يرد امرك من سخط قضاءك ولا يستغني عنك من تولى عن
امرك كل سر عندك علانية وكل غيب عندك شهادة انت الابد فلا امد لك وانت
المنتهى فلا محيص عنك وانت الموعد لا منجا منك الا اليك بيدك ناصية كل دابة
واليك مصير كل نسمة سبحانك ما اعظم ما نرى من خلقك وما اصغر عظيمه في
جنب قدرتك وما اهول ما نرى من ملكوتك وما احقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك
وما اسبغ نعمك في الدنيا وما اصغرها في نعم الاخرة اقول تخشع الاشياء له خوفا
فيما يتوهم من ذلته لحاجته اليه وقيامها به في الوجود قيام المعلول بعلته والملهوف
المظلوم بمستغيث وسمعه تعالى يعود الى علمه بالمسموعات وقوله فتخبر عنك اي
ارباب العيون او لم تر كارباب العيون بعيونهم فحذف المضاف وقد مر
تنزيهه تعالى عن الوحشة والمنفعة وقوله انت الابد فلا امد لك اي الدائم
فلا غاية لك وقيل ذو الابد والدوام والمحيص المعدل وباقي الفصل ظاهر منها
[illegible] اسكنتهم سمواتك ورفعتهم عن ارضك هم اعلم خلقك بك — من ملائكة
واخوفهم لك واقربهم منك لم يسكنوا الاصلاب ولم يضمنوا الارحام ولم
يخلقوا من ماء مهين ولم يتشعبهم ريب المنون وانهم على مكانهم منك ومنزلتهم — المنون
عندك واستجماع اهوائهم فيك وكثرة طاعتهم لك وقلة غفلتهم عن امرك
لو عاينوا كنه ما خفي عليهم منك لحقروا اعمالهم ولازروا على انفسهم ولعرفوا
انهم لم يعبدوك حق عبادتك ولم يطيعوك حق طاعتك سبحانك خالقا
ومعبودا بحسن بلائك عند خلقك خلقت دارا وجعلت فيها مأدبة
مشربا ومطعما وازواجا وخدما وقصورا وانهارا وزروعا وثمارا ثم
ارسلت داعيا يدعو اليها فلا الداعي اجابوا ولا فيما رغبت رغبوا

ولا

باكلها
ولا الى ما شوقت اليه اشتاقوا اقبلوا على جيفة قد افتضحوا
واصطلحوا على حبها ومن عشق شيئا اعشى بصره وامرض قلبه فهو ينظر
بعين غير صحيحة ويسمع باذن غير سميعة قد خرقت الشهوات عقله
واماتت الدنيا قلبه وولهت عليها نفسه فهو عبد لها ولمن في يديه
شيء منها حيثما زالت زال اليها وحيثما اقبلت اقبل عليها ولا
ينزجر من الله بزاجر ولا يتعظ منه بواعظ وهو يرى المأخوذين على الغرة
حيث لا اقالة ولا رجعة كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون وجاءهم من فراق
الدنيا ما كانوا يأمنون وقدموا من الاخرة على ما كانوا يوعدون فغير
موصوف ما نزل بهم اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت ح — اجتمعت
ففترت لها اطرافهم وتغيرت لها الوانهم ثم ازداد الموت فيهم ولوجا
فحيل بين احدهم وبين منطقه وانه لبين اهله ينظر ببصره ويسمع باذنه
على صحة من عقله وبقاء من لبه يفكر فيم افنى عمره وفيم اذهب دهره
ويتذكر اموالا جمعها اغمض في مطالبها واخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها
قد لزمته تبعات جمعها واشرف على فراقها تبقى لمن وراءه ينعمون فيها
ويتمتعون بها فيكون المهنأ لغيره والعبء على ظهره والمرء قد غلقت
رهونه بها فهو يعض يده ندامة على ما اصحر له عند الموت من امره ويزهد
فيما كان يرغب فيه ايام عمره ويتمنى ان الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها
قد حازها دونه فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط سمعه فصار بين
اهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه يردد طرفه بالنظر في وجوههم يرى
حركات السنتهم ولا يسمع رجع كلامهم ثم ازداد الموت التياطا به فقبض بصره
كما قبض سمعه وخرجت الروح من جسده فصار جيفة بين اهله قد اوحشوا
من جانبه وتباعدوا من قربه لا يسعد باكيا ولا يجيب داعيا ثم حملوه الى
الى مخط في الارض واسلموه فيه الى عمله وانقطعوا عن زورته حتى اذا بلغ الكتاب

اجله والامر مقاديره والحق آخر الخلق باوله وجاءه من امر الله ما يريده من
تجديد خلقه اماد السماء وفطرها وارج الارض وارجفها وقلع جبالها ونسفها
ودك بعضها بعضا من هيبة جلالته ومخوف سطوته واخرج من فيها فجددهم
بعد اخلاقهم وجمعهم بعد تفريقهم ثم ميزهم لما يريد من مسألتهم عن الاعمال
وخبايا الافعال وجعلهم فريقين انعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء فاما اهل الطاعة
فاثابهم بجواره وخلدهم في داره حيث لا يظعن النزال ولا يتغير بهم الحال
ولا تنوبهم الافزاع ولا تنالهم الاسقام ولا تعرض لهم الاخطار ولا تشخصهم الاسفار
واما اهل المعصية فانزلهم شر دار وغل الايدي الى الاعناق وقرن النواصي
بالاقدام والبسهم سرابيل القطران ومقطعات النيران في عذاب قد اشتد حره
وباب قد اطبق على اهله في نار لها كلب ولجب ولهب ساطع وقصيف — اغلق
هائل لا يظعن مقيمها ولا يفادى اسيرها ولا تفصم كبولها لا مدة للدار
فتفنى ولا اجل للقوم فيقضى اقول انما كانت الملائكة اعلم خلق الله به لبراءة
علومهم عن منازعة النفس الامارة ولقربهم من ابداع قدرته وكونهم اخوف
لكونهم اعلم به وريب المنون حادث الموت وقوله وانهم الى قوله طاعتك اشارة
الى تنزيهه تعالى عن اطلاع الملائكة على كنه معرفته لان ذلك غير ممكن لاحد
سواه كما مر بيانه والباء في قوله بحسن بلائك قيل انها تتعلق بسبحانك
اي انزهك بهذا الاعتبار وخالقا ومعبودا حالان ويحتمل ان يتعلق
بمعبود ويحتمل ان يتعلق بخلقت واستعار لفظ الدار للاسلام باعتبار
جمعه لاهله ولفظ المأدبة وهي الطعام يدعا اليه للجنة باعتبار جمعها
للمشتهيات الداعي هو الرسول صلى الله عليه وآله وقد جمعها في قوله ان الله
جعل الاسلام دارا والجنة مأدبة والداعي اليها محمدا واستعار لفظ الجيفة
للدنيا لاستقذار نفوس الاولياء لها ووصف الافتضاح باكلها للاستهتار
باقتنائها والخروج به عن شعار الصالحين وطاعة الله ووصف العشا لما

يعرض

يعرض لابصار بصائر اهلها من اغطية الجهل وفساد نظرها فلا تبصر
ما ينتفع به ولا تسمع ما يتعظ به ووصف التحرق لتفريق افكاره في تحصيل
المشتهيات ووصف الاماتة لاخراج قلبه عن الانتفاع به في امر الاخرة
فهو كالميت عنها ووهلت عليها نفسه اي حيرته محبة لها وقوله فغير موصوف
ما نزل بهم اي لشدته فاغمض في مطالبها اي تساهل في وجوه اخذها ولم يضبط
دينه فيها ومصرحاتها ما وضح منها والمهنأ المصدر من هنؤ يهنأ والعبء
الثقل واستعار وصف غلق الرهون ملاحظة لعدم انفكاك نفسه من تبعاتها
المشبه لغلق الرهن بما عليه من مال واصحر ظهر وانكشف ورجع القول جوابه
وترديده والالتياط الالتصاق والمخط كناية لبقاء الخلق في الدنيا او في البرزخ
والمقطعات ثياب من نار والكلب الشدة واللجب غلبة الاصوات والقصيف
الصوت الشديد والكبول جمع كبل وهو القيد الضخم وصفة الجنة واحوالها
وغايتها في غاية الوضوح والله ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله قد حقر
الدنيا وصغرها واهون بها وهونها وعلم ان الله زواها عنه اختيارا وبسطها
لغيره احتقارا فاعرض عن الدنيا بقلبه واماتت ذكرها من نفسه واحب ان تغيب
زينتها عن عينه لكي لا يتخذ منها رياشا او يرجو فيها مقاما بلغ عن ربه معذرا
ونصح لامته منذرا ودعا الى الجنة مبشرا نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة و
مختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة وعدونا
ومبغضنا ينتظر السطوة اقول روي حقر مخففا ومشددا اي زهد فيها او
زهد غيره فيها وكذلك اهوانه بها وتهوينه لها والرياش اللباس والزينة
والمعذر الذي ابلى في العذر فلا يلام بعذره واستعار لفظ الشجرة لبني هاشم وكذلك
لفظ المعادن والينابيع والسطوة المنتظرة لعدوهم من الله تعالى والفصل واضح
ومن خطبة له عليه السلام ان افضل ما توسل به المتوسلون الى الله سبحانه الايمان
به وبرسوله والجهاد في سبيله فانه ذروة الاسلام وكلمة الاخلاص فانها الفطرة

وإقامة الصلاة فإنها الملة وإيتاء الزكاة فإنها فريضة واجبة وصوم شهر رمضان
فإنه جنة من العقاب وحج البيت واعتماره فإنهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب
وصلة الرحم فإنها مثراة في المال ومنساة في الأجل وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة
وصدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء وصنائع المعروف فإنها تقي مصارع
الهوان أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر وارغبوا فيما وعد المتقين فإن
وعده أصدق الوعد واقتدوا بهدي نبيكم فإنه أفضل الهدي واستنوا
بسنته فإنها أهدى السنن وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث وتفقهوا فيه
فإنه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور وأحسنوا تلاوته
فإنه أنفع القصص وإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق
من جهله بل الحجة عليه أعظم والحسرة له ألزم وهو عند الله ألوم أقول أراد
أن أفضل الوسائل إلى الله الإيمان الكامل فالإيمان بالله ورسوله هو أصله وباقي
الفرائض والسنن كمالات له ورغب في كل منها بضمير صغراه قوله فإنه كذا وتقدير
الكبرى في الكل وكل ما كان كذلك فينبغي أن يفعل واستعار لفظ الذروة للجهاد
لأنه أصل لقيام الدين في الوجود فكان أشرف وأعلى من غيره من سائر العبادات
والفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها من التعبد له والإقرار بربوبيته وجعل
الصلاة هي الملة مجازا اتساعا لأنها أكثر أشيائها الأعلى عمود الملة في جميع أجزائها
وهو الالتفات إلى الله تعالى ودوام ملاحظة عظمته قال الراوندي رحمه الله أراد
بكون الزكاة فريضة كونها شيئا مقتطعا من المال وجوبا وإلا لما كان لتخصيصها
بالفريضة من بين سائر الفرائض معنى وخصص صوم رمضان باستعارة لفظ الجنة
لأنه أشد في كسر النفس الأمارة وقطع وسائل الشيطان التي هي الشهوات ولذلك قال صلى
الله عليه وآله إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع
وكان الصوم على الخصوص أشق قمعا للشيطان من سائر العبادات فكان أقوى جنة
في دفع ما يلزم بسببه من العقاب ورغب في الحج والعمرة لفضيلتين دنيوية

وهي

كونهما ينفيان الفقر وكان ذلك بسبب التجارة الحاصلة في موسم الحج وقيام
الأسواق بمكة حينئذ وأخروية وهي كونهما يرحضان الذنب أي يغسلانه
وكون صلة الرحم مثراة للمال فيحتمل له سببان أحدهما العناية الإلهية قسمت
لكل حي قسطا من الرزق مدة حياته فإذا أعوز شخصا من الناس للقيام
بأمر جماعة وكفالتهم بإمدادهم وجب في العناية إفاضة أرزاقهم بحسب
استعداده لذلك وهو معنى كونه مثراة في المال الثاني أن صلة الرحم من
الأخلاق الحميدة التي يستمال بها طباع الخلق ويستجلب عواطفهم فيكون سببا
لإمداده ومعونته من ذوي الإمداد والمعونات كالملوك وغيرهم فكانت مثراة
وأما كونها منساة في الأجل فلأنها يوجب تعاطف ذوي الأرحام ومعاضدتهم
لواصلهم فيكون عن أذى الأعداء أبعد وذلك مظنة طول عمره وتأخيره ولأنها
توجب تعلق هممهم ببقائه وإمداده بالدعاء والذي قد يكون شرطا في بقائه
فكانت صلتهم منساة والمنساة محل النسء وهو التأخير وكون صدقة السر
تكفر الخطيئة لأنها أبعد عن الرياء وأقرب إلى رضاء الله ويكفرها سترها
وكون صدقة العلانية تدفع ميتة السوء لاستلزامها الشهرة بفعل الخيرات
والذكر الجميل ومحبة المتصدق وذلك يمنع غالبا من ميتات السوء كالقتل
والحريق وكلما يكون بقصد الغير وفعله لمكان محبته واشتهاره بفعل الجميل
والإفاضة فذكر له الاندفاع فيه وكونه أحسن الحديث لقوله تعالى نزل أحسن الحديث
الآية واستعار له لفظ الربيع لما فيه من فنون العلم التي هي مسارح أبصار البصائر
كرياض الربيع وشفاء للصدور من أمراض الجهل والحجة على العالم أعظم لأن
العالمين ليس لهم أن يقول يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين والحسرة له ألزم
بعلمه بما يفوته من الكمال بسبب التفريط بخلاف الجاهل لجهله بما يفوته
من ذلك وهو عند الله ألوم باعتبار انقطاع عذره يومئذ وقوة جرأته على المخالفة
عن علم ومن كلام له عليه السلام أما بعد فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة

نخ من خطبة له عليه السلام

خضرة حفت بالشهوات وتحببت بالعاجلة وراقت بالقليل وتحلت
بالآمال وتزينت بالغرور لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة
حائلة زائلة نافدة بائدة أكالة غوالة لا تعدو إذا تناهت إلى أمنية أهل
الرغبة فيها والرضا بها أن تكون كما قال الله تعالى كماء أنزلناه من السماء فاختلط
به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا لم
يكن امرؤ منها في حبرة إلا أعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها
بطنا إلا منحته من ضرائها ظهرا ولم تطله فيها ديمة رخاء إلا هتنت عليه مزنة
بلاء وحري إذا أصبحت له منتصرة أن تمسي له متنكرة وإن جانب منها
اعذوذب واحلولى أمر منها جانب فأوبى لا ينال امرؤ من غضارتها
رغبا إلا أرهقته من نوائبها تعبا ولا يمسي منها في جناح أمن إلا أصبح
على قوادم خوف غرارة غرور ما فيها فانية فان من عليها لا خير في
شيء من أزوادها إلا التقوى من أقل منها استكثر مما يؤمنه ومن
استكثر منها استكثر مما يوبقه وزال عما قليل عنه كم من واثق بها قد فجعته
وذي طمأنينة إليها قد صرعته وذي أبهة قد جعلته حقيرا وذي نخوة قد ردته
ذليلا سلطانها دول وعيشها رنق وعذبها أجاج وحلوها صبر وغذاؤها
سمام وأسبابها رمام حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم ملكها مسلوب
وعزيزها مغلوب وموفورها منكوب وجارها محروب ألستم في مساكن من كان
قبلكم أطول أعمارا وأبقى آثارا وأبعد آمالا وأعد عديدا وأكثف جنودا
تعبدوا للدنيا أي تعبد وآثروها أي إيثار ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ
ولا ظهر قاطع فهل بلغكم أن الدنيا سخت لهم نفسا بفدية أو أعانتهم بمعونة
أو أحسنت لهم صحبة بل أرهقتهم بالقوادح وأوهنتهم بالقوارع وضعضعتهم
بالنوائب وعفرتهم للمناخر ووطئتهم بالمناسم وأعانت عليهم ريب المنون
فقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وآثرها وأخلد إليها حين ظعنوا عنها

لفراق

لفراق الأبد هل زودتهم إلا السغب أو أحلتهم إلا الضنك أو نورت لهم إلا الظلمة
أو أعقبتهم إلا الندامة أفهذه تؤثرون أم إليها تطمئنون أم عليها تحرصون
فبئست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن فيها على وجل منها فاعلموا وأنتم
تعلمون بأنكم تاركوها وظاعنون عنها واتعظوا فيها بالذين قالوا من أشد
منا قوة حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبانا وأنزلوا فلا يدعون ضيفانا و
جعل لهم من الصفيح أجنان ومن التراب أكفان ومن الرفات جيران فهم جيرة
لا يجيبون داعيا ولا يمنعون ضيما ولا يبالون مندبة إن جيدوا لم يفرحوا وإن
قحطوا لم يقنطوا جميع وهم آحاد وجيرة وهم أبعاد متدانون لا يتزاورون
وقريبون لا يتقاربون حلماء قد ذهبت أضغانهم وجهلاء قد ماتت أحقادهم
لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم استبدلوا بظهر الأرض بطنا وبالسعة ضيقا
وبالأهل غربة وبالنور ظلمة فجاؤوها كما فارقوها حفاة عراة قد ظعنوا
عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والدار الباقية كما قال سبحانه كما بدأنا أول خلق
نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين أقول مدار الفصل على ذم الدنيا والتحذير
والتنفير عنها بذكر معايبها وما يلزمها من غايات الموت واستعار لها لفظ الحلوة
الخضرة باعتبار زينتها وبهجتها وحسن متعلق الذوق والبصر أعني الخضرة والحلاوة
لأكثرية تأديته للحاستين المذكورتين إلى النفس اللذاذة بواسطتهما دون سائر الحواس
وراقت أعجبت والقليل متاعها في متاع الآخرة ووجه زينتها بالغرور أنها تغر
فيها زينة وخيرا أي متاعها إنما هو بسبب الغفلة عن عاقبة ذلك وثمرته في الآخرة
والحبرة السرور والحائلة الزائلة والبائدة الهالكة والغوالة التي تأخذ على غرة وقوله
لا تعدو إلى قوله مقتدرا أي غاية ما يحصل للراغبين فيها وما بلغته أمانيهم
أن يغني وهو وجه التمثيل وكنى بالبطن والظهر عن إقبالها وإدبارها عن الواصل
إلى بلية واستعار لفظ الديمة للرخاء ولفظ المزنة للبلاء وهتنت سالت
وأراد أن كل خير نالها لو وفيها فإنه غالب الأحوال يستعقب شرا أكثر منه وبه

يعني ان العقل لا يدرك الملكوت ... ولا يحيط بكنهه ... عجزه عن ادراك ... (حاشية)

على ذلك بالظل والعمق والمنكرة المنقبرة واعذوذب واحلولى مبالغة في العذوبة
والحلاوة واوبى اردى والعضارة طيب العيش وارهقته تعبا كلفته اياه وشبه
باستعارة لفظ الجناح للامن ولفظ القوادم للخوف واراد انه ما من امن فيها الا
ويتعقب خوف من الحوادث القوى وما يؤمنه هو الاعمال الصالحة وما يوبقه اى يهلكه فقبيا فيها
المهلكة له يحتبها في الآخرة والابهة العظمة والنخوة الكبر ورنق كدر و
استعار لفظ الاجاج والعبر والسمام لعذبها وحلوها وغدابها باعتبار ما يلزمها
في الآخرة من مرارة العقاب وسوء المواقف واسبابها ما يتعلق به الى انعاف
الرمام البالية لانها في عدم بقائها كالبالية والوفور ذو الوفر من المال والمحروب
المسلوب ماله والظهر المركوب وارهقتهم غشيتهم ودمتهم والقادح الامر العظيم
والقارعة الداهية وفضعضعتهم اذلتهم والتعفير الصاق الوجه بالعفر وهو
التراب والمنسم خف البعير ورايب المنون صروفها ودان اطاع واخلد
الى كذا الصق به ولزمه والسغب الجوع وقوله اوتورت لهم الا الظلمة اى
ما نورت لهم ولكن اوجبت لهم الظلمة وذلك ما كسبه طالبوها من الجهل و
ملكات السوء ومن لم يتهمها هو المعتقد انها مطلوبة لذاتها وذلك من
الهالكين لغفلته عن حقيقتها وبئست الدار له ونعم الدار لمن اتهمها
معمل فيها على وجل منها وعلم بعاقبتها والمندبة النوح وحيدوا امطروا
والقنوط اليأس وقوله فجاؤها الى آخره اى فكان مجيئهم اليها بالعود
فيها كما فارقوها وانفصلوا عنها بالخلق منها وهو اشارة الى قوله تعالى منها
خلقناكم وفيها نعيدكم ومن خطبة له عليه السلام ذكر فيها ملك الموت و
توفيه الانفس هل تحس به اذا دخل منزلا ام هل تراه اذا توفى احدا
بل كيف يتوفى الجنين في بطن امه ايلج عليه من بعض جوارحها ام الروح اجابته
باذن ربها ام هو ساكن معه في احشائها كيف يصف الهه من يعجز عن صفة
مخلوق مثله اقول هذا الفصل من خطبة ذكرها في معرض تنزيه الله تعالى عن ادراك

العقول

العقول البشرية ووجه الاستدلال به ان الانسان عاجز عن وصف مخلوق مثله
كملك الموت وعن معرفة كيفية تصرفه في قبض النفوس الانسانية وكل من كان
كذلك كان عن صفة الهه الذي هو ابعد الاشياء عنه مناسبة اعجز
ومن خطبة له عليه السلام واحذركم الدنيا فانها منزل قلعة وليست بدار نجعة
قد تزينت بغرورها وغرت بزينتها دار هانت على ربها فخلط حلالها
بحرامها وخيرها بشرها وحياتها بموتها وحلوها بمرها ولم يصفها لاوليائه ولم
يضن بها على اعدائه خيرها زهيد وشرها عتيد وجمعها ينفد وملكها يسلب
وعامرها يخرب فما خير دار تنقض نقض البناء وعمر يفنى فيها فناء الزاد ومدة
تنقطع انقطاع السير اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبتكم واسألوه من اداء
حقه ما سالكم واسمعوا دعوة الموت آذانكم قبل ان يدعى بكم ان الزاهدين
في الدنيا تبكي قلوبهم وان ضحكوا ويشتد حزنهم وان فرحوا ويكثر مقتهم
لانفسهم وان اغتبطوا بما رزقوا قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال و
حضرتكم كواذب الآمال فصارت الدنيا املك بكم من الآخرة والعاجلة
اذهب بكم من الآجلة وانما انتم اخوان على دين الله ما فرق بينكم الا
خبث السرائر وسوء الضمائر فلا توازرون ولا تناصحون ولا تباذلون ولا توادون ما بالكم
تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه ويقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم حتى
يتبين ذلك في وجوهكم وقلة صبركم عما زوي منها عنكم كانها دار
مقامكم وكان متاعها باق عليكم وما يمنع احدكم ان يستقبل اخاه بما يخاف
من عيبه الا مخافة ان يستقبله بمثله قد تصافيتم على رفض الآجل وحب
العاجل وصار دين احدكم لعقة على لسانه صنيع من قد فرغ من عمله واحرز
رضا سيده اقول منزل قلعة بالضم اذا لم يصلح للاستيطان والنجعة بالضم
طلب الكلاء والمراد بغرورها الا فنيانها وبلذاتها مجازا اطلاقا لاسم المسبب
على السبب وقوله عرت اى استغفلت وهونها على ربها يعود الى عدم العناية

ولا تباذلون م
فلا تحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه ويقلقكم اليسير م

بها بالذات فلم تكن خيرا محضا ومعنى خلطه حلالها بحرامها جمعه فيها بينهما و
استعار لفظ حلوها ومرها لخيرها وشرها والعتيد المهيأ وقوله من طلبتكم
اى من جملة مطالبكم في الدنيا وقوله واسألوه الى قوله ما سالكم اى اسألوه
الذي سالكم اياه من اداء حقه بالاعانة عليه والتوفيق له واسماعهم دعوة الموت
اذانهم اخطار نزوله بهم بالبال من سماع ذكره وقلة صبركم عطف على وجوهكم
واللعقة بالضم اسم لما تأخذه الملعقة مما يلعق واستعاره للاقرار بالدين
باللسان وكنى به عن ضعفه وقلته وصنيع مصدر اى يصنعون في ترك
الدين الصنيع المذكور ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الواصل الحمد بالنعم
والنعم بالشكر ونحمده على آلائه كما نحمده على بلائه ونستعينه على هذه النفوس
البطاء عما امرت به السراع الى ما نهيت عنه ونستغفره مما احاط به علمه
واحصاه كتابه علم غير قاصر وكتاب غير مغادر ونؤمن به ايمان من عاين
الغيوب ووقف على الموعود ايمانا نفى اخلاصه الشرك ونشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله شهادتين تصعدان
القول وترفعان العمل لا يخف ميزان توضعان فيه ولا يثقل ميزان
ترفعان منه اوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ زاد
مبلغ ومعاذ منجح دعا اليها اسمع داع ووعاها خير واع فاسمع داعيها وفاز
واعيها عباد الله ان تقوى الله حمت اولياء الله محارمه والزمت قلوبهم
مخافته حتى اسهرت لياليهم واظمات هواجرهم فاخذوا الراحة بالنصب والري
بالظماء واستقربوا الاجل فبادروا العمل وكذبوا الامل فلاحظوا الاجل ثم ان الدنيا
دار فناء وعناء وغير وعبر فمن الفناء ان الدهر موتر قوسه لا تخطئ سهامه ولا تؤسى
جراحه يرمي الحي بالموت والصحيح بالسقم والناجي بالعطب آكل لا يشبع وشارب لا ينقع
ومن العناء ان المرء يجمع ما لا ياكل ويبني ما لا يسكن ثم يخرج الى الله لا مالا حمل ولا بناء نقل
ومن غيرها انك ترى المرحوم مغبوطا والمغبوط مرحوما ليس ذلك الا نعيما زل وبؤسا

نزل

الله

نزل ومن عبرها ان المرء يشرف على امله فيقتطعه حضور اجله فلا
امل يدرك ولا مؤمل يترك فسبحان الله ما اغر سرورها واظمأ ريها واضحى
فيئها لا جاء يرد ولا ماض يرتد فسبحان الله ما اقرب الحي من الميت للحاقه به
وابعد الميت من الحي لانقطاعه عنه انه ليس شيء بشر من الشر الا عقابه وليس
شيء بخير من الخير الا ثوابه وكل شيء من الدنيا سماعه اعظم من عيانه وكل شيء
من الآخرة عيانه اعظم من سماعه فليكفكم من العيان السماع ومن الغيب الخبر واعلموا
ان ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا فكم من
منقوص رابح ومزيد خاسر ان الذي امرتم به اوسع من الذي نهيتم عنه وما
احل لكم اكثر مما حرم عليكم فذروا ما قل لما كثر وما ضاق لما اتسع وقد تكفل
لكم بالرزق وامرتم بالعمل فلا يكونن المضمون لكم طلبه اولى بكم
من المفروض عليكم عمله مع انه والله لقد اعترض الشك ودخل اليقين حتى كان الذي
ضمن لكم قد فرض عليكم وكان الذي فرض عليكم قد وضع عنكم فبادروا العمل
وخافوا بغتة الاجل فانه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق ما فات
اليوم من الرزق رجي غدا زيادته وما فات امس من العمر لم يرج اليوم رجعته
الرجاء مع الجائي واليأس مع الماضي فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم
مسلمون اقول وصله تعالى الحمد بالنعم افاضتها على الشاكرين بحسب استعداد
بحمده ومقتضى وعده الكريم لئن شكرتم لازيدنكم ووصله النعم افاضته صورة الشكر
على قلوب المنعم عليهم واعترافهم بالنعمة وتلك الافاضة نعمة اخرى من فضله ويحتمل
ان يريد انه تعالى يصل نعمته على حامديه بشكره لهم والله شاكر وجعل الحمد على البلاء
امثلا في التشبيه لان الابتلاء نعمة عظيمة في حق اولياء الله اقوى من النعم المشهورة
بينهما وجدنا الى الله وكتابه اللوح المحفوظ الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
ومن عاين الغيوب اى شاهدها بعين يقينه الامور الغائبة وكوشف بالموعود من
احوال الآخرة وتصعدان القول الى محل القبول من حضرة العزة لانهما اصلان

غداء
غداء
هم
عليم م

في الايمان واسمع داع هو الرسول صلى الله عليه وآله اي اشدهم اسماعا للخلق
وتبليغا ومحضر واع هو عليه السلام ومن سارع الى اجابة داعي الله ونسبة السهر
الى الليالي والظما الى الهواجر مجاز اقامة للظرف مقام المظروف المفعول به
مبالغة كقولهم نهارهم صائم وليله قائم وقوله فاحذروا الى قوله الظما اي سعدوا
بتعبهم في الدنيا وظمائهم فيها راحة الآخرة والري من رحيقها المختوم وقوله
فلاحظوا بالفا والاشبه الواو لترتيب تكذيب الامل على ملاحظة الاجل دون العكس
والواو لا يفيد الترتيب ويحتمل الفا والافادة الملازمة بين تكذيب الامل و
ملاحظة الاجل وترتب تصور كل منهما على تصور السابق منهما اي الزهي
ولا تومن اي لا يمكن طبها ودواؤها ولا ينفع لا يؤوي وقوله وعن غيرها الى
قوله نزاي انك ترى للرجوع بها وهو الفقر العاجز قد استبدل بفقره غنى وبذله عزا
فصار مغبوطا بعد ان كان مرحوما وتارة ترى العكس في ذلك وليس ذلك الا نعيما
زل عن المغبوط وبؤسا نزل به وهو معنى تقلبها واستعار لفظ الري للكمال
الالتذاذ بها ولفظ الفي للانتفاع بفيئها نعما واذ ذلك اقوى صارف يستغفل العبد
عن الله فشرها اقوى ما يعز صاحبه وربما اعظم ما يظما به صاحبه من شراب
الابرار في دار القرار وفيها اشد فيء للمستظل بها والضحى البروز لحر الشمس
وقوله ليس شيء الى قوله ثوابه يريد الخير والشر المتصورين بالقياس الى شرور الدنيا
وخيراتها فانها امور مستحقرة في جنب عقاب الله وثوابه ويحتمل ان يريد الشر والخير
المطلقين للمبالغة اذ يقال هذا اشد من الشر وقوله فليكفكم اي من عيان
الامور الاخروية سماعها ومن غيبها الخبر عنها اذ لا يمكن الاطلاع عليها في هذا
العالم وما نقص من الدنيا كالزكاة والعبادة البدنية الآخذتين من المال والبدن
فانه مستلزم لزيادة الدرجة في الآخرة لمن حضر جانبه وما يقابل ذلك من الزيادة في الدنيا
مستلزم للغفلة عن الآخرة ونقصان الحال فيها وكم امرنا به والحل لنا اوسع من
الذي نهينا عنه وحرم علينا لان الحلال اقسام اربعة وهي الواجب والمندوب

والمباح

عنه تقديره اسهرتهم في لياليهم بحذف المفعول به واقام الظرف مقامه مجازا

قد

والمباح والمكروه والحرام قسم واحد فقط والمعوض المتكلف فيها اقول من
ضمان الرزق وفرض العبادة وقوله الراجع لجاني اي مع الرزق واليأس مع المافي
اي من العمر ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء اللهم قد انصاحت جبالنا
واغبرت ارضنا وهامت دوابنا وتحيرت في مرابضها وعجت عجيج الثكالى
على اولادها وملت التردد في مراتعها والحنين الى مواردها اللهم
فارحم انين الآنة وحنين الحانة اللهم فارحم حيرتها في مذاهبها وانينها
في موالجها اللهم خرجنا اليك حين اعتكرت علينا حدابير السنين واخلفتنا مخايل
الجود وكنت الرجاء للمبتئس والبلاغ للملتمس ندعوك حين قنط الانام ومنع
الغمام وهلك السوام الا تواخذنا باعمالنا ولا تاخذنا بذنوبنا اللهم وانشر
علينا رحمتك بالسحاب المنبعق والربيع المغدق والنبات المونق سحا وابلا
تحيي به ما قد مات وترد به ما قد فات اللهم سقيا منك محيية مروية تامة
عامة طيبة مباركة هنيئة مريعة زاكيا نبتها ثامرا فرعها ناضرا ورقها تنعش
بها الضعيف من عبادك وتحيي بها الميت من بلادك اللهم سقيا منك تعشب
بها نجادنا وتجري بها وهادنا وتخصب بها جنابنا وتقبل ثمارنا وتعيش بها
مواشينا وتندى بها اقاصينا وتستغني بها ضواحينا من بركاتك الواسعة و
عطاياك الجزيلة على بريتك المرملة ووحشك المهملة وانزل علينا سماء مخضلة
مدرارا هاطلة يدافع الودق منها الودق ويحفز القطر منها القطر غير خلب
برقها ولا جهام عارضها ولا قزع ربابها ولا شفان ذهابها حتى يخصب لامراعها
المجدبون ويحيى ببركتها المسنتون فانك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر
رحمتك وانت الولي الحميد قال السيد رحمه الله تفسير ما في هذه الخطبة من الغريب
قوله عليه السلام قد انصاحت جبالنا اي تشققت من المحول يقال انصاح الثوب اي
انشق ويقال ايضا انصاح النبت وصاح وصوح اذا جف ويبس وقوله هامت
دوابنا اي عطشت والهيام العطش وقوله حدابير السنين جمع حدبار وهي الناقة

قد

بها

قزع ا

التي انضاها السير فشبه بها السنة التي فشا فيها الجدب قال ذو الرمة حدابير
ما تنفك الا مناخة على الخسف او نرمي بها بلدا قفرا قوله ولا قزع ربابها القزع
القطع الصغار المتفرقة من السحاب وقوله ولا شفان ذهابها فان تقديره
ولا ذات شفان ذهابها والشفان الريح الباردة والذهاب الامطار
اللينة فحذف ذات لعلم السامع به اقول اعتكرت اختلطت والمخايل جمع مخيلة
للسحابة التي ترجى للمطر والمبتئس الحزين والمنبعق والمنبج السحاب المنصب بشدة
والمغدق كثير الماء ويحتمل ان يريد بالربيع هنا المطر والسقيا بالضم الاسم من السقي و
الخلب السحاب الذي يكذب الظن فيه والمريع المخصب والنجاد جمع نجد للمرتفع
من الارض والضاحي البارزة اي اهل نواحيها المرملة قليلة المطر المخضلة
الرطبة والودق القطر والجهام المظلم لا ماء فيه والمسنتون الذين اصابتهم شدة
السنة وسحا مصدرا وحال والسماء المخضلة المطر نفسه والفصل واضح ومن
خطبة له عليه السلام ارسله داعيا الى الحق وشاهدا على الخلق فبلغ رسالات
ربه غير وان ولا مقصر وجاهد في الله اعداءه غير واهن ولا معذر امام
من اتقى وبصر من اهتدى اقول الواهن الضعيف والمعذر المقصر في عذره
واستعار له لفظ البصر لهدايته للخلق به منها فلو تعلمون ما اعلم مما طوي عنكم
غيبه اذا لخرجتم الى الصعدات تبكون على اعمالكم وتلتدمون على انفسكم ولتركتم
اموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها ولهمت كل امرئ منكم نفسه لا يلتفت الى
غيرها ولكنكم نسيتم ما ذكرتم وامنتم ما حذرتم فتاه عنكم رايكم
وتشتت عليكم امركم لوددت ان الله فرق بيني وبينكم والحقني بمن هو
احق بي منكم قوم والله ميامين الراي مراجيح الحلم مقاويل بالحق متاريك
للبغي مضوا قدما على الطريقة واوجفوا على المحجة فظفروا بالعقبى الدائمة و
الكرامة الباردة اما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال ياكل
خضرتكم ويذيب شحمتكم ايه ابا وذحة قال السيد والوذحة الخنفساء وهذا

القول

في

١٥٠

القول يومي به الى الحجاج وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره اقول
ما طوي عنهم علم غيبه هي الفتن المستقبلة وقيل الاحوال الاخروية والصعدات
جمع صعد جمع صعيد وهي الطرق وكنى بذلك عن قوة جزعهم لو علموا اما
سيقع واللدم ضرب الراس والصدر ونحوه ونسيانهم ما ذكروا اي من
آيات الله وقوله قوم تفسير لمن هو احق به منهم واراد من درج من صحابه
رضي الله عنهم وراي ميمون مبارك وقدما بضم الدال اي متقدمين في
سبيل الله لم ينثنوا عنها والوجيف فيه سرعة والمحجة طريق الله الواضحة
والعقبى عاقبة النعمة والكرامة بالبرد وغلام ثقيف هو الحجاج بن يوسف
من الاحلاف قوم من ثقيف والذيال طويل الذيل يسحبه تبخترا وكنى عن
تكبره وكنى بخضرتهم عن دنياهم وايه كلمة من اسماء الافعال لاستدعاء
الحديث والفعل المعهود وتنون للدرج واصل الوذحة بفتح الدال ما يتعلق
بذنب الشاة من بعرها واستعار لفظها للخنفساء واما حديثه معها فروي
انه كان يوما على سجادة فدبت اليه خنفساء وكان يكرهها فقال نحوها فانها
وذحة من وذح الشيطان ومن كلام له عليه السلام فلا اموال بذلتموها للذي
رزقها ولا انفس خاطرتم بها للذي خلقها تكرمون بالله على عباده ولا
تكرمون الله في عباده فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم و
انقطاعكم عن اوصل اخوانكم اقول تكرمون بالله اي يعظمكم عباد
الله بطاعته ودخولكم في دينه واوصل اخوانهم هي الدنيا وروي
اوصل اي اقرب اليهم اصلا وروي اوصل والفصل ظاهر ومن
كلام له عليه السلام انتم الانصار على الحق والاخوان في الدين والجنن
يوم الباس والبطانة دون الناس بكم اضرب المدبر وارجو طاعة
المقبل فاعينوني بمناصحة خلية من الغش سليمة من الريب فوالله
اني لاولى الناس بالناس اقول الجنة ما استترت به من سلاح والبطانة

الرجل خاصته وارب الشك ومن كلام له عليه السلام وقد جمع الناس و
حضهم على الجهاد فسكتوا مليا فقال عليه السلام ما بالكم امخرسون انتم
فقال له قوم منهم يا امير المؤمنين ان سرت سرنا معك فقال عليه السلام ما
بالكم لا سددتم لرشد ولا هديتم لقصد افي مثل هذا ينبغي لي ان اخرج وانما
يخرج في مثل هذا رجل ممن ارضاه من شجعانكم وذوي باسكم ولا ينبغي ان ادع
الجند والمصر وبيت المال وجباية الارض والقضاء بين المسلمين والنظر في
حقوق المطالبين ثم اخرج في كتيبة اتبع اخرى اتقلقل تقلقل القدح في
الجفير الفارغ وانا قطب الرحا تدور علي وانا بمكاني فاذا فارقته استحار
مدارها واضطرب ثفالها هذا لعمر الله الرأي السوء والله لولا رجائي الشهادة
عند لقائي العدو لو قد حم لي لقاؤه لقربت ركابي ثم شخصت عنكم فلا
اطلبكم ما اختلف جنوب وشمال طعانين عيابين حيادين رواغين انه لا غنى
في كثرة عددكم مع قلة اجتماع قلوبكم لقد حملتكم على الطريق الواضح التي
لا يهلك عليها الا هالك من استقام فالى الجنة ومن زل فالى النار اقول
الحض التحريض الكتيبة الجيش والقدح السهم قبل ان يراش والجفير كالكنانة اوسع
منها واستعار لنفسه لفظ القطب باعتبار دوران رحى الاسلام عليه واستحار
تردد واضطرب وثفال الرحى الجلد الذي توضع عليه لحفظ الدقيق وحم قدر
ولقربت جواب لولا وجواب لو مقدر فيما قبلها ومن كلام له عليه السلام تالله
لقد علمت تبليغ الرسالات واتمام العدات وتمام الكلمات وعندنا اهل البيت
ابواب الحكم وضياء الامر الا وان شرائع الدين واحدة وسبله قاصدة من
اخذ بها لحق وغنم ومن وقف عنها ضل وندم اعملوا ليوم تذخر له الذخائر
وتبلى فيه السرائر ومن لا ينفعه حاضر لبه فعازبه عنه اعجز وغائبه اعوز فاتقوا
نارا حرها شديد وقعرها بعيد وحليتها حديد وشرابها صديد الا وان اللسان
الصالح يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه من لا يحمده اقول

علم

علم تبليغ الرسالات علمه بكيفية ادائها بحسب كل فهم اتمام العدات
في الوعيد اي من الله تعالى بعبادة الصالحين وتمام الكلمات تفسير كلام الله
وتاويله وضياء الامر ضياء الامور المشتبهة في الدين واستعار لفظ الشرائع و
السبل لقوانين الدين او لائمة لانهم موارد للحق يغترفون منها فرات
العلم والحكمة وكونها واحدة اي في مقصودها وغايتها وقاصدة لا جور فيها
والذخائر الاعمال الصالحة وابتلاء السرائر اختبارها بالسؤال في محفل القيمة
ومن لا ينفعه حاضر لبه اي في الحياة الدنيا فعازبه اي حين الموت اعوز
اي اشد فوتا لمنفعته وقوله وحليتها حديد كالسلاسل والاغلال و اللسان
الصالح هو الذكر الجميل بفعل الخير ومن كلام له عليه السلام وقد قام اليه رجل من
اصحابه فقال نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندري اي الامرين ارشد فصفق
عليه السلام احدى يديه على الاخرى وقال هذا جزاء من ترك العقدة اما والله لو اني
حين امرتكم بما امرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا فان
استقمتم هديتكم وان اعوججتم قومتكم وان ابيتم تداركتكم لكانت
الوثقى ولكن بمن والى من اريد ان اداوي بكم وانتم دائي كناقش الشوكة وهو
يعلم ان ضلعها معها اللهم قد ملت اطباء هذا الداء الدوي وكلت النزعة
باشطان الركي اين القوم الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه وقرؤا القران فاحكموه
وهيجوا الى الجهاد فولهوا وله اللقاح اولادها وسلبوا السيوف اغمادها واخذوا
باطراف الارض زحفا زحفا وصفا صفا بعض هلك وبعض نجا لا يبشرون بالاحياء
ولا يعزون عن القتلى مره العيون من البكاء خمص البطون من الصيام ذبل
الشفاه من الدعاء صفر الالوان من السهر على وجوههم غبرة الخاشعين
اولئك اخواني الذاهبون فحق لنا ان نظما اليهم ونعض الايدي على فراقهم
ان الشيطان يسني لكم طرقه ويريد ان يحل دينكم عقدة عقدة و
يعطيكم بالجماعة الفرقة فاصدفوا عن نزغاته ونفثاته واقبلوا النصيحة

ممن اهداها اليكم واعقلوها على انفسكم اقول كان عليه السلام نهاهم
عن الحكومة حين طلبها اهل الشام فلما غلبه عليها اكثر اصحابه رجع اليها
وبقيت الخوارج على انكارها وقال بعضهم كنت نهيتنا الى قوله ارشد
فصفق باحدى يديه على الاخرى فعل المغضب النادم والعقدة
ما عقدوه واحكموه من الراي في البقاء على الحرب ومن المكروه الذي
لو حملهم عليه لجعل الله فيه الخير وهو الظفر وسلامة العاقبة وتقويمهم
وتداركهم بما يمكن كالضرب والقتل ونحوه وقوله لكانت الوثقى اي الفعلة
المحكمة ولكن بمن اي بمن افعل ذلك من الاعوان والى من ارجع فيه وقوله كناقش
الشوكة اي تركه معها كالمثل يضرب لمن يستعان به وميله مع المستعان عليه والضلع
بالضاد وسكون اللام الميل واصله ان الشوكة لما تلقها اختيارا ربما انكسرت في عضو
الانسان معها فكانه يقول كيف استعين ببعضكم على بعض مع اتحاد طباعكم
وميل بعضكم على بعض واستعار لفظ الداء الدوي لما هم عليه من مخالفة امره ولفظ
الاطباء لنفسه واعوانه وكذلك لفظ النزعة ووجههما انه ينزع وجوه الاراء
الصالحة كما ينزع المستقي الدلو من البئر والوله اشد الحزن وتولية اللقاح اولادها
تفريقهم بينها في الجهاد ونصب اولادها بحذف الجار اذ لا يتعدى الفعل الى مفعولين
بنفسه واغمادها بدل من السيوف وقوله لا يبشرون الى قوله القتلى كناية عن شدة
تجردهم للجهاد حتى لا يعتنوا بحياة حي منهم فيبشرون به ويعزون عنه وعمه
مارهة اذا فسدت والمره الجمع ومن له كذا حسنة وسنة له وعقد الدين اما الحكم
منه في النفوس والعقائد وصدوف عن الامر اعرض عنه ونزغات الشيطان حركاته
بالافساد بين الناس ونفثاته القاء وساوسه في الصدور واعقلوها احبسوها
ومن كلام له عليه السلام قاله للخوارج وقد خرج الى معسكرهم وهم مقيمون على انكار الحكومة
فقال عليه السلام اكلكم شهد معنا صفين فقالوا منا من شهد ومنا من لم يشهد قال
فامتازوا فرقتين فليكن من شهد صفين فرقة ومن لم يشهدها فرقة حتى اكلم كلا منكم

بكلامه

بكلامه ونادى الناس فقال امسكوا عن الكلام وانصتوا لقولي واقبلوا بافئدتكم
الي فمن نشدناه شهادة فليقل بعلمه فيها ثم كلمهم عليه السلام من جملته ان قال الم تقولوا
عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكرا وخديعة اخواننا واهل دعوتنا استقالونا
واستراحوا الى كتاب الله سبحانه فالراي القبول منهم والتنفيس عنهم فقلت لكم هذا امر
ظاهره ايمان وباطنه عدوان واوله رحمة واخره ندامة فاقيموا على شانكم والزموا
طريقتكم وعضوا على الجهاد بنواجذكم ولا تلتفتوا الى ناعق نعق ان اجيب اضل
وان ترك ذل ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وان القتل ليدور بين الاباء
والابناء والاخوان والقرابات فما نزداد على كل مصيبة وشدة الا ايمانا ومضيا على
الحق وتسليما للامر وصبرا على مضض الجراح ولكنا انما اصبحنا نقاتل اخواننا في الاسلام
على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتاويل فاذا طمعنا في خصلة يلم
الله بها شعثنا ونتدانى بها الى البقية فيما بيننا رغبنا فيها وامسكنا عما سواها اقول
ظاهره ايمان لانه اجتهاد في الدين وباطنه عدوان اذ كان حيلة للظلم والغلبة واحتيالا
اوله رحمة منكم واخره ندامة منكم عند تمام الحيلة عليكم وشانهم وطريقتهم ما
كانوا عليه من الراي في الحرب والعض عليه بالنواجذ كناية عن لزومه والناعق معوية
وعمرو بن العاص وقوله ولكنا الى اخره اي انا الان لا نقاتل على ما كنا نقاتل عليه من الكفر
في اول الدين ولكنا اصبحنا نقاتله على ما دخل فيه من الزيغ والشبهة بالتاويل وغرضنا
الاول هو قيام الدين فاذا وجدنا خصلة ينتظم بها امره ويجمع الله بها ما تفرق من
امر المسلمين ويتقاربون بها الى ان يبقوا بينهم شيئا من الالفة والاجتماع في الحق وجب
ان نسارع اليها وتلك الخصلة ما كانوا يرجونه من تمام الصلح ورجوع الفئة الباغية الى الحق
ومن كلام له عليه السلام في ساعة الحرب واي امرئ منكم احس من نفسه رباطة جاش
عند اللقاء وراى من احد من اخوانه فشلا فليذب عن اخيه بفضل نجدته التي فضل
بها عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله ان الموت طالب حثيث لا يفوته
المقيم ولا يعجزه الهارب ان اكرم الموت القتل والذي نفس ابن ابي طالب بيده لالف ضربة

بالسيف اهون من ميتة على الفراش في غير طاعة الله اقول جاش القلب روعته و
اضطرابه من الفزع ورباطة جنانه والنجدة فضيلة تحت الشجاعة ورغبت في الاقدام
في الحرب بضميرين صغرى الاول قوله ان الموت الى قوله الهارب وتقدير كبراه وكل
ما كان كذلك فلا ينبغي الفرار منه اذ لا فائدة فيه وصغرى الثاني قوله ان اكرم الموت الى
آخره وتقدير الكبرى وكل ما كان اكرم الموت الذي لا بد منه فينبغي ان يموت الانسان
عليه ومن كلام له عليه السلام وكأني انظر اليكم تكشون كشيش الضباب لا تأخذون
حقا ولا تمنعون ضيما قد خليتم والطريق فالنجاة للمقتحم والهلكة للمتلوم اقول
كشيش الضباب صوت حك جلودها بعضها ببعض كنى بذلك عن حالهم في الازدحام
في الهزيمة والطريق طريق الآخرة وانتصب على المفعول معه والنجاة للمقتحم اي
المقتحم الجهاد والمتلوم المتوقف عن سلوكها واراد الهلاك الاخروي ومن كلام له
عليه السلام في حث اصحابه على القتال فقدموا الدارع واخروا الحاسر وعضوا على الاضراس
فانه انبا للسيوف عن الهام والتووا في اطراف الرماح فانه امور للاسنة وغضوا
الابصار فانه اربط للجاش واسكن للقلوب واميتوا الاصوات فانه اطرد للفشل ورايتكم
فلا تميلوها ولا تخلوها ولا تجعلوها الا بايدي شجعانكم والمانعين الذمار منكم فان الصابرين
على نزول الحقائق هم الذين يحفون براياتهم ويكتنفونها حفافيها وورائها وامامها لا   يحفون م
يتأخرون عنها فيسلموها ولا يتقدمون عليها فيفردوها اجزأ امرؤ قرنه وآسى
اخاه بنفسه ولم يكل قرنه الى اخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن اخيه وايم الله لئن
فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآجلة انتم لهاميم العرب والسنام الاعظم
ان في الفرار موجدة الله والذل اللازم والعار الباقي وان الفار غير مزيد في عمره
ولا محجوز بينه وبين يومه من رائح الى الله كالظمآن يرد الماء الجنة تحت اطراف العوالي
اليوم تبلى الاخبار والله لانا اشوق الى لقائهم منهم الى ديارهم اللهم فان ردوا
الحق فافضض جماعتهم وشتت كلمتهم وابسلهم بخطاياهم انهم لن يزولوا عن
مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام ويندر

السواعد

السواعد والاقدام وحتى يرموا بالمناسر تتبعها المناسر ويرجموا بالكتائب
تقفوها الحلائب وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول في
نواحر ارضهم وباعنان مساربهم ومسارحهم اقول صدر الفصل يتعلق بكيفية
الحرب ونبه على كل امر بضمير صغراه قوله فانه الى تمام الكلام وتدعقه والحاسر
العاري من الدرع وانبى اشد حركة ونفوذا او النور لحركة وفائدة غض البصر
ان مده الى العدو يوجب انفعالا عنه وربما خيف على البصر من بريق النصال
والاسنة والرماح وما يحميه الرجل والحقائق كناية عن الامور الشديدة التي يحق
نزولها ووجب في القدر وحفافا الشيء جانباه وقوله اجزأ وواسى خبران في
معنى الامر واللهاميم الاشراف جمع لهموم والموجدة الغضب وكالظمآن في محل   اللهاميم
الرفع صفة لرائح اي من يروح الى الله بنية الصحة والعوالي جمع عالية للقناة
والاخبار المبلوة اخبار بواطن اهل الحرب يختبر بها والضمير في لقائهم لاهل
الشام وابسلهم اسلمهم للهلكة ودراك اي متدارك والمناسر القطعة من
الخيل والحلائب جمع حلوبة اي حتى ترموا بالكتائب في الخيل تتبعها الابل وقيل
الحلائب جمع حلبة وهي الخيل تجمع للسباق وفي الحرب والخميس الجيش والدعق الدق
ونواحر ارضهم اواخرها واقاصيها جمع ناحرة واعنان مساربهم ومسارحهم نواحي
مراعيهم ومن كلام له عليه السلام في معنى الخوارج لما انكروا تحكيم الرجال ويذم فيه اصحابه
قال عليه انا لم نحكم الرجال وانما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مسطور
بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان وانما ينطق عنه الرجال ولما
دعانا القوم الى ان نحكم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولي عن كتاب وقال الله سبحانه
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول فرده الى الله ان نحكم بكتابه ورده الى
الرسول ان نأخذ بسنته فاذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن احق الناس به وان حكم
بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله فنحن اولاهم به واما قولكم لم جعلت بينك وبينهم
اجلا في التحكيم فانما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله تعالى ان يصلح

في هذه الهدنة امر هذه الامة ولا يؤخذ باكظامها فتعجل عن تبين الحق وتنقاد
لاول الغي ان افضل الناس عند الله من كان العمل بالحق احب اليه وان نقصه
وكرثه من الباطل وان جر اليه فائدة وزاده فاين يتاه بكم ومن اين اتيتم
استعدوا للمسير الى قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه وموزعين بالجور لا يعدلون
به جفاة عن الكتاب نكب عن الطريق ما انتم بوثيقة يعلق بها ولا زوافر عز
يعتصم اليها لبئس حشاش نار الحرب انتم اف لكم لقد لقيت منكم برحا يوما   الهجا
اناديكم ويوما اناجيكم فلا احرار صدق عند النداء ولا اخوان ثقة عند النجاء اقول
الفصل من اوله الى قوله اولام به جواب لما انكره الخوارج من موافقته عليه السلام
على التحكيم وقوله ليتبين الجاهل اي طريق الحق والهدنة الصلح والكظم مخرج
النفس والاخذ به كناية عن الاعجال والاخذ بعنفه فانه عليه السلام لو اخذ بالقتال
الجاهم الى لزوم الضلال من غير تروّ وذلك يخالف مقصود الشارع من جمع الخلق
على الدين وكرثه حزنه ومن الباطل متعلق باحب وموزعين بكذا اي مغرين به
وجفاة عن كتاب الله نبوا عنه فهم عنه ونكب بضم الكاف وتسكينها جمع
نكوب وهو كثير العدول عن الطريق والوثيقة ما يوثق به في الشدائد وزوافر
الرجل انصاره وعشيرته والحشاش ما يحش به النار اي توقد البرح الحزن وروي
برحا اي شره وقوله يوما الى آخره اي يوما اناديكم للنصرة في الدين ويوما اسارركم
فيه بالنصيحة والمشورة بالراي الصالح فلا احرار صدق عند النداء اذ شأن الحر
ان يتخلص من رق الاباء والنقص ولا اخوان يوثق بهم فيما يسر اليهم ويلقى من
النصيحة اذ كانوا يفشون سره ولا يقبلون نصيحة ومن كلام له عليه السلام لما عوتب
على تصييره الناس اسوة في العطاء من غير تفضيل اولي السابقات والشرف فقال
اتأمروني ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله لا اطور به ما سمر سمير وما
ام نجم في السماء نجما لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وانما المال مال الله ثم قال
عليه السلام الا وان اعطا المال في حق غيره وعند غير اهله الاحرمه الله شكرهم وكان

لغيره

ودهم وان زلت به النعل يوما فاحتاج الى معونتهم فشر خليل والأم خدين
اقول التسوية سنة رسول الله صلى الله عليه وآله ولزمها ابو بكر فلما فضل
من بعده اعتاد كبار الامة ذلك فلما نزل عليه السلام التفضيل شق على القوم وكانت
اضغانهم حتى كان من طلحة والزبير وغيرهما ما كان من نكث البيعة والخلاف عليه
والنصر نصر الناس له ولا اطور به اي لا اقربه والسمير الدهر ويقال لا افعله ما سمر
سمير اي الدهر كله وكذلك لا افعله ما سمر ابنا سمير وهما الليل والنهار والتبذير
الاسراف رذيلة الافراط من فضيلة السخاء وظاهر ان الرذائل سبب للاهانة عند الله
في الآخرة والضمير في اهله للمال وبالجور ان يمنعه الله شكرهم اذا اخل منهم بما هم به
احق ويلحقه خذلانهم وقيل اراد بالذين يمنعه الله شكرهم الذين اعطاهم المال من
غير اهله ويلوح من سر ذلك ان معطي المال لغير اهله يكون اما رغبة او رهبة للمعطى
من دون الله ونظر الآخذ الى تلك الجهة يمنعه عن الشكر وتصرفه عن معاونة المعطي
ومن كلام له عليه السلام ايضا للخوارج فان ابيتم الا ان تزعموا اني اخطأت وضللت فلم
تضللون عامة امة محمد صلى الله عليه وآله بضلالي وتأخذونهم بخطائي وتكفرونهم
بذنوبي سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البراءة والسقم وتخلطون من
اذنب بمن لم يذنب وقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وآله رجم الزاني ثم صلى عليه
ثم ورثه اهله وقتل القاتل وورث اهله ميراثه وقطع السارق وجلد الزاني غير
المحصن ثم قسم عليهما من الفيء ونكحا المسلمات فاخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذنوبهم
واقام حق الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم من الاسلام ولم يخرج اسماءهم من بين اهله
ثم انتم شرار الناس ومن رمى به الشيطان مراميه وضرب به تيهه وسيهلك
فيّ صنفان محب مفرط يذهب به الحب الى غير الحق ومبغض مفرط يذهب به البغض
الى غير الحق وخير الناس فيّ حالا النمط الاوسط فالزموه والزموا السواد الاعظم
فان يد الله على الجماعة واياكم والفرقة فان الشاذ من الناس للشيطان كما ان الشاذ من
الغنم للذئب الا من دعا الى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه وانما

للحكمين الحكمان ليحييا ما احيا القرآن ويميتا ما امات القرآن واحياؤه الاجتماع عليه واماتته
الافتراق عنه فان جرّنا القرآن اليهم اتبعناهم وان جرّهم الينا اتبعونا فلم آت
لا ابا لكم بجرا ولا ختلتكم عن امركم ولا لبسته عليكم انما اجتمع راى ملائكم
على اختيار رجلين اخذنا عليهما الا يتعديا القرآن فتاها عنه وتركا الحق وهما يبصرانه
كان الجور هواهما فمضيا عليه وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكومة بالعدل والصمد
للحق سوء رايهما وجور حكمهما اقول كانت الخوارج يقول انه عليه السلام ضل واخطأ
في التحكيم وكل مخطئ كافر وكانوا يقتلون حين اعتزالهم عنه من كان خالف اعتقادهم فبين
عليه السلام كذب رأيهم بان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يخرج احدا من الاسلام
بذنب ارتكبه بل كان يجريه على احكام المسلمين ويواخذه بما فعل والضمير في قوله
نكحا يرجع الى السارق والزاني وفي قوله فاخذهم راجع الى كل من جرى ذكره من المذنبين
والضمير في اهله اخيرا يرجع الى الاسلام ومرامي الشيطان الخطايا والمعاصي وتيهه حيث
لا يهتدي الضال لوجه الحق والغلو في جنبه طرف الافراط في فضيلة محبته كما عليه
الغلاة في بعضه تفريط كما عليه الخوارج وكلاهما رذيلتان يستلزمان الكفر والهلاك
الاخروي والنمط الاوسط هم اهل فضيلة العدل في محبته وبغضه ولذلك خير هذه
الامة النمط الاوسط يلحق بهم التالي ويرجع اليهم الغالي والسواد الاعظم جمهور
المسلمين المتفقين على عمود الاسلام المتمسكين بسنة الله واستعار لفظ اليد لعناية
الله تعالى والشعار شعار الخوارج من مفارقتهم للجماعة وما ارتكبوه من البدعة وقطع
ولو كان تحت عمامتي هذه قيل اراد لو كنت انا ذاك وقيل اتصالا بغيره في من كان
بغاية القرب منه والعناية به والبجر الشر والامر العظيم والختل الخديعة والصمد
القصد وسوء رايهما مفعول به لسبق ومن كلام له عليه السلام وهو مما يخبر به عن
الملاحم بالبصرة يا احنف كأني به وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا لجب
ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل يثيرون الارض باقدامهم كأنها اقدام النعام
يومئ عليه السلام بذلك الى صاحب الزنج ثم قال عليه السلام ويل لسكككم العامرة

والدور

والدور المزخرفة التي لها اجنحة كاجنحة النسور وخراطيم كخراطيم الفيلة من
اولئك الذين لا يندب قتيلهم ولا يفقد غائبهم انا كاب الدنيا لوجهها وقادرها
بقدرها وناظرها بعينها اقول الملحمة الواقعة العظيمة والفتنة الاشارة في ذلك
الى صاحب الزنج وقصته بالبصرة مشهورة والجيش بالصفة المذكورة هم الزنج
لانهم لم يكونوا اصحاب خيل واللجب الصوت الهائل وشبه اقدامهم باقدام
النعام باعتبار عرض صدورها وتفرق اصابعها وقصرها والسكك المحلة و
استعار لفظ الاجنحة للقطايانات والخراطيم للميازيب من الخشب والحوض
المقيرة وقوله لا يندب الى قوله غائبهم فقيل اراد انهم لا يبالون بالموت والقتل
لشدة بأسهم وشبه ان يكون ذلك لانهم عبيد مجموعون لا اهل لاحد يبكيه و
يفتقده وقوله انا كاب الدنيا اخره كناية عن زهده فيها عن علم بها وبقدرها
وما خلقت له يقال كببت الشيء لوجهه اذا لم يلتفت اليه وقدرها ومنزلتها بعين
المعتبرين التي وضعها الله عليه وعينها العين التي ينبغي ان يعتبر بها وهي عين
البصيرة منها يومئ الى وصف الاتراك كأني اراهم قوما كان وجوههم
المجان المطرقة يلبسون السرق والديباج ويعتقبون الخيل العتاق ويكون هناك
استحرار قتل حتى يمشي المجروح على المقتول ويكون المفلت اقل من المأسور فقال له
بعض اصحابه لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه السلام وقال للرجل وكان
كلبيا يا اخا كلب ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم وانما علم الغيب علم
الساعة وما عدده الله سبحانه وتعالى بقوله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث
ويعلم ما في الارحام فيعلم سبحانه ما في الارحام من ذكر او انثى وقبيح او جميل وسخي او بخيل
وشقي او سعيد ومن يكون للنار حطبا او في الجنان للنبيين مرافقا فهذا علم الغيب
الذي لا يعلمه احد الا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه صلى الله عليه وآله
فعلمنيه ودعا لي بان يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي اقول المجان جمع مجن وهي
الترس والمطرقة بضم الميم وتخفيف الطاء وفتحها التي اطرقت بالجلود والعصب

اي البست والسرق شقق الحرير واحدتها سرقة ويعتقبون الخيل اي يحتبسونها
ويرتبطونها والعتق الجمال وفرس عتيق رائع واستحرّ القتل اشتد وشبه
وجوههم بالمجان باعتبار اتساعها واستدارتها ووصف كونها مطرقة
باعتبار غلظها وكثرة لحمها ونبه عليه السلام على الفرق بين علم الغيب وغيره
بما يعود خلاصته الى ان ما كان بواسطة معلم ومفيد فليس بعلم غيب وما كان
من دون واسطة فهو علم الغيب ومن خطبة له عليه السلام في ذكر المكاييل قيل
والموازين عباد الله انكم وما تأملون من هذه الدنيا اثوياء مؤجلون ومدينون
مقتضون اجل منقوص وعمل محفوظ فرب دائب مضيع ورب كادح خاسر
قد اصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان في
هلاك الناس الا طمعا فهذا اوان قويت عدته وعمت مكيدته وامكنت فريسته
اضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر الا فقيرا يكابد فقرا او غنيا
بدل نعمة الله كفرا او بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا او متمردا كأن باذنه عن
سماع المواعظ وقرا اين خياركم وصلحاؤكم واين احراركم وسمحاؤكم واين
المتورعون في مكاسبهم والمتنزهون في مذاهبهم اليس قد ظعنوا جميعا عن هذه الدار
الدنية والعاجلة المنغصة وهل خلقتم الا في حثالة لا تلتقي بذمهم الشفتان
استصغارا لقدرهم وذهابا عن ذكرهم فانا لله وانا اليه راجعون ظهر الفساد
فلا منكر مغير ولا زاجر مزدجر افبهذا تريدون ان تجاوروا الله في دار قدسه
وتكونوا اعز اوليائه عنده هيهات لا يخدع الله عن جنته ولا تنال مرضاته الا بطاعته
لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به اقول
الثوى جمع ثوي وهو الضيف ومدينون عليهم دين واراد كونهم مكلفين بامور تقتضى
منهم وتطلب وهي اوامر الله ونبه بقوله فرب دائب اي مجد في العمل مضيع على انه ليس
اهل طاعة الله وان كثر عمله وروي مضيع ومعناه ان العامل قد يدأب في عمل الله
لكنه يكون مضيعا لعمله لجهله بكيفية ايقاعه واتيانه به على الوجه المرضي وكذلك قوله

ورب

ورب كادح خاسر والكدح العمل واستعار لفظ الفريسة للانسان باعتبار استيلاء
الشيطان عليه واهلاكه قوله اضرب الى قوله وقرا لانواع الشر وازدياد اقباله
والوفر المال والمتمرد الخارج عن الطاعة والوقر الصمم والحثالة الثفل والرديء
من الشيء واستعار لفظها لاهل الزمان وباقي الفصل واضح ومن كلام له عليه السلام
لابي ذر رحمه الله لما اخرج الى الربذة انك غضبت لله فارج من غضبت له ان القوم
خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك في ايديهم ما خافوك عليه واهرب منهم بما
خفتهم عليه فما احوجهم الى ما منعتهم واغناك عما منعوك وستعلم من الرابح
غدا والاكثر حسدا ولو ان السموات والارض كانتا على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل
الله له منهما مخرجا لا يؤنسنك الا الحق ولا يوحشنك الا الباطل فلو قبلت دنياهم لاحبوك
ولو قرضت منها لامنوك اقول الربذة موضع قريب من المدينة والمخرج لابي ذر هو عثمان
قيل لانه كان يغلظ له في القول وينكر عليه ما كان يراه منكرا من افعاله ويشنع عليه واراد
ما خافوك عليه فاستغنى بالثاني عنه وما في قوله ما منعتهم مصدرية ويحتمل ان يريد ما منعتهم
بخروجك عنهم من دينك وانكارك للمنكر وما منعوك عنه هو دنياهم والرتق ضد الفتق وهو
كناية عن شدة الضيق والفرج كناية عن الاخذ منهم وقبول عطاياهم ومن كلام له عليه
السلام ايتها النفوس المختلفة والقلوب المتشتتة الشاهدة ابدانهم والغائبة عنهم عقولهم
اظاركم على الحق وانتم تنفرون منه نفور المعزى من وعوعة الاسد هيهات ان اطلع بكم
سرار العدل او اقيم اعوجاج الحق اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان
ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك فيأمن
المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك اللهم اني اول من اناب وسمع واجاب
لم يسبقني الا رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي
على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل فيكون في اموالهم نهمته و
لا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون
قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك

الاية اقول الخلفة الآراء واطارکم اعطفکم وعوعة الاسد صوته سر ازرّ
العقول ماخفی عنه واضلة الليلة او الليلتان يكون فی آخر الشهر يستتر فيها واراد انه
سيعملن الهی بكم العمل لتخاذلكم وتفرق اهوائكم والذی كان منه عليه السلام هو
الحروب والقيامة فی امر الخلافة والمعالم جمع معلم وهو الاثار ينصب فی الطريق للهداية
واستعاره لقوانين الدين وانواره واناب رجع الی الله وسمع لله واجاب دعوته
لانه عليه السلام اول الناس دخولاً فی طاعة الرسول صلی الله عليه وآله وقوله وقد
علمتم الی آخره اشارة الی تمييز الامام بفضايل يجب ان يكون فيه والی رذايل ينافی
الامامة وبرذيله الجهل وخوف الدول وتعطيل السنة خرج سوته عن الصلاحية
لها وبالبخل خرج الزبير وبالجفاء نعمته حرصه علی الدنيا وبالجفاء خرج طلحة والله
اعلم ومن خطبة له عليه السلام نحمده على ما اخذ واعطى وعلى ما ابلى و
ابتلى الباطن لكل خفية الحاضر لكل سريرة العالم بما تكن الصدور وتخون
العيون ونشهد ان لا اله غيره وان محمداً نجيبه وبعيثه شهادة يوافق فيها
السر الاعلان والقلب اللسان اقول ابلى وابتلى اختبر وبطن الامر خبر باطنه
وخائنة العين نظرها الحرام وكنى بموافقة السر الشهادة الاعلان عن اخلاصها
منها فانه والله الجد لا اللعب والحق لا الكذب وما هو الا الموت اسمع داعيه
واعجل حاديه فلا يغرنك سواد الناس من نفسك وقد رأيت من كان قبلك ممن
جمع المال وحذر الاقلال وامن العواقب طول امل واستبعاد اجل كيف نزل
به الموت فازعجه عن وطنه واخذه من مامنه محمولاً على اعواد المنايا تتعاطى به
الرجال الرجال حملاً على المناكب وامساكاً بالانامل اما رأيتم الذين يأملون بعيداً
ويبنون مشيداً ويجمعون كثيراً كيف اصبحت بيوتهم قبوراً وما جمعوا بوراً
وصارت اموالهم للوارثين وازواجهم لقوم آخرين لا فی حسنة يزيدون ولا من سيئة
يستعتبون فمن اشعر التقوى قلبه برز مهله وفاز عمله فاهتبلوا هبلها
واعملوا للجنة عملها فان الدنيا لم تخلق لكم دار مقام بل خلقت لكم مجازاً لتزودوا

منها

منها الاعمال الی دار القرار فكونوا منها علی اوفاز وقربوا الظهور للزيال اقول
الضمير فانه للشان ويحتمل ان يعود الی المعنی بالتحذير منه والانذار به وهو الموت
ولذلك فسره به فقال وما هو الا الموت واسمع واعجل في محل النصب على الحال
من معنى الاشارة وقوله فلا يغرنك سواد الناس من نفسك اى فلا يغرنك رؤيتك
لكثرة الناس والوسوسة من نفسك بذلك عن ملاحظة الموت ونزوله اذ
كثيراً ما يرى الانسان الميت محمولاً فتدركه رقة وروعة ثم تعاوده الوسواس
الخناس وتأمره باعتبار كثرة المستعين له من الناس البهم وتكلمه الى الدنيا بعوادة
فيهم ومن جمع بدل من كان وطول امل نصب على المفعول له والبور الهلاك و
من سيئة يستعتبون اى لا يطلب منهم العتبى وهو الرجوع عن السيئة لعدم امكان
ذلك منهم واستعار وصف الاشعار لاتخاذ التقوى كالشعار في ملازمتها للقلب
والشعار ما يلى الجسد من الثياب واهتبلوا هبلها اى اهتموا لها اهتمامها الذى
ينبغى والضمير للتقوى والاوفاز جمع وفز بالتحريك والسكون وهو العجلة وقوله وقربوا
الى آخره كناية عن الاستعداد للرحيل الى الآخرة بما ينبغى من ازوادها وتذكير الموت
ومن خطبة له عليه السلام وانقادت له الدنيا والآخرة بازمتها وقذفت اليه السموات
والارضون مقاليدها وسجدت له بالغدو والآصال الاشجار الناضرة وقدحت له من
قضبانها النيران المضيئة وآتت اكلها بكلماته الثمار اليانعة اقول انقياد
الدنيا والآخرة بازمتها كناية عن دخولهما فی ذل الحاجة والامكان تحت تصريف
قدرته ولفظ الازمة مستعار للامكان المحوج الى الصانع وقال ابن عباس مقاليد السموات
والارض مفاتيحها بالرحمة والرزق وقيل خزائنها والمقاليد جمع مقلاد وهى
الخزائن وسجود الاشجار دخولها فی الحاجة اليه والخضوع له وكلماته امر قدرته
وحكمها بخروج الثمار اليانعة المدركة منها ارسله على حين فترة من الرسل
وتنازع من الالسن وقفى به الرسل وختم به الوحى فجاهد فی الله المدبرين عنه
والعادلين به اقول قفا اتبع والعادل به الجاعل له عديلاً ومثلاً وكتاب الله بين

منهام

اظهركم ناطق لا يعيا لسانه وبيت لا تهدم اركانه وعز لا تهزم اعوانه اقول
استعار للكتاب لفظ الناطق لما فيه من البيان ولفظ البيت له لحفظه من حفظه
وعمل به وارکانه قوانينه الكلية واعوانه العاملون به وناصروه ومنها
وانما الدنيا منتهى بصر الاعمى لا يبصر مما وراءها شيئاً فالبصير ينفذها بصره ويعلم ان
الدار وراءها فالبصير منها شاخص والاعمى اليها شاخص والبصير منها متزود والاعمى
لها متزود اقول استعار لفظ الاعمى للجاهل لعدم ادراكه لحقايق الامور كالاعمى
وكونها لا يبصر من وراء الدنيا شيئاً اشارة الى جهله باحوال المعاد ولفظ البصير
للعالم ونفوذ بصره كناية عن ادراكه بعد الموت من احوال الآخرة وقوله البصير
منها شاخص اى عازم منها راحل قد جعلها طريق سفره الى الله والاعمى
اى الجاهل اليها شاخص اى مطلع متطلع اليها بعين بصره وهمه ومحبته وقوله
والبصير منها متزود اى زاد التقوى والعمل الصالح والاعمى لها متزود جاعل
همه اياها فی زاده الذى عليه يعمل منها واعلموا انه ليس من شیء الا ويكاد
صاحبه يشبع منه ويمله الا الحياة فانها لا يجد له فی الموت راحة وانما ذلك
بمنزلة الحكمة التى هى حياة للقلب الميت وبصر للعين العمياء وسمع للاذن الصماء
وري للظمآن وفيها الغنى كله والسلامة كتاب الله تبصرون به وتنطقون به و
تسمعون به وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض ولا يختلف فی الله ولا
يخالف بصاحبه عن الله قد اصطلحتم على الغل فيما بينكم ونبت المرعى على دمنكم و
تصافيتم على حب الآمال وتعاديتم فی كسب الاموال لقد استهام بكم الخبيث
وتاه بكم الغرور والله المستعان على نفسى وانفسكم اقول قال بعض الشارحين
نعدان الراحة بالموت مخصوص باهل الشقاوة فی الآخرة اما اولياء الله فلهم
الراحة الكبرى كما قال صلى الله عليه وآله ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله قال
بعضهم بل هو عام لان بالموت ينقطع متجر الآخرة والازدياد من الكمالات الباقية
وذلك لا ينافى الخبر لان بازدياد الكمال فی الحياة يحصل راحة اعظم مما قبله

ولان

ولان المعارف لما لم يكن ضرورية لم يتمكن النفوس البشرية ما دامت فی عالم
الغربة من الاطلاع على ما بعد الموت من الاحوال الاخروية وبالجملة فانه يخاف
العاقل الموت ويكره سرعته وان لم يكن له راحة دونه كما نقل عن الحسن بن
على عليهما السلام انه حين الاحتضار بكى فقال له الحسين عليهما السلام ما لى اراك
تكاد تخرج مع نفسك بانك تقدم حيث تقدم على جدك وابيك فقال نعم يا اخى
لا شك فی ذلك الا انى سالك مسلكاً لم اسلكه من قبل واقول لا منافاة بين
القولين لانه لا راحة فی نفس الموت لاحد لكونه محل الآلام ومخاوف لكنه مستعقب
لراحة اولياء الله بلقائه فكانت فيه راحتهم وكلامه عليه السلام اشبه بالعموم
لان الولى وغيره لا يجد فی الموت راحة حين نزوله وقوله وانما ذلك اى الامر
الذى هو احق ان يمل ولا يشبع منه انما هو اى انما هى ما كان بمنزلة الحكمة واراد
نفسها ولا يتفق الكلام ان اشياء فی منزلتها غيرها واستعار لها لفظ الحياة باعتبار
انها يحيى القلب الميت بداء الجهل ولفظ البصر والسمع لعين الجهل واذنه اللتين
يستفيد بها عبرة ولفظ الظمآن للجاهل المتعطش الى العلم ولفظ الرى لانها
كالماء فی استغناء النفس بها وكتاب الله خبر مبتدأ اما خبر ثان لذلكم وبمنزلة
الحكمة خبر اول او لمبتدأ محذوف تقديره وهو اى الذى بمنزلة الحكمة كتاب الله
ولا ينافى ذلك ايضاً ان يكون نفسه حكمة وتغييراً لها وقوله تبصرون به اى تبصرون
لمقاصدكم الدنيوية والاخروية وتنطقون به اى فی الفتوى والاستدلال والقصص
ونحوه وتسمعون به اى ما ينفعكم من الموعظة الحسنة والعبر النافعة و
ينطق بعضه ببعض اى يفسر بعضه بعضاً كالمبين للمجمل والمقيد للمطلق والخاص
للعام ويشهد بعضه على بعض اى يستشهد ببعضه على ان المراد ببعض آخر
كذا وهو كالذى قبله وقوله ولا يختلف فی الله اى لا يختلف فی الدلالة على القواعد
الموصلة الى الله بل كلها متطابقة على ذلك وان تعددت ولا يخالف بصاحبه
عن الله اى لا يعدل بمن يقتدى به فی سبيل الله عن الوصول اليه واستعار

وصف الاصطلاح لما حصلوا عليه من الغل وهو الغش والحقد لاتفاق ذلك في
جميعهم واشتراكهم فيه وقوله ونبت المرعى على دمنكم مثل يضرب للشي الحسن
في الظاهر مع غل القلوب ووجهه ان ذلك الصلح سريع الزوال لا اصل له كالنبات
في الدمن وهي ما يلبد من اثار البعر ومرابض انعامهم والامال ما يؤمل كل من صاحبه
من نفع عاجل وهو الجامع بينهم وسبب صفائهم في الظاهر واستهام بكم الخبيث
اي اشتد عشق الشيطان لكم وذلك تنبيه على ما يظهر منهم من اثار وسوسته وهو
الغرور ايضا ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج الى غزو
الروم وقد توكل الله لاهل هذا الدين باعزاز الحوزة وستر العورة والذي نصرهم
وهم قليل لا ينتصرون ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون حي لا يموت انك متى تسر
الى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنكب لا تكن للمسلمين كانفة دون اقصى
بلادهم ليس بعدك مرجع يرجعون اليه فابعث اليهم رجلا محربا واحفز
معه اهل البلاء والنصيحة فان اظهر الله فذاك ما تحب وان تكن الاخرى كنت
ردءا للناس ومثابة للمسلمين اقول توكل الله لاهل دينه وعده اياهم بالنصر
والاعزاز والحوزة الناحية وكني بعورة عن حرمهم وحماهم وكنفه حفظه
وواه والمحرب بالحاء وكسر الميم وفتح الراء الرجل صاحب حروب واحفز معه
اي ادفع واهل البلاء هم الذين اختبروا وجربوا واظهر الله نصر والردء
العون والمثابة المرجع ومن كلام له عليه السلام وقد وقعت بينه وبين عثمان
مشاجرة فقال المغيرة بن الاخنس لعثمان انا اكفيكه فقال امير المؤمنين
عليه السلام للمغيرة يا بن اللعين الابتر والشجرة التي لا اصل لها ولا فرع انت
تكفيني فوالله ما اعز الله من انت ناصره ولا قام من انت منهضه
اخرج عنا ابعد الله نواك ثم ابلغ جهدك فلا ابقى الله عليك ان ابقيت
اقول الابتر كل امر انقطع من الخير اثره والنوى القصد الذي ينويه المسافر
وروي مثل والنوى لغة في الناحي وهو البعد واستعار لفظ الشجرة لبيته

وكني

وكني عن سقوط اصله بنفي اصلها وفرعها ولا ابقى الله عليك اي لا رعاه ولا [رحمه]
ومن كلام له عليه السلام لم تكن بيعتكم اياي فلتة وليس امري وامركم واحدا اني
اريدكم لله وانتم تريدونني لانفسكم ايها الناس اعينوني على انفسكم وايم الله
لانصفن المظلوم ولاقودن الظالم بخزامته حتى اورده منهل الحق وان كان
[كارها] اقول الفلتة وقوع الامر من غير تدبر ولا روية وفيها ايماء الى بيعة ابي بكر حيث قال
عمر كانت بيعة ابي بكر فلتة وقى الله شرها وقوله وليس امري وامركم واحدا
اي ليس مقصدي ومقصدكم واحدا وبين ذلك الفرق بقوله اني اريدكم الى
قوله لانفسكم اي حظوظ انفسكم من العطا وساير منافع الدنيا وقوله اعينوني
على انفسكم اي على قهر انفسكم الامارة وذلك بموافقتي على العمل بطاعة الله
والخزامة حلقة من شعر تجعل في وترة انف البعير يشد فيها زمامه وهو كناية عن
قهره للظالم ذليلا لما بغى والمنهل المورد ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة و
الزبير والله ما انكروا علي منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون
حقا تركوه ودما هم سفكوه فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه وان كانوا
ولوه دوني فما الطلبة الا قبلهم وان اول عدلهم للحكم على انفسهم وان معي
لبصيرتي ما لبست ولا لبس علي وانها للفئة الباغية فيها الحما والحمة والشبهة
المغدفة وان الامر لواضح وقد زاح الباطل وانقطع لسانه عن شغبه وايم الله لافرطن
لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه بري ولا يعبون بعده في حسي اقول
النصف النصفة والحق والدم دم عثمان والطلبة المطلوب وقوله وان اول عدلهم
اي ان كان لهم عدل وطلب حق وبصيرته عقله وعلمه والبصيرة ايضا البرهان و
في تعريفه للفئة باللام تنبيه على انه كان حالها معلوما له من رسول الله صلى الله
عليه وآله فلما ظهرت اشار اليها باعيده منها واستعار لفظ الحماء وهو الطين
المتغير للغل والحسد في صدور القوم له ووجه المشابهة استلزام ذلك لتكدر
صفاء المسلمين كالحماء ولفظ الحمة بضم الحاء والتخفيف وهو سم العقرب لذلك

باعتبار ما يلزمه من الاذى وروي اللمة مشددا وهو السواد واراد به ظلمة جهلهم
وشبهتهم ولذلك وصفها بالمغدفة وهي المظلمة لانها لا يهتدى فيها للحق وقوله
والامر الواضح اي امر تلك الشبهة والتعاب الاصل واراد ان باطلهم لا اصل له
وقوله عنه منقطع عنه ولافرطن اي لاملأن واستعار لفظ الحوض لاستعداده في
حربهم والعب شرب الماء من غير مص والحسي موضع يحفر ليجتمع فيه الماء منها فاقبلتم
الي اقبال العوذ المطافيل على اولادها تقولون البيعة البيعة قبضت كفي فبسطتموها
ونازعتكم يدي فجاذبتموها اللهم انهما قطعاني وظلماني ونكثا
بيعتي والبا الناس علي فاحلل ما عقدا ولا تحكم لهما ما ابرما وارهما المساءة فيما املا
وعملا ولقد استثبتهما قبل القتال واستانيت بهما امام الوقاع فغمطا النعمة وردا
العافية اقول العوذ جمع عائذ بالذال المعجمة وهي كل انثى قريبة العهد بالولادة
وهي لسبعة ايام الى عشرة ايام وخمسة عشر ثم هي مطفل اي ذات طفل والجمع مطافيل
والضمير في انهما طلحة والزبير والتاليب التحريض وما عقداه وابرماه اي من الاراء
والعزم في حربه واستثبتهما اي طلبت انابتهما الى الحق وروي بالتاء من التوبة
من ذنبهما في نكث بيعته واستانيت ترفقت وغمط النعمة احتقارها وبطرها
ومن خطبة له عليه السلام يومي فيها الى ذكر الملاحم يعطف الهوى على الهدى اذا عطفوا
الهدى على الهوى ويعطف الراي على القران ~~ردة اليه منها حتى تقوم الحرب بكم~~
~~على ساق~~ على الراي اقول الاشارة هنا الى الامام المنتظر الموعود به في
الخبر والاثر فعطفه الهوى على الهدى عرضه لميول النفس الامارة على قوانين
الحق وردها اليها وكذلك عطف الراي على القران رده اليه ومنها حتى تقوم
الحرب بكم على ساق باديا نواجذها مملوءة اخلافها حلوا رضاعها علقما
عاقبتها الا وفي غد وسياتي غد بما لا تعرفون ياخذ الوالي من غيرها عمالها على
مساوي اعمالها وتخرج له الارض افاليذ كبدها وتلقي اليه سلما مقاليدها فيريكم
كيف عدل السيرة ويحيي ميت الكتاب والسنة اقول قيامها على ساق كناية

عن

عن غاية شدتها وكذلك بدو نواجذها ملاحظة لشبهها بالسبع عند غضبه
ومملوءة اخلافها كناية عن تمام استعدادها برجالها وآلاتها كاستكمال الضرع اللبن
والاخلاف للناقة حلمات ضرعها واستعار لفظ الحلو للدخول فيها باعتبار اقبال
اهل النجدة عليها ولفظ العلقم لعاقبتها لما يعده الناس بعدها من الهلاك والضعف
وقوله الا وفي غد اخبار بما سيكون من امر الامام المنتظر وهو المراد بالوالي وقوله
من غيرها تنبيه ان يكون قد سبقه ذكر طائفة من الناس او البلاد ذات ملك
وامراء فاخبر عليه السلام ان الوالي من غير تلك الطائفة وهو الامام ياخذ عمالها
بذنوبهم والافاليذ جمع الجمع للفلذة وهي القطعة من الكبد واستعار لفظ الكبد لما
في الارض من الكنوز باعتبار خفائها وعزتها كالاكباد في الاجساد والمقاليد
الخزائن وميت الكتاب والسنة مستعار لما ترك منهما فان قلت قوله فيريكم
يدل على ان المخاطبين يدركونه مع انكم زعمتم انه يكون في آخر الزمان فكيف
ذلك قلت خطاب الحاضرين عام او في حكم العام كساير خطابات القران الكريم
مع الصحابة المتناول لمن وجد الى يوم القيمة ثم يخرج المخاطبون بدليل العقل
ومنها كاني به قد نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان فعطف عليها
عطف الضروس وفرش الارض بالرؤس قد فغرت فاغرته وثقلت في الارض
وطاته بعيد الجولة عظيم الصولة والله ليشردنكم في اطراف الارض حتى لا يبقى منكم
الا قليل كالكحل في العين فلا تزالون كذلك حتى تؤوب الى العرب عوازب
احلامها فالزموا السنن القائمة والاثار البينة والعهد القريب الذي عليه
باقي النبوة واعلموا ان الشيطان انما يسني لكم طرقه لتتبعوا عقبه اقول
قيل الاشارة الى عبد الملك بن مروان لانه ظهر بالشام حين جعله ابوه الخليفة من
بعده وسار الى الكوفة لقتال مصعب وقتله ودخل الكوفة وبعث الحجاج الى ابن
الزبير فقتله وهدم الكعبة وقتل خلقا كثيرا من العرب في وقايع عبد الرحمن بن الاشعث
ورمى الناس بالحجاج ونعق صاح وهو كناية عن دعوته وفحص الطير التراب قلبه

وضواحي كوفان وهي الكوفة ونواحيها البارزة وتحفه براياته كناية عن تغليبه لامور الكوفة واهلها بسطوته وبأسه والضروس الناقة سيئة الخلق تعض حالبها ووجه تشبيه عطفه على الكوفة بعطف الضروس شدة الخنق والغضب وفغرت فاغرته انفتح فوه وهو كناية عن اقباله بالاذى كالسبع الصايل واكد الفعل بذكر الفاعل من لفظه وكنى بثقل وطأته عن شدة بأسه وبعيد جولته عن اتساع تصرفه وتملكه وجولانه في البلاد البعيدة وبعيد وعظيم حالان وكنى رفعها خبر مبتدأ وعوازب احلام العرب ما كان ذهب من عقولها العملية في نظام احوالهم في الاجتماع والعرب قبلهم بنو العباس ومن نصرهم ايام ظهورهم ولين كحطبة بني شيبان الطائي وبني زريق وغيرهم وبني بسر قبل ومن كلام له عليه السلام قوله
في وقت الشورى لن يسرع احد قبلي الى دعوة حق وصلة رحم وعائدة كرم فاسمعوا قولي وعوا منطقي عسى ان تروا هذا الامر بعد هذا اليوم تنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود حتى يكون بعضكم أئمة لاهل الضلالة وشيعة لاهل الجهالة اقول
اشار الى بعض فضائله لغاية سماع قوله والذي امرهم بسماعه هو البينة على امر الخلافة عاقبة م
وما يقع فيها من الهرج والمرج بعده ومن كلام له عليه السلام في النهي عن غيبة الناس عن عيب
وانما ينبغي لاهل العصمة والمصنوع اليهم في السلامة ان يرحموا اهل الذنوب والمعصية ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم فكيف بالعائب الذي عاب اخاه وعيّره ببلواه اما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه مما هو اعظم من الذنب الذي عابه به فكيف يذمه بذنب قد ركب مثله فان لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه مما هو اعظم منه وايم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير لجرأته على عيب الناس اعظم منه يا عبد الله لا تعجل في عيب احد بذنبه فلعله مغفور له ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلك معذب عليه فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه وليكن الشكر شاغلا له على معافاته مما ابتلي به غيره اقول اهل العصمة هم الذين اعانهم الله عنه
على

على قهر نفوسهم الامارة وملكوها والمصنوع اليهم اي من اصنع الله عنده نعمة السلامة من الذنوب ورحمتهم لاهل الذنوب تظهر في كف عيبهم والعانتهم على الخروج منها بصالح القول والعمل وقوله فكيف بالغايب اي اذا كان اهل السلامة ينبغي لهم ان يرحموا اهل الذنوب ويشتغلوا بشكر الله عن عيبهم فكيف يليق العيب ممن غيرهم من الناس واراد ما هو اعظم عيبه لاخيه لان الغيبة من الكبائر وجعلها اكبر مبالغة او بالنسبة الى بعض الكبائر ومن كلام له عليه السلام
ايها الناس من عرف من اخيه وثيقة دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه اقاويل الرجال اما انه قد يرمي الرامي وتخطي السهام ويحيك الكلام وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد اما انه ليس بين الحق والباطل الا اربع اصابع وسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا فجمع اصابعه ووضعها بين اذنه وعينيه ثم قال الباطل ان تقول سمعت والحق ان تقول رأيت اقول حاصل الفصل النهي عن التسرع الى سماع الغيبة وقوله اما انه الى قوله الكلام تنبيه على قوة اذى الكلام وانه اشد من الرمي بالسهام اذ السهام قد تخطي ولا يؤثر والكلام لا بد ان يؤثر ويحاك اي اثر ويروى يحيل بالباء اي يبطل وقوله وباطل ذلك يبور اي الغرض منه يهلك من مال اوجاه ونحوه وقيل الباطل من ذلك القول يهلك ولا ينتفع به ويبقى شهادة الله وجزاؤه عليه وقوله الباطل ان يقول سمعت ليس بكلي بل كلام الخطيب تحمل يصدق جزئي ومن كلام له عليه السلام وليس لواضع المعروف في غير حقه وعند غير اهله من الحظ فيما اتى الا محمدة اللئام وثناء الاشرار ومقالة الجهال ما دام منعما عليه ما اجود يده وهو عن ذات الله بخيل فمن آتاه الله مالا فليصل به القرابة وليحسن منه الضيافة وليفك به الاسير والعاني وليعط منه الفقير والغارم وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب فان فوزا بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة ان شاء الله تعالى اقول غرض الفصل التنبيه على مواضع المعروف والرخصة التي ينبغي صرف المال فيها وغير حقه اي غير وجهه الذي ينبغي صرفه فيه وفيما

اتى اي فيما فعل من المعروف وارشد من مواضعه الى خمسة والعاني هو الاسير والغارم من عليه دين والنوائب ما ينوب الانسان مما يوجب غرمه كالمصادرات ونحوها واراد بالخصال مواقع المعروف المذكورة فانها فضائل داخلة تحت فضيلة الكرم والمواظبة عليها تصيرها ملكات واخلاقا محمودة ونكر الفوز ليفيد شياعا دون تقييده بالله لايهامه الخصوص والحرية واحتماله لها ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء الا وان الارض التي تحملكم والسماء التي تظلكم مطيعتان لربكم وما اصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجعا لكم ولا زلفة اليكم ولا لخير ترجونه منكم ولكن امرتا بمنافعكم فاطاعتا واقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا ان الله يبتلي عباده عند الاعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات واغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سببا لدرور الرزق ورحمة للخلق فقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا فرحم الله امرأ استقبل توبته واستقال خطيئته وبادر منيته اللهم انا خرجنا اليك من تحت الاستار والاكنان وبعد عجيج البهائم والولدان راغبين في رحمتك وراجين فضل نعمتك وخائفين من عذابك ونقمتك اللهم فاسقنا غيثك ولا تجعلنا من القانطين ولا تهلكنا بالسنين ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا يا ارحم الراحمين اللهم انا خرجنا نشكو اليك ما لا يخفى عليك حين الجأتنا المضايق الوعرة واجاءتنا المقاحط المجدبة واعيتنا المطالب المتعسرة وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة اللهم انا نسألك ان لا تردنا خائبين ولا تقلبنا واجمين ولا تخاطبنا بذنوبنا ولا تقايسنا باعمالنا اللهم انشر علينا غيثك وبركتك ورزقك ورحمتك واسقنا سقيا نافعة مروية معشبة تنبت بها ما قد فات وتحيي بها ما قد مات نافعة الحيا كثيرة المجتنى تروي بها القيعان وتسيل بها البطنان وتستورق الاشجار وترخص الاسعار انك على ما تشاء قدير اقول نبه بقوله الا وان الارض الى قوله فقامتا على انهما
لبسنا

لبسنا بدوا في اولى للرزق بل هما مطيعتان لله في اخراجهما الرزق للحيوان وهو الذي جعل السماء كالاب بارسالها وجعل الارض كالام في قبولها للماء واستعدادها به للنبات واخرج منهما رزق العباد كما قال تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الى قوله متاعا لكم ولانعامكم وطاعتهما دخولهما تحت تصريف قدرته وامرهما بمنافعهم واقامتهما على حدود مصالحهم حكم العناية الالهية عليهما باخراج هذه المنافع وجعلها وفق مصالح الحيوان وقيامهما وطاعتهما وجود ذلك منهما على حسب مقتضى القدرة الالهية والزلفة المنزلة وقوله ان الله الى قوله مزدجر تنبيه على سبب حبس المطر ووجه الحكمة الالهية في ابتلاء الخلق بالمذكور وهو كقوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف الآية والاقلاع عن السيئة الرجوع عنها وقوله وقد جعل الى قوله مدرارا تنبيه على وجه الخلاص من الابتلاء المذكور وذلك هو الاستعداد بالاستغفار والمبادرة المسابقة بالعمل الصالح والعجيج رفع الاصوات بالحنين والبكاء والقنوط اليأس وتلاحمت اتصلت والواجم الذي اشتد حزنه ومقايستهم باعمالهم جزاؤهم بما يشبهها ويقايسها من السيئة والنافعة المروية والقيعان جمع قاع وقوع وهو المستوي من الارض والبطنان جمع بطن وهو المنخفض من الارض وباقي الفصل ظاهر ومن خطبة له عليه السلام بعث رسله بما خصهم به من وحيه وجعلهم حجة له على خلقه لئلا تجب الحجة لهم بترك الاعذار اليهم فدعاهم بلسان الصدق الى سبيل الحق الا ان الله قد كشف الخلق كشفة لا انه جهل ما اخفوه من مصون اسرارهم ومكنون ضمائرهم ولكن ليبلوهم ايهم احسن عملا فيكون الثواب جزاء والعقاب بواء اين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا ان رفعنا الله ووضعهم واعطانا وحرمهم وادخلنا واخرجهم بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى ان الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم اقول الضمير في قوله لهم واليهم للخلق وهو اشارة الى قوله تعالى رسلا مبشرين

ومنقذين الآية ولسان الصدق دعوته صلى الله عليه وآله المؤيد بالمعجزات الباهرة
وسبيل الحق شريعته القائدة الى الله تعالى وابنوا الجزاء واما الذين زعموا انهم
الراسخون في العلم فان جماعة من الصحابة كان كل منهم يدعي الافضلية في فن من العلم
فمنهم من كان يدعي انه افرض ومنهم من كان يدعي انه اقرأ ومنهم من كان يدعي انه
اعلم بالحلال والحرام ورووا افرضكم زيد بن ثابت واقرأكم ابي ورووا
مع ذلك اقضاكم علي ولما كان القضاء مستجمعا لانواع العلوم لزم انه افضلهم
لاستجماعه ما تفرق فيهم من الفضائل ونصب حسدا في كذبهم وان في محل النصب
بالمفعول اليه وهو اشارة الى العلة الحاملة لهم على تكلف هذه الدعوى و
اعطانا اي الملك والنبوة وادخلنا في عنايته الخاصة واستعار لفظ العمى للجهل
وقوله الائمة من قريش نص متفق عليه من النبي صلى الله عليه وآله وتخصيص ذلك بعد البطن
الى ولده الاحد عشر بنص كل منهم على من بعده منها آثروا عاجلا واخروا آجلا
وتركوا صافيا وشربوا آجنا كاني انظر الى فاسقهم وقد صحب المنكر فألفه
وانس به ووافقه حتى شابت عليه مفارقه وصبغت به خلائقه ثم اقبل مزبدا بني
كالتيار لا يبالي ما غرق وكوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرق اين العقول المستصبحة
بمصابيح الهدى والابصار اللامحة الى منار التقوى اين القلوب التي وهبت لله و
عوقدت على طاعة الله ازدحموا على الحطام وتشاحوا على الحرام ورفع لهم علم الجنة
والنار فصرفوا عن الجنة وجوههم واقبلوا الى النار باعمالهم ودعاهم ربهم فنفروا
وولوا ودعاهم الشيطان فاستجابوا واقبلوا اقول الاشارة الى بني امية ومن
تبعهم ممن خف دينه والعاجل متاع الدنيا واستعار لفظ الآجن باعتبار ما
يخالطه من كدر الاعراض والامراض المنغصة والآجل هو ثواب الآخرة واستعار
له لفظ الصافي باعتبار خلوصه عن الاكدار المذكورة وفاسقهم يشبه ان يريد
به معينا قيل هو عبد الملك بن مروان وانس بالامر الفه واني اليه وكنى بغايته في ذلك
عن صيرورته ملكة وخلقا له وشبه اقباله في حركاته الخارجة عن الدين بالبحر الطامي

واستعار

واستعار له لفظ المزبد وكذلك شبه فعله بوقع النار في الهشيم وهو ما يكسر
من نبت الارض بعد يبسه باعتبار سرعة افساده وعيثه في البلاد من غير
مبالاة بالدين كما قال لا يبالي ما حرق واستعار لفظ مصابيح الهدى ومنار التقوى
اي اعلامها لائمة الدين او لقوانينه ووصف هبة القلوب ومعاقدها بتوفرها
على طاعة الله والضمير في قوله ازدحموا عائد الى من سبق وهو الى آخره ذم لهم
وانما قال واقبلوا باعمالهم ولم يقل بوجوههم كما قال فصرفوا وجوههم لان
اقبالهم بوجوه نفوسهم على لذات الدنيا يستلزم صرفها عن الاعمال الموصلة الى
الجنة وذلك يستلزم اعراضها عن الجنة ثم لما كانت غاية الانسان من الدنيا هو
الحصول على لذاتها وكانت النار لازمة للاعمال الموصلة الى تلك الغاية لزوما
عرفيا لم يكن النار غاية ذاتية قد اقبلوا بوجوههم وقصودهم اليها
بل كان اقبالهم عليها باعمالهم المستلزمة لها وباقي الفصل واضح ومن
خطبة له عليه السلام ايها الناس انما انتم في هذه الدنيا غرض تنتضل
فيه المنايا مع كل جرعة شرق وفي كل اكلة غصص لا تنالون منها نعمة
الا بفراق اخرى ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره الا بهدم آخر من اجله
ولا تجدد له زيادة في اكله الا بنفاد ما قبلها من رزقه ولا يحيى له اثر الا مات بنزاق
له اثر ولا يتجدد له جديد الا بعد ان يخلق له جديد ولا يقوم له نابتة الا وتسقط نابتة
منه محصودة وقد مضت اصول نحن فروعها فما بقاء فرع بعد ذهاب اصله
اقول استعار لهم لفظ الغرض لرميه بسهام المنايا والانتضال الرمي وكنى بالجرعة
والاكلة من لذات الدنيا وبالشرق والغصص عما يلزمها من الاكدار وقوله لا تنالون
الى قوله محصودة فرق لطيف بين لذات الدنيا والآخرة وهو ان لذات الدنيا
لا يمكن ان يجتمع للانسان نوعان منها معا لكونها حاصلة من طرق الحواس المختلفة
فعندما يتوجه النفس الى تحصيل نوع منها ويشتغل به يفارق غيره ولانها لذات
زمانية فهي في معرض الزوال فلا يكاد يجتمع منها نوعان يستلذ بهما في حال واحد

بخلاف اللذات الاخروية والاكلة باللها وهضم الهرم ماكوله والاثر كالولد والنابتة
والمحصود حقيقتان في النبات كنى بهما عما يتجدد للانسان من خير وعما يعدم
له والاصول الماضية الآباء منها وما احدثت بدعة الا ترك بها سنة
فاتقوا البدع والزموا المهيع ان عوازم الامور افضلها وان محدثاتها شرارها
اقول البدعة كل ما احدث في الدين من غير حجة شرعية ووجه استلزامها الترك
السنة ان تركها من السنة فارتكابها يستلزم ترك السنة والمهيع الطريق الواضح
وهي الشريعة والعوازم جمع عوزم اراد بها قدماء السنن التي كانت على عهد
الرسول صلى الله عليه وآله ومحدثاتها البدع وكونها شرارا لمخالفتها الدين ومن كلام له
ومن خطبة له عليه السلام وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس
بنفسه فقال ان هذا الامر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلة وهو دين الله الذي
اظهره وجنده الذي اعزه وامده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع ونحن على موعود ما بلغ له
من الله والله منجز وعده وناصر جنده ومكان القيم بالامر مكان النظام من الخرز
يجمعه ويضمه فان انقطع النظام تفرق وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره ابدا والعرب اليوم
وان كانوا قليلا فهم كثيرون بالاسلام عزيزون بالاجتماع فكن قطبا واستدر الرحى
بالعرب واصلهم دونك نار الحرب فانك ان شخصت من هذه الارض انتقضت
عليك العرب من اطرافها واقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات اهم اليك
مما بين يديك ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا يقولوا هذا اصل العرب فاذا اقتطعتموه
استرحتم فيكون ذلك اشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك فاما ما ذكرت من مسير القوم
الى قتال المسلمين فان الله سبحانه هو اكره لمسيرهم منك وهو اقدر على تغيير ما يكره
واما ما ذكرت من عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة وانما كنا نقاتل بالنصر و
المعونة اقول حتى بلغ ما بلغ اي من الكثرة والعزة وطلع حيث طلع اي من آفاق البلاد
وموعود الله في قوله وعد الله الذين آمنوا الى قوله من بعد خوفهم امنا والقيم بالامر
الامام وحذافير الشيء اطرافه جمع حذفار وقوله بحذافيره اي باسره واستعار له

لفظ

لفظ القطب ولفظ الرحى للامور الاسلام او للحروب والعورات مواضع المخافة على
الاسلام واهله والكلب الشر وقد كان ذكر له مسير القوم وهم الفرس في وقعة
القادسية الى قتال المسلمين وذكر كثرة عددهم فاجابه عن هذين الوجهين بمعنيين
معنى الاول قوله فان الله سبحانه الى قوله يكره وتقديره وكل ما كان كذلك
فلا ينبغي ان ينظر الى كثرة العدد ويحفل به ومن خطبة له عليه السلام فبعث محمدا
صلى الله عليه وآله بالحق ليخرج عباده من عبادة الاوثان الى عبادته ومن طاعة
الشيطان الى طاعته بقرآن قد بينه واحكمه ليعلم العباد ربهم اذ جهلوه وليقروا به
بعد اذ جحدوه وليثبتوه بعد اذ انكروه فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير ان يكونوا
رأوه بما اراهم من قدرته وخوفهم من سطوته وكيف محق من محق بالمثلات
واحتصد من احتصد بالنقمات وانه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء
اخفى من الحق ولا اظهر من الباطل ولا اكثر من الكذب على الله ورسوله وليس عند اهل
ذلك الزمان سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا انفق منه اذا حرف عن
مواضعه ولا في البلاد شيء انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر فقد نبذ الكتاب حملته
وتناساه حفظته فالكتاب واهله يومئذ منفيان طريدان وصاحبان مصطحبان
في طريق واحد لا يؤويهما مؤو فالكتاب واهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم
ومعهم وليسا معهم لان الضلالة لا توافق الهدى وان اجتمعا فاجتمع القوم على الفرقة وافترقوا
عن الجماعة كانهم ائمة الكتاب وليس الكتاب امامهم فلم يبق عندهم منه الا اسمه ولا يعرفون
الا خطه وزبره ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثلة وسموا صدقهم على الله
فرية وجعلوا في الحسنة عقوبة السيئة وانما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم وتغيب
آجالهم حتى نزل بهم الموعود الذي ترد عنه المعذرة وترفع عنه التوبة وتحل
معه القارعة والنقمة ايها الناس من استنصح الله وفق ومن اتخذ قوله دليلا هدي
للتي هي اقوم وان جار الله آمن وعدوه خائف وانه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله
ان يتعظم فان رفعة الذين يعلمون ما عظمته ان يتواضعوا له وسلامة الذين

يعلمون ما قدرته ان يستعلموا له فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من الاجرب والبارى من ذى السقم واعلموا انكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذى تركه ولن تاخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذى نقضه ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذى نبذه فالتمسوا ذلك من عند اهله فانهم عيش العلم موت الجهل يخبركم حلمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق اقول ذكر اعواض البعثة فى معرض مدح الرسول صلى الله عليه وآله وتجليه سبحانه فى كتابه هو ظهور وجوده لقلوب عبيده بالمبدعات التى اشتمل عليها كالتنبيه على انواع المقدورات واصنافها على كمال قدرته وبانواع المبدعات المحكمة على كمال علمه وحكمته وبالتخويف بالمثلات وهى العقوبات النازلة بالقرون الماضية وافنائهم فيعلموا ما بعد الموت واى داء اكبر فاما الكذب على الله وعلى رسوله نروى عن شعبة وكان امام المحدثين انه قال تسعة اعشار الحديث كذب وعن الدارقطنى ما الحديث الصحيح الا كالشعرة البيضاء فى الثور الاسود وتلى حق تلاوته اى وضع مواضعه وفسر كما هو المراد به وتحريفه عن مواضعه حمله على غير محامله ونبذ جملة له اعراضهم عن تدبر ما فيه والعمل به واهله هم الواعون له العاملون بما فيه والطريق المصطحبان فيه طريق الله واصطحابهما ملازمته العمل به واتفاقهما على الدلالة فى طريق الله وهم فى الناس ومعهم بابدانهم والكتاب معهم بالفاظه وكتبه وليسوا فى الناس ولا معهم بقلوبهم والكتاب بمقاصده وثمرته واشار الى وجه المباينة بينهما وبين الناس بكونهما على هدى والناس على ضلالة والضدان لا يجتمعان فى محل واحد هو القلب وان اجتمعا الاجتماع المذكور والقوم اهل زمانه كالخوارج وغيرهم ومن بعده كالاراء والمذاهب المختلفة وزبر كتبه وشبههم بائمة الكتاب فى جعله تبعا لارائهم وقوله ومن قبل ما مثلوا بالصالحين الى قوله عقوبة السيئة اشارة الى ما فعل امراء بنى امية وولاتهم كعبيد بن زياد والحجاج ومثل بالتخفيف والتشديد نكل والاسم

عدد القرى (؟)

البغضاء

المثلة بضم الميم وسكون الثاء وما مصدرية محلها الرفع بالابتداء وخبرها من قبل واراد الذين فعلوا ذلك من قبل بالنسبة الى من بعدهم من الداخلين فى وصفه والقارعة الشديدة واستنصاح الله تعالى قبول قوله واتخاذه دليلا فى طريقه التى هى اقوم الطرق وجار الله من لزم بابه بطاعته وبين معرفة الله وعظمته والتعظيم معاندة لاستلزام معرفة العارف به استصغاره نفسه فى جنب عظمته وذلك مناف للكبر وكذلك تواضع العارف بعظمته واستسلامه لقدرته استسلامه له مستلزمان لرفعته وسلامته فى الدارين ومعرفة تارك الرشد وناقض الكتاب ونابذه شرط فى المعرفة التامة للرشد والتمسك التام بالكتاب ولزوم ميثاقه الماخوذ على العباد فى العمل به لان المعرفة التامة للشىء تستدعى معرفة ما عليها من الشكوك والشبه التى هى سبب نقصان معرفته والتشكك فيه ولما كان الرشد هو الحق الذى هو عليه وتابعه والتارك لذلك هم مخالفوه من ائمة الضلال لاجرم كان من تمام معرفة الرشد الذى يدعوا به من الكتاب معرفة خصومه الذين تركوا الرشد ونقضوا الكتاب ومعرفة شبههم الباطلة لتحصل المعرفة على بصيرة ولما نبه على تلك المعرفة امر بالتماسها من عند اهلها واراد نفسه واهل بيته عليهم السلام واستعار لهم وصفى عيش العلم اى حياته وموت الجهل باعتبار ان بهم وجود العلم والانتفاع به وعدم الجهل والغرض به وحكمته نطقهم بالحكمة ولما كان من جملة حكمته وظاهرهم هيئة للخاشعين العابدين وهو دال على اتصاف نفوسهم بكمال تقوى العلم والعمل واستعار لفظى الصامت والناطق للدين باعتبار افادة الاحكام الشرعية منه عند الرجوع اليه وعدمها ومن خطبة له عليه السلام فى ذكر اهل البصرة كل واحد منهما يرجو الامر له ويعطفه عليه دون صاحبه لا يمتان الى الله بحبل ولا يمدان اليه بسبب كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه وعما قليل يكشف قناعه به والله لئن اصابوا الذى يريدون لينتزعن هذا

عن هذا نفس هذا وليأتين هذا على هذا وقد قامت الفئة الباغية فاين المحتسبون وقد سنت لهم السنن وقدم لهم الخبر ولكل ضلة علة ولكل ناكث شبهة والله لا اكون كمستمع اللدم يسمع الناعى ويحضر الباكى اقول يشير الى طلحة والزبير والامر امر الامارة ويعطفه يجذبه اليه واراد انهما مختلفان فى نفس الامر وان اتفقا على خلافه وليس لهما حضورها فان غاية من اظهار المنكر ومدّت بكذا توسل به والضب الحقد الغل واستعار لفظ القناع لظاهره الساتر لباطنه وقد نقل انهما اختلفا قبل فى الاحق بالتقديم فى الصلاة حتى اقامت عائشة محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير يصلى بالناس هذا يوما وهذا يوما وادعى كل واحد منهما كونه شبهة ذكرها فامرت الناس ان يسلموا عليهما جميعا بالامرة وهم الفئة الباغية هاهنا والمحتسبون طالبوا الاجر والثواب من الله والخبر الذى قدم لهم ما اخبره به الرسول صلى الله عليه وآله بقوله يا على انك ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين والمراد ان من سمع هذا الخبر من طالبى ثواب الله وجب عليه قتال هؤلاء لنكثهم وقوله ولكل ضلة الى قوله شبهة كالجواب لمن عساه يقول انهم يحتجون بكذا واللدم الضرب على الصدر والوجه ونحوه واراد انه بعد علمه بقصد هؤلاء لقتاله بامارات ظاهرة لا ينام عنهم حتى يوافوه فيكون فى الغرور كمستمع اللدم والبكاء الذى هو مظنة للنظر ثم لا يصدق حتى يحضر الباكى ليرى هذا الحال فيسلم نفسه للعدو وقد كان الاولى ان يكتفى بذكر السماع ويستعد للقائه او الهرب منه ومن كلام له عليه السلام قبل موته ايها الناس كل امرئ منكم لاق ما يفر منه فى فراره والاجل مساق النفس والهرب منه موافاته كم اطردت الايام ابحثها عن مكنون هذا الامر فابى الله الا اخفاءه هيهات علم مخزون اما وصيتى فالله لا تشركوا به شيئا ومحمدا فلا تضيعوا سنته اقيموا هذين العمودين واوقدوا هذين المصباحين وخلاكم ذم ما لم تشردوا حمل كل امرئ منكم مجهوده وخفف عن الجهلة رب رحيم ودين قويم وامام عليم غفر الله لى ولكم

لاق ما يفر منه

انا بالامس صاحبكم وانا اليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم ان تثبت الوطاة فى هذه المزلة فذاك المراد وان تدحض القدم فانا كنا فى افياء اغصان ومهاب رياح وتحت ظل غمام اضمحل فى الجو متلفقها وعفا فى الارض مخطها وانما كنت جارا جاوركم بدنى اياما وستعقبون منى جثة خلاء ساكنة بعد حراك وصامتة بعد نطق ليعظكم هدوى وخفوت اطراقى وسكون اطرافى فانه اوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ والقول المسموع وداعيكم وداع امرئ مرصد للتلاقى غدا ترون ايامى ويكشف لكم عن سرائرى وتعرفوننى بعد خلو مكانى وقيام غيرى مقامى اقول انما قال فى فراره لكون الانسان ابدا فارا من الموت واذ كان لا بد من لقائه قياما فلقاؤه فى فراره والاجل تقديرا دبه مدة الحياة وهو مساق النفس الى غايتها وفى قوله والهرب منه موافاته لطف فان الفرار منه مثلا بالحركات والعلاجات ونحوها يستلزم فناء الاوقات وفى فنائها موافاته فكان الهرب منه موافاة له واطردت الايام جعلتها طريدة لى اتبعها بالبحث عن مكنون هذا الامر وهو قتله فان الرسول عليه السلام اخبره به اجمالا حيث قال له اتدرى من اشقى الاولين قال نعم عاقر الناقة فقال وتعلم من اشقى الاخرين فقال لا فقال من تخضب هذه واشار الى لحيته من هذا واشار الى راسه و المكنون وقته وكيفيته بالتفصيل وهيهات اى بعد ذلك العلم وحرفه لقوله تعالى وعنده علم الساعة الاية وروى اسم الله ومحمد منصوبين اى اعبدوا الله واتبعوا محمدا واستعار لفظ العمودين للتوحيد والسنة باعتبار قيام الدين بهما ولفظ المصباحين باعتبار هداية الخلق بهما وايقادهما احياؤهما ولزومهما وخلاكم ذم مثل يضرب لمن تبرأ من العيب واول من قاله قصير مولى جذيمة وقوله ما لم تشردوا استثناء من نفى لحوق الذم لهم وقوله وحمل كل امرئ الى قوله الجملة اشارة الى تفاوت التكليف بذلك وان الله قد حمل كل امرئ مجهوده وما استعد لقبوله وارادا بالامام العليم الرسول صلى الله عليه وآله ونفسه عليه السلام

المزلة

السبع (؟)

لعلمهما بوضع الدين وتفاوت قسمته بحسب الاذهان وكنى بنبات الوطاة عن
البقار في حالته تلك وبدحض القدم وهو زلقه عن الموت واستعار لفظ افيا الاغصان
لما يشبه الظل من الحياة ومتاعها للاستراحة اليه كالظل ولفظ الاغصان
للابدان وكذلك لفظ مهاب الرياح لانها قوابل النفحات الالهية ولفظ ظل الغمام
لما يعقل من البقاء ومتاع الدنيا ولفظ الغمام لاسباب البقاء المجتمعة ووصف اضمحلال
ما تلفق من الغمام واجتمع لزوال تلك الاسباب وتفرقها والغرض في محطها يعود
الى الرياح ولفظ الخط مستعار للابدان ايضا كالمهاب وعفاؤها فناؤها وقوله
جاوركم بدني فيه تنبيه على ان الانسان امر وراء هذا البدن وان نفسه القدسية
كانت متصلة بالملا الاعلى وستعقبون اي يوجدون في العاقبة من جثته خالية من
الروح وقوله وداعيكم اي وداع لكم ومرصد للتلاقي اي معد للقائهم يوم القيمة
وقوله غدا اي بعد موته الى آخره اراد انهم لم يكونوا عارفين بحقه في امر الدين
ومقاصده في حروبه وانما يعرفون ذلك ويكشف لهم بعد خلو مكانه وقيام يوم
غيره مقامه ومن كلام له عليه السلام يومي فيها الى الملاحم واخذوا يمينا وشمالا
طعنا في مسالك الغي وتركا لمذاهب الرشد فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد
ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد فكم من مستعجل بما ان ادركه ود انه لم يدركه
وما اقرب اليوم من تباشير غد يا قوم هذا ابان ورود كل موعود ودنو من طلعة
ما لا يعرفون الا وان من ادركها منا يسري فيها بسراج منير ويحذو فيها على
مثال الصالحين ليحل فيها ربقا ويعتق رقا ويصدع شعبا ويشعب صدعا في
سترة عن الناس لا يبصر القائف اثره ولو تابع نظره ثم ليشحذن فيها قوم
شحذ القين النصل تجلى بالتنزيل ابصارهم ويرمى بالتفسير في مسامعهم ويغبقون
كاس الحكمة بعد الصبوح اقول الضمير في قوله واخذوا لمن ضل من المسلمين عن طريق
الهدى واليمين والشمال طرفا التفريط والافراط من الفضائل التي ذكرناها قبل
وتلك الاطراف هي الرذائل وهي مسالك الغي ومذاهب الرشد هي الفضائل

النفسانية والكائن المرصد هو ما كانوا يتوقعونه من الفتن الموعود بها وكانوا
كثيرا ما يسألونه عن وقتها فنهاهم عن استعجال ما لا بد من وقوعه واستبطائه
وابان الشيء وقته ومن ادركها اي تلك الفتن منا اي من اهل البيت الائمة الاطهار
واستعار لفظ السراج للكمالات النفسية التي استضاءت بها في طريق الله واستعار
لفظ الربق وهو الحبل فيه عدة عرى يشد بها البهم لما انعقد في النفوس من العقايد
الباطلة والشبه والامام يحلها ويعتق الرقاب من رق اثامها ويصدع ما انشعب
والتام من الباطل ويشعب ما انصدع من الحق وهو مغمور في الناس والقائف
قصاص الاثر واراد انه لا يعرفه من يتعرفه وما زالت ائمة اهل البيت عليهم السلام
مغمورين في الناس لا يعرفهم الا من عرفوه انفسهم وقوله ثم ليشحذن الى قوله النصل
فاستعار وصف الشحذ وهو التحديد لاعداد اذهان قوم فيها لقبول العلوم والحكمة
كما يعد الحداد النصل للقطع بالشحذ وقوله تجلى بالتنزيل الى آخره بيان كيفية ذلك
الشحذ والاعداد واسبابه وهي تدبر القرآن وجلا ابصار بصائرهم بانواع علومه
وحكمته وقذف تفسيره في مسامعهم كما ينبغي من امام الوقت واشار بقوله يغبقون
الى آخره الى ادمانهم لتلقف الحكمة واستفادتها من امام الوقت ولفظ الصبوح
والغبوق مستعاران منها وطال الامد بهم ليستكملوا الخزي ويستوجبوا الغير
حتى اذا اخلولق الاجل واستراح قوم الى الفتن واشتالوا عن لقاح حربهم لم يمنوا
على الله بالصبر ولم يستعظموا بذل انفسهم في الحق حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع
مدة البلاء حملوا بصائرهم على اسيافهم ودانوا لربهم بامر واعظهم حتى اذا قبض الله
رسوله صلى الله عليه وآله رجع قوم على الاعقاب وغالتهم السبل واتكلوا على الولائج الولايه م
ووصلوا غير الرحم وهجروا السبب الذي امروا بمودته ونقلوا البناء عن رص اساسه
فبنوه في غير موضعه معادن كل خطيئة وابواب كل ضارب في غمرة قد ماروا
في الحيرة وذهلوا في السكرة على سنة من آل فرعون من منقطع الى الدنيا راكن
او مفارق للدين مباين اقول اشار بمن طال الامد بهم الى من كان من اهل الجاهلية

وقوله ليستكملوا الى قوله الغير كقوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم
الى قوله انما حتى اذا اخلولق اجلهم واستراح قوم منهم الى الفتن والوقايع و
اشتالوا عن لقاح حربهم اي اعدوا انفسهم لها كما تعد الناقة نفسها بشول
ذنبها ورفعه للقاح وهي شائلة والضمير في قوله لم يمنوا يرجع الى ذكر سبق
للصحابة في هذه الخطبة حين قام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيهم وبهم الحرب
فلم يمنوا على الله بصبرهم ولم يستعظموا بذل انفسهم في نصرة الحق
حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء بدولة الجاهلية حمل
هؤلاء الذين لم يمنوا على الله بنصرهم لم بصائرهم اي قرونهم على سيوفهم
في نصرة الدين ودانوا لربهم بامر واعظهم وهو الرسول صلى الله عليه وآله حتى
اذا قبض الله رسوله رجع قوم عن الاسلام على اعقابهم واراد من ارتد بعد
الرسول صلى الله عليه وآله من العرب وغيلة السبل لهم استطراق طرق الباطل
المشتبهة عليهم لهم واتكالهم على الولائج اعتماد كل منهم في نصرة رايه الفاسد على
شبهته التي يلج فيها او على اهل خاصته وبطانته وهي الوليجة والسبب الذي
امروا بمودته هم اهل البيت واستعار لهم لفظ السبب باعتبار ابصارهم
المتمسك بولائهم الى الله والامر بمودتهم في قوله تعالى قل لا اسألكم عليه
اجرا الا المودة في القربى وقوله ونقلوا الى غير موضعه اشارة الى عدول من
عدل بامر الخلافة عنه الى غير بنيته واستعار لهم لفظ الابواب باعتبار انهم
مبادي الشبه والآراء الفاسدة التي تدخل الناس في الجهل منها والضارب
في الغمرة الداخلة في غمرة الجهل وماروا ترددوا ولفظ السكرة مستعار لغفلة
الجهل ومن خطبة له عليه السلام واستعينه على مداخل الشيطان ومزاجره
والاعتصام من حبائله ومخاتله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد
ان محمدا عبده ورسوله ونجيبه وصفوته لا يوازى فضله ولا يجبر فقده
اضاءت البلاد بعد الضلالة المظلمة والجهالة الغالبة والجفوة الجافية والناس

يستحلون الحريم ويستذلون الحليم يحيون على فترة ويموتون على كفرة ثم انكم
معشر العرب اغراض بلايا قد اقتربت فاتقوا سكرات النعمة واحذروا بوائق
النقمة وتثبتوا في قتام العشوة واعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها وظهور وتثبتوا ك
كمينها وانتصاب قطبها ومدار رحاها تبدا في مدارج خفية وتؤول الى فظاعة
جلية شبابها كشباب الغلام وآثارها كآثار السلام يتوارثها الظلمة بالعهود
اولهم قائد لآخرهم وآخرهم مقتد باولهم يتنافسون في دنيا دنية ويتكالبون
على جيفة مريحة وعن قليل يتبرأ التابع من المتبوع والقائد من المقود فيتزايلون
بالبغضاء ويتلاعنون عند اللقاء ثم ياتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف والقاصمة
الزحوف فتزيغ قلوب بعد استقامة وتضل رجال بعد سلامة وتختلف
الاهواء عند هجومها وتلتبس الآراء عند نجومها من اشرف لها قصمته ومن سعى
فيها حطمته يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة قد اضطرب معقود الحبل
وعمي وجه الامر تغيض فيها الحكمة وتنطق فيها الظلمة وتدق اهل البدو بمسحلها
وترضهم بكلكلها يضيع في غبارها الوحدان ويهلك في طريقها الركبان
ترد بمر القضاء وتحلب عبيط الدماء وتثلم منار الدين وتنقض عقد اليقين تهرب
منها الاكياس وتدبرها الارجاس مرعاد مبراق كاشفة عن ساق تقطع فيها الارحام
ويفارق عليها الاسلام بريها سقيم وظاعنها مقيم اقول الدحو الطرد ومداحر
الشيطان مطارده من العبادات والطاعات واستعار لفظ الحبائل للشهوات
التي هي شباك الشيطان ومخاتله خادعته ولا يوازى اي لا يقابل بمثله اذ ليس لفضله
مثل واضاءت البلاد بسبب ما جاء به من نور الاسلام والضلالة الكفر والجفوة ما
كانت العرب عليه من الغلظة ووصفها بما اشتق منها مبالغة والناس اهل الجاهلية
والبلايا الفتن الموعود بها واستعار لفظ السكرات للغفلة في نعمة الله عن
ذكره فانها تعد لتغيرها ونزول بوائق النقمة وهي الدواهي واستعار لفظ العشوة
للفتنة ولفظ القتام لما يعرض من الشبهة بسببها واراد فتنة بني امية ولفظ

جنينها الصغير يا بيد وامثالها وكنيها مستورها ولفظ القطب لصاحب
الفتنة الداعي فيها وكنى باستعانته على قيامه فيها بدا ورحاها عن اجتماع الخلق
عليه والمدارج الخفية صدور من يتوى القيام فيها والفظاعة تجاوز الامر الشديد
المقدار والسبل الجارة والظلمة امر آتي ابنه والضمير في يتوارثها للفتنة وهي
امره الظالمين باعتبار ابتلاء الخلق بها والتكالب التشاجر والموجة ذات
الجرح والفتنة الاخرى يشبه ان يكون فتنة التتار وقيل فتنة تاتي في آخر الزمان
كالفتنة الدجال والرجوف كثيرة الارجاف واضطراب الخلق فيها والزحوف
كثيرة الزحف ونحو مها ظهورها والنزف لها المتطلع الى فعلها وقاويها
الساعي فيها في قيامها والمراد ان قايمها ومقاومها يهلكان فيها واستعار
وصف التكادم للتغالب والعانة القطيع من حمر الوحش ومعقود الحبل ما انتظم
من امر الدين ووجه للامر وجه المصلحة واستعار وصف الضعف لعدم الحكمة والأوصاف
الغرس للفتنة كالمسحل وهي الحلقة تكون في طرف شكيمة اللجام والعبيط الطري
من الدم الطري ومن القضاء اقتحمه كالقتل ونحوه ومنار الدين مستعار للائمة
وعقود اليقين ما انعقد في النفس من الامور المتيقنة ونقضه ترك العمل على وفقه
والاكياس اهل العقول والآراء الصحيحة وكشفها عن ساق كناية عن اقبالها مشمرة
كالمنجم في محكه وقوله بربطها الى آخره من تبرا منها وهرب عنها لم ينج منها
بين قتيل مطلول وخائف مستجير يختلون بعقد الايمان وبغرور الايمان فلا
يكونوا انصاب الفتن واعلام البدع والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة وبنيت
عليه اركان الطاعة واقدموا على الله مظلومين ولا تقدموا عليه ظالمين واتقوا
مدارج الشيطان ومهابط العدوان ولا تدخلوا بطونكم لعق الحرام فانكم بعين
من حرم عليكم المعصية وسهل لكم سبل الطاعة اقول قوله بين قتيل الى قوله مستجير
يشبه ان يكون تفصيلا لحال المؤمنين في الفتنة ودم المطلول اذا هدر فلم
يطلب به وقوله يختلون الى قوله الايمان صفة استجلاب هؤلاء المقبولين وخديعتهم

عن انفسهم

على انفسهم وانصاب الفتن واعلامها رؤساؤها المقتدى بهم فيها وحبل الجماعة
نظام المسلمين بالدين وما عقدت عليه الالفة والموازرة وعلى ذلك بني الاسلام
واركان طاعة الله وقوله واقدموا على الله مظلومين ليس فيه امر بالانظلام لكونه
رذيلة بل اذا تعارض الظالمية والمظلومية فالمظلومية اولى مع علم النفس بالعجز
عن المقاومة او العلم بما يشتمل عليه المقاومة من فساد زايد على القدر الفايت بالانظلام
وانما تكون الانظلام رذيلة اذا كان مع مهانة لا تنبعث النفس معها الى دفع الظلم
والمقاومة ومدارج الشيطان مذاهبه وطرقه ومهابط العدوان وكنى بلعق الحرام
عما يؤكل منه واللعقة ما يتناوله الملعقة ولفظ العين مجاز في العلم ومن خطبة
له عليه السلام الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على ازليته وباشتباههم
على ان لا شبيه له لا تستلمه المشاعر ولا تحجبه السواتر لافتراق الصانع والمصنوع
والحاد والمحدود والرب والمربوب الاحد لا بتاويل عدد والخالق لا بمعنى حركة
ونصب والسميع لا باداة والبصير لا بتفريق آلة والشاهد لا بمماسة والبائن
لا بتراخي مسافة والظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة بان من الاشياء بالقهر
لها والقدرة عليها وبانت الاشياء منه بالخضوع له والرجوع اليه من وصفه فقد
حده ومن حده فقد عده ومن عده فقد ابطل ازله ومن قال كيف فقد استوصفه
ومن قال اين فقد حيزه عالم اذ لا معلوم ورب اذ لا مربوب وقادر اذ لا مقدور
اقول حمد الله تعالى باعتبارات من اوصافه فالاول اشارته الى وجوده الواجب
وللناس في اثباته طريقان احدهما اثبات وجوده باعتبار الوجود نفسه وقسمته
الى واجب وممكن وبيان لا بد من وجود واجب في الجملة وهو طريق الالهيين والثانية
الاستدلال بالنظر في الخلوق وطبايعها وتغيراتها على مبدا الهها وهي طريق الطبيعيين
والمليين والمتكلمين فرعوا هذه الطريق الى احدى طرق اربع وذلك انهم استدلوا
بامكان الاشياء ثم بحدوثها على الصانع وعلى التقديرين فهو واتقاني حصلها نحاوز
اشرنا الى تفصيلها في الاصل والكلام مستوفى في الكلام واشارته عليه السلام بقوله

الدال على وجوده بخلقه الى الاستدلال بحدوث العالم على وجود صانعه وهي الطريقة
المشهورة للمتكلمين الثاني في ازليته واشار اليه بقوله وبمحدث خلقه على ازليته
الثالث انه لا شبيه له واشار اليه بقوله وباشتباههم على ان لا شبيه له الرابع تنزيهه
عن الجسمية ولواحقها واشار اليه بقوله لا تستلمه المشاعر وهي الحواس الخامس انه
السموات لا تحجبه وبنبه على دليل الاعتبارات الخمسة بقوله لافتراق الصانع الى قوله
المربوب وبيانه ان الكل من الصانع والمصنوع صفات تخصه بها يفارق الآخر
تقدير الحجة ان المخلوقية والحدوث والاشتباه والملموسية بالمشاعر والحجب بالسواتر
من الصفات المختصة بالمصنوع والمحدود والمربوب وكلما كان كذلك فيجب ان
يتنزه الصانع الحاد رب الكل عنه وبيان ذلك بالتفصيل قد نبهنا عليه في الاصل
السادس في وحدانيته وقد سبق بيانها في الخطبة الاولى وقوله لا بمعنى العدد اي
كونه واحدا ليس بمعنى كونه مبدا الكثرة يعد بها السابع كونه تعالى في خالقيته منزها عن
الحركات والمتاعب الثامن كونه سميعا لا باداة التاسع كونه بصيرا لا بتفريق آلة واراد
بتفريق الآلة اما توزيع آلة الابصار وهو الشعاع على المبصرات او الآلة المفرقة وهما
القوتان في العينين او الارواح الحاملة لها العاشر كونه شاهدا اي حاضرا على المبصرات
الآلة المفرقة مع الاشياء لا بمماسة منها الحادي عشر تنزيهه عن المباينة بمعنى الافتراق
في المسافة الثاني عشر كونه ظاهرا منزها في ظاهريته عن رؤية الابصار وباطنا منزها
في ذلك عن لطافة المقدار الثالث عشر في تفسير مباينته للاشياء ومباينتها له بالوجه
اللايق بجلاله ونقصانها الرابع عشر تنزيهه عن الصفات الزايدة بالقياس الى ذكره
والمراد بوصفه هنا اشارة الوهم اليه ولما كان حده اما جعله مبدا الكثرة معدودة او ذا
اجزاء معدودة وكان ذلك من لواحق المحدثات غير المستحقة الازلية بالذات كان عده باحد
الاعتبارين مبطلا ازله الذاتي الخامس عشر تنزيهه عن السؤال عنه بكيف واين
لاستلزام المسئول عنه بها عليه وقد مرت الاشارة الى هذه الصفات وما بعدها و
الى براهينها في الخطبة الاولى وبالله التوفيق منها قد طلع طالع ولمع لامع ولاح لايح

واعتدل

واعتدل مايل واستبدل الله بقوم قوما وبيوم يوما وانتظرنا الغير انتظار
المجدب المطر وانما الائمة قوام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده لا يدخل الجنة
الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه ان الله قد خصكم بالاسلام
واستخلصكم له وذلك انه اسم سلامة وجماع كرامة اصطفى الله منهجه وبين حججه
من ظاهر علم وباطن حكم لا تفنى غرائبه ولا تنقضي عجائبه فيه مرابيع النعم ومصابيح
الظلم لا تفتح الخيرات الا بمفاتحه ولا تكشف الظلمات الا بمصابيحه قد احمى حماه و
ارعى مرعاه فيه شفاء المشتفي وكفاية المكتفي اقول اشار بطلوع الطالع الى ظهور
امر الخلافة له وانتقالها اليه وبلموع اللامع الى ظهور نور العدل بانتقالها الى معدنها
وبلوح اللايح الى ما يلوح من امارات الفتنة والمايل كون الامر في غيره قبله واعتداله انتقالها
اليه والقوم المستبدل بهم من سبقه به وزمانهم بزمانه وانتظاره للغير توقعه
لتغير الامر اليه والحركة والانقياد ولما ثبت في الاصول ان معرفتهم اي معرفة حقيقة
امامتهم ومعرفتهم لاوليائهم بالولاية لهم شرطان مساويان للايمان والايمان واستحقاق
دخول الجنة متلازمان ثبت ان معرفتهم والمعرفة بهم ملازمة لدخول الجنة وحينئذ
يكون انكارهم ودخول النار متلازمان والا لصدق احدهما على بعض الآخر فاما
ان يصدق انكارهم على بعض من لا يدخل النار فبعض من يدخل الجنة منكرهم او يصدق
دخول النار على بعض من ينكرهم فبعض من يعرفهم يدخل النار وكلاهما باطلان
لما بينا من الملازمة بين دخول الجنة ومعرفتهم فظهر بذلك وجه الحصر والتعيين
وفضيلة الاسلام من جهة اسمه كونه عبارة عن الدخول في الطاعة التي هي سلامة
الدارين ومن جهة معناه كونه جماع كرامة لان مواده على تعليم الفضايل والطهارة
عن الرذايل ومنهجه طريقه وحججه ادلته واماراته واستعار لفظ المرابيع وهي الامطار
الربيعية للعلوم والحكمة باعتبار احيائها القلوب ولفظ المصابيح لها للاهتداء بها
من ظلمة الجهل ولفظ المفاتيح للتوصل به الى الخيرات الحقيقية الباقية ولفظ الحمى
للمحرمات التي منع منها بنواهيه ولفظ المرعى للمباحات التي اباحها وحللها بارشاده

ومن خطبة له عليه السلام وهو في مهلة من الله يهوي مع الغافلين ويغدو مع المذنبين بلا سبيل قاصد ولا امام قائد اقول يصف حال الاولين المقتدين بالهوى وهو يهوي مع الغافلين اتخذ الهه في سلكهم الى مهاوي الهلاك مشبها حتى اذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم واستخرجهم من جلابيب غفلتهم استقبلوا مدبرا واستدبروا مقبلا فلم ينتفعوا بما ادركوا من طلبتهم ولا بما قضوا من وطرهم واني احذركم ونفسي هذه المنزلة فلينتفع امرؤ بنفسه فانما البصير من سمع فتفكر ونظر فابصر وانتفع بالعبر ثم سلك جددا واضحا يتجنب فيه الصرعة في المهاوي والضلال في المغاوي ولا يعين على نفسه الغواة بتعسف في حق او تحريف في نطق او تخويف من صدق فافق ايها السامع من سكرتك واستيقظ من غفلتك واختصر من عجلتك وانعم الفكر فيما جاءك على لسان النبي صلى الله عليه واله مما لا بد منه ولا محيص عنه وخالف من خالف ذلك الى غيره ودعه وما رضي لنفسه وضع فخرك واحطط كبرك واذكر قبرك فان عليه ممرك وكما تدين تدان وكما تزرع تحصد وكما قدمت اليوم تقدم عليه غدا فامهد لقدمك وقدم ليومك فالحذر الحذر ايها المستمع والجد الجد ايها الغافل ولا ينبئك مثل خبير ان من عزائم الله في الذكر الحكيم التي عليها يثيب ويعاقب ولها يرضى ويسخط انه لا ينفع عبدا وان اجهد نفسه واخلص فعله ان يخرج من الدنيا لاقيا ربه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها ان يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته او يشفي غيظه بهلاك نفسه او يعر بامر فعله غيره او يستنجح حاجة الى الناس باظهار بدعة في دينه او يلقى الناس بوجهين او يمشي فيهم بلسانين اعقل ذلك فان المثل دليل على شبهه ان البهائم همها بطونها وان السباع همها العدوان على غيرها وان النساء همهن زينة الحيوة الدنيا والفساد فيها اقول قوله حتى الى قوله وطرهم وصف حال العصاة الغافلين بعد الموت واستعار لفظ الجلابيب للابدان والهيات المكتسبة منها باعتبار حجبها الامور الآخرة عنهم والمدبر الذي استقبلوه

امر الآخرة

امر الآخرة والمقبل الذي استدبروه امور الدنيا والوطر الحاجة والمنزلة حال الغافلين المذكورين فانها منزلة اقدام العقول وقوله فانما الى قوله صدق شرح لكيفية انتفاع الانسان بنفسه كما امر به والجدد الطريق الواضح وهي سبيل الله المستلزمة للسلامة من صرعة المهاوي وهي المعاصي والتعسف في الحق تكلف تقويته بالشبهة الضعيفة والاحتمال البعيد والطرق غير الواضحة في الدين وتحريف القول تغييره بزيادة او نقصان وظاهر ان من عرف بذلك او بالتخوف من الصدق في بعض ما يتوهم فيه مضرة هان على الجهال والغواة ودعاهم ذلك منه الى الطمع في اضلاله عن باطلهم فكان معينا لهم على نفسه والاحتجاج بنقل فعله بل الواجب لزوم الطريق الواضح في كل مشتبه والكف عما سواها واراد بعجلته سرعته في طلب الدنيا وما لا بد منه الموت وما بعده والمحيص المعدل وقوله كما تدين الى قوله تحصد مثلان يضربان لمن يفعل فعلا ولا يرجى ثوابه به والتمهيد التوطية وقوله ان من عزائم الله الى قوله منها اي من جملة نصوص الله التي هي في محكم كتابه التي باعتقادها والعمل على وفقها يثيب ويرضى وبتركها يسخط ويعاقب انه لا ينفع عبدا اخرجه من الدنيا لاقيا به باحد الخصال المذكورة غير تائب منها وان اجهد نفسه في العمل واخلص والشرك في العبادة المفترضة الرياء ويحتمل ان يريد الشرك المعهود وشفاء غيظه بهلاك نفسه ان يشفيه بجرم يستعقب الهلاك في الدارين او في الآخرة وروي بهلاك نفس والاقرار بفعل الغير النميمة والسعاية به والبدعة المتوسل بها الى الحاجة كشهادة الزور وكارضاء الملوك بفعل بعض المحرمات ولقاء الناس بوجهين او لسانين كناية عن النفاق وهذه الرذائل بئس الزاد ليوم المعاد وقوله اعقل ذلك الى آخره اي اعقل ما اضرب لك من المثل واحمل عليه ما شبهه فان المثل دليل على شبهه وذلك المثل قوله ان البهائم الى قوله والفساد فيها فقوله ان البهائم همها بطونها اشارة الى ان الانسان التبع لشهوته بمنزلة البهيمة اذ همها ما تشتهيه من طعام وشراب وقوله وان السباع همها العدوان اشارة الى ان متبع

القوة الغضبية بمنزلة السبع في اتباعها ومحبة الانتقام وقوله وان النساء الى قوله فيها اشاره الى ان النساء متبعات للنفوس الشهوية ولها كان همهن زينة الحياة الدنيا والغضبية ولها كان همهن الفساد في الارض والتابع لشهوته بهيمة ولغضبه سبع ولهما امرأة ولما حصر منابع الشر في قوتي الشهوية والغضب حقق للمؤمنين صفات يستلزم تلك القوانين ليلزمها فتدبر المثل وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام وناظر قلب اللبيب به يبصر امده ويعرف غوره ونجده داع دعا وراع رعى فاستجيبوا للداعي واتبعوا الراعي قد خاضوا بحار الفتن واخذوا بالبدع دون السنن وارز المؤمنون ونطق الضالون المكذبون نحن الشعار والاصحاب والخزنة والابواب لا تؤتى البيوت الا من ابوابها فمن اتاها من غير ابوابها سمي سارقا اقول ناظر قلب اللبيب فكره وبه يبصر غايته وهي الموت وما بعده وغوره ونجده كانيان عن طريق الخير والشر واشار بالداعي الى الرسول صلى الله عليه واله والقرآن الكريم وبالراعي الى نفسه والضمير في خاضوا للمحاربين وارز يعني تقبضوا وانضموا واستعار لفظ الشعار لنفسه واهل بيته باعتبار قربهم من الرسول صلى الله عليه واله كالثوب الذي يلي الجسد دون باقي الثياب والخزنة والابواب اي خزنة علم الرسول وابوابه كما قال صلى الله عليه واله انا مدينة العلم وعلي بابها وقوله لا تؤتى ارشاد للناس الى نفسه واهل بيته بغير صغراه وقوله فمن اتاها الى آخره وتقدير كبراه ومن يسمى سارقا لحقه الاثم والعار والعقاب منها فيهم كرائم الايمان فهم وهم كنوز الرحمن ان نطقوا صدقوا وان صمتوا لم يسبقوا فليصدق رائد اهله وليحضر عقله وليكن من ابناء الآخرة فانه منها قدم واليها ينقلب فالناظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله ان يعلم ان عمله عليه ام له فان كان له مضى فيه وان كان عليه وقف عنه فان العامل بغير علم كالسائر على غير الطريق فلا يزيده بعده عن الطريق الواضح الا بعدا من حاجته والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح فلينظر ناظر اسائر هو ام راجع واعلم ان لكل ظاهر باطنا على مثاله فما طاب ظاهره طاب باطنه

وما خبث

وما خبث ظاهره خبث باطنه وقد قال الرسول الصادق صلى الله عليه واله ان الله يحب العبد ويبغض عمله ويحب العمل ويبغض بدنه واعلم ان لكل عمل نباتا وكل نبات لا غنى به عن الماء والمياه مختلفة فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته وما خبث سقيه خبث غرسه وامرت ثمرته الاشارة الى فضائل اهل البيت عليهم السلام وكرائم الايمان نفايسه كالاعتقادات الحقة والاخلاق الفاضلة وكنوز الرحمن استعارة باعتبار كونهم خزان علم الله وخصص وصف الرحمن لانه مبدأ نعمة الانبياء والاولياء اذ جعلهم الله برحمته هداة خلقه وقوله لم يسبقوا اي عند صمتهم لا يسبقون الى فضيلة النطق اذ كان صمتهم في موضع الصمت حكمة وقوله فليصدق رائد اهله كالمثل وقد سبق مثله ونبه على فضله والامر بصدق الخبر منه لمن بعثهم امره وانتقده من مراعي النفوس ومآخيها تماما ينبغي وليحضر عقله اي ليفهم ما يقوله واستعار لفظ الابناء للآخرة ووجه الشبه قوله فانها الى قوله ينقلب وذلك ان الانسان مبدؤه الحضرة الالهية فمنها ينقلب واليها يعود كالمنقلب عن الام الراجع اليها واعلم الى قوله باطنه اشارة الى ما اقتضته الحكمة الالهية من جعل العالم الجسماني مثالا للعالم الروحاني وطريقا للنفوس البشرية الى امثالها من المعقولات وانه لولا ذلك لتعذر السفر الى الحضرة الالهية ومن ذلك ما اشار اليه عليه السلام من اشخاص الناس وافعالهم الظاهرة فانها دالة على ما يناسبها من بواطنهم من الاخلاق واعمال القلوب دلالة اكثرية فرب حسن الصورة قبيح الباطن ورب خبيث الظاهر حسن الباطن ولذلك استشهد بالخبر النبوي فان الله يحب العبد من حيث صورته الحسنة لكونها مقتضى الحكمة الالهية وانسب الى الوجود من القبيحة التي هي انسب الى العدم ويبغض عمله من جهة ما هو شر مكروه بالذات ويحب ويبغض بالعكس من كان على العكس ومن النص للحكم على دلالة الظاهر على الباطن قوله تعالى والبلد الطيب الى آخره واستعار لفظ النبات لزيادة الاعمال ونموها ولفظ الماء للمادة القلبية من الارادات والنيات الخالصة وظاهر ان طيب الاعمال بطيبها

وخبثها بجنبها كما لا روا يسبق به ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقة
الخفاش الحمد لله الذي انحسرت الاوصاف عن كنه معرفته وردعت عظمته العقول
فلم تجد مساغا الى بلوغ غاية ملكوته هو الله الحق المبين احق وابين مما ترى العيون
لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها ولم تقع عليه الاوهام بتقدير فيكون ممثلا
خلق الخلق على غير تمثيل ولا مشورة مشير ولا معونة معين فتم خلقه بامره و
اذعن لطاعته فاجاب ولم يدافع وانقاد ولم ينازع ومن لطايف صنعته وعجايب
خلقته ما ارانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط
لكل شيء ويبسطها الظلام القابض لكل حي وكيف عشيت اعينها عن
ان تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدي به في مذاهبها وتتصل بعلانية برهان
الشمس الى معارفها وردعها بتلألؤ ضيائها عن المضي في سبحات اشراقها و
اكنها في مكامنها عن الذهاب في بلج ائتلاقها فهي مسدلة الجفون بالنهار على حداقها
وجاعلة الليل سراجا تستدل به في التماس ارزاقها فلا يرد ابصارها اسداف
ظلمته ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته فاذا القت الشمس قناعها وبدت اوضاح
نهارها ودخل من اشراق نورها على الضباب في وجارها اطبقت الاجفان على
ماقيها وتبلغت بما اكتسبته من المعاش في ظلم لياليها فسبحان من جعل الليل لها
نهارا ومعاشا والنهار سكنا وقرارا وجعل لها اجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة
الى الطيران كانها شظايا الآذان غير ذوات ريش ولا قصب الا انك ترى مواقع
العروق بينة اعلاما لها جناحان لما يرقا فينشقا ولم يغلظا فيثقلا تطير وولدها
لاصق بها لاجئ اليها يقع اذا وقعت ويرتفع اذا ارتفعت لا يفارقها حتى تشتد اركانه ويحمله للنهوض جناحاه ويعرف مذاهب عيشه
ومصالح نفسه فسبحان البارئ لكل شيء على غير مثال خلا من غيره اقول انحسار
الاوصاف كلالها عن كشف حقيقته لبراءتها عن التركيب وردعت كفت والمساغ
المسلك وانما الهوية المطلقة بقوله هو ولما لم تكن تلك الهوية مركبة لم يمكن ان
ان يدل عليها الا بالاعتبارات من السلوبية والاضافات اللازمة والعارضة واللوازم

الاضافية

الاضافية اشدها تعريفا والاكمل في التعريف هو اللازم الجامع لنوعي الاضافة
والسلب وذلك كون تلك الهوية الها فان الاله هو الذي ينسب الى غيره ولا ينسب
هو الى غيره اليه اضافي وعدم انتسابه الى غيره سلبي فلا جرم عقب ذكر الهوية
بما يدل على ذلك اللازم لانه كمليته في التعريف ثم لما شرح اسم الهوية اشار الى كونها
حقا اي موجودا ثابتا وجوده عند العقل احق وابين مما ترى العيون اذ هو فطري
ومن الاعتبارات السلبية كون العقول لم تبلغه تحديدا لما يلزمه من التشبيه لانك
علمت ان العقل انما يستثبت المعقول بصورة تحاكيه المتخيلة بمعاني المحسوسات
فيكون مشبها بها ثم نبه على ما خفي من حكمة الله في خلق الخفاش وخالف سائر الحيوان
في قبض الضياء لابصارها مع كونه مادة لسائر ابصار الحيوانات وبسط الظلام لها
مع قبضه لسائر الابصار واشار الى ما يصلح علة لذلك وهو عشا ابصارها وضعفها
عن الاستمداد بنور الشمس وقيل ان سبب ضعفه انه يحلل الروح الباصرة منه اذا
لقي حر النهار فيستكمل بالبدل بقرب الليل لمكان برده فيعود مبصرا والعلانية
الظهور وردعها عطف على ارانا وسبحات اشراقها بهاؤه وصفاؤه والبلج
جمع بلجة وهي اول ضوء الصبح وائتلاقها لمعانها والاسداف مصدر اسدف الليل
اظلم وغسق الدجنة ظلام الليل واستعار لفظ القناع لما ستر الشمس قبل طلوعها و
وضح النهار ضوؤه ووجار الضب بيته وشظايا الآذان رؤوسها البارزة ثم نبه
على عظمته تعالى باعتبار خلقه لها مخالفة لسائر الحيوان في خلقة الجناح وفي حالها
مع ولدها وشرح ذلك بافصح عبارة تكشف عن الغرض ومن خطبة له عليه السلام
خاطب بها اهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم فمن استطاع عند ذلك ان يعتقل نفسه
على الله فليفعل فان اطعتموني فاني حاملكم ان شاء الله على سبيل الجنة وان كان
ذا مشقة شديدة ومذاقة مريرة واما فلانة فادركها راي النساء وضغن غلا
في صدرها كمرجل القين ولو دعيت لتنال من غيري ما اتت الي لم تفعل ولها بعد
حرمتها الاولى والحساب على الله اقول مفهوم الفصل انه سبق قبله ذكر فتن

وحروب بعده بين المسلمين يجب على من ادركها ان يعتقل نفسه على الله
اي يحبس نفسه عن الدخول فيها على طاعة الله وسبيل الجنة هو الدين القيم ولزوم
المشقة فيه ظاهر كالجهاد وفلانة عائشة وراي النساء رايها في حربه بالبصرة والضغن
والحقد
الضعف واما الضغن الذي كان لها وهو الحقد فقد نبهنا عليه في الاصل
ولا نطول بذكره وحرمتها الاولى وحرمتها برسول الله صلى الله عليه وآله وفي قوله
والحساب على الله وعيد لها بلقائه منها سبيل ابلج المنهاج انور السراج فبالايمان
يستدل على الصالحات وبالصالحات يستدل على الايمان وبالايمان يعمر العلم وبالعلم
يرهب الموت وبالموت تختم الدنيا وبالدنيا تحرز الآخرة وان الخلق لا مقصر لهم
عن القيامة مرقلين في مضمارها الى الغاية القصوى اقول السبيل الابلج هو الذي
والابلج الواضح والايمان هو التصديق القلبي بالله وبرسله وما جاءوا به والاعمال
الصالحات ثمراته ومعلولات يستدل بوجودها من العبد على وجود الايمان في قلبه
استدلالا بالمعلول على وجوده في قلبه على لزوم الصالحات استدلالا بالعلة على
المعلول ولما كانت ثمرات وكمالات له فبالحري ان يكون بها عمارة العلم اي الايمان
بالمعنى المذكور اذا عضده البرهان وهو قليل الفائدة كالخراب اذا لم يعضد بالعمل ولما
كان من الايمان العلم باحوال المعاد استلزم ذلك العلم دوام ملاحظة الموت المستلزم لرهبته
ولما كانت الدنيا محل الاستعداد لتحصيل الزاد ليوم المعاد كان بها احراز الآخرة و
الارقال ضرب من السير سريع وهو مستعار لسيرهم المتوهم في مدة اعمارهم الى الآخرة و
والغاية القصوى هي السعادة او الشقاوة الاخروية منها قد شخصوا من مستقر
الاجداث وصاروا الى مصاير الغايات لكل دار اهلها لا يستبدلون بها ولا ينقلون عنها
وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لخلقان من خلق الله سبحانه وتعالى لا يقربان
من اجل ولا ينقصان من رزق وعليكم بكتاب الله فانه الحبل المتين والنور المبين
والشفاء النافع والري الناقع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق لا يعوج فيقام
ولا يزيغ فيستعتب ولا تخلقه كثرة الرد وولوج السمع من قال به صدق ومن عمل به

وانفعا لايقربان

سبق

سبق وقام اليه عليه السلام رجل فقال اخبرنا عن الفتنة وهل سالت عنها
رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام لما انزل الله سبحانه قوله الم احسب
الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون علمت ان الفتنة
لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين اظهرنا فقلت يا رسول
الله ما هذه الفتنة التي اخبرك الله بها فقال يا علي ان
امتي سيفتنون بعدي فقلت يا رسول الله اوليس قد قلت لي يوم احد حيث استشهد من
استشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة فشق ذلك علي فقلت لي ابشر فان الشهادة
من ورائك فقال لي ان ذلك لكذلك فكيف صبرك اذن فقلت يا رسول الله ليس
هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر فقال يا علي ان القوم سيفتنون
باموالهم ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته ويامنون سطوته ويستحلون
حرامه بالشبهات الكاذبة والاهواء الساهية فيستحلون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية
والربا بالبيع قلت يا رسول الله فباي المنازل انزلهم عند ذلك ابمنزلة فتنة ام
بمنزلة ردة فقال بمنزلة فتنة اقول صدر الفصل تمام لصفة حال اهل القبور
ومصاير الغايات الجنة والنار ولكل دار منهما اهل ونبه على وجوب الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر بضميرين صغرى الاول منهما قوله انهما خلقان من خلق الله
وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك وجب التخلق به وصغرى الثاني قوله لا يقربان
الى قوله من رزق وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا ينبغي ان يحذر فعله و
الناقع المروي ويستعتب يطلب منه العتبى وهي الرجوع عن الاساءة والرد
ظاهر
الترديد في الالسنة وحيزت اي قبضت ومنعت والسحت الحرام وباقي الفصل
ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحا لذكره وسببا للمزيد من
فضله ودليلا على آلائه وعظمته عباد الله ان الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضين
لا يعود ما قد ولى منه ولا يبقى فيه سرمدا ما فيه آخر فعاله كاوله متسابقة اموره متظاهرة
اعلامه فكانكم بالساعة تحدوكم حدو الزاجر بشوله فمن شغل نفسه بغير نفسه تحير

في الظلمات وارتبكت في الهلكات ومدت به شياطينه في طغيانه وزينت
له سيء اعماله فالجنة غاية السابقين والنار غاية المفرطين اعلموا عباد الله
ان التقوى دار حصن عزيز والفجور دار حصن ذليل لا يمنع اهله ولا
يحرز من لجأ اليه الا وبالتقوى تقطع حمة الخطايا وباليقين تدرك الغاية
القصوى عباد الله الله الله في اعز الانفس عليكم واحبها اليكم فان الله
تعالى قد اوضح سبيل الحق وانار طرقه فشقوة لازمة او سعادة دائمة فتزودوا
في ايام الفناء لايام البقاء قد دللتم على الزاد وامرتم بالظعن وحثثتم على المسير فانما انتم
كركب وقوف لا تدرون متى تؤمرون بالمسير الا فما يصنع بالدنيا من خلق
للآخرة وما يصنع بالمال من عما قليل يسلبه وتبقى عليه تبعته وحسابه عباد الله
انه ليس لما وعد الله من الخير مترك ولا فيما نهى عنه من الشر مرغب عباد الله
احذروا يوما تفحص فيه الاعمال ويكثر فيه الزلزال ويشيب فيه الاطفال اعلموا
عباد الله ان عليكم رصدا من انفسكم وعيونا من جوارحكم وحفاظ
صدق يحفظون اعمالكم وعدد انفاسكم لا تستركم منهم ظلمة ليل داج ولا
يكنكم منهم باب ذو رتاج وان غدا من اليوم قريب يذهب اليوم بما فيه
ويجيء الغد لاحقا به وكان كل امرئ منكم قد بلغ من الارض منزل وحدته ومخط
حفرته فياله من بيت وحدة ومنزل وحشة ومفرد غربة وكان الصيحة قد
اتتكم والساعة قد غشيتكم وبرزتم لفصل القضاء قد زاحت عنكم الاباطيل
واضمحلت عنكم العلل واستحقت بكم الحقائق وصدرت بكم الامور مصادرها
فاتعظوا بالعبر واعتبروا بالغير وانتفعوا بالنذر اقول كون الحمد دليلا
على انه لاختصاص الشكر بولي النعم وعلى عظمته لاختصاصه باستحقاق
ذلك لذاته اذ هو مبدء كل نعمة والتظاهر الترادف والتعاون والشول
النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها واتى عليها من نتاجها سبعة اشهر
الواحدة شائلة على غير قياس وانما خص الشول لخفتها وكون سوقها

وحكم الهدم

لايام البقاء

اسرع

اسرع ويشغل المرء بنفسه تطهيرها وتزكيتها بالعلوم والكمالات وشغله بتنويرها
يستلزم احياءها وتخييرها في ظلمات الجهل والهوى والارتباك الاختلاط وشياطينه
قواه الخارجة عن اوامر عقله وهي نفسه الامارة والمفرطون هم المقصرون في
تحصيل الكمالات النفسانية والتقوى فضيلة تحت العفة والفجور رذيلة
الافراط من العفة وحمة العقرب ابرتها ولفظها مستعار للخطايا باعتبار ما فيها
من الاذى وروي حمتها بالتشديد وهي شدتها ونبه بقوله وبالتقوى الى قوله القصوى
على كمال قوتي النفس العلمية والعملية والتقوى كمال العملية واليقين كمال العلمية
وبهما تنال الغاية القصوى من المطالب الحقيقية واعز الانفس هي المطمئنة
ولها الثواب وعليها العقاب ووجه تمثيلهم بالركب ظاهر فان الانسان هو النفس
والمطايا هي الابدان والقوى النفسانية والطريق هي العلم الحسي والعقلي والسير الذي
ذكره قبل الموت هو تصرف النفس في العالمين لتحصيل الكمالات المسعدة وهي الزاد
لغاية السعادة الباقية والسير الثاني الذي ينتظرونه وهو الرحيل الى الآخرة وطرح
البدن وقطع عقبات الموت وقوله انه ليس الى قوله مترك اي ليس بعده امر يرغب
فيه لنفاسته وشرفه والمرغب محل الرغبة والفحص البحث وتفاحص الحساب الاستقصاء
فيه واستعار لفظ الرصد للنفوس التي تظهر في معاين القيمة صور السيئات ولفظ
العيون ولفظ الجوارح الشاهدة يومئذ وحفاظ الصدق الكرام الكاتبون
والرتاج الغلق والامور التي صدرت بهم مصادرها هي اعمالهم واحوالهم التي كانوا
عليها في الدنيا وكلما يعقبه على احوال الآخرة عبرة والغير جمع غيرة فعلة من التغير
واعتبارها طريق الاتعاظ والنذر جمع نذير وهو كل ما افاد تخويفا ومن خطبة له عليه السلام
ارسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الامم وانتقاض من المبرم فجاءهم بتصديق
الذي بين يديه والنور المقتدى به ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن اخبركم
عنه الا ان فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم اقول
استعار لفظ الهجعة للغفلة الشاملة يومئذ للناس عن احوال الآخرة ولفظ

نسخه

والنظم فيما بينكم

المبرم وهو الحبل لما كان الخلق عليه من نظام الحال بالشرائع السابقة ولفظ الانتقاض
لفساد ذلك بتغييرها والذي بين يديه ولفظ النور للقرآن واستنطاقه استماع فوائده منه
عليه السلام اذ هو لسان الكتاب ودل عليه بقوله ولن ينطق الى قوله عنه وعلم
ما يأتي اي من الفتن واحوال القيمة والحديث عن الماضي من علم الاولين وقصصهم
ودائهم هو الجهل ورذائل الاخلاق ودواؤهم من ذلك تزكية نفوسهم بما فيه من
الحث على مكارم الاخلاق والتحلي بالكمالات النفسانية ونظام ما بينهم بما اشتمل عليه
من القوانين المصلحية والحكمة السياسية والمدنية التي بها نظام العالم واستقامة
اموره منها فعند ذلك لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا وادخله الظلمة ترحة واولجوا فيه
نقمة فيومئذ لا يبقى لهم في السماء عاذر ولا في الارض ناصر اصفيتم بالامر غير اهله
واوردتموه غير مورده وسينتقم الله ممن ظلم مأكلا بمأكل ومشربا بمشرب من مطاعم
العلقم ومشارب الصبر والمقر ولباس شعار الخوف ودثار السيف وانما هم
مطايا الخطيئات وزوامل الآثام فاقسم ثم اقسم لتنخمنها امية من بعدي كما تلفظ
النخامة ثم لا تذوقها ولا تطعم بطعمها ابدا ما كر الجديدان اقول سياق الكلام
الاخبار عن حال بني امية في دولتهم من الظلم واستحقاقهم عند ذلك التغير وكنى عنه بعدم
العاذر في السماء والناصر في الارض والامر امر الخلافة والتوبيخ والوعيد بالله لهم ولمن
عدل بها عنه ومأكلا ومشربا نصب بفعل مضمر اي يبدلهم الله مأكلا بمأكل واستعار
لفظ العلقم والصبر والمقر وهو المر لما يتجرعونه من شدائد القتل وزوال الدولة
وافاد بعض الشارحين انه انما خص الخوف بالشعار لانه باطن في القلوب والسيف
بالدثار لانه ظاهر كما ان الشعار ما كان يلي الجسد والدثار ما كان فوقه واستعار لهم
لفظ المطايا والزوامل جمع زاملة للحمل يستظهر به الانسان في سفره باعتبار حملهم
للخطايا ووصف التنخم لزوال الخلافة عنهم فكانهم قد قذفوها من افواههم كالنخامة وما كر
بمعنى المدة والجديدان الليل والنهار ومن خطبة له عليه السلام ولقد احسنت جواركم
واحطت بجهدي من ورائكم واعتقتكم من ربق الذل وحلق الضيم شكرا مني للبر

القليل

القليل واطراقا عما ادركه البصر وشهده البدن من المنكر الكثير اقول استعار
لفظ الربق والحلق لما يخاف عليهم من دولة غيره من الارذال والبر القليل اي منهم
وهو طاعتهم القليلة له والمنكر الكثير منكرهم ويحمل اطراقه عنه على عدم تمكنه من ازالته
لاستلزام ذلك مفسدة اكبر منه والتجاوز عن بعض الاساءات المنكرة من الرعية كالضروري
في تدبير الدولة ومن خطبة له عليه السلام امره قضاء وحكمة ورضاه امان ورحمة
يقضي بعلم ويعفو بحلم اللهم لك الحمد على ما تأخذ وتعطي وعلى ما تعافي وتبتلي
حمدا يكون ارضى الحمد لك واحب الحمد اليك وافضل الحمد عندك حمدا يملأ ما
خلقت ويبلغ ما اردت حمدا لا يحجب عنك ولا يقصر دونك حمدا لا ينقطع عدده
ولا يفنى مدده فلسنا نعلم كنه عظمتك الا انا نعلم انك حي قيوم لا تأخذك
سنة ولا نوم لم ينته اليك نظر ولم يدركك بصر ادركت الابصار واحصيت
الاعمال واخذت بالنواصي والاقدام وما الذي نرى من خلقك ونعجب له من قدرتك
ونصفه من عظيم سلطانك وما تغيب عنا منه وقصرت ابصارنا عنه وانتهت
عقولنا دونه وحالت ستور الغيوب بيننا وبينه اعظم فمن فرغ قلبه واعمل
فكره ليعلم كيف اقمت عرشك وكيف ذرأت خلقك وكيف علقت في الهواء
سمواتك وكيف مددت على مور الماء ارضك رجع طرفه حسيرا وعقله مبهورا
وسمعه والها وفكره حائرا اقول امره هو حكم قدرته الالهية وكونه قضاء او
حكما لازما لا يرد وكونه حكمة كونه على وفق الحكمة الالهية والنظام الاكمل ورضاه يعود
الى علمه بطاعة العبد له وعفوه يعود الى عدم عقابه للمذنبين وانما يتحقق العفو
مع القدرة على العقاب فلذلك قال يعفو بحلم وقوله ولسنا الى آخره اعتراف بالعجز
عن ادراك كنه عظمته واشارة الى بيان وجه معرفته الممكنة للخلق وهي اما بالصفات
الحقيقية لكونه حيا او بالاعتبارات السلبية لكونه لا تأخذه سنة ولا نوم ولا ينتهي اليه
نظر عقلي او بصري او الاضافية لكونه مدركا للابصار محصيا للاعمال آخذا بالنواصي
والاقدام وما في قوله وما الذي استفهامية على سبيل الاستحقار لما استفهم عنه مما

حيرا

عدده من الدركات بالنسبة الى ما لم يدرك من عظيم ملكوته وما الثانية في قوله وما تغيّب بمعنى الذي محله الرفع بالابتداء وخبره اعظم والواو فيها للحال ومحصول مفعولها ما في الفصل ظاهر منها يدعي بزعمه انه يرجو الله كذب والعظيم ما باله لا يتبيّن رجاؤه في عمله وكل رجاء الا رجاء الله فانه مدخول وكل خوف محقق الا خوف الله فانه معلول يرجو الله في الكبير ويرجو العباد في الصغير فيعطي العبد ما لا يعطي الرب فما بال الله عز وجل يقصر به عما يصنع بعباده اتخاف ان تكون في رجائك له كاذبا او تكون لا تراه للرجاء موضعا وكذلك ان هو خاف عبدا من عبيده اعطاه من خوفه ما لا يعطي ربه فجعل خوفه من العباد نقدا وخوفه من خالقه ضمارا ووعدا وكذلك من عظمت الدنيا في عينه وكبر موقعها من قلبه آثرها على الله فانقطع اليها وصار عبدا لها ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله كاف لك في الاسوة ودليل على ذم الدنيا وعيبها وكثرة مخازيها ومساويها اذ قبضت عنه اطرافها ووطئت لغيره اكنافها وفطم من رضاعها وزوي عن زخارفها وان شئت ثنيت بموسى كليم الله حيث يقول رب اني لما انزلت الي من خير فقير والله ما ساله الا خبزا ياكله لانه كان ياكل بقلة الارض ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه وان شئت ثلثت بداود صاحب المزامير وقارئ اهل الجنة فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ويقول لجلسائه ايكم يكفيني بيعها وياكل قرص الشعير من ثمنها وان شئت قلت في عيسى بن مريم عليه السلام فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن وكان ادامه الجوع وسراجه بالليل القمر وظلاله في الشتاء مشارق الارض ومغاربها وفاكهته وريحانه ما تنبت الارض للبهائم ولم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا طمع يذله دابته رجلاه وخادمه يداه فتأس بنبيك الاطيب الاطهر صلى الله عليه وآله فان فيه اسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى واحب العباد الى الله المتأسي بنبيه والمقتص لاثره قضم الدنيا قضما ولم يعرها طرفا

اهضم

اهضم اهل الدنيا كشحا واخمصهم من الدنيا بطنا عرضت عليه الدنيا فابى ان يقبلها وعلم ان الله ابغض شيئا فابغضه وحقر شيئا فحقره وصغر شيئا فصغره ولو لم يكن فينا الا حبنا ما ابغض الله ورسوله وتعظيمنا ما صغر الله لكفى به شقاقا لله ومحادة عن امر الله ولقد كان صلى الله عليه وآله ياكل على الارض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري ويردف خلفه ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة لاحدى ازواجه غيبيه عني فاني اذا نظرت اليه ذكرت الدنيا وزخارفها فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من نفسه واحب ان تغيب زينتها عن عينه لكي لا يتخذ منها رياشا ولا يعتقدها قرارا ولا يرجو فيها مقاما فاخرجها من النفس واشخصها عن القلب وغيبها عن البصر وكذلك من ابغض شيئا ابغض ان ينظر اليه وان يذكر عنده ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله ما يدلك على مساوئ الدنيا وعيوبها اذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر بعقله اكرم الله محمدا بذلك ام اهانه فان قال اهانه فقد كذب والعظيم واتى بالافك العظيم وان قال اكرمه فليعلم ان الله قد اهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن اقرب الناس منه فتأسى متأس بنبيه واقتص اثره وولج مولجه والا فلا يامن الهلكة فان الله تعالى جعل محمدا صلى الله عليه وآله علما للساعة ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة خرج من الدنيا خميصا وورد الآخرة سليما لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله واجاب داعي ربه فما اعظم منة الله عندنا حين انعم علينا به سلفا نتبعه وقائدا نطا عقبه والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل الا تنبذها عنك فقلت اعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى اقول ساق الكلام ذم من يرجو الله بلا عمل فهو كالمدعي للرجاء وتنبيهه ان رجاءه ليس بخالص بتكذيبه والاشارة الى تقصيره في العمل وتوبيخه عليه والمدخول غير الخالص وقوله ما باله الى قوله عمله

فبائن من الشكل الثاني بين فيه ان المقصر غير راج الرجاء التام وتلخيصه ان هذا المدعي لا يتبين رجاؤه في عمله وكل من رجا يتبين رجاؤه في عمله فينتج ان هذا المدعي للرجاء غير راج وتقرير الاستقصار مع المستثنى منه وكل رجاء راج يعرف في عمله خلوص رجائه الا رجاء الراجي لله فانه غير خالص وكل رجاء الا رجاء الله فانه مدخول والتقدير وكل رجاء محقق او خالص لتطابق الكلمتين على ساق واحد والضمار ما لا يرجى من الوعد وقبض اطراف الدنيا عنه كناية عن منعه منها والاكناف الجوانب وزوي غيب واستعار لفظ الادام للجوع ولفظ السراج للقمر والظلال المشارق الارض ومغاربها وخص التاسي بمحمد صلى الله عليه وآله لكونه مستجمعا لجميع هدى من سبق فالمقتدي به مقتد بجميعهم والقضم الاكل باذني الفم والهضيم الخميص والكشح الخاصرة والمحادة المعاداة وجلسة العبد كما في التشهد والرياش الزينة والاخلاق الكريمة التي عددها فيه صلى الله عليه وآله هي الامور المقتدى به فيها والزلفة القربة والمنزلة وقوله فتأسى خبر في معنى الامر بالتاسي والبعد الالقاء واعزب تباعد وقوله فعند الصباح آخره مثل يضرب لمحتمل المشقة ليصل الى الراحة واصله ان القوم يسيرون ليلا فيحمدون عاقبة ذلك بقرب المنزل اذا اصبحوا ومطابقة الصباح لاتصال النفس العاقلة بالملا الاعلى واشراق نور الحق عليها عند مفارقة ظلمة البدن والهيآت الدنيوية بالرياضة الكاملة التي عندها يحمد عواقب الصبر على مكاره الدنيا ومعاناة شدائدها ظاهرة حسنة الموقع ومن خطبة له عليه السلام ابتعثه بالنور المضيء والبرهان الجلي والمنهاج البادي والكتاب الهادي اسرته خير اسرة وشجرته خير شجرة اغصانها معتدلة وثمارها متهدلة مولده بمكة وهجرته بطيبة علا بها ذكره وامتد منها صوته ارسله بحجة كافية وموعظة شافية ودعوة متلافية اظهر به الشرائع المجهولة وقمع به البدع المدخولة وبين به الاحكام المفصولة فمن يبتغ غير الاسلام دينا تتحقق شقوته وتنفصم عروته وتعظم كبوته ويكن

مآبه

مآبه الى الحزن الطويل والعذاب الوبيل واتوكل على الله توكل الانابة اليه واسترشده السبيل المؤدية الى جنته القاصدة الى محل رغبته اوصيكم عباد الله بتقوى الله وطاعته فانها النجاة غدا والمنجاة ابدا رهب فابلغ ورغب فاسبغ ووصف لكم الدنيا وانقطاعها وزوالها وانتقالها فاعرضوا عما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها اقرب دار من سخط الله وابعدها من رضوان الله فغضوا عنكم عباد الله غمومها واشغالها لما قد ايقنتم به من فراقها وتصرف حالاتها واحذروها حذر الشفيق الناصح والمجد الكادح واعتبروا بما قد رايتم من مصارع القرون قبلكم تزايلت اوصالهم وزالت اسماعهم وابصارهم وذهب شرفهم وعزهم وسرورهم ونعيمهم فبدلوا بقرب الاولاد فقدها وبصحبة الازواج مفارقتها لا يتفاخرون ولا يتناسلون ولا يتزاورون ولا يتحاورون فاحذروا عباد الله حذر الغالب لنفسه المانع لشهوته الناظر بعقله فان الامر واضح والعلم قائم والطريق جدد والسبيل قصد اقول استعار لفظ النور لهدى النبوة والبرهان الجلي المعجزات والمنهاج البادي شريعته الواضحة واسرته اهله واستعار لفظ الشجرة لقريش ولفظ الاغصان لاشخاص بيته صلى الله عليه وآله واعتدال هذه الاغصان تقاربهم في الفضل ولفظ الثمار لفضائلهم العلمية والعملية ولفظ التهدل لظهورها وكثرتها وسهولة الانتفاع بها وطيبة اسم للمدينة وامتداد صوته كناية عن انتشار دعوته وتلافي دعوته تداركها الخلق وانقاذها اياهم من الهلكة والشرائع المجهولة طرق دينه والمدخولة التي فيها دخل بالتحريك اي عيب وعروته استعارة في متمسكه عصم النجاة والوبيل المهلك والضمير في رهب ورغب لله والاعراض عن الدنيا هو الزهد الحقيقي وغض غمومها كفها والكادح المجد في السعي والعمل والغالب لنفسه اي الامارة بالسوء الناظر بعين عقله مقابح شهوته والعلم الواضح سبيل الخير والشر والعلم القائم المقام كتاب الله ودينه والفصل واضح ومن كلام له عليه السلام وقد ساله

لبعض اصحابه كيف دفعكم قومكم عن هذا الامر وانتم احق به فقال عليه السلام
يا اخا بني اسد انك لقلق الوضين ترسل في غير سدد ولك بعد ذمامة الصهر غير ذي ج
حق المسئلة وقد استعلمت فاعلم اما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الاعلون
نسبا والاشدون بالرسول نوطا فانها كانت اثرة شحت عليها نفوس قوم
وسخت عنها نفوس اخرين والحكم الله والمعود اليه القيمة ودع عنك نهبا صيح
في حجراته وهلم الخطب في ابن ابي سفيان ولقد اضحكني الدهر بعد ابكائه و
لا غرو والله فيا له خطبا يستفرغ العجب ويكثر الاود حاول القوم اطفاء نور الله
من مصباحه وسد فواره من ينبوعه وجدحوا بيني وبينهم شربا وبيئا فان
ترتفع عنا وعنهم محن البلوى احملهم من الحق على محضه وان تكن الاخرى
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون اقول الوضين
الحزام والقلق يقال لمن لم يثبت في قوله والسدد الصواب والذمامة بالكسر
الحرمة فاما كون الاسدي صهرا فلان زينب بنت جحش زوجة رسول الله صلى الله
عليه واله كانت اسدية وامها اميمة بنت عبد المطلب فهي بنت عمة رسول
الله صلى الله عليه واله فالى المصاهرة اشار بما في هذه وقيل بل كان علي
عليه السلام متزوجا في بني اسد والنوط التعلق والاثرة الاستبداد بالشيء
ويقال لما يستبد به المراد الخلافة والبيت لامرئ القيس واصله انه تنقل في
احياء العرب بعد قتل ابيه فنزل على بني جديلة طي يقال له طريف فاحسن جواره
فمدحه واقام معه ثم انه خاف ان لا يمنعه فتحول عنه الى خالد بن السدوسي فاغارت
بنو جديلة عليه وهو في جوار خالد فذهبوا بابله فلما علم ذكر ذلك لخالد فقال له خالد
اعطني رواحلك الحق عليها فارد عليك ابلك ففعل فركب خالد فاخذ القوم ادركهم
فقال يا بني جديلة اغرتم على ابل جاري فقالوا ما هو لك بجار قال بلى والله وهذه
رواحله فرجعوا اليه فانزلوه عنهن وذهبوا بهن وبالابل فقال امرؤ القيس
القصيدة التي اولها البيت والنهب المنهوب وحجراته جوانبه وحديث الثاني

مبتداء

مبتدا والاولى خبره وما للتنكير وهي التي اذا دخلت على اسم زادته ابهاما
كقوله لامر ما جدع قصير انفه واراد اني لا ادري كيف هو وذلك انه قيل
ان خالدا هو الذي ذهب بالرواحل فكان عنده شك في امرها فاما مطابقته
لما هو فيه فهو ان الائمة السابقين وان كانوا قد استبدوا بهذا الامر وحدثتهم
نفوسهم اذ لهم الشبهة بالقدمة في الاسلام والهجرة وقرب المنزلة من الرسول فدع
ذكرهم ونهبهم لهذا المقام فيما ولكن هات ما نحن فيه الان من خطب معوية و
الخطب الحادث ولا غرو اي لا عجب والاود الاعوجاج والقوم قريش واستعار
لفظ المصباح لنفسه لان انوار دين الله تقتبس منه ولفظ الينبوع اذ هو
منبع ما يعرف من العلوم التي هي ما الحياة الابدية ولفظ الشرب الوبي لما حصل في
صدورهم من الاحن بسبب هذا الامر حتى نتج عنه القتل والقتال الى يوم القيمة
ووصف الجدح بالجيم بعدها الحاء وهو الخلط للكدر الواقع بينهم واختلاط
الامر بسبب ذلك ومحن البلوى ما ابتلاهم الله به من الخلاف ومحض الشيء
خالصه ومن خطبة له عليه السلام والحمد لله خالق العباد وساطح المهاد ومسيل
الوهاد ومخصب النجاد ليس لاوليته ابتداء ولا لازليته انقضاء هو الاول لم يزل
والباقي بلا اجل خرت له الجباه ووحدته الشفاه حد الاشياء عند خلقه لها ابانة
له من شبهها لا تقدره الاوهام بالحدود والحركات ولا بالجوارح والادوات لا يقال
له متى ولا تضرب له امد بحتى الظاهر لا يقال مما والباطن لا يقال فيما لا شبح
فيتقضى ولا محجوب فيحوى لم يقرب من الاشياء بالتصاق ولم يبعد عنها بافتراق بحوب
لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة ولا كرور لفظة ولا ازدلاف ربوة ولا انبساط
خطوة في ليل داج ولا غسق ساج يتفيأ عليه القمر المنير وتعقبه الشمس ذات النور
في الكرور والافول وتقلب الازمنة والدهور من اقبال ليل مقبل وادبار
نهار مدبر قبل كل غاية ومدة وكل احصاء وعدة تعالى عما ينحله المحددون من
صفات الاقدار ونهايات الاقطار وتأثل المساكن وتمكن الاماكن فالحد لخلقه

مضروب والى غيره منسوب لم يخلق الاشياء من اصول ازلية ولا من اوائل
ابدية بل خلق ما خلق فاقام حده وصور ما صور فاحسن صورته ليس لشيء منه امتناع ولا
له بطاعة شيء انتفاع علمه بالاموات الماضين كعلمه بالاحياء الباقين وعلمه
بما في السموات العلى كعلمه بما في الارضين السفلى اقول ساطح المهاد جاعل الارض مهادا
للحيوان والوهاد جمع وهدة وهي المطمئن من الارض والنجاد جمع نجد وهو المرتفع منها
اشار بعدم ابتداء اوليته الى قدمه لذاته وبعدم انقضاء ازليته الى سلب النهاية
عن وجوده وحده للاشياء جعلها ذات حدود ونهايات من اجزاء واشكال واقطار
ينتهي بها وما ظهر من خلقه تعالى للموجودات انه مباين لها بذاته اثبت
ارادته لايجادها قصد ابانته منها استشعار لعظمتها لتميزه بذاته عنها ولما كانت
الاوهام لا تدركه لا جرم لم يمكن تقدرها اياه بما من شأنها الادراك به ما عدد
ولما نزه عن الزمان والماخذ والمكان لم يصدق عليه الالفاظ المقولة بحسبها و
شخوص اللحظة مد البصر وازدلاف الربوة تقدمها اي الربوة المتقدمة والغسق
علية الغسق وفي يعقبه للقمر ترك من اقبال ليل متعلق بتقلب والدهر المتبدده
واشار بتشابه علمه في الماضين والباقين وبما في السموات وما في الارضين الى
ازليته وعدم تعدده وتغيره منها ايها المخلوق السوي والمنشأ المرعي في ظلمات
الارحام ومضاعفات الاستار بدئت من سلالة من طين ووضعت في قرار مكين
الى قدر معلوم واجل مقسوم تمور في بطن امك جنينا لا تحير دعاء ولا تسمع
نداء ثم اخرجت من مقرك الى دار لم تشهدها ولم تعرف سبل منافعها فمن
هداك لاجترار الغذاء من ثدي امك وعرفك عند الحاجة موضع طلبك و
ارادتك هيهات ان من يعجز عن صفات ذي الهيئة والادوات فهو عن صفات خالقه
اعجز ومن تناوله بحدود المخلوقين ابعد اقول الخطاب للانسان والسوي المستوي
الخلقة والمرعي المعتني بامره ونبهه بكونه مخلوقا سويا مرعيا الى اطوار خلقته
وتقلبات حالته الى غايته على وجه صانع حكيم لطيف خبير وهذا القدر من

المعرفة

من المعرفة هو الفرض ورى للعقل وان احتاج الى تنبيه ما وما وراء ذلك فاموالا
تطلع العقول البشرية منه الا على اعتبارات ومقايسات له الى خلقه كما سبق
بيانه ونبه على بعد ادراكه بقوله هيهات الى قوله والادوات اي من يعجز عن
صفات نفسه في حال تخليقه والاطلاع على منافع جزئيات اعضائه مع كونها اقرب
الاشياء اليه فهو عن وصف خالقه الذي هو ابعد الاشياء عنه مناسبة اعجز
ومن ادراكه بالمقايسة والتشبيه بحدود المخلوقات وصفاتها ابعد ومن كلام
له عليه السلام لما اجتمع الناس اليه وشكوا ما نقموه على عثمان وسالوه مخاطبته
عنهم واستعتابه لهم فدخل عليه السلام على عثمان فقال ان الناس ورائي وقد
استسفروني بينك وبينهم ووالله ما ادري ما اقول لك ما اعرف شيئا تجهله
ولا ادلك على امر لا تعرفه انك لتعلم ما نعلم ما سبقناك الى شيء فنخبرك عنه
ولا خلونا بشيء فنبلغكه وقد رايت كما راينا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله
صلى الله عليه واله كما صحبنا وما ابن ابي قحافة ولا ابن الخطاب باولى بعمل الحق منك
وانت اقرب الى رسول الله صلى الله عليه واله وشيجة رحم منهما وقد نلت من صهره ما
لم ينالا فالله الله في نفسك فانك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهل وان الطرق
لواضحة وان اعلام الدين لقائمة واعلم ان افضل عباد الله عند الله امام عادل
هدي وهدى فاقام سنة معلومة وامات بدعة مجهولة وان السنن لنيرة لها اعلام وان
البدع لظاهرة لها اعلام وان شر الناس عند الله امام جائر ضل وضل به فامات سنة
ماخوذة واحيا بدعة متروكة واني سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول يؤتى
يوم القيمة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور فيها كما
تدور الرحى ثم يرتبط في قعرها واني انشدك الله ان تكون امام هذه الامة المقتول
فانه كان يقال يقتل في هذه الامة امام يفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة ويلبس نقتل م
امورها عليها ويبث الفتن فيها فلا يبصرون الحق من الباطل يموجون فيها موجا
ويمرجون فيها مرجا فلا تكونن لمروان سيقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السن

وتنقضي المدة فقال له عثمن كلم الناس في ان يؤجلوني حتى اخرج اليهم من مظالمهم فقال
عليه السلام ما كان بالمدينة فلا اجل فيه وما غاب فاجله وصول امرك اليه اقول
استنفروني بعثوني رسولاً والواضحة عروق الشجرة واستعار لفظها للنسب
من رسول الله صلى الله عليه وآله واما كونه اقرب من الشيخين فلكونه من ولد عبد
مناف دونهما والطرق الواضحة طرق الدين واعلامه الادلة او الائمة و
السوقة بتشديد الياء وما بسوقه والسوق في العادة من اللذات وقد كان مروان
من اقوى الاسباب الباعثة على قتله بتصريفه اياه على حسب ارائه وعكس الاراء
التي كان يشار عليه بها ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجيب خلقة الطاوس
ابتدعهم خلقاً عجيباً من حيوان وموات وساكن وذي حركات واقام على شواهد
البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ما انقادت له العقول معترفة به و
مسلمة له ونعقت في اسماعنا دلائله على وحدانيته وما ذرأ من مختلف
صور الاطيار التي اسكنها اخاديد الارض وخروق فجاجها ورواسي اعلامها
من ذوات اجنحة مختلفة وهيئات متباينة متصرفة في زمام التسخير ومرفرفة
باجنحتها في مخارق الجو المنفسح والفضاء المنفرج كونها بعد ان لم تكن في عجائب صور ظاهرة بعباله خلقه ان يسموا في السماء خفوفاً وجعله
يدف دفيفاً ونسقها على اختلافها في الاصابيغ بلطيف قدرته ودقيق صنعته
فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه ومنها مغموس في لون صبغ
قد طوق بخلاف ما صبغ به ومن اعجبها خلقاً الطاوس الذي اقامه في احكم تعديل
ونضد الوانه في احسن تنضيد بجناح اشرج قصبه وذنب اطال مسحبه اذا
درج الى الانثى نشره من طيه وسما به مطلاً على رأسه كأنه قلع داري عنجه نوتيه
يختال بالوانه ويميس بزيفانه يفضي كافضاء الديكة ويؤر بملاقحة أرّ الفحول
من ذلك على معاينة لا كمن يحيل على ضعيف اسناده ولو كان كزعم من يزعم
انه يلقح بدمعة تسفحها مدامعه فتقف في ضفتي اجفانه وان انثاه تطعم ذلك
ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس لما كان ذلك باعجب من مطاعمة

الغراب

الغراب تخال قصبه مداري من فضة وما انبت عليها من عجيب داراته
وشموسه خالص العقيان وفلذ الزبرجد وان شبهته بما انبتت الارض قلت
جنيّ جني من زهرة كل ربيع وان ضاهيته بالملابس فهو كموشي الحلل او
مونق عصب اليمن وان شاكلته بالحلي فهو كفصوص ذات الوان قد نطقت
باللجين المكلل يمشي مشي المرح المختال ويتصفح ذنبه وجناحه فيقهقه ضاحكاً
لجمال سرباله واصابيغ وشاحه فاذا رمى ببصره الى قوائمه زقا معولاً بصوت
يكاد يبين عن استغاثته ويشهد بصادق توجعه لان قوائمه حمش كقوائم الديكة
الخلاسية وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفية وله في موضع العرف
قنزعة خضراء موشاة ومخرج عنقه كالابريق ومغرزها الى حيث بطنه كصبغ
الوسمة اليمانية او كحريرة ملبسة مرآة ذات صقال وكانه متلفع بمعجر اسحم
الا انه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه ان الخضرة الناضرة ممتزجة به ومع فتق
سمعه خط كمستدق القلم في لون الاقحوان ابيض يقق فهو ببياضه في سواد
ما هنالك يأتلق وقل صبغ الا وقد اخذ منه بقسط وعلاه بكثرة صقاله وبريقه
وبصيص ديباجه ورونقه فهو كالازاهير المبثوثة لم تربها امطار ربيع
ولا شموس قيظ وقد ينحسر من ريشه ويعرى من لباسه فيسقط
تترى وينبت تباعاً فينحت من قصبه انحتات اوراق الاغصان ثم يتلاحق
نامياً حتى يعود كهيئته قبل سقوطه لا يخالف سالف الوانه ولا يقع لون في غير مكانه
واذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه ارتك حمرة وردية وتارة خضرة
زبرجدية واحياناً صفرة عسجدية فكيف تصل الى صفة هذا عمائق الفطن
او تبلغه قرائح العقول او تستنظم وصفه اقوال الواصفين واقل اجزائه
قد اعجز الاوهام ان تدركه والالسنة ان تصفه فسبحان الذي بهر العقول عن
وصف خلق جلاه للعيون فادركته محدوداً مكوناً ومؤلفاً ملوناً واعجز الالسن
عن تلخيص صفته وقعد بها عن تادية نعته وسبحان من ادمج قوائم الذرة والهمجة

والافيلة

الى ما فوقهما من خلق الحيتان والفيلة ووأى على نفسه ان لا يضطرب شبح مما اولج
فيه الروح الا وجعل الحمام موعده والفناء غايته اقول مورد الخطبة التنبيه على
عجائب صنع الله لغاية الالتفات اليه وشواهد البينات ما ظهر للعقول من لطائف
المخلوقات فاستدلت بها على حكمته وقدرته وما الاولى مفعول لاقام والضمير له يرجع
الى ما وفي به وله الثانية يرجع الى الاول الله وفي دلائله يحتمل العود الى كل منهما و ما
الثانية محلها النصب عطفاً على الضمير في دلائله واستعار وصف النعيق لظهور تلك الدلائل
في العقل كالاصوات الظاهرة عند السمع والاخاديد الشقوق وشعابها والفج
الطريق بين الجبلين ورواسي اعلامها ثوابت جبالها وعبل الجثة كالنعام و
وخص الطاوس بشرح الوصف لكونه ادل على كمال القدرة لاشتماله على جميع
الالوان وقصبه قصب ريشه واشرج قصبه ضبط اصولها بالاعصاب
والعظام وركب بعضها ببعض والقلع الشراع والداري نسبة الى دارين
مدينة قديمة بساحل القطيف من البحرين يقال ان الطيب كان يجلب اليها
ونسبة ذلك بالقلع الداري عند ارادته بالسفاد باعتبار انه يرفعه وينشره ويميس
كالشراع وعنجه عطفه واداره والنوتي الربان للسفينة ويختال يتبختر والحيلاء
والافضاء النكاح وارّ الفحل بالراء المهملة نكح والملاقحة المناكحة وروي بملاقحه
بالهاء اي بمآله لقاحه وقوله ولو كان كزعم الى قوله المنبجس اي لو كان حاله في
النكاح كزعم من يزعم ان الذكر يلقح بدمعة تسفحها مدامعه اي يفيض بها فتقف
الدمع في ضفتي اجفانه اي جانباها فتتطعمها الانثى فتلقح من تلك الدمعة لما
كان ذلك باعجب مما يقال في مطاعمة الغراب فان العرب تزعم ان الغراب لا يسفد
ومن امثالهم اخفى من سفاد الغراب ويزعمون ان اللقاح من مطاعمة الذكر والانثى
وايصال جزء من الماء الذي في قانصته اليها بان يضع كل منهما منقاره في منقار الآخر
ويتزاقا وروي عوض تسفحها يسفحها والمنبجس المتفجر وهو عليه السلام لم يتعرض لنفي
ذلك الزعم ولا اثباته ونقل الشيخ في الشفاء ان القبجة تحبلها ريح تهب من ناحية

الحجل

الحجل ومن سماع صوته قال والنوع المسمى بالاقفا يتلاصق بافواهها ثم يتشابك
فذلك سفادها وشبه قصب ذنبه بالمداري من الفضة جمع مدرى بالدال
المهملة وهو كالميل يتخذ من قرن او فضة تخلل به المرأة شعرها ودارته
وشموسه ما على ريشه من الدوائر الملونة والمشبهة والعقيان الذهب و
الفلذ القطع والمضاهات المشابهة والموشي المنقوش وعصب اليمن برود
تعمل بها ونطقت بالليجين وشدت بالفضة والزفاق والخلاسية هي المتولدة
بين الدجاج الهندي والفارسي والظنبوب حرف الساق والصيصية الشوكة
النابتة في مؤخر ساق الديك والقنزعة شعرات تجتمع في موضع من الرأس والوسمة
شجر يختضب به والمتلفع المتلحف والاسحم الاسود ومستدق القلم بفتح الدال رأسه
ويكسرها ايضاً واليقق خالص البياض وادمجه احكمه والذر الصغار النمل والهمجة
ذبابة صغيرة كالبعوضة ووصفه عليه السلام بعجائب صنع الله في خلق هذا الطائر
لا مزيد على بلاغته منها في صفة الجنة فلو رميته ببصر قلبك نحو ما يوصف
لك منها لعزفت نفسك عن بدائع ما اخرج الى الدنيا من شهواتها ولذاتها
وزخارف مناظرها ولذهلت بالفكر في اصطفاق اشجار غيبت عروقها في
كثبان المسك على سواحل انهارها وفي تعليق كبائس اللؤلؤ الرطب في عساليجها
وافنانها وطلوع تلك الثمار مختلفة في غلف اكمامها يجنى من غير تكلف فتأتي
على منية مجتنيها ويطاف على نزالها في افنية قصورها بالاعسال المصفقة
والخمور المروقة قوم لم تزل الكرامة تتمادى بهم حتى حلوا دار القرار وامنوا
نقلة الاسفار فلو شغلت قلبك ايها المستمع بالوصول الى ما يهجم عليك
من تلك المناظر المونقة لزهقت نفسك شوقاً اليها ولتحملت من مجلسي هذا
الى مجاورة اهل القبور استعجالاً بها جعلنا الله واياكم ممن سعى بقلبه الى منازل
الابرار برحمته اقول اكثر الالفاظ المستعملة ههنا استعارات اذ ليست اشجار
الجنة وانهارها وكثبان مسكها وكبائس لؤلؤها كما هو المحسوس عندنا بل اعلى

من ذلك واشرف وهذه امثلة لها تعقل منها ما بينهما من المناسبة وانت بعد
معرفتك بقواعد التاويل ووقوفك على ما دل البرهان عليه من العلل الالهية
ربما امكنك ان تعرف طرفا صالحا من مناسبة هذه الامثلة والكبائس جمع كباسة
وهي العذق والعساليج الغصون واحدها عسلوج والافنان جمع فنن وهي
الغصون والاكمام جمع كامة بكسر الكاف وهي الغلاف الطلع والمصفوف المصففا
ومن خطبة له عليه السلام ليتاس صغيركم بكبيركم وليرؤف كبيركم بصغيركم
ولا تكونوا كجفاة الجاهلية لا في الدين تتفقهون ولا عن الله تعقلون كقيض بيض
في اداح يكون كسرها وزرا ويخرج حضانها شرا اقول قيض البيضة قشرها
الاعلى والاداح جمع ادحي افعول من الدحو وهو الموضع الذي تفرخ فيه
النعامة وشبههم على تقدير كونهم كجفاة الجاهلية بقشر البيضة من الافعى
ونحوه ووجه الشبه انها ان كسرها كاسر اثم لتاذي الحيوان به وقيل لانه
يظن بيض القطا فيأثم كاسره وان لم يكسر يخرج حضانها افعى قاتلا وهو شر فكذلك
هولاء لا يحل لاحد اذاهم لحرمة ظاهر الاسلام عليهم وان تركوا على ما هم عليه
من الجهل وقلة الادب خرجوا شياطين منها افترقوا بعد الفتهم وتشتتوا
عن اصلهم فمنهم آخذ بغصن اين ما مال مال معه على ان الله سيجمعهم لشر يوم
لبني امية كما يجتمع قزع الخريف يولف الله بينهم ثم يجعلهم ركاما كركام السحاب
ثم يفتح لهم ابوابا يسيلون من مستثارهم كسيل الجنتين حيث لم يسلم عليه قارة
ولم تثبت عليه اكمة ولم يرد سننه رص طود ولا حداب ارض يذعذعهم الله مستثارهم
في بطون اوديته ثم يسلكهم ينابيع في الارض يأخذ بهم من قوم حقوق قوم
ويمكن لقوم في ديار قوم وايم الله ليذوبن ما في ايديهم بعد العلو والتمكين كما تذوب
الالية على النار ايها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق ولم تهنوا عن توهين
الباطل لم يطمع فيكم من ليس مثلكم ولم يقو من قوي عليكم لكنكم تهتم
متاه بني اسرائيل ولعمري ليضعفن لكم التيه من بعدي اضعافا بما خلفتم الحق وراء

ظهوركم وقطعتم الادنى ووصلتم الابعد واعلموا انكم ان اتبعتم الداعي سلك
بكم منهاج الرسول وكفيتم مؤونة الاعتساف ونبذتم الثقل الفادح عن
الاعناق اقول الاشارة الى اصحابه واصلهم هو عليه السلام اذ او رقوا
عنه الى الخوارج وغيرهم واستعار لفظ الغصن لمن يخلفه من ولده الائمة
والاخذ به لزوم هديه والآخذون به هم الشيعة وان افترقوا فرقا والقزع
قطع السحاب المتفرقة واراد ان الله سيجمعهم بعد تفرقهم لشر يوم لبني
امية لازالة ملكهم وقتلهم وانما خص الخريف لانه تأتلف سحابه وامطاره
والركام المتراكم والابواب التي يفتحها لهم كوجوه الآراء التي يجتمعون بها وسائر
اسباب الغلبة وشبه خروجهم من مستثارهم ومكامنهم بسيل جنتي مأرب وهو
سيل العرم المشار اليه في القرآن الكريم ووجه الشبه شدة خروجهم وسرعة
افسادهم لما يأتون عليه حتى لا يسلم منهم احد كما لم يسلم على ذلك السيل قارة اي
اكمة وسننه قصده وحداب الارض جمع حدب وهو المرتفع منها والذعذعة
بالذال المعجمة التفريق وقد كان من امر الشيعة الهاشمية واجتماعها على ملك بني
امية من كان منهم ثابتا على ولاء علي واهل بيته ومن حاد منهم عن ذلك في اواخر
ايام مروان الحمار عند ظهور الدعوة الهاشمية ما هو معلوم مشهور في التواريخ
ونهنوا وتضعفوا وتوهين الباطل اضعافه والداعي هو عليه السلام وكفيتم
مؤونة الاعتساف اي في طرق الضلال والفادح المثقل وهو ثقل الاوزار عن اعناق
نفوسهم ومن خطبة له عليه السلام في اول خلافته ان الله سبحانه انزل كتابا هاديا
بين فيه الخير والشر فخذوا نهج الخير تهتدوا واصدفوا عن سمت الشر تقصدوا
الفرائض الفرائض ادوها الى الله تؤدكم الى الجنة ان الله حرم حراما
غير مجهول واحل حلالا غير مدخول وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد
بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه
ويده الا بالحق ولا يحل اذى المسلم الا بما يجب بادروا امر العامة وخاصة احدكم

فان البأس

وهو الموت فان الموت امامكم وان الساعة تحدوكم من خلفكم تخففوا تلحقوا
فانما ينتظر باولكم آخركم اتقوا الله في عباده وبلاده فانكم مسؤولون حتى
عن البقاع والبهائم اطيعوا الله ولا تعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا
رأيتم الشر فاعرضوا عنه اقول اصدفوا اعرضوا والمدخول المعيوب
وقوله وفضل الى قوله معاقدها اي اوجب على الموجودين المحافظة على حقوق
المسلمين ومراعاة مواضعها وربط توحيده بذلك حتى صار فصله كفصل التوحيد
فمن قتل مسلما بغير حق فكانما سلب توحيد الله ومعاقدها مواضع عقدها ووجوبها
ومناقشة الحساب عن البقاع كما روى انه يقال لم استوطنتم هذا المكان وزهدتم
في ذلك وعن البهائم لم ضربتم هذه وقتلتم هذه ولم اجعتموها وهو داخل في
قوله تعالى ولتسئلن عما كنتم تعملون ومن كلام له عليه السلام لما بويع
بالخلافة وقد قال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوما ممن اجلب على عثمن فقال

اجلبوا عليهم

يا اخوتاه اني لست اجهل ما تعلمون ولكن كيف لي بقوة والقوم المجلبون على حد شوكتهم
يملكوننا ولا نملكهم وها هم هولاء قد ثارت معهم عبدانكم والتفت اليهم
اعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا وهل ترون موضعا لقدرة

مادة

على شيء تريدونه ان هذا الامر امر جاهلية وان لهولاء القوم مادة ان الناس
من هذا الامر اذا حرك على امور فرقة ترى ما ترون وفرقة ترى ما لا ترون
وفرقة لا ترى لا هذا ولا هذا فاصبروا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب

القلوب

مواقعها وتوخذ الحقوق مسمحة فاهدؤا عني وانظروا ماذا يأتيكم به امري

الداء

ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة وتسقط منة وتورث وهنا وذلة وسامسك
الامر ما استمسك واذا لم اجد بدا فآخر الدواء الكي اقول الالف في يا اخوتاه
وهي المنقلبة عن ياء النفس واجلب عليه جمع وشوكتهم قوتهم والعبدان بكسر
الدال وتخفيفها وكسر العين وضمها جمع عبد والتفت انضمت ويسومونكم يكلفونكم
ومسمحة سهلة والفصل يدل على انه عليه السلام كان مترددا في الغرض والتحكم

من القصاص على وجه الشرع فلم يفعل وروى انه عليه السلام جمع الناس
ووعظهم ثم قال ليقم قتلة عثمن فقاموا باسرهم الا القليل وكان ذلك
استشهادا منه على صدق قوله والناس على حد شوكتهم وعلى انه لا قدرة
له على القصاص حينئذ وقوله فاذا لم اجد بدا الى قوله الكي اي اذا لم يكن بد
من القتال قاتلت وكنى عنه بالكي ومن خطبة له عليه السلام عند مسير اصحاب
الجمل الى البصرة ان الله بعث رسولا هاديا بكتاب ناطق وامر قائم لا

المشبهات

يهلك عنه الا هالك وان المبتدعات والمشبهات هن المهلكات الا ما حفظ الله
وان في سلطان الله عصمة لامركم فاعطوه طاعتكم غير ملومة ولا مستكره
بها والله لتفعلن او لينقلن الله عنكم سلطان الاسلام ثم لا ينقله اليكم ابدا
حتى يأرز الامر الى غيركم ان هولاء قد تمالؤا على سخطة امارتي وساصبر
ما لم اخف على جماعتكم فانهم ان تمموا على فيالة هذا الراي انقطع نظام المسلمين
وانما طلبوا هذه الدنيا حسدا لمن افاءها الله عليه واراد واردة الامور على
ادبارها ولكم علينا العمل بكتاب الله وسيرة رسوله والقيام بحقه و
النعش لسنته اقول قوله لا يهلك عنه الا هالك اي لا يهلك عنه مخالفته
الا اعظم هالك كما يقال لا يعلم هذا الفن الا عالم اي بالغ في العلم و
المبتدعات المشبهات ما ابتدع في الدين مشبها بما في السنة وليس منها وروي
المشبهات اي للسنة وروي المشتبهات وهو ما اشتبه على الناس ولبس
عليهم وهي المهلكات اي في الآخرة الا ما عصم الله اي حفظه من الوقوع
فيها وسلطان الله القائم بدينه وامره وهو اشارة الى نفسه وغير ملومة
اي ملوم صاحبها بالغش فيها وروي غير ملوية اي معوجة ويارز الامر
ياوز انحاز وانقبض وهولاء اشارة الى طلحة والزبير وعايشه واتباعهم
وتمالؤا اجتمعوا وفيالة الراي ضعفه والنعش الرفع وباقي الفصل ظاهر ومن
كلام له عليه السلام لما قال للكليب الجرمي قبل وقعة الجمل بايع فقال

اني رسول قوم ولا احدث حدثا دونهم حتى ارجع اليهم فقال عليه السلام
ارايت لو ان الذين وراك بعثوك رايدا تبتغي لهم مساقط الغيث فرجعت
اليهم واخبرتهم عن الكلاء والماء فخالفوا الى المعاطش والمجادب ما كنت
صانعا فقال كنت تاركهم ومخالفهم الى الكلاء والماء فقال عليه السلام فامدد
اذن يدك فقال الرجل فوالله ما استطعت ان امتنع عند قيام الحجة علي فبايعته
عليه السلام اقول الجرمي منسوب الى بني جرم قبيلة وكان قوم من اهل البصرة بعثوه
اليه عليه السلام يستعلم حاله اهو على حجة ام على شبهة فلما راه وسمع لفظه
لم يتخالجه شك في صدقه فبايعه وكان بينهما الكلام المذكور ولا الطف من التمثيل
الذي جذبه به ولذلك اقسم انه لم يتمكن من مخالفته ومن خطبة له عليه السلام لما
عزم على لقاء القوم بصفين اللهم رب السقف المرفوع والجو المكفوف الذي
جعلته مغيضا لليل والنهار ومجرى للشمس والقمر ومختلفا للنجوم السيارة
وجعلت سكانه سبطا من ملائكتك لا يسامون من عبادتك ورب هذه
الارض التي جعلتها قرارا للانام ومدرجا للهوام والانعام وما لا يحصى مما يرى ومما لا يرى
ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للارض اوتادا وللخلق اعتمادا ان اظهرتنا على
عدونا فجنبنا البغي وسددنا للحق وان اظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة
واعصمنا من الفتنة اين المانع للذمار والغاير عند نزول الحقايق من اهل
الحفاظ العار وراكم والجنة امامكم اقول كون الفلك مغيضا لليل والنهار
باعتبار حركته المستلزمة لحركة الشمس عن وجه الارض والى وجهها فبالاعتبار الاول
يكون كالمغيض للنهار وبالاعتبار الاخر الثاني كالمغيض لليل واستعار له لاولئك
الاعتبارين لفظ المغيض والسبط القبيلة وكون الجبال اعتمادا للخلق لما فيها
من المرافق لهم وقوله فجنبنا البغي وسددنا للحق طلب للوقوف على حد الفضيلة
في الجهاد من طرفي الافراط والتفريط والعصمة من الفتنة وهي الابتلاء بالمعصية
في طرفي الغلب والانغلاب والذمار ما يلزمك حفظه والحقايق ما يقع من عظايم

الامور

الامور وقوله العار الى قوله امامكم اي في رجوعكم عن الحرب دخول وفي
اقدامكم عليها دخول الجنة ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي لا توارى
منه سماء سماء ولا ارض ارضا اقول قوله لا توارى بمعنى السلب لا نفي العدول
اذ ليس من شانه تعالى ان يتوارى عنه والمقصود احاطة علمه بالسموات
والارض وما فيهن وسلب وصف المخلوقين عنه منها وقال لي قايل
انك يا ابن ابي طالب على هذا الامر لحريص فقلت بل انتم والله احرص
وابعد وانا اخص واقرب وانما طلبت حقا لي وانتم تحولون بيني اخص
وبينه وتضربون وجهي دونه فلما قرعته بالحجة في الملاء الحاضرين هب
كانه لا يدري ما يجيبني به اللهم اني استعديك على قريش ومن اعانهم
فانهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي واجمعوا على منازعتي امرا
هو لي ثم قالوا الا ان في الحق ان ناخذه وفي الحق ان تتركه اقول روي ان القايل
له كان سعد ابن ابي وقاص في ايام الشورى بعد مقتل عمر وقوله هب
اي استيقظ من غفلته وروي بهت وقوله وقالوا الى آخره انهم لم يقتصروا
على اخذ حقي ساكتين عن دعوى كونهم محقا لهم بل اخذوه مع دعواهم انه حق
لهم يجب علي ترك المنازعة فيه وهو اصعب وروي ناخذه ونتركه بالنون في
الموضعين اي نتصرف فيه بالاخذ والترك كيف شئنا وهذه شكاية
ظاهرة منها في ذكر اصحاب الجمل فخرجوا يجرون حرمة رسول الله
صلى الله عليه وآله كما تجر الامة عند شرائها متوجهين بها الى البصرة فحبسا
نساءهما في بيوتهما وابرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما
في جيش ما منهم رجل الا وقد اعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طايعا غير مكره
فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم من اهلها فقتلوا طايفة
صبرا وطايفة غدرا فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين الا رجلا واحدا معتمدين
لقتله بلا جرم لحل لي قتل ذلك الجيش كله اذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا

عنه بلسان ولا بيد دع ما انهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا
بها عليهم اقول غرض الفصل اظهار عذره في قتال اهل الجمل وذكر
ثلث كباير يستلزم اباحة قتالهم وقتلهم وهي خروجهم بحرمة رسول الله و
حبسهم مع حبسها لنسائهما وذلك انتهاك لحرمة رسول الله صلى الله عليه
وآله والضمير التثنية لطلحة والزبير الثانية نكثهما البيعة الثالثة اقدامهم
على عامله بالبصرة وتعديهم له وقتلهم لجماعة المسلمة منهم صبرا اي بطلاسه
وبعضهم غدرا اي بعد الايمان وكان عامله يومئذ عليها عثمن بن حنيف الانصاري
وقصتهم في ذلك مشهورة وقد نبهنا عليها في الاصل فاما جواز قتالهم فلقوله
تعالى وان طايفتان من المؤمنين الآية واما تعليله جواز قتل الجيش بما ذكر فلعموم
قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية وما بعد دع زايدة
والفصل واضح ومن خطبة له عليه السلام امين وحيه وخاتم رسله
وبشير رحمته ونذير نقمته ايها الناس ان احق الناس بهذا الامر اقواهم عليه
واعلمهم بامر الله فيه فان شغب شاغب استعتب وان ابى قوتل ولعمري واعلمهم
لئن كانت الامامة لا تنعقد حتى تحضرها عامة الناس ما الى ذلك سبيل ولكن
اهلها يحكمون على من غاب عنها ثم ليس للشاهد ان يرجع ولا للغايب ان
يختار الا واني اقاتل رجلين رجلا ادعى ما ليس له وآخر منع الذي عليه اوصيكم
بتقوى الله فانها خير ما تواصى العباد به وخير عواقب الامور عند الله وقد
فتح باب الحرب بينكم وبين اهل القبلة ولا يحمل هذا العلم الا اهل البصر
والصبر والعلم بمواضع الحق فامضوا لما تؤمرون به وقفوا عند ما تنهون عنه
ولا تعجلوا في امر حتى تتبينوا فان لنا مع كل امر تنكرونه غيرا الا وان هذه الدنيا
التي اصبحتم تتمنونها وترغبون فيها واصبحت تغضبكم وترضيكم ليست
بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له ولا الذي دعيتم اليه الا وانها ليست بباقية
لكم ولا تبقون عليها وهي وان غرتكم منها فقد حذرتكم شرها فدعوا غرورها

لتحذيرها

لتحذيرها واطماعها لتخويفها وسابقوا فيها الى الدار التي دعيتم اليها وانصرفوا
بقلوبكم عنها ولا يخنن احدكم خنين الامة على ما زوي عنه منها واستتموا
نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه الا
وانه لا يضركم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قايمة دينكم الا وانه لا ينفعكم
بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من امر دنياكم اخذ الله بقلوبنا وقلوبكم
الى الحق والهمنا واياكم الصبر اقول اشار الى صفات الامام الحق وهو كونه
اقواهم على امر الخلافة اي اقدرهم على تدبيرها عن علم واعلمهم بامر الله فيها
وذلك يستلزم علمه باصول الدين وفروعه لجميع الاعمال مواضعها وقد استلزم
الوصف الاول فضيلة الشجاعة والثاني فضيلتي العفة والعلم ويلزم الفضايل
الثلث فضيلة العدل وروي بعد قوله واقواهم عليه واعلمهم به واعلمهم
بامر الله فيه وهذه الفضايل الاربع هي جماع مكارم الاخلاق واصولها وقوله فان
شغب شاغب اي هيج باغ على الامام والشغب هياج الشر والاستعتاب طلب
العتبى وهي الرجوع الى الحق وقوله ولعمري الى قوله ان يختار جواب لما انكره معوية
واهل الشام من الاجماع على بيعته وانه يحتاج في انعقادها الى حضور جميع الناس
واشار الى ان الاجماع على هذا الوجه غير ممكن وان امكن ففي غاية العسر بل المعتبر
منه هو اتفاق اهل الحل والعقد من امة محمد صلى الله عليه وآله على امر من الامور
وهم اهل الامامة الذين يحكمون على من غاب عنها ثم ليس لمن حضر ورضي كطلحة
والزبير ان يرجع ولا للغايب كمعوية ان يختار وهذا هو رسم الاجماع الذي اتفقت
كلمة محققي الاصوليين عليه وانما احتج بالاجماع حيث لم يسلم له النص على امامته
والمدعي ما ليس له بحق كمعوية للامامة والمانع للذي عليه كطلحة والزبير في
منعهما ماله عليهما من الطاعة وقوله وقد فتح الى قوله غيرا اعلام لاصحابه بحكم
البغاة من اهل القبلة ولا كيف السنة فيهم الى ان علموا ذلك منه عليه السلام
ونقل عن الشافعي انه قال لولا علي ما عرف شيء من احكام اهل البغي وقوله

ولا يحمل الى قوله للحق اى العلم بوجوب حرب هولاء وقتالهم وقتلهم واهل
البصر اهل العقول الراجحة والصبر على المكاره وعن النزع الى الوساوس بالشبه
والعلم بمواضع الحق وذلك ان المسلمين عظم عليهم حرب اهل القبلة واكبروه
والمقدمون اقدموا على ذلك على خوف وحذر فقال عليه السلام ان هذا العلم لا
يدركه كل احد وروى العلم بفتح اللام اى علم الحرب وذلك ان صاحب الراية عليه
مدار الحرب وقلوب العسكر منوطة به فيجب ان يكون بالشرائط المذكورة وقوله
ولا تعجلوا الى قوله غيرا اى لا تسرعوا الى انكار امر تروته منكرا حتى تتبينوا انما
مايفعله فيه فانا نغير كل امر ينكره العرف او الشرع وخص حنين الامة لان العادة
ان تضرب وتؤذى فيكثر حنينها او لان الغالب عليها الغربة فتحن الى اصلها
واستحفاظهم لكتاب الله امرهم بالمحافظة على قوانينه والعمل به ومن كلام له
عليه السلام في معنى طلحة بن عبيد الله قد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب
وانا على ما وعدنى ربى من النصر والله ما استعجل متجردا للطلب بدم عثمن الا خوفا
من ان يطالب بدمه لانه مظنته ولم يكن فى القوم احرص عليه منه فاراد ان يغالط بما
اجلب فيه ليلتبس الامر ويقع الشك ووالله ما صنع فى امر عثمن واحدة من ثلث لئن
كان ابن عفان ظالما كما كان يزعم لقد كان ينبغى له ان يوازر قاتليه وان ينابذ ناصريه
وان كان مظلوما لقد كان ينبغى له ان يكون من المنهنهين عنه والمعذرين فيه ولئن
كان فى شك من الخصلتين لقد كان ينبغى له ان يعتزله ويركد جانبا ويدع الناس
معه فما فعل واحدة من الثلث وجاء بامر لم يعرف بابه ولم تسلم معاذيره اقول
هذا الفصل من كلام قاله حين بلغه خروج طلحة والزبير الى البصرة وتهديدهما له بالحرب
وكان تامة والواو فى قوله وما اهدد للحال اى قد وجدت الى هذه الغاية وما هددت
بالحرب واجلب جمع ومهنهه عنه كف والمعذرين بالتخفيف المعتذرين عنه
وبالتشديد المظهرين للعذر مع انه لا عذر وركد سكن ومن خطبة له عليه السلام
ايها الغافلون غير المغفول عنهم والتاركون والماخوذ منهم مالى اراكم عن الله ذاهبين

والى

والى عنوه راغبين كانكم نعم اراح بها سائم الى مرعى وبى ومشرب دوى
انما هى كالمعلوفة للمدى لا تعرف ماذا يراد بها اذا احسن اليها تحسب يومها
دهرها وشبعها امرها والله لو شئت ان اخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه
وجميع شانه لفعلت ولكن اخاف ان تكفروا فى برسول الله صلى الله عليه
وآله الا وانى مفضيه الى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه والذى بعثه بالحق
واصطفاه على الخلق ما انطق الا صادقا ولقد عهد الى بذلك كله وبمهلك
من يهلك ومنجى من ينجو ومآل هذا الامر وما ابقى شيئا يمر على راسى الا افرغه
فى اذنى وافضى به الى ايها الناس انى والله ما احثكم على طاعة الا واسبقكم
اليها ولا انهاكم عن معصية الا واتناهى قبلكم عنها اقول ماخوذا منهم اى
من اشخاصهم بالموت ومن اموالهم بالعدم والسائم الراعى والمدى جمع مدية وهى
السكين ووجه شبههم بالنعم غفلتهم عما ينبغى لهم والنفس الامارة كالسائم
وقوله انما الى قوله امرها تشبيه لهم بالنعم المعلوفة باعتبار غفلتها عن غايتها
وما يراد بها ووجه الشبه هو قوله لا تعرف الى آخره ومفضيه موصله وكفرهم
فيه برسول الله وتفضيلهم اياه عليه والخاصة اهل العلم والثبات من اصحابه
ممن يومن ذلك الكفر منه ومن خطبة له عليه السلام انتفعوا ببيان الله و
اتعظوا بمواعظ الله واقبلوا نصيحة الله فان الله قد اعذر اليكم بالجلية واخذ
عليكم الحجة وبين لكم محابه من الاعمال ومكارهه منها لتبتغوا هذه وتجتنبوا
هذه فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول ان الجنة حفت بالمكاره وان
النار حفت بالشهوات واعلموا انه ما من طاعة الله شىء الا ياتى فى كره وما من معصية مجث
الله شىء الا ياتى فى شهوة فرحم الله رجلا نزع عن شهوته وقمع هوى نفسه فان هذه النفس
ابعد شىء منزعا وانها لا تزال تنزع الى معصية فى هوى واعلموا عباد الله ان
المؤمن لا يمسى ولا يصبح الا ونفسه ظنون عنده فلا يزال زاريا عليها ومستزيدا
لها فكونوا كالسابقين قبلكم والماضين امامكم قوضوا من الدنيا تقويض الراحل

وطووها طى المنازل واعلموا ان هذا القران هو الناصح الذى لا يغش والهادى
الذى لا يضل والمحدث الذى لا يكذب وما جالس هذا القرآن احد الا قام عنه بزيادة
او نقصان زيادة فى هدى ونقصان فى عمى واعلموا انه ليس على احد بعد القران
من فاقة ولا لاحد قبل القران من غنى فاستشفوه من ادوائكم واستعينوا به على
لاوائكم فان فيه شفاء من اكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغى والضلال فاسئلوا
الله به وتوجهوا اليه بحبه ولا تسالوا به خلقه انه ما توجه العباد الى الله
بمثله واعلموا انه شافع مشفع وقائل مصدق وانه من شفع له القران يوم القيمة
شفع فيه ومن محل به القران يوم القيمة صدق عليه فانه ينادى مناد
يوم القيامة الا ان كل حارث مبتلى فى حرثه وعاقبة امره غير حرثة القران فكونوا
من حرثته واتباعه واستدلوه على ربكم واستنصحوه على انفسكم واتهموا عليه ولعقتوا
اراءكم واستغشوا فيه اهواءكم العمل العمل ثم النهاية النهاية والاستقامة الاستقامة
ثم الصبر الصبر والورع الورع وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم وان
لكم علما فاهتدوا بعلمكم وان للاسلام غاية فانتهوا الى غايته واخرجوا الى الله
مما افترض عليكم من حقه وبين لكم من وظائفه انا شاهد لكم وحجيج يوم القيمة
عنكم الا وان القدر السابق قد وقع والقضاء الماضى قد تورد وانى متكلم بعدة الله
وحجته قال الله جل ذكره ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة
الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون وقد قلتم ربنا الله فاستقيموا
على كتابه وعلى منهاج امره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته ثم لا تمرقوا منها ولا تبتدعوا
فيها ولا تخالفوا عنها فان اهل المروق منقطع بهم عند الله يوم القيمة ثم اياكم وتهزيع احتزن الرجل
الاخلاق وتصريفها واجعلوا اللسان واحدا وليختزن الرجل لسانه فان اللسان
جموح بصاحبه والله ما ارى عبدا يتقى تقوى تنفعه حتى يختزن لسانه فان لسان
المؤمن وراء قلبه وان قلب المنافق من وراء لسانه لان المؤمن اذا اراد ان يتكلم بكلام
تدبره فى نفسه فان كان خيرا ابداه وان كان المنافق يتكلم بما اتى على لسانه لا يدرى

ماذا

ماذا عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم
قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه فمن استطاع منكم ان يلقى الله سبحانه
وهو نقى الراحة من دماء المسلمين واموالهم سليم اللسان من اعراضهم فليفعل
واعلموا عباد الله ان المؤمن يستحل العام ما استحل عاما اول ويحرم العام ما حرم
عاما اول وان ما احدث الناس لا يحل لكم شيئا مما حرم عليكم ولكن الحلال
ما احل الله والحرام ما حرم الله فقد جربتم الامور وضرستموها ووعظتم بمن
كان قبلكم وضربت الامثال لكم ودعيتم الى الامر الواضح فلا يصم عن ذلك الا
اصم ولا يعمى عنه الا اعمى ومن لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشىء من
العظة واتاه التقصير من امامه حتى يعرف ما انكر وينكر ما عرف وانما الناس رجلان
متبع شرعة ومبتدع بدعة ليس معه من الله سبحانه برهان سنة ولا ضياء حجة
فان الله سبحانه لم يعظ احدا بمثل هذا القرآن فانه حبل الله المتين وسببه الامين
وفيه ربيع القلب وينابيع العلم وما للقلب جلاء غيره مع انه قد ذهب المتذكرون
وبقى الناسون والمتناسون فاذا رايتم خيرا فاعينوا عليه واذا رايتم شرا
فاذهبوا عنه فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول يا ابن آدم اعمل
الخير ودع الشر فاذا انت جواد قاصد الا وان الظلم ثلثة فظلم لا يغفر
وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فاما الظلم الذى لا يغفر فالشرك بالله قال
الله سبحانه ان الله لا يغفر ان يشرك به واما الظلم الذى يغفر فظلم العبد نفسه
عند بعض الهنات واما الظلم الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص
هناك شديد ليس هو جرحا بالمدى ولا ضربا بالسياط ولكنه ما يستصغر ذلك معه
واياكم والتلون فى دين الله فان جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة
فيما تحبون من الباطل وان الله سبحانه لم يعط احدا بفرقة خيرا ممن مضى
ولا ممن بقى يا ايها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن
لزم بيته واكل قوته واشتغل بطاعة ربه وبكى على خطيئته وكان نفسه

فى

فی شغل والناس منه فی راحة اقول مثول بالحلیة ای بالاعذار الجلیة او
بان اوضح لکم حلیة الامور وبینة بالحجج علی ان مکاره الله وان کانت لزندة
فان النار محفوفة بها عمن لاابسطها وانهمک فیها وصل الی النار وان
محابة من الاعمال وان کانت شاقة فان الجنة محفوفة بها فلا ینال بدون
الوصول الیها ونزع اقلع وقمع ردع والنفس ای الامارة بالسوء بعد شی
مفرغا ای رجوعا عن المعصیة اذهی مجبولة علی محبة الباطل وظنون متهمة
بالخیانة والتقصیر فی طاعة الله وتقویتها البنا نعصه ومجالسة القران مجالسة
اهله والاستماع الیهم والتعلم عنهم واراد بالفاقة الحاجة الی ماینبغی
من الهدایة والکمال النفسانی وبالغنی حصولها وادواوهم والوذیل واللاوا
الشدة واستعار لفظ الشافع المشفع للقران باعتبار کونه وسیلة لمن یتقرب به
الی الله موصلة له الی مطالبه ومحل به الی السلطان سعی به ووجه ذلک فی
القران اعتبار کون غیر العامل به معروفا عند الله بذلک فاشبه القران الشاهد
علیه بذلک وحرثه القران مستثیر واد فاینه وکنوز علمه واستنصحوه علی انفسکم
ای اتخذوه النصح منها فانه اولی بالنصیحة وقوله واتهموا علیه آراکم ای الارآد
والاهوآء المخالفة له والنهایة التی للخلق المطلوبة منهم اخلاصهم لله والتجلی بزینته
وهی غایة الاسلام ایضا والعلم مستعار له علیه السلام او للقرآن وقوله من حقه
متعلق بقوله اخرجوا والخروج الیه باخلاص العمل له والنافی النافذ الذی لایرد
وتورد ای دخل فی الوجود شیا بعد شی یقال تورد البلاد اذ دخلته قطعة قطعة
واشار بالقدر الی واقع خاص وهو خلافه وما یصحبها من الفتن والوقایع
وعده الله التی یتکلم بها هی ما وعد به عباده الذین اعترفوا بربوبیته واستقاموا
علی سلوک سبیله من تنزل الملائکة علیهم بذهاب الخوف والحزن والبشارة بالجنة وانا
حجته التی تکلم بها مقوله وقد قلتم ربنا الله ای اعترفتم بالربوبیة فاستقیموا
علی کتابه ومنهاج امره الی قوله عنها ونهی تغییر الاخلاق تفریقها وتکثیرها وهو

نهی

نهی عن النفاق وذو اللسانین والوجهین هو المنافق واستعار لفظ الوراء
للسان المؤمن باعتبار ان قوله مؤخر عن فکره قلبه ولقلب المنافق باعتبار ان فکره
مؤخر عن کلامه واستقامة القلب فی الخیر بالاعتقاد الصالح لا استقامة الایمان
وصونه واستقامة اللسان ای علی الاقوال الصالحة علامة لاستقامته لا ان
لاسبب لکن لما کانت العلامة متقدمة علی ذی العلامة فی العلم اشار الی
توقف استقامة القلب علی استقامة اللسان بحتی ایضا ونقاء الراحة
کنایة عن الخلاص من حقوق المسلمین دمائهم واموالهم وقوله ان المؤمن الی
قوله احل الله ای ان المؤمن انما یستحل ویحرم ما فی المستقبل ما کان حلالا او
حراما فی الماضی وهو ما احله الله ورسوله او حرمه وثبت بالکتاب والسنة
اخذه او ترکه دون ما احدث من البدع وضرست الامور احکمته خبرة وقوله ولا
یعمی ذلک الا اعمی ای بعد بیان الامور وایضاحه بما ذکر لایعمی عنه الا اصم
ای شدید الصمم ولا یعمی الا اعمی ای شدید عمی الجهل وهو عمی البصیرة والامر
هو طریق الدین وقوله من امامه لان الکمال الذی یتوجه الیه بحسب فعله یفوته
انقصان عن رتبته ووقوعه خلفها وقوله حتی یعرف اشلئه الی قوله عرف
اشارة الی غایة جهله وهو ان یتخیل تارة فیما هو منکر ومجهول له انه عالم
به وفیما هو معروف عنده وصحیح انه لایعرفه لشبهة یعتریه والات
الماسون ای من تمسک به له تحفه والهنه کنایة عن الصغیرة من الزلات
والعفو عنها فی آیات الوعد والتلون فی الدین النفاق فیه وافتراق القلوب
عنه وباقی الفصل ظاهر ومن کلام له علیه السلام فی معنی الحکمین فاجمع رای
ملائکم علی ان اختاروا رجلین فاخذنا علیهما ان یجمعا عند القران
ولایجاوزاه وبکونا السنتهما معه وقلوبهما تبعه فتاها عنه وترکا الحق وهما
یبصرانه وکان الجور هواهما والاعوجاج رایهما وقد سبق استثناؤنا علیهما
فی الحکم بالعدل والعمل بالحق سوء رایهما وجور حکمهما والثقة فی ایدینا

لانفسنا حین خالفا سبیل الحق واتیا بما لایعرف من معکوس الحکم اقول
الاجماع تصمیم العزم وتجمعا یحبسا نفسهما علی القران والخطاب لمن انکر علیه
عدم رضاه بالتحکیم بعد الرضا به والرجلان الحکمان ابوموسی الاشعری وعمرو
بن العاص والثقة فی ایدینا ای ما بناه علی الحق فی عدم الرضا اذا کان رضانا مع
بحسب الشرط الذی خالفاه وقد سبق ذکر الحکمین وطرف من حالهما ومن خطبة
له علیه السلام لایشغله ولایغیره زمان ولایحویه مکان ولایصفه ولایعزب عنه
عدد قطر الماء ولا نجوم السماء ولا سوافی الریح فی الهواء ولا دبیب النمل علی
الصفا ولا مقیل الذر فی اللیلة الظلماء یعلم مساقط الاوراق وخفی طرف
الاحداق واشهد ان لا اله الا الله غیر معدول به ولا مشکوک فیه ولا مکفور
دینه ولا مجحود تکوینه شهادة من صدقت نیته وصفت دخلته وخلص یقینه
وثقلت موازینه واشهد ان محمدا عبده ورسوله المجتبی من خلایقه والمعتام لشرح
حقایقه والمختص بعقایل کراماته والمصطفی لکرایم رسالاته والموضحة به اشراط
الهدی والمجلو به غربیب العمی ایها الناس ان الدنیا تغر المؤمل لها والمخلد الیها
ولا تنفس بمن نافس فیها وتغلب من غلب علیها وایم الله ما کان قوم قط
فی غض نعمة من عیش فزال عنهم الا بذنوب اجترحوها لان الله لیس بظلام
للعبید ولو ان الناس حین تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم فزعوا الی
ربهم بصدق من نیاتهم وَوَلَه من قلوبهم لرد علیهم کل شارد واصلح لهم
کل فاسد وانی لاخشی علیکم ان تکونوا فی فترة وقد کانت امور مضت
ملتم فیها میلة کنتم فیها عندی غیر محمودین ولئن رد علیکم امرکم انکم
لسعداء وما علی الا الجهد ولو اشاء ان اقول لقلت عفا الله عما سلف
اقول الدخلة باطن الامر والمعتام المختار وحقایقه ما حق وثبت من
دینه وعقایل کراماته نفایس ما اکرم به عباده من قوانین الدین واشراط الهدی
علاماته وغربیب العمی ما یعقل من ظلمة الجهل وسواده واخلد الی کذا سکن

فیها

الیه

الیه وتنفس وتبخل وغض النعمة طریها ویجوز بلفظ الفترة فی امر الجاهلیة
اطلاقا لاسم الظرف علی المظروف ویحتمل ان یرید الفترة من عذاب ینتظر
بسبب مخالفتهم لآرائه قالت الامامیة والامور التی مالوا فیها تقدیمهم علیه من سبق
من الائمة وقال غیرهم میلهم علیه فی تقدیم عثمان وقت الشوری وامرهم ای صلاح
احوالهم التی کانوا علیها فی زمن الرسول علیه وما علی الجهد فی عود مثل ذلک
الامر علیهم وقوله ولو شاء الی آخره یفهم منه انه لو شاء لکان مقتضی قوله نسبتهم
الی ظلمة وتخطئتهم فی التقدیم علیه وذکر وجوه تاخیرهم له والله اعلم ومن کلام
له علیه السلام قاله لذعلب الیمانی وقد ساله هل رایت ربک یا امیر المؤمنین
فقال علیه السلام افاعبد ما لا اری فقال وکیف تراه قال لاتدرکه العیون
بمشاهدة العیان ولکن تدرکه القلوب بحقایق الایمان قریب من الاشیاء غیر
ملامس بعید منها غیر مباین متکلم بلا رویة مرید بلا همة صانع بلا جارحة لطیف
لایوصف بالخفاء کبیر لایوصف بالجفاء بصیر لایوصف بالحاسة رحیم لایوصف
بالرقة تعنو الوجوه لعظمته وتوجل القلوب من مخافته اقول حقایق الایمان
ارکانه وهی التصدیق بوجوده تعالی ووحدانیته واعتبارات اسمائه الحسنی مما
عدده واحترز بقوله غیر ملامس وغیر مباین عن القرب والبعد المعهودین
للاجسام اذ معنی قربه تعالی اتصال علمه وقدرته بکل شی ومعنی بعده مباینته
بذاته الکاملة من مشابهة شی واحترز بسلب الرویة فی الکلام عن کلام المخلوق
وبسلب الهمة عن مثلیه ارادته لارادتنا فی سبق العزم لها وبسلب الجارحة
عن مثلیه صنعه لصنعنا وبسلب الوصف بالخفاء عن اللطف بمعنی رقة
القوام بل معنی لطفه تعالی تصرفه فی الذوات والصفات تصرفا خفیا بفعل
الاسباب المعدة لها لافاضة کمالاتها وبسلب وصفه بالرقة عن رحمتنا و
باقی الفصل ظاهر ومن کلام له علیه السلام فی ذم اصحابه احمده علی ما
قضی من امر وقدر من فعل وعلی ابتلائی بکم ایتها الفرقة التی اذا امرت

لابجارحة

تجل تجل

لم تطع واذا دعوت لم تجب ان اهملتم خضتم وان حوربتم خرتم وان
اجتمع الناس على امام طعنتم وان اجئتم الى مشاقة نكصتم لا ابا لغيركم ما
تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم الموت او الذل لكم فوالله لئن جاء يومي
وليأتيني ليفرقن بيني وبينكم وانا لصحبتكم قال وبكم غير كثير لله انتم اما دين
يجمعكم ولا حمية تشحذكم اوليس عجبا ان معوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على
غير معونة ولا عطاء وانا ادعوكم وانتم تريكة الاسلام وبقية الناس الى
المعونة او طائفة من العطاء فتتفرقون عني وتختلفون علي انه لا يخرج اليكم
من امري رضا فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه وان احب ما انا لاق الى
الموت قد دارستكم الكتاب وفاتحتكم الحجاج وعرفتكم ما انكرتم وسوغتكم
ما مججتم لو كان الاعمى يلحظ او النائم يستيقظ واقرب بقوم من الجهل بالله قائدهم
معوية ومؤدبهم ابن النابغة اقول انما قال علي ما قضي اي امور وقدر من فعل لان
القضاء هو احاطة علمه تعالى بكل شيء وهو اعم من ان يكون فعلا ولما كان القدر
هو تفصيل القضاء وايجاد الاشياء على وفقه خص القدر بالفعل وخضتم مستعار
للسعي في غير طاعة وخرتم ضعفتم او صحتم من الخوار وقوله الموت او الذل لكم
في قوة منفصلة مانعة الخلو والتشحذ التحديد والطغام اوغاد الناس وانما قال
على غير معونة ولا عطاء اي المعونة والعطاء المتعارفين بين الجند لان بذل معوية
كان جوائز لرؤساء القبائل وقسمة علي عليه السلام كانت على مجار الرزق والعطاء
من غير تفضيل الشريف على من دونه وتريكة الاسلام ما بقي منه وتخلف و
تريكة بيضة النعام وكل بيضة بالعراء تريكة ومجه القاه من فيه واستعار
وصف التسويغ لاعطائهم ما كانوا يجهلونه من غيره من الارزاق او اعطائهم
العلوم التي لم تقبلها اذهانهم قبل ذلك كما استعار له وصف المج وقوله لو كان
الى قوله يستيقظ اشارة الى غفلتهم وجهلهم وابن النابغة عمرو بن العاص
وهو رئيس للناكثين والجهال وكيف بتلاميذه ومن كلام له عليه السلام

رجل

ارسل رجلا من اصحابه

لرجل من اصحابه وقد ارسله يعلم له احوال علم قوم من جند الكوفة هموا باللحاق بالخوارج
وكانوا على خوف منه عليه السلام فلما عاد اليه الرجل قال له أأمنوا فقطنوا ام
جبنوا فظعنوا فقال الرجل بل ظعنوا يا امير المؤمنين فقال عليه السلام بعدا
لهم كما بعدت ثمود اما لو اشرعت الاسنة اليهم وصبت السيوف على هاما
تهم لقد ندموا على ما كان منهم ان الشيطان اليوم قد استفلهم وهو غدا متبرئ
منهم ومتخل عنهم فحسبهم بخروجهم من الهدى وارتكاسهم في الضلال و
العمى وصدهم عن الحق وجماحهم في التيه اقول فقطنوا اقاموا وبعدت بالكسر
هلكت واشرعت الرمح نحوه سددته واستفلهم طلب تفريقهم وهزيمتهم
والارتكاس الرجوع في الشيء مقلوبا واستعار لفظ الجماح لخروجهم عن فضيلة
العدل الى طرف الافراط على جهل غطى بهم وهو معنى التيه ومن خطبة له
عليه السلام روي عن نوف البكالي قال خطبنا بهذه الخطبة امير المؤمنين
عليه السلام بالكوفة وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي وعليه
مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف وفي رجليه نعلان من ليف وكان جبينه
ثفنة بعير فقال عليه السلام الحمد لله الذي اليه مصائر الخلق وعواقب الامر
نحمده على عظيم احسانه ونير برهانه ونوامي فضله وامتنانه حمدا يكون لحقه
قضاء ولشكره اداء والى ثوابه مقربا ولحسن مزيده موجبا ونستعين به
استعانة راج لفضله مؤمل لنفعه واثق بدفعه معترف له بالطول مذعن
له بالعمل والقول ونؤمن به ايمان من رجاه موقنا واناب اليه مؤمنا وخنع
له مذعنا واخلص له موحدا وعظمه ممجدا ولاذ به راغبا مجتهدا لم يولد سبحانه
فيكون في العز مشاركا ولم يلد فيكون موروثا هالكا ولم يتقدمه وقت ولا زمان
ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان بل ظهر للعقول بما ارانا من علامات التدبير المتقن
والقضاء المبرم فمن شواهد خلقه خلق السموات موطدات بلا عمد قائمات
بلا سند دعاهن فاجبن طائعات مذعنات غير متلكئات ولا مبطئات

ولم يتعاوره ٤

والارض ٤

ولولا اقرارهن له بالربوبية واذعانهن بالطواعية لما جعلهن موضعا لعرشه
ولا مسكنا لملائكته ولا مصعدا للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه جعل نجومها
اعلاما يستدل بها الحيران في مختلف فجاج الاقطار لم يمنع ضوء نورها ادلهمام
سجف الليل المظلم ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس ان ترد ما شاع في
السموات من تلألؤ نور القمر فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج ولا ليل ساج
في بقاع الارضين المتطاطئات ولا في يفاع السفع المتجاورات وما يتجلجل به الرعد
في افق السماء وما تلاشت عنه بروق الغمام وما تسقط من ورقة تزيلها عن
مسقطها عواصف الانواء وانهطال السماء ويعلم مسقط القطرة ومقرها
ومسحب الذرة ومجرها وما يكفي البعوضة من قوتها وما تحمل من الانثى في بطنها
ولا يشغله سائل ولا ينقصه نائل ولا يبصر بعين ولا يحد باين ولا يوصف
بالازواج ولا يخلق بعلاج ولا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس الذي كلم موسى
تكليما واراه من اياته عظيما بلا جوارح ولا ادوات ولا نطق ولا لهوات
بل ان كنت صادقا ايها المتكلف لوصف ربك فصف جبريل وميكائيل
وجنود الملائكة المقربين في حجرات القدس مرجحنين متولهة عقولها ان يحدوا
احسن الخالقين وانما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والادوات ومن ينقضي اذا
بلغ امد حده بالفناء فلا اله الا هو اضاء بنوره كل ظلام واظلم بظلمته كل نور
اوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي البسكم الرياش واسبغ عليكم المعاش فلو ان
احدا يجد الى البقاء سلما او لدفع الموت سبيلا لكان ذلك سليمان بن داود عليه
السلام الذي سخر له ملك الجن والانس مع النبوة وعظيم الزلفة فلما استوفى طعمته
واستكمل مدته رمته قسي الفناء بنبال الموت واصبحت الديار منه خالية والمساكن
معطلة وورثها قوم آخرون وان لكم في القرون السالفة لعبرة اين العمالقة
وابناء العمالقة اين الفراعنة وابناء الفراعنة اين اصحاب مدائن الرس الذين قتلوا
النبيين واطفأوا سنن المرسلين واحيوا سنن الجبارين واين الذين ساروا

بالجيوش

والحمد لله الكائن قبل ان
يكون كرسي او عرش او سماء
او ارض او جان او انس
لا يدرك بوهم ولا يقدر
بفهم ٤

بواو واحد
وبواوين رواية

بالجيوش وهزموا الالوف وعسكروا العساكر ومدنوا المدائن اقول نقل الجوهري
ان نوفا البكالي بفتح الباء وتخفيف الكاف كان صاحب علي عليه السلام ونقل
عن ثعلب انه منسوب الى بكالة قبيلة وقال القطب الراوندي هو منسوب
الى بكال حي من همدان ويقال بكيل وهو الكثر وقال عبد الحميد بن ابي الحديد
انما هو بكال بكسر الباء قبيلة من حمير فمنهم هذا الشخص وهو نوف بن فضالة
صاحب علي عليه السلام وجعدة بن هبيرة ابن اخت امير المؤمنين ام هاني
وثفنة البعير ما يقع على الارض من اعضائه ونير برهانه ما ظهر لنا من البرهان
الواضح على وجوده وكماله وخنع خضع واذعن انقاد ويتعاوره يختلف
عليه وعلامات التدبير الاحكام والاتقان في مصنوعاته الموجودة واجابتهن
دخولهن فيه وغير متلكئات اي متوقفات والطواعية الطاعة واوصاف
الدعاء والاقرار والاجابة والطاعة مستعارة لشهادة حال الممكن بذلك
والادلهمام شدة الظلمة والحندس بكسر الحاء والليل شديد الظلمة واليفاع
المرتفع من الارض والسفع الجبال والسفعة سواد مشرب بحمرة وهو
لون الجبال غالبا وجلجلة الرعد صوته وما تلاشت عنه بروق الغمام اي
لم ينكشف للابصار بسبب اضاءتها فكانها اضمحلت عنه لان العلم به
اشرف لتعلقه ما لا يدركه ابصار المخلوقين دون ما يغشيه لادراك الكل له
والانواء جمع نوء وهو سقوط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين في المغرب
مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق مقابله من ساعته في كل ليلة الى ثلثة عشر
يوما وهكذا كل نجم منها الى انقضاء السنة ما خلا الجبهة فان لها اربعة عشر
يوما وانما اضاف العواصف الانواء لان العرب تضيف الآثار العلوية
من الرياح والامطار والحر والبرد اليها وسلب تحديده بالاين سلب للكمية
المتصلة عنه وبالازواج سلب للكم المنفصل عنه اي ليس فيه اثنينية
وتعدد والعلاج الفعل بآلة والعظيم من اياته كما روي انه كان يسمع الصوت

من كل الجهات ليس على حد سماع البشر وقد ذكرناه وقد ذكرنا كيفية سماع الانبياء
للوحي في الاصل وقيل اراد الايات التسع كانشقاق البحر وقلب العصا
ثعبانا وغيرهما وحجرات القدس مقامات الطهارة عن كدورات الشهوة والغضب
والموجع المايل الى جهة تحت وهو مستعار لخضوعهم تحت سلطان عظمته
والظلام اما محسوس فاضاءه نور الكواكب او معقول وهو ظلام العدم و
الجهل فاضاءه نور الوجود والعلم والشرايع وكذلك النور اما محسوس فالظلمة
معاقبة الظلام واما معقول كانوار الوجود والنفوس البشرية فانها انوار الهية
تغشاها ظلمة العدم والجهل والرياش واللباس والعماليق اولاد لاود بن
ارم بن سام بن نوح فكان ملك اليمن والحجاز وما تاخم ذلك واما الفراعنة فهم
ملوك مصر واما اصحاب مداين الرس فقيل انهم اصحاب شعيب عليه السلام والرس
بئر عظيم جدا انخسفت بهم وكانوا حولها وقيل الرس قرية باليمامة كان
يسكنها قوم من بقايا ثمود والله اعلم منها قد لبس للحكمة جنتها واخذها بجميع
ادبها من الاقبال عليها والمعرفة بها والتفرغ لها فهي عند نفسه ضالته التي
يطلبها وحاجته التي يسال عنها فهو مغترب اذا اغترب الاسلام وضرب
بعسيب دينه والصق الارض بجرانه بقية من بقايا حجته خليفة من خلائف
انبيائه ثم قال عليه السلام ايها الناس اني قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ بها
الانبياء اممهم واديت اليكم ما ادت الاوصياء الى من بعدهم وادبتكم بسوطي
فلم تستقيموا وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا لله انتم اتتوقعون اماما
غيري يطأ بكم الطريق ويرشدكم السبيل الا انه قد ادبر من الدنيا ما كان
مقبلا واقبل منها ما كان مدبرا وازمع الترحال عباد الله الاخيار وباعوا
قليلا من الدنيا لا يبقى بكثير من الاخرة لا يفنى ما ضر اخواننا الذين سفكت
دماؤهم وهم بصفين الا يكونوا اليوم احياء يسيغون الغصص ويشربون
الرنق قد والله لقوا الله فوفاهم اجورهم واحلهم دار الامن بعد خوفهم

اين

اين اخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق اين عمار واين ابن التيهان
واين ذو الشهادتين واين نظراؤهم من اخوانهم الذين
تعاقدوا على المنية وابرد برؤسهم الى الفجرة ثم ضرب عليه السلام بيده
الى لحيته فاطال البكاء ثم قال اوه على اخواني الذين تلوا القران
فاحكموه وتدبروا الفرض فاقاموه واحيوا السنة واماتوا البدعة
دعوا للجهاد فاجابوا ووثقوا بالقائد فاتبعوا ثم نادى باعلى صوته الجهاد
الجهاد عباد الله الا واني معسكر في يومي هذا فمن اراد الرواح الى الله
فليخرج قال نوف وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف ولقيس بن سعد فليروح
في عشرة آلاف ولابي ايوب الانصاري في عشرة آلاف ولغيرهم على اعداد
اخر وهو يريد الرجعة الى صفين فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم
فتراجعت العساكر فكنا كاغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان
اقول الضمير في لبس للعارف مطلقا وقيل المراد هو الامام المنتظر واستعار
لفظ الجنة للاستعداد بالزهد والعبادة لكونها جنة والمعرفة بها اي
بقدرها ولفظ الضالة لها باعتبار طلبه اياها كما قال صلى الله عليه وآله الحكمة
ضالة المؤمن وقوله فهو الى قوله الاسلام اشارة الى خفائه بين الناس
وقلة وجود مثله عند غربة الاسلام وقلة لزومه والعمل كما قال صلى الله عليه وآله
بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا واستعار لفظ عسيب الذنب وهو طرفه
ولفظ الجران وهو مقدم عنق البعير للاسلام ملاحظة لتشبيهه اياه في سقوطه
عند ضعفه واستوسق الامر اجتمع وانتظم وازمع صمم عزمه وقوله ما ضر
الرنق تنبيه على عدم ضرر الموت لاخوانه المذكورين من الصحابة الذين قتلوا
بصفين والرنق بالسكون الكدر وعمار هو عمار بن ياسر الذي قال رسول الله
صلى الله عليه وآله فيه عمار جلدة ما بين عيني تقتله الفئة الباغية لا انالها
شفاعتي وابن التيهان هو ابو الهيثم مالك بن مالك وبني الحارث التيهان وذو الشهادتين

هو ابو عمارة خزيمة بن ثابت الانصاري الاوسي جعل رسول الله صلى الله عليه
وآله شهادته رجلين لقصة مشهورة وابرد ارسل والفجرة اصحاب الشام
والقائد يعني نفسه وقيس هو ابن سعد بن عبادة الانصاري وابو ايوب هو خالد
بن سعد بن كعب من بني النجار وعليه نزل رسول الله صلى الله عليه وآله حين هاجر
الى المدينة حتى بنى مسجده ومساكنه ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله المعروف قوبل
من غير رؤية والخالق من غير منصبة خلق الخلائق بقدرته واستعبد الارباب
بعزته وساد العظماء بجوده وهو الذي اسكن الدنيا خلقه وبعث الى الجن
والانس رسله ليكشفوا لهم عن غطائها وليحذروهم من ضرائها وليضربوا
لهم امثالها وليبصروهم عيوبها وليهجموا عليهم بمعتبر من تصرف مصاحها و
اسقامها وحلالها وحرامها وما اعد سبحانه وتعالى للمطيعين منهم والعصاة
من جنة ونار وكرامة وهوان احمده الى نفسه كما استحمد الى خلقه جعل لكل
شيء قدرا ولكل اجل كتابا اقول نزهه في معرفته عن الرؤية ونفى الخالقية عن ولكل قدر اجلا
التعب لاستلزامها الجسمية وقوله ليكشفوا لهم اي اغطيته الهيات البدنية
واغشية الجهل وكشفها بالتذكير والموعظة عن اعين بصائرهم ليروا ما تعطي
من احوال الاخرة التي خلقوا لها وضرائها ما يلزم الغفلة فيها من الضرر الاخروي
وبالله التوفيق منها في ذكر القران فالقرآن امر زاجر وصامت ناطق حجة
الله على خلقه اخذ عليهم ميثاقهم وارتهن عليه انفسهم اتم نوره واكرم به دينه وقبض
نبيه صلى الله عليه وآله وقد فرغ الى الخلق من احكام الهدى به فعظموا منه سبحانه
ما عظم من نفسه فانه لم يخف عنكم شيئا من دينه ولم يترك شيئا رضيه او كرهه
الا وجعل له علما باديا وآية محكمة تزجر عنه او تدعو اليه فرضاه فيما بقي واحد
وسخطه فيما بقي واحد واعلموا انه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم ولن
يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم وانما تسيرون في اثر بين وتتكلمون
برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم قد كفاكم مؤونة دنياكم وحثكم على الشكر الرجل

وافترض

وافترض من السنتكم الذكر واوصاكم بالتقوى وجعلها منتهى رضاه و
حاجته من خلقه فاتقوا الله الذي انتم بعينه ونواصيكم بيده وتقلبكم
في قبضته ان اسررتم علمه وان اعلنتم كتبه قد وكل بذلك حفظة
كراما لا يسقطون حقا ولا يثبتون باطلا واعلموا انه من يتق الله يجعل له مخرجا
من الفتن ونورا من الظلم ويخلده فيما اشتهت نفسه وينزله منزل الكرامة
عنده في دار اصطنعها لنفسه ظلها عرشه ونورها بهجته وزوارها
ملائكته ورفقاؤها رسله فبادروا المعاد وسابقوا الآجال فان الناس
يوشك ان ينقطع بهم الامل ويرهقهم الاجل ويسد عنهم باب التوبة
فقد اصبحتم في مثل ما سال اليه الرجعة من كان قبلكم وانتم بنو سبيل على
سفر من دار ليست بداركم وقد اوذنتم منها بالارتحال وامرتم فيها بالزاد
واعلموا انه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار فارحموا نفوسكم فانكم قد جربتموها بالترحال
في مصائب الدنيا فرايتم جزع احدكم من الشوكة تصيبه والعثرة تدميه و
الرمضاء تحرقه فكيف اذا كان بين طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان اعلمتم
ان مالكا اذا غضب على النار حطم بعضها بعضا لغضبه واذا زجرها توثبت
بين ابوابها جزعا من زجرته ايها اليفن الكبير الذي قد لهزه القتير كيف القتير
انت اذا التحمت اطواق النار بعظام الاعناق ونشبت الجوامع حتى اكلت لحوم
السواعد فالله الله معشر العباد وانتم سالمون في الصحة قبل السقم وفي الفسحة
قبل الضيق فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل ان تغلق رهائنها اسهروا
عيونكم واضمروا بطونكم واستعملوا اقدامكم وانفقوا اموالكم وخذوا من
اجسادكم تجودوا بها على انفسكم ولا تبخلوا بها عنها فقد قال الله سبحانه
ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وقال تعالى من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم فلم يستنصركم من ذل ولم يستقرضكم
من قل استنصركم وله جنود السماوات والارض وهو العزيز الحكيم واستقرضكم

وله خزائن السموات والارض وهو الغني الحميد وانما اراد ان يبلوكم ايكم احسن عملا
فبادروا باعمالكم تكونوا مع جيران الله في داره رافق بهم رسله وازارهم
ملائكته واكرم اسماعهم عن ان تسمع حسيس نار ابدا وصان اجسادهم ان تلقى
لغوبا ونصبا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم اقول ما تسمعون
والله المستعان على نفسي وانفسكم وهو حسبنا ونعم الوكيل اقول استعار القران
الاوصاف المتضادة باعتبارات مختلفة واخذ عليه اي على العمل بما فيه وما بعده
اي فعظموه تعظيما يناسب تعظيمه لنفسه وقوله فرضاه الى قوله واحد اي ان
المرضي له من الاحكام او المسخوط فيما مضى هو المرضي او المسخوط فيما بقي او استقبل من
الزمان وحكمه في كونه مرضيا او مسخوطا واحد في جميع الاوقات وفيه ايماء الى ان
رفع شيء من الاحكام بالراي والقياس المتعارف لا يجوز وكذلك قوله واعلموا الى
قوله قبلكم تاكيد له وقوله وانما تسيرون الى قوله قبلكم اي ان الادلة لكم
واضحة قد تداولها الاولون قبلكم وانتم تتكلمون بما تردد من معاني الالسنة السابقة
ورجع القول المردد منه وكونهم بعينه اي بحيث يبصرهم ويعلم ما يفعلون ولفظ
العين مجاز في العلم وخص النواصي بالاخذ لانها اشرف والقدرة على الاشراف اتم
واقوى ولانه تعالى في اعتبار الاوهام في جهة فوق ما اخذه او لانكون بالنواصي و الدار
التي اصطنعها لنفسه الجنة وكون ظلها عرشه تقتضي انها في السموات وبهجته تعود
الى بهائه وجماله المعقول المشرق على نفوس اهل الجنة ورفقاؤها الرفقاء فيها وحسن
اولئك رفيقا ويوشك يقرب ويرهقهم يدركهم وقوله فقد اصبحتم الى قوله قبلكم اي
حال الحياة من الصحة والتمكن من العمل وهو ما يتمناه من مضى قبلكم كقولهم يا ليتنا نرد
فنعمل غير الذي كنا نعمل وكونهم بني سبيل باعتبار انهم في هذه الدار غرباء يسوقهم
الغاية الغائية الحقة الى غاية اخرى وضجيج حجيج وقود الناس والحجارة وقرين شيطان كقوله
تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون واليفن الشيخ الكبير وطحنه
خالعه والقتير الشيب والجامعة الغل لجمعها الايدي الى الاعناق واللغوب التعب

والفصل

والفصل واضح ومن كلام له عليه السلام قاله للبرج بن مسهر الطائي وقد قال بحيث
يسمعه لا حكم الا لله وكان من الخوارج اسكت قبحك الله يا اثرم فوالله لقد
ظهر الحق فكنت فيه ضئيلا شخصك خفيا صوتك حتى اذا نعر الباطل نجمت نجوم
قرن الماعز اقول البرج بالباء المضمومة والجيم وقبحه الله نحاه عن الخير والاثرم
ساقط الثنية والضئيل الصغير الحقير النحيف وخموله شخصه عن ظهور
الحق كناية عن حقارته في زمن العدل وقوة الاسلام وخمول ذكره في الصحابة و
خفاء صوته كناية عن قلة الالتفات اليه ونعر صاح ونعور الباطل كناية عن
قوته وكثرته ووجه التشبيه بنجوم قرن الماعز سرعة ظهوره ومن خطبة له عليه
السلام روي ان رجلا من اصحابه يقال له همام كان رجلا عابدا فقال له يا امير المؤمنين
صف لي المتقين حتى كاني انظر اليهم فتثاقل عن جوابه ثم قال عليه السلام يا
همام اتق الله واحسن فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فلم يقنع همام
بذلك القول حتى عزم عليه قال فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم
قال عليه السلام اما بعد فان الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم امنا
من معصيتهم لانه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من اطاعه فقسم بينهم
معايشهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم فالمتقون فيها هم اهل الفضائل منطقهم
الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع غضوا ابصارهم عما حرم الله
تعالى عليهم ووقفوا اسماعهم على العلم النافع لهم نزلت انفسهم منهم في البلاء كالذي
نزلت في الرخاء ولولا الاجل الذي كتب لهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم طرفة
عين شوقا الى الثواب وخوفا من العقاب عظم الخالق في انفسهم فصغر ما
دونه في اعينهم فهم والجنة كمن قد راها فهم فيها متنعمون وهم فيها معذبون قلوبهم
محزونة وشرورهم مامونة واجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة وانفسهم عفيفة
صبروا اياما قصيرة اعقبتهم راحة طويلة تجارة مربحة يسرها لهم ربهم ارادتهم الدنيا
ولم يريدوها واسرتهم ففدوا انفسهم منها اما الليل فصافون اقدامهم تالين لاجزاء

ان صاحبا لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همام في اكثر النسخ بهذا الترتيب

القرآن يرتلونه ترتيلا يحزنون به انفسهم ويستثيرون به دواء دائهم فاذا مروا
باية فيها تشويق ركنوا اليها طمعا وتطلعت نفوسهم اليها شوقا وظنوا
انها نصب اعينهم واذا مروا باية فيها تخويف اصغوا اليها مسامع
قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها في اصول اذانهم فهم حانون على
اوساطهم مفترشون لجباههم واكفهم وركبهم واطراف اقدامهم يطلبون الى
الله تعالى في فكاك رقابهم واما النهار فحلماء علماء ابرار اتقياء قد براهم الخوف
بري القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول
قد خولطوا ولقد خالطهم امر عظيم لا يرضون من اعمالهم القليل ولا يستكثرون
الكثير فهم لانفسهم متهمون ومن اعمالهم مشفقون اذا زكي احد منهم خاف مما يقال
له فيقول انا اعلم بنفسي من غيري وربي اعلم مني بنفسي اللهم لا تؤاخذني
بما يقولون واجعلني افضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون فمن علامة احدهم
انك ترى له قوة في دين وحزما في لين وايمانا في يقين وحرصا في علم وعلما
في حلم وقصدا في غنى وخشوعا في عبادة وتجملا في فاقة وصبرا في شدة و
طلبا في حلال ونشاطا في هدى وتحرجا عن طمع يعمل الاعمال الصالحة وهو على
وجل يمسي وهمه الشكر ويصبح وهمه الذكر يبيت حذرا ويصبح فرحا حذرا
لما حذر من الغفلة فرحا بما اصاب من الفضل والرحمة ان استصعبت عليه نفسه
فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب قرة عينه فيما لا يزول وزهادته فيما لا يبقى
يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل تراه قريبا امله قليلا زلله خاشعا قلبه قانعة
نفسه منزورا اكله سهلا امره حريزا دينه ميتة شهوته مكظوما غيظه
الخير منه مامول والشر منه مامون ان كان في الغافلين كتب في الذاكرين
لم يكتب من الغافلين يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه
بعيدا فحشه لينا قوله غائبا منكره حاضرا معروفه مقبلا خيره مدبرا شره
في الزلازل وقور وفي المكاره صبور وفي الرخاء شكور لا يحيف على من

يبغض

وفي الرخاء شكور ولا يحيف على من يبغض ولا ياثم فيمن يحب يعترف بالحق
قبل ان يشهد عليه لا يضيع ما استحفظ ولا ينسى ما ذكر ولا ينابز بالالقاب
ولا يضار بالجار ولا يشمت بالمصائب ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق
ان صمت لم يغمه صمته وان ضحك لم يعل صوته وان بغي عليه صبر حتى يكون
الله هو الذي ينتقم له نفسه منه في عناء والناس منه في راحة اتعب
نفسه لاخرته واراح الناس من نفسه بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة
ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ليس تباعده بكبر وعظمة ولا دنوه بمكر وخديعة
قال فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها فقال امير المؤمنين عليه السلام
اما والله لقد كنت اخافها عليه ثم قال هكذا تصنع المواعظ البالغة باهلها
فقال له قائل فما بالك انت يا امير المؤمنين فقال ويحك ان لكل اجل وقتا لا يعدوه
وسببا لا يتجاوزه فمهلا لا تعد لمثلها فانما نفث الشيطان على لسانك اقول
هو همام بن شريح كان من شيعته عليه السلام والمتقون هم الذين استجمعوا
الفضائل النفسانية المتعلقة بصلاح قوتي العلم والعمل وقد اشار عليه السلام
منها الى نيف وسبعين فضيلة عددناها في الاصل والصواب في القول هو
فضيلة اللسان وهو قول ما ينبغي دون ما لا ينبغي واستعار لفظ الملبس للاقتصاد
في الامور باعتبار ملازمتهم له وقوله نزلت الى قوله الرخاء اي كما لا يبطرون برخاء
نصيبها كذلك لا يقنطون ببلاء ينزل بها والتقدير كالنزول الذي نزلته
في الرخاء ويحتمل ان يريد بالذي وشبههم بمن قد راى الجنة اي في قوة يقينهم
بما وعد المتقون وبمن قد راى النار في قوة يقينهم بوعيد اهلها وذلك عن مشاهد تهم
باعين بصائرهم حقائق الوعد والوعيد وبحسب ذلك يكون غلبة الخوف
والرجاء عليهم وتنعمهم باللذة وعذابهم بالالم بما يتصورونه ونحافة اجسامهم
لهجرهم الترف والملاذ الدنيوية ونصبهم في العبادة وتجارة مصدر وداؤهم
هو الجهل ودواؤهم ما اشتمل عليه القران من الاسرار والفضائل وجثوهم على اوساطهم

وكيفية ركوعهم والقدح السهم لا ريش فيه ووجه الشبه به شدة النحافة وقد
يعرض لبعض العارفين اختلاط في القول عند اتصال نفسه بالملأ الاعلى واشتغال
سره بانوار الهية فربما تكلم بما يخرج عن المتعارف واللين في اللين اى يكون
لينه حوكما في موضعه لا عن مهانة وذلة والقصد في الغنى فضيلة العدل
فيه دون الاسراف او البخل او دون تجاوز الحد في طلب الدنيا والوقوف
في حد الحاجة والسكة والوجل في العمل الصالح من ان يكون على غير الوجه المرضي
لله كما روى عن زين العابدين عليه السلام انه كان في التلبية وهو على راحلته اذ
خر مغشيا عليه فلما افاق قيل له في ذلك فقال خشيت ان يقول لا لبيك ولا
سعديك وسهولة امره في كونه لا يتكلف ولا يكلف وحوزة دينه حفظه
من التساهل فيه وقوله ان كان من الغافلين اى في نظر الناس كتب في الذاكرين
عند الله لاشتغال سره به والفحش قول ما لا ينبغي والزلازل الفتن الكبار
والامور العظام وعدم اثمه فيمن يحب ان لا يتبع الهوى في بغضاه والتنابز
المراماة بالالقاب التي يتاذى بها ولا يغمه حمته لكونه حكمه ولا يعلوا ضحكه
لغلبة ذكر الموت عليه ونفسه منه في عناء الامارة لمقاومته اياها وكسره لها
وباقي الكلام واضح ومن خطبة له عليه السلام يصف فيها المنافقين
نحمده على ما وفق له من الطاعة وذادعنه من المعصية ونسأله لمنته
تماما ولحبله اعتصاما ونشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله
خاض الى رضوان الله تعالى كل غمرة وتجرع فيه كل غصة وقد تلون له الادنون
وتألب عليه الاقصون وخلعت اليه العرب اعنتها وضربت الى محاربته بطون
رواحلها حتى انزلت بساحته عداوتها من ابعد الدار واسحق المزار اوصيكم
عباد الله بتقوى الله واحذركم اهل النفاق فانهم الضالون المضلون والزالون
المزلون يتلونون الوانا ويفتنون افتنانا ويعمدونكم بكل عماد ويرصدونكم بكل
مرصاد قلوبهم دوية وصفاحهم نقية يمشون الخفاء ويدبون الضراء وصفهم

عداوتها

دواء وقولهم شفاء وفعلهم الداء العياء حسدة الرخاء ومؤكدوا البلاء
ومقنطوا الرجاء لهم بكل طريق صريع والى كل قلب شفيع ولكل شجو دموع
يتقارضون الثناء ويتراقبون الجزاء ان سألوا الحفوا وان عذلوا كشفوا وان
حكموا اسرفوا قد اعدوا لكل حق باطلا ولكل قائم مائلا ولكل حي قاتلا ولكل
باب مفتاحا ولكل ليل مصباحا يتوصلون الى الطمع باليأس ليقيموا به
اسواقهم وينفقوا به اعلاقهم يقولون فيشبهون ويصفون فيموهون قد هونوا الطريق واضلعوا المضيق فهم لمة الشيطان و
حمة النيران اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
اقول ذاد طرد وذوده تعالى عن المعصية بالنواهي واستعار لفظ الحبل
لدينه العاصم لمن تمسك به وغمرة الشيء معظمه واراد كل عظيم من الشدائد
وتلون الادنين تغير قلوبهم ونفاقهم والتألب التجمع وخالع العرب اعنتها
اليه كناية عن تجردهم مسرعين الى حربه وكذلك ضربها الى محاربته بطون
رواحلها والسحق البعد ويعمد ونكم يقصدونكم بالامور الفادحة و
دوية ذات داء كالغل والحسد والخديعة ونحوها وذلك مع نقاء صفاحهم
اى وجوههم وسلامتها من شر ظاهر كناية عن النفاق ووصفهم دواء اى
يقولون اقوال الزاهدين في وصف سبيل الله ويفعلون افعال المنافقين
الفاسقين ومقنطوا الرجاء اى من جاء امرا قنطوه منه والطريق كناية عن
الحيلة او المقصد اى كيف توجهوا حصل منهم اذى والى كل قلب شفيع اى
من الاقوال والافعال المشبهة للحق ودموعهم لكل شجو كناية عن توجعهم عن
كل ذي شجو وان كان عدوا نفاقا وتقارضهم للثناء ثناء كل منهم على صاحبه مع
توقعه ان يثني عليه بمثله والالحاف الالحاح في السؤال وان عذلوا كشفوا عيوب
من يعذلونه وهم في زي الناصحين واستعار لفظ المفتاح للحيلة ولفظ الليل
لما اظلم من الامور ولفظ المصباح للرأي الذي يدخلون به في كل مشكل ويتوصلهم

سولدوا

هيبوا

الى الطمع باليأس اى عما في ايدي الناس فاظهارا لزهد والعلق النفيس
من كل شيء وهو مستعار لما يلتمسون ترويجه على الناس من امورهم والتمويه
التشبيه وهونوا الطريق اى مسلك مقاصدهم من الاراء والحيل واضلعوا المضيق
اى عوجوا مضايق طرقهم ومضايقها دقايق المداخل في الامور واراد بتعويجها
انهم اذا ارادوا امتلاء امرا اظهروا غيره يتعمه على الغير ولمة الشيطان جماعته
وحمة النيران مستعار لشغل شرورهم ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي
اظهر من اثار سلطانه وجلال كبريائه ما حير مقل العقول من عجائب قدرته
وردع خطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته واشهد ان لا اله الا الله
شهادة ايمان وايقان واخلاص واذعان واشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله عبده
ورسوله ارسله واعلام الهدى دارسة ومناهج الدين طامسة فصدع بالحق
ونصح للخلق وهدى الى الرشد وامر بالقصد صلى الله عليه وآله واعلموا عباد الله انه
لم يخلقكم عبثا ولم يرسلكم هملا علم مبلغ نعمه عليكم واحصى احسانه اليكم فاستفتحوه
واستنجحوه واطلبوا اليه واستمنحوه فما قطعكم عنه حجاب ولا اغلق عنكم دونه
باب وانه لبكل مكان وفي كل حين وزمان واوان ومع كل انس وجان لا يثلمه العطاء
ولا ينقصه الحباء ولا يستنفده سائل ولا يستقصيه نائل ولا يلويه شخص عن
شخص ولا يلهيه صوت عن صوت ولا تحجزه هبة عن سلب ولا يشغله غضب
عن رحمة ولا تولهه رحمة عن عقاب ولا يجنه البطون عن الظهور ولا يقطعه
الظهور عن البطون قرب فنأى وعلا فدنا وظهر فبطن وبطن فعلن ودان
ولم يدن لم يذرأ الخلق باحتيال ولا استعان بهم لكلال اوصيكم عباد الله بتقوى
الله فانها الزمام والقوام فتمسكوا بوثائقها واعتصموا بحقائقها تؤل بكم الى
اكنان الدعة واوطان السعة ومعاقل الحرز ومنازل العز في يوم تشخص فيه الابصار
وتظلم له الاقطار وتعطل فيه صروم العشار وينفخ في الصور فتزهق كل مهجة
وتبكم كل لهجة وتذل الشم الشوامخ والصم الرواسخ فيصير صلدها سرابا رقرقا ومعهدها

واستنجحوه

فتزهق

معهدها قاعا سملقا فلا شفيع يشفع ولا حميم ينفع ولا معذرة يدفع اقول
استعار لفظ المقلة وهي شحمة العين لقوة العقل باعتبار ادراكها وخطرات هماهم
النفوس يخطر لها فتهمهم به والهمهمة صوت خفي وردعه لها استلزام كماله المطلق
عجزها عن ادراك حقيقته والايمان التصديق القلبي بالله وما جاءت به رسله وما
يطابقه من اللسان والايقان اعتقاد ان ذلك التصديق لا يكون الا كذلك والاخلاص
ان يحذف في توحيده تعالى كل امر سواه عن درجة الاعتبار والاذعان ثمرة ذلك
الاخلاص وهي كمال العبادات التابعة له والاعلام الهدى ائمة الدين والمناهج قوانين
الشريعة ودروسها وطموسها اضمحلالها قبل النبوة وكونه كل مكان بعلمه و
في كل زمان مساوقة وجوده لوجود الزمان اذ تعالى عن احاطتها به ومع كل انس
وجان بعلمه والحباء النوال واثبار باجتماع الاضداد تحت حكم قدرته الى كمالها وتنزيهها
عن قدر البشر وكذلك اجتماع اللخوان المتضادة له كالرحمة والعقاب والبطون و
الظهور وغيرها انما هي باعتبارات مختلفة تعتبرها الاذهان لمعقوليته تعالى
كالمرة والتولية شغل القلب وتحيره ودان قهر وذرأ خلق واستعار لفظ الزمام
لتقوى الله كقودها العبد الى الحق وكونها قواما اى للعبد مسبيل الله ووثائقها
ما يتمسك به منها وهو المامور بلزومه من العبادات والطاعات وحقائقها الخالص
منها الثابت في الدين والجزم تؤل في جواب الامر بالتمسك والاكنان الوعة مواطن
الراحة من العذاب وهي غرفات الجنة ومنازلها وهي اوطان السعة والمعاقل الحارز
وهي منازل العز في جوار الله والصروم جمع صرمة وهي القطعة من الابل نحو الثلثين
والعشار النوق التي علمها بعد طرق الفحل عشرة اشهر والشم الشوامخ الجبال العالية
ومعهدها ما كان مسكونا والقاع الخالي والسملق الصفصف المستوى ومن خطبة
له عليه السلام حين علم قايم ولا اذنا رساطع ولا منهج واضح اوصيكم عباد الله بتقوى
الله واحذركم الدنيا فانها دار شخوص ومحلة تنغيص ساكنها ظاعن وقاطنها باين
تميد باهلها ميدان السفينة يصفقها العواصف في لجج البحار فمنهم الغرق الوبق

ومنهم الناجي على متون الامواج تحفزه الرياح باذيالها وتحمله على اهوالها فما غرق منها فليس بمستدرك وما نجا منها فالى مهلك عباد الله الان فاعلموا والالسن والابدان صحيحة والاعضاء لدنة والمنقلب فسيح والمجال عريض قبل ارهاق الفوت وحلول الموت فحققوا عليكم نزوله ولا تنتظروا قدومه اقول استعار لفظ العلم والمنار للهداة الى الله والسالك المرتفع ولفظ المنهج للشريعة والقاطن للقرو شبهها باهلها كالسفينة براكبها ووجه التمثيل قوله تصفقها العواصف الى اخره واشتمل هذا التمثيل على تشبيهات فالدنيا كالسفينة في الريح العاصف وتغيرات ملكها كالسفينة ورتبهم بحوادثها كالاحوال التي تلحق اهل السفينة حينئذ وقسمهم الى غريق وبق اي هالك والى ناج تحفزه الرياح اي تسوقه وتحمله على الاهوال اشبه قسمة اهل الدنيا الى هالك بحوادثها والى ناج الى حين مع مقاساة متاعبها ولا بد من هلاكه واللدن الناعم والارهاق اللحوق وتحقيق نزوله تذكرة واخطاره بالبال وتقريره ركونه واقعا لهم ونهى انتظار قدومه لاستلزام ذلك توهم بعده والتكاسل بسبب ذلك عن العمل ومن خطبة له عليه السلام ولقد علم المستحفظون من اصحاب محمد صلى الله عليه وآله اني لم ارد على الله تعالى ولا على رسوله صلى الله عليه وآله ساعة قط ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الابطال وتتاخر الاقدام نجدة اكرمني الله تعالى بها ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وان راسه لعلى صدره وقد سالت نفسه في كفي فامررتها على وجهي ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة اعواني فضجت الدار والافنية ملأ يهبط وملأ يعرج وما فارقت سمعي هينمة منهم يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه فمن ذا احق به مني حيا وميتا فانفذوا على بصائركم ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم فوالذي لا اله الا هو اني لعلى جادة الحق وانهم لعلى مزلة الباطل اقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم اقول المستحفظون من الصحابة العلماء الذين استحفظوا كتاب الله ودينه فهم حفظته ومواساته عليه السلام له تقدمه دونه الى الموت في مواطن القتال كيوم حنين وبدر واحد والخندق فضيلة تحت

الشجاعة ونفسه على الفضول لمو نفسه دمه يقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما توفت فوته فكانه يسيرا وان عليا عليه السلام مسح بذلك الدم وجهه ولا ينافي ذلك نجاسة الدم لجواز ان يختص دم الرسول عليه السلام كما روى ان ابا طيبة الحجام شرب دمه حين حجمه فقال له اذن لا ييجع بطنك وهو الذي غسله رسول الله صلى الله عليه وآله والفضل بن عباس يعينه على الماء وروى انه عصب عيني الفضل حينئذ وكان يقول ما قلبت منه عضوا الا وانقلب لا اجد له ثقلا كان معي من يساعدني عليه وما ذال الا الملائكة والهينمة صوت خفي وذكر هذه الفضائل لنفسه في قوة صغرى ضمير تقديرها كبراه وكل من كان لهذا القرب منه والفضيلة فلا احق منه بامره وخلافته وامرهم ان ينفذوا على جهاد عدوكم وبصائرهم عقايدهم او عقولهم السليمة ومن خطبة له عليه السلام يعلم عجيج الوحوش في الفلوات ومعاصي العباد في الخلوات واختلاف النينان في البحار الغامرات وتلاطم الماء بالرياح العاصفات واشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله نجيب الله تعالى وسفير وحيه ورسول رحمته اما بعد فاني اوصيكم بتقوى الله الذي ابتدا خلقكم واليه يكون معادكم وبه نجاح طلبتكم واليه منتهى رغبتكم ونحوه قصد سبيلكم واليه مرامي مفزعكم فان تقوى الله دواء داء قلوبكم وبصر عمى افئدتكم وشفاء مرض اجسادكم وصلاح فساد صدوركم وطهور دنس انفسكم وجلاء غشاء ابصاركم وامن فزع جاشكم وضياء سواد ظلمتكم فاجعلوا طاعة الله تعالى شعارا دون دثاركم ودخيلا دون شعاركم ولطيفا بين اضلاعكم واميرا فوق اموركم ومنهلا لحين ورودكم وشفيعا لدرك طلبتكم وجنة ليوم فزعكم ومصابيح لبطون قبوركم وسكنا لطول وحشتكم ونفسا لكرب مواطنكم فان طاعة الله تعالى حرز من متالف مكتنفة ومخاوف متوقعة واوار نيران موقدة فمن اخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوها واحلولت له الامور بعد مرارتها وانفرجت عنه الامواج بعد تراكمها واسهلت له الصعاب بعد انصابها وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها وتحدبت عليه الرحمة

بعد نفورها وتفجرت عليه النعم بعد نضوبها ووبلت عليه البركة بعد ارذاذها فاتقوا الله الذي نفعكم بموعظته ووعظكم برسالته وامتن عليكم بنعمته فعبدوا انفسكم لعبادته واخرجوا اليه من حق طاعته ثم ان هذا الاسلام دين الله تعالى الذي اصطفاه لنفسه واصطنعه على عينه واصفاه خيرة خلقه واقام دعائمه على محبته اذل الاديان بعزته ووضع الملل برفعه واهان اعداءه بكرامته وخذل محاديه بنصره وهدم اركان الضلالة بركنه وسقى من عطش من حياضه واتاق الحياض بمواتحه ثم جعله لا انفصام لعروته ولا فك لحلقته ولا انهدام لاساسه ولا زوال لدعائمه ولا انقطاع لمدته ولا عفاء لشرائعه ولا جذ لفروعه ولا ضنك لطرقه ولا وعوثة لسهولته ولا سواد لوضحه ولا عوج لانتصابه ولا عصل في عوده ولا وعث لفجه ولا انطفاء لمصابيحه ولا مرارة لحلاوته فهو دعائم اساخ في الحق اسناخها وثبت لها اساسها وينابيع غزرت عيونها ومصابيح شبت نيرانها ومنار اقتدى بها سفارها واعلام قصد بها فجاجها ومناهل روي بها وردها جعل الله تعالى فيه منتهى رضوانه وذروة دعائمه وسنام طاعته فهو عند الله وثيق الاركان رفيع البنيان منير البرهان مضيء النيران عزيز السلطان مشرف المنار معوز المثار فشرفوه واتبعوه وادوا اليه حقه وضعوه مواضعه ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وآله بالحق حين دنا من الدنيا الانقطاع واقبل من الاخرة الاطلاع واظلمت بهجتها بعد اشراق وقامت باهلها على ساق وخشن منها مهاد وازف منها قياد في انقطاع من مدتها واقتراب من اشراطها وتصرم من اهلها وانفصام من حلقتها وانتشار من سببها وعفاء من اعلامها وتكشف من عوراتها وقصر من طولها جعله الله سبحانه بلاغا لرسالته وكرامة لامته وربيعا لاهل زمانه ورفعة لاعوانه وشرفا لانصاره ثم انزل عليه الكتاب نورا لا تطفا مصابيحه وسراجا لا يخبو توقده وبحرا لا يدرك قعره ومنهاجا لا يضل نهجه وشعاعا لا يظلم ضوؤه وفرقانا لا يخمد برهانه وبنيانا لا تهدم اركانه وشفاء لا يخشى

استفامه وعزا لا يهزم انصاره وحقا لا يخذل اعوانه فهو معدن الايمان وبحبوحته وينابيع العلم وبحوره ورياض العدل وغدرانه واثافي الاسلام وبنيانه واودية الحق وغيطانه وبحر لا ينزفه المستنزفون وعيون لا ينضبها الماتحون ومناهل لا يغيضها الواردون ومنازل لا يضل نهجها المسافرون واعلام لا يعمى عنها السائرون واكام لا يجوز عنها القاصدون جعله الله تعالى ريا لعطش العلماء وربيعا لقلوب الفقهاء ومحاج لطرق الصلحاء ودواء ليس بعده داء ونورا ليس معه ظلمة وحبلا وثيقا عروته ومعقلا منيعا ذروته وعزا لمن تولاه وسلما لمن دخله وهدى لمن ائتم به وعذرا لمن انتحله وبرهانا لمن تكلم به وشاهدا لمن خاصم به وفلجا لمن حاج به وحاملا لمن حمله ومطية لمن اعمله واية لمن توسم وجنة لمن استلام وعلما لمن وعى وحديثا لمن روى وحكما لمن قضى اقول العجيج رفع الصوت واقادا ذبحها اصواتها حين تجار اليه في جوب الارض والنينان جمع نون وهو الحوت والمفزع مصدر ويقال فلان مرمى قصدي اليه مفزعي في المهمات وداء قلوبهم وعمى افئدتهم هو الجهل والرذائل النفسانية وشفاء مرض اجسادهم اما دينا فلقوة نفس المتقي على استقرار السعادة بصالح الدعاء واما بدنا فلان التقوى يستلزم قلة الاكل والمشارب واستعمالها بقدر الحاجة وقد علمت ما في الاستكثار منها من المضار البدنية كما قال صلى الله عليه وآله المعدة بيت الادواء وصلاح فساد صدورهم من الرذائل النفسانية ودنس النفوس نجاسات الهيآت الردية واستعار لفظ الغشاء لما يعرض من ظلمة الجهل الحاجبة عن ادراك الحقائق والجاش القلب وكذلك استعار لفظ السواد الظلمة للجهل ولفظ الشعار وهو ما يلي الجسد من الثياب للتقوى وهو امر بلزومها ومباشرة القلوب بها اذ الشعار ادخل من الدثار ثم اكد امرهم بلزومها باتخاذها دخيلا تحت الشعار وهو امر بالاخلاص فيها وجعلها ملكة وفسر ذلك بقوله ولطيفا بين اضلاعكم وكنى بلطفها عن تصورها واعتقادها وبكونها بين اضلاعهم عن ايداعها القلوب واستعار

لفظ الاسير لها باعتبار وجوب اكرامها والايثار لها ولفظ المنهل وهو المورد
باعتبار انها مظنة للتروى ومن شراب الابرار ولفظ المصباح لاضاتها الطلق
والمعاثر المكنونة هى الرذايل التى تكشف النفس فتوبقها والمخاوف المتوقعه
اهوال الآخرة والموارد النيران حرها وغوب غاب وحرارة الامور الاخرى اللازم
عنها كالبلوى من الفقر ونحوه ولما كان ذلك شعار المتقين كانها احلى فى نفوسهم من
كل شعار وان كان مرا فى افواههم فى اول الامر واستعار لفظ الامواج لاهوال
الدنيا وغمومها ولما كانت التقوى يكتلزم سهولة تلك الامور وكان ذلك تفريجا لها
ويحتمل ان يريد بالامواج الهيآت البدنية الرديه اذ بالتقوى يزول وتنوح وسهولة
صعاب امور الدنيا على المتقين لشرفها هم بعددها من المطالب الجليلة وانعابها
واتعابها والكرامة تعود الى الافاضات العالية الهاطلة على نفوسهم ويحتمل ان
يريد الغيث عند القحط فان نفوس المتقين يستنزل له بعائها والتقرب التعطف
وعبدوا ذللوا واصطنعه على عينه اى علم منه وعناية به واصفاه خير خلقه
اخلصه له ودعاة الدين قواعده المتواتية فى قلوب المؤمنين واقامتها على محبته
فى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى فكان اتباعه عليه السلام واقامته
لتلك الدعاء به مبنيا على محبة الله ويحتمل عود الضمير الى النبى عليه السلام اذ لولا محبته
ولزوم اتباعه لم يتم الدين وعادوه معادوه واستعار لفظ اركان الضلالة لاهلها
ووصف السقى لافاضة علوم الدين ولفظ الحياض لعلماء الاسلام الذينهم اوعيه
العلوم والحكمه ولفظ المواتح وهم المستقون لائمة الدين ايضا من الصحابة ولفظ
للمستفيدين وانا ق ملاءا ولفظ العرى لما يتمسك به الانسان منه كالعقايد الحقة
ومكارم الاخلاق ولفظ الحلقة لجماعته واهله ولفظ الاساس لكتاب والسنة ولفظ
الدعايم لاهله ولقوانينه ولفظ الشجرة الاصلة ووصف الحذر لانقطاع السائل والبحاث
المتوغلة عليه وتناهيها والضنك الضيق والوعوثة الصعوبة ولفظ الوضح وهو
الضوء لانواره القايدة الى الله ولفظ السواد لما يكدرها من الشبه ولفظ العلاج

لعلماء ولفظ الدعايم لقواعده وهى العبادات لقوله صلى الله عليه وآله بنى الاسلام
على خمس والاسناخ الاصول واساخها اثبتها وادخلها فى الحق وهو اشارة الى
كون العبادات مبنية على اسار من الحق عميقة ولفظ الينابيع لاصوله وهى الكتاب
والسنة باعتبار تفجر العلوم عنهما ولفظ العيون لمبادى تلك الينابيع وخبت خمدت
وشبت النار الهبت ولفظ المنار والاعلام لامارات احكام الله وادلته ولفظ السالكين
لسالكى سبيل الله والضمير فى دعايمه لله ودعايمه دعاة دينه وقواعده التى جعلها
عليه لخلقه فى صلاح احوالهم ولفظ الذروة للاسلام باعتبار شرفه على ساير الاديان
فهو كالذروة لها ولفظ البنيان لما ارتقى اليه اهله من الشرف والفضيلة ولفظ البرهان
للقرآن ولفظ النيران لعلومه واشراف مناره علو قدر ائمته ومعوز المنال اى
يعجز الخلق عن آثاره ذوائبه ورمى المنال والمنال وارف دنا والقياد حبل تقاد
به الدابة اى دنا منها قيادها للرحيل واستعار لفظ السبب وهو للحبل لما احكم من
امورها والضمير فى جعله للنبى عليه السلام ونوركم والنصوصات بعده احوال الكتاب
وبحبوحته وسطه والقطان الامكنة المطمئنة من الارض جمع غايط واستعار
لفظ المنازل لمقاصد الكتاب باعتبار وقوف الاذهان عندها بعد قصدها وا
لفظ الاعلام لادلته والمعقل الجبل يعتصم به وعذرا لمن انتحله اى لمن نسب نفسه
الى حمله وانه من اهله معتذرا من تكليف شاق والفلج الفوز والظفر وحمله
لمن حمله قيامه بصلاح حاله فى الدارين واستعار له لفظ المطية لاداءه بطالبيه
فى سبيل الله الى الجنة والمتوسم المتدبر لآياته وعبره كقوله تعالى ان فى ذلك لآيات
للمتوسمين والمستلئم الذى يتخذه لامته واللامة الدرع وحديثا لمن روى باعتبار ما فيه
من قصص الاولين او من قولا او كلاما لمن نقله كما قال تعالى نزل احسن الحديث الآية وغايره
وصفه بذلك ان فيه غنية لمن اراد ان يتحدث حديث غيره مما لا يفيد فايدته وحكما
اى فيه الحكم لمن قضى ومرتضى حكما اى حاكما ومن خطبة له عليه السلام وكان يوصى به اصحابه
تعاهدوا امر الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقربوا بها فانها كانت

على المؤمنين كتابا موقوتا الا تسمعون الى جواب اهل النار حين سئلوا ما سلككم
فى سقر قالوا لم نك من المصلين وانها لتحت الذنوب حت الورق وتطلقها اطلاق
الربق وشبهها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحمة على الرجل فهو يغتسل منها فى
اليوم والليلة خمس مرات فما عسى ان يبقى عليه من الدرن وقد عرف حقها رجال من
المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زينة متاع ولا قرة عين من ولد ولا مال يقول الله
سبحانه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكوة وكان
رسول الله صلى الله عليه وآله نصبا بعد التبشير له بالجنة لقول الله سبحانه وامر اهلك
بالصلاة واصطبر عليها فكان يامر بها اهله ويصبر عليها نفسه ثم ان الزكاة جعلت
مع الصلاة قربانا لاهل الاسلام فمن اعطاها طيب النفس بها فانها تجعل له كفارة
ومن النار حجابا ووقاية فلا يتبعنها احد نفسه ولا يكثرن عليها لهفه فان من اعطاها
غير طيب النفس بها يرجو بها ما هو افضل منها فهو جاهل بالسنة مغبون الاجر ضال
العمل طويل الندم ثم اداء الامانة فقد خاب من ليس من اهلها انها عرضت على السموات
المبنية والارضين المدحوة والجبال ذات الطول المنصوبة فلا اطول ولا اعرض
ولا اعلى ولا اعظم منها ولو امتنع شئ بطول او عرض او قوة او عز لامتنعن ولكن
اشفقن من العقوبة وعقلن ما جهل من هو اضعف منهن وهو الانسان انه كان ظلوما
جهولا ان الله سبحانه لا يخفى عليه ما العباد مقترفون فى ليلهم ونهارهم لطف به خبرا
واحاط به علما اعضاؤكم شهوده وجوارحكم جنوده وضمايركم عيونه وخلواتكم
عيانه اقول حاصل الفصل الوصية بالمحافظة على امور ثلثة وهى الصلاة والزكاة
والامانة والتنبيه على فضايلها وعلى وجوب ادايها موقوتا مفروضا وقيل منجما فى
كل وقت وهى الصلاة الخمس وقوله الا تسمعون الى قوله نفسه دليل وجوبها وهو ضمير
ذكر صغرياتها والربق جمع ربقة وهى الحلقة فى الحبل والحمة مجمع الماء وذلك التشبيه فى
قوله صلى الله عليه وآله لاصحابه ايسر احدكم ان على بابه حمة يغتسل منها كل يوم وليلة
خمس مرات فلا يبقى من درنه شئ فقالوا نعم قال فانها الصلوات الخمس ونصبا اى

نابئا واما كان معطى الزكاة غير طيب النفس بها ضال العمل اذ لم يقصد به وجهها
ولا اهتدى الى غايته وضعفها فى السنة والاقتراف الاكتساب وقد نبهنا على
اسرار العبادات فيما سبق وباقى الفصل ظاهر ومن خطبة له عليه السلام والله
ما معوية بادهى منى ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر كنت من ادهى الناس
ولكن كل غدرة فجرة وكل فجرة كفرة ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة
والله ما استغفل بالمكيدة ولا استغمز بالشديدة اقول الدهاء استعمال العقل والفطنة
فيما لا ينبغى وصاحبه داه وخبيث ومكار وحيول وهو رذيلة تحت رذيلة الجربزة
ولما كان الوفاء فضيلة تحت العفة كان الغدر رذيلة تحت الفجور الذى هو
رذيلة العفة ومستلزما له فكل غدر فجور واما كل فجور كفر فيحتمل ان يريد
كفر النعمة لله تعالى ويحتمل ان يريد ان الفجور على وجه الاستحلال كفر كما فهم
من فجور عمرو بن العاص وقوله ولكل غادر الى قوله القيمة لفظ الخبر النبوى
ولا استغمز بالزاى المعجمة اى لا يطلب غمزى اى اضعافى وتجينى وروى بالراء
لا استجهل بشدايد المكايد ومن خطبة له عليه السلام ايها الناس لا تستوحشوا
فى طريق الهدى لقلة اهله فان الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير
وجوعها طويل ايها الناس انما يجمع الناس الرضا والسخط وانما عقر ناقة
ثمود رجل واحد فعمهم الله العذاب لما عموه بالرضا فقال سبحانه فعقروها
فاصبحوا نادمين فما كان الا ان خارت ارضهم بالخسفة خوار السكة المحماة
فى الارض الخوارة ايها الناس من سلك الطريق الواضح ورد الماء ومن خالف
وقع فى التيه اقول حاصل الفصل ترغيب اصحابه فى البقاء على سلوك طريق
الهدى وعدم التوحش فيه لقلة سالكيه اذ من العادة ان يستوحش الوحيد فى
الطريق لعدم الانيس او لقلته واستعار لفظ المائدة للدنيا وكنى عن قصر مدتها
بقصر شبعها وعن استعقاب الانهماك فيها العذاب الطويل فى الآخرة بطول
جوعها ولفظ الجوع مستعار للحاجة الطويلة بعد الموت الى المطاعم الحقيقية

قوبل

من الكمالات النفسانية ويحتمل ان يريد بالجوع فقد الملذات البدنية بالموت
وقوله ايها الناس الى قوله السخط اى انما يجمع الناس فى عذاب الله رضاهم بالمنكرات ومعاصى الله وسخطهم لما به من الاعمال وان لم يباشر اكثرهم ذلك
او ان سخطهم للمنكرات يكون جامعا لهم فى رحمة الله ومصداق عموم العذاب للرضا بالمنكر قصة ثمود فى عموم العذاب لهم بفعل عاقر الناقة فان العقوبة
عمتهم لعموم الرضا لهم بفعله والضمير فى عموه يعود الى الرجل او الى العقر الذى دل
عليه قوله عقروا وقوله فما كان الى آخره تفسير للعذاب النازل بهم وخارت
صوتت والسكة حديدة الفدان والخوارة الضعيفة واستعار لفظ الماء
للعلم والهدى الحاصل لسالكى سبيل الله الواضحة والتيه التحير وعمى البصيرة
وقصته خسفهم مشهورة نبهنا عليها فى الاصل وبالله التوفيق ومن كلام
له عليه السلام روى عنه انه قال عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام
كالمناجى به رسول الله صلى الله عليه وآله عند قبره السلام عليك يا رسول
الله عنى وعن ابنتك النازلة فى جوارك والسريعة اللحاق بك قل يا رسول الله
عن صفيتك صبرى ورق عنها تجلدى الا ان لى فى التأسى بعظيم فرقتك
وفادح مصيبتك موضع تعز فلقد وسدتك فى ملحودة قبرك وفاضت
بين نحرى وصدرى نفسك انا لله وانا اليه راجعون فلقد استرجعت الوديعة
واخذت الرهينة اما حزنى فسرمد واما ليلى فمسهد الى ان يختار الله تعالى لى
دارك التى انت بها مقيم وستنبئك ابنتك فاحفها السؤال واستخبرها
الحال هذا ولم يطل العهد ولم يخل الذكر والسلام عليكما سلام مودع لا قال
ولا سئم فان انصرف فلا عن ملالة وان اقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله
تعالى الصابرين اقول والمروى انها بقيت عليها السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه
وآله اربعة اشهر وذلك معنى سرعة لحاقها به ووصفته باعتبار انه كان يكنف
اكرامها والفادح الثقيل ونفسه التى فاضت دمه قاءه صلى الله عليه وآله حين

الا ان فى التأسى لى بعظيم

وفاته

وفاته واستعار لفظ الوديعة والرهينة لها باعتبار ان النساء ودائع الكرام
او لنفسها الشريفة باعتبار ان النفوس فى هذه الابدان كالودائع فى استيداعها
وكالمرهونة على الوفاء بعهود الله ومواثيقه والمسهد المورق والاحفاء الاستقصاء
فى السؤال وهو كالمشتكى ممن يعتقد انه ظلمها والذكر ذكر رسول الله صلى الله
عليه وآله ومن كلام له عليه السلام ايها الناس انما الدنيا دار مجاز والآخرة
دار قرار فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم اسراركم
واخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل ان تخرج منها ابدانكم ففيها اختبرتم ولغيرها
خلقتم ان المرء اذا هلك قال الناس ما ترك وقالت الملائكة ما قدم لله اباؤكم فقدموا بعضا
يكن لكم ولا تخلفوا كلا فيكون عليكم اقول هتك استارهم عند الله بمجاهرته
بالمعصية واخراجهم لقلوبهم من الدنيا اعراضهم بقلوبهم عنها والزهد الحقيقى
فيها وفى قوله ما ترك وما قدم لطف تنبيه على ان متاع الدنيا مفارق متروك
لقلة الرغبة فيه وان الاعمال الصالحة متقدمة للمرء فى قدومه على الله باقية نافعة
له فى معاده وقيل انما امر بتقديم البعض دون الكل لان حرمان الورثة لا يجوز وانما
نهى عن ترك الكل لان اهمال الزكاة والصدقة لا يجوز وروى يكن لكم قرضا ولا يكن
عليكم كلا اى لا منفعة فيه مع وجود مضرته وبالله التوفيق ومن كلام له عليه
السلام كان كثيرا ما ينادى به اصحابه تجهزوا رحمكم الله فقد نودى فيكم
بالرحيل واقلوا العرجة على الدنيا وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد
فان امامكم عقبة كؤودا ومنازل مخوفة مهولة لا بد من الورود عليها والوقوف
عندها واعلموا ان ملاحظ المنية نحوكم دانية وكانكم بمخالبها وقد نشبت
فيكم وقد دهمتكم منها مفظعات الامور ومعضلات المحذور فقطعوا علائق
الدنيا واستظهروا بزاد التقوى وقد مضى شىء من هذا الكلام فيما تقدم بخلاف
هذه الرواية اقول اراد بالتجهز الاستعداد للآخرة بالاعمال الصالحة والمنادى
لسان الحال والعرجة والتعريج الاقامة بالمكان وصالح الزاد التقوى واستعار

قوبل

تخرج

قال الناس ما ترك

دانية

لفظ العقبة للموت والكؤود شاقة المصعد والمنازل منازل البرزخ والقيامة
والملاحظ مصدر او محل اللحظ وهو النظر بمؤخر العين واستعار لفظه لكونها
بالرصد فكانها دائمة النظر اليهم ودانية محدقة ودهمه كذا وقع عليه بغتة
ومفظعات الامور شدائدها ومعضلات المحذور ما يعضل منه فلا ما ل ومن كلام
له عليه السلام كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا من ترك مشورتهما
والاستعانة فى الامور بهما لقد نقمتما يسيرا وارجاتما كثيرا الا تخبرانى اى
شىء لكما فيه حق دفعتكما عنه واى قسم استاثرت عليكما به ام اى حق رفعه
الى احد من المسلمين ضعفت عنه ام جهلته ام اخطأت بابه والله ما كانت لى
فى الخلافة رغبة ولا فى الولاية اربة ولكنكم دعوتمونى اليها وحملتمونى عليها
فلما افضت الى نظرت الى كتاب الله تعالى وما وضع لنا وامرنا بالحكم به فاتبعته وما استن
النبى صلى الله عليه وآله فاقتديته فلم احتج فى ذلك الى رايكما ولا راى غيركما ولم
يقع حكم جهلته فاستشيركما واخوانى من المسلمين ولو كان ذلك لم ارغب عنكما ولا عن غيركما
واما ما ذكرتما من امر الاسوة فان ذلك امر لم احكم انا فيه برايى ولا وليته هوى
منى بل وجدت انا وانتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله قد فرغ منه فلم
احتج اليكما فيما قد فرغ الله تعالى من قسمه وامضى فيه حكمه فليس لكما والله عندى
ولا لغيركما فى هذا عتبى اخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق والهمنا واياكم الصبر
ثم قال عليه السلام رحم الله رجلا راى حقا فاعان عليه او راى جورا فرده
وكان عونا بالحق على صاحبه اقول اليسير الذى نقماه هو ترك استشارتهما فى
الامور وتسويتهما بغيرهما فى العطاء وذلك وان كان صعبا عندهما فهو عنده
يسير سهل لكونه حقا والكثير الذى ارجاه اى اخراه هو ما يعود الى مصالح الدين
ويحتمل ان يريد ان الذى ابدياه ونقماه يسير من كثير مما فى نفسيهما عليه اخراه
والاربة والارب الحاجة وافضت وصلت والاسوة التسوية فى العطاء وقوله
ولا وليته هوى منى اى ولا جعلت الحاكم فيه هواى وروى وليته بالتخفيف

ولا راى غيركما

والكسى

والكسى على ان يكون هوى مفعولا له والعتبى الاسم من العتاب ومن كلام
له عليه السلام وقد سمع قوما يسبون اهل الشام ايام حربهم بصفين انى اكره
لكم ان تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم اعمالهم وذكرتم حالهم كان اصوب
فى القول وابلغ فى العذر وقلتم مكان سبكم اياهم اللهم احقن دماءنا ودماءهم
واصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوى
عن الغى والعدوان من لهج به وتبعه اقول وصف اعمالهم تذكيرهم بكونهم ضالين
وظالمين على وجه النصيحة والارشاد الى الدين ويرعوى يرجع ولهج بكذا اولع
به وحرص عليه وقال عليه السلام بصفين وقد راى ولده الحسن عليه السلام يتسرع
الى الحرب املكوا عنى هذا الغلام لا يهدنى فاننى انفس بهذين يعنى الحسين عليهما
السلام على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله اقول
املكوا اضبطوا ويهدنى يكسرنى وانفس بالفتح ابخل وقال عليه السلام ومن
كلام فى سحره لما اضطرب عليه اصحابه فى امر الحكومة ايها الناس انه لم يزل
امرى معكم على ما احب حتى نهكتكم الحرب وقد والله اخذت منكم وتركت وهى
لعدوكم انهك لقد كنت امس اميرا فاصبحت اليوم مامورا وكنت امس ناهيا
فاصبحت اليوم منهيا وقد احببتم البقاء وليس لى ان احملكم على ما تكرهون اقول
نهكتكم اخلقتكم وهو مستعار فى اضعافهم واخذت وتركت كناية عن تصرفها فيهم
بالاختيار ومن كلام له عليه السلام بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثى يعوده
وهو من اصحابه فلما راى سعة داره قال ما كنت تصنع بسعة هذه الدار وانت
اليها فى الآخرة كنت احوج وبلى ان شئت بلغت بها الآخرة تقرى فيها الضيف
وتصل فيها الرحم وتطلع منها الحقوق مطالعها فاذا انت قد بلغت بها الآخرة
فقال له العلاء يا امير المؤمنين اشكو اليك اخى عاصم بن زياد قال وما له قال لبس
العباء وتخلى من الدنيا فقال على به فلما جاء قال يا عدى نفسه لقد استهام بك
الخبيث اما رحمت اهلك وولدك اترى الله احل لك الطيبات وهو يكره ان تاخذها

انت اهون على الله من ذلك قال يا امير المؤمنين هذا انت في خشونة ملبسك و
جشوبة ماكلك قال عليه السلام ويحك اني لست كانت ان الله تعالى فرض على
ائمة العدل ان تقدروا انفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره
اقول استغاثته للعلائي معرض التوبيخ لما ان ذلك ينافي الزهد في الدنيا وقوله
وعلى ال الخوه هداية له الى وجوه استعمالها في مرضاة الله بعد التفريط في بناتها
ومطالع الحقوق مصارفها الشرعيه وقوله على به يثوب مناب فعل الامر اى
ايتوني به وعدو تصغير عدو وتعجبه له عما فعل لانه لم يكن على وجهه بل فهم منه
انه من تخيل وهوى واستلزم ترك حقوق تكرمة شرعا لاهله وولده والهيام
الذهاب في التيه واستهام بك الخبيث اى طلب هيك الشيطان والهيام وزينه
للشر وقوله فكيف بك اى فكيف ارى بك هذه الحال وانت القدوة وجوابه
عليه السلام بالفرق بينهما ومن كلام له عليه السلام وقد ساله سائل عن احاديث
البدع وعما في ايدي الناس من اختلاف الخبر فقال عليه السلام ان في ايدي الناس
حقا وباطلا وصدقا وكذبا وناسخا ومنسوخا وعاما وخاصا ومحكما ومتشابها و
حفظا ووهما وقد كذب على رسول الله على عهده حتى قام خطيبا فقال صلى الله
عليه واله من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار وانما اتاك بالحديث
اربعة رجال ليس لهم خامس رجل منافق مظهر للايمان متصنع بالاسلام لا يتاثم
ولا يتحرج يكذب على رسول الله صلى الله عليه واله متعمدا فلو علم الناس انه منافق
كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله ولكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه
واله راه وسمع منه ولقف عنه فياخذون بقوله وقد اخبرك الله تعالى عن المنافقين
بما اخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك ثم بقوا بعده صلى الله عليه واله فتقربوا الى
ائمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والبهتان فولوهم الاعمال وجعلوهم
حكاما على رقاب الناس واكلوا بهم الدنيا وانما الناس مع الملوك والدنيا الا
من عصم الله تعالى فهذا احد الاربعة ورجل سمع من رسول الله صلى الله عليه واله

سببا

شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذبا فهو في يديه يرويه
ويعمل به ويقول انا سمعته من رسول الله صلى الله عليه واله فلو علم المسلمون
انه وهم فيه لم يقبلوه ولو علم انه كذلك لرفضه ورجل ثالث سمع من
رسول الله صلى الله عليه واله شيئا يامر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم او سمعه ينهى
عن شيء ثم امر به وهو لا يعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ فلو يعلم انه لرفضه منسوخ
ولو علم المسلمون اذ سمعوه منه انه منسوخ لرفضوه واخر رابع لم يكذب على
الله تعالى ولا على رسوله مبغض للكذب خوفا لله وتعظيما لرسول الله صلى الله
عليه ولم يهم بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على سمعه لم يزد فيه ولم ينقص
منه وحفظ الناسخ فعمل به وحفظ المنسوخ فجنب عنه وعرف الخاص و
العام فوضع كل شيء موضعه وعرف المتشابه ومحكمه وقد كان يكون من رسول
الله صلى الله عليه واله الكلام له وجهان فكلام خاص وكلام عام فيسمعه من
لا يعرف ما عنى الله تعالى ولا ما عنى به رسول الله صلى الله عليه واله فيحمله السامع
ويوجهه على غير معرفة بمعناه ولا ما قصد به وما خرج من اجله وليس كل اصحاب رسول
الله صلى الله عليه واله كان يساله ويستفهمه حتى ان كانوا ليحبون ان يجيء الاعرابي
او الطاري فيساله عليه السلام حتى يسمعوا الكلاعة وكان لا يمر بي من ذلك شيء الا لى من ذلك شى
سالت عنه وحفظته فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم
اقول احاديث البدع الاحاديث المبتدعة بعد الرسول صلى الله عليه واله والمكذوبة
عليه او التي يرتكب بها منها البدع وهي محدثات الامور في الدين مما لا حجة شرعية
فيه والحفظ عنه عليه السلام والوهم ما غلط فيه فتوهم مثلا انه عام والمراد
به المخصوص او انه ثابت وهو منسوخ ووجه الحصر في قسمة رجال الحديث ان
الناقل له المنتسب الى الاسلام اما منافق اولا والثاني اما ان يكون قد وهم فيه
اولا والثاني اما ان لا يكون قد عرف ما يتعلق به من شرائط الرواية او يكون ودل
على الحصر بقوله ليس لهم خامس واشار الى الاول بقوله رجل منافق الى قوله فهذا

احد الاربعة ويتصنع بالاسلام تزين به ويتحلى في عيون اهله ولا يتاثم لا يعترف
بالاثم ولا يتحرج عنه ووجه الشبه في قبول قوله ظاهر الاسلام وصحبة الرسول
عليه السلام وخبر الله تعالى عن المنافقين كقوله ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار الاية ونحوها ووصفهم بالكذب في قوله تعالى والله يعلم ان المنافقين لكاذبون
وائمة الضلال بنوا امية واشار الى الثاني بقوله ورجل سمع الى قوله لرفضه
والى الثالث بقوله ورجل ثالث الى قوله لرفضوه والى الرابع بقوله واخر رابع
الى قوله ومحكمه وهو ظاهر ومن خطبة له عليه السلام وكان من اقتدار جبروته
تعالى وبديع لطائف صنعه ان جعل من ماء البحر الزاخر المتراكم المتقاصف يبسا
جامدا ثم فطر منه اطباقا ففتقها سبع سموات بعد ارتتاقها فاستمسكت
بامره وقامت على حده يحملها الاخضر المثعنجر والقمقام المسخر قد ذل لامره
واذعن لهيبته ووقف الجاري منه لخشيته وجبل جلاميدها ونشوز متونها
فارساها في مراسيها والزمها قرارتها فمضت رؤوسها في الهواء ورست
اصولها في الماء فانهد جبالها عن سهولها واساخ قواعدها في متون اقطارها
ومواضع انصابها فاشهق قلالها واطال انشازها وجعلها للارض عمادا و
ارزها اوتادا فسكنت على حركتها من ان تميد باهلها او تسيخ بحملها او تزول عن
مواضعها فسبحان من امسكها بعد موجان مياهها واجمدها بعد رطوبة اكنافها
فجعلها لخلقه مهادا وبسطها لهم فراشا فوق بحر لجي راكد لا يجري وقائم لا يسري
تكركره الرياح العواصف وتمخضه الغمام الذوارف ان في ذلك لعبرة لمن
يخشى اقول اشارها هنا الى ان اصل الاجرام السماوية والارضية هو الماء ووصف
كيفية تكونها عنه وقد مر ذلك في الخطبة الاولى وتقاصفه تراد امواجه والجامد
الارض وحده هو ما ضربه لها من النهاية والضمير في حملها لليبس والمثعنجر السيال كثير الماء
والقمقام البحر وجبل خلق وجلاميدها صخورها وانهد رفع واساخ ادخل انصابها
جمع نصب وهو ما انتصب منها والانشاز جمع نشز وهو العوالي منها وارزها

عن زرها

عن زرها ورسى مخففا اى اثبتها واكنافها اقطارها وتكركره تردده وتصرفه
والفصل واضح ومن خطبة له عليه السلام اللهم ايما عبد من عبادك
سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة فابى
بعد سمعه لها الا النكوص عن نصرتك والابطاء عن اعزاز دينك فانا نستشهدك
عليه يا اكبر الشاهدين شهادة ونستشهد عليه جميع من اسكنته ارضك و
سماواتك ثم انت بعد المغني عن نصره والاخذ له بذنبه اقول الفصل اسر
استنفار لاصحابه الى الجهاد بدعا الله واستشهاده على المتقاعدين عن نصرته تخويفا
وحدوا بذلك الى نصرة الدين والنكوص الرجوع ومن خطبة له عليه السلام الحمد
لله العلي عن شبه المخلوقين الغالب لمقال الواصفين الظاهر بعجائب تدبيره
للناظرين الباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين العالم بلا اكتساب ولا ازدياد ولا
علم مستفاد المقدر لجميع الامور بلا روية ولا ضمير الذي لا تغشاه الظلم ولا يستضيء
بالانوار ولا يرهقه ليل ولا يجري عليه نهار ليس ادراكه بالابصار ولا علمه بالاخبار
اقول عليه لمقال الواصفين امتناعه بكمال ذاته وصفاته عن احاطة ومتوهم به
وبطونهم خفاؤه عن تعلق الفكر به لجلاليته وتزاهته عن مناسبة ما من شانه ذلك
والمقدر الموجد والروية الفكر والضمير ما اضمر من عزم وارادة ونحوهما ويرهقه يلحقه
وظاهر تقدس علم الله تعالى وتنزه ذاته عن الاسباب واللواحق المذكورة وانما لم يكن
علمه بالاخبار لان الاخبار انما تصدق اذا استندت الى محسوس تعالى عن ذلك
منها في ذكر النبي صلى الله عليه واله ارسله بالضياء وقدمه في الاصطفاء فرتق به
المفاتق وساور به المغالب وذلل به الصعوبة وسهل به الحزونة حتى سرح الضلال
عن يمين وشمال اقول اراد بالمفاتق امور العالم المتفرقة ورتقها نظامها به والمساورة
المغالبة والصعوبة صعوبة المشركين وحزونة طريق الله وسرح الضلال عن يمين
وشمال طرح رذيلتي الافراط والتفريط عن قوى النفوس العاقلة كما القى حمل الحمل
عن ظهر الدابة وهو من لطيف الاستعارة ومن خطبة له عليه السلام واشهد انه عدل

عدل وحكم فصل واشهد ان محمدا عبده وسيد عباده كلما نسخ الله الخلق فرقتين
جعله في خيرهما لم يسهم فيه عاهر ولا ضرب فيه فاجر الا وان الله تعالى قد
جعل للخير اهلا وللحق دعائم وللطاعة عصما وان لكم عند كل طاعة عونا من الله
تعالى يقول على الالسنة ويثبت الافئدة فيه كفاء لمكتف وشفاء لمشتف واعلموا
ان عباد الله المستحفظين علمه يصونون مصونه ويفجرون عيونه يتواصلون بالولاية ويتلاقون
بالمحبة ويتساقون بكاس روية ويصدرون بريّة لا تشوبهم الريبة ولا تسرع فيهم
الغيبة على ذلك عقد خلقهم واخلاقهم فعليه يتحابون وبه يتواصلون فكانوا كتفاضل
البذر ينتقى فيؤخذ منه ويلقى قد ميزه التخليص وهذبه التمحيص فليقبل امرؤ كرامة
بقبولها وليحذر قارعة قبل حلولها ولينظر امرؤ في قصير ايامه وقليل مقامه في
منزل حتى يستبدل به منزلا فليصنع لمتحوله ومعارف منتقله فطوبى لذي قلب سليم
اطاع من يهديه وتجنب من يرديه واصاب سبيل السلامة ببصر من بصره وطاعة
هاد امره وبادر الهدى قبل ان تغلق ابوابه وتقطع اسبابه واستفتح التوبة
واماط الحوبة فقد اقيم على الطريق وهدي نهج السبيل اقول نسخ الخلق نقلهم من
اصولهم بالتناسل واراد كلما اوجد فرقتين من الخلق من اصولهما جعله في خيرهما
كما قال صلى الله عليه وآله انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ان الله خلق الخلق فجعلني
في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم
ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم فانا خيركم بيتا وخيركم نفسا ولم يسهم فيه عاهر
اي لم يكن للزنا فيه شرك كما قال صلى الله عليه وآله لم يزل ينقلني الله تعالى من اصلاب الطاهرين
الى ارحام الطاهرات وقوله عصما اي ما يمنعه او ادلة تعتصم بها وكجاء اليها في
المعونة على الطاعة وقوله يقول الى قوله الافئدة تفصيل لوجوه المعونة والضمير
في يقول لله او للعون مجازا وقوله على الالسنة كما في القرآن الكريم وتثبيته الافئدة
اي على محبته وطاعته وتذكيره تعالى ولطايف موعظته ووعده ووعيده في كتابه
العزيز كما قال الا بذكر الله تطمئن القلوب وباقي الكلام هو ذكر العون والولاية

بالكسر

بالكسر الاسم من الولي واصله القرب وبالفتح مصدر واراد انهم يتواصلون في قربهم
من الله ويجمعهم محبته واستعار لفظ الكاس الروية للعلم والرية النقلة ممن الري
واراد انهم لا يتفرقون الا عن فائدة وقوله على ذلك اي على ما عددت من مكارم
الاخلاق في صفات عباد الله ولا تسرع فيهم الريبة اي لا تداخلهم شك في
الدين بنفاق او في صحبتهم وقوله فكانوا كتفاضل البذر اي كانوا في الناس كالبذر
المتفاضل ويفيد انهم افضل من غيرهم مع تفاضلهم وشبه على وجه الشبه بقوله
ينتقى الى قوله التمحيص وهو الاختيار والكرامة نصيحته في طاعته وبقبولها اي الحق
التام والقارعة الشديدة من شدائد الدهر وحوادثه انتقاله المواضع التي يعلم
انتقاله اليها وسليم لم يتدنس بالعقائد الباطلة ومن يهديه ائمة الدين ومن
يرديه ائمة الضلال في مهاوي الهلاك والحوبة الاثم وبالله التوفيق ومن
خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي لم يصبح بي ميتا ولا سقيما ولا مضروبا على
عروقي بسوء ولا ماخوذا باسوأ عملي ولا مقطوعا دابري ولا مرتدا عن
ديني ولا منكرا لربي ولا مستوحشا من ايماني ولا ملتبسا عقلي ولا معذبا بعذاب
الامم من قبلي اصبحت عبدا مملوكا ظالما لنفسي لك الحجة علي ولا حجة لي لا استطيع
ان اخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم اني اعوذ بك ان
افتقر في غناك او اضل في هداك او اضام في سلطانك او اضطهد والامر لك
اللهم اجعل نفسي اول كريمة تنتزعها من كرائمي واول وديعة ترتجعها من
ودائع نعمك عندي اللهم انا نعوذ بك ان نذهب عن قولك او نفتتن
عن دينك او تتابع بنا اهواؤنا دون الهدى الذي جاء من عندك اقول
الدابر الظهر والدابر بقية الرجل من ولده ونسله والالتباس الاختلاط و
كرائمه قواه واعضاؤه التي تكرم عليه واراد متعني بجميع قواي وجوارحي
سليمة الى آخر عمري لان انتزاع النفس قبل جميع الكرائم يستلزم بقاءها سليمة
من الآفات الى حين الممات ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله اللهم

منعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني والفصل ظاهر ومن خطبة
له عليه السلام خطبها بصفين اما بعد فقد جعل الله تعالى لي عليكم حقا
بولاية امركم ولكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم والحق اوسع الاشياء
في التواصف واضيقها في التناصف لا يجري لاحد الا جرى عليه ولا يجري
عليه الا جرى له ولو كان لاحد ان يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصا لله عز وجل
دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه
ولكنه تعالى جعل حقه على العباد ان يطيعوه وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب
تفضلا منه وتوسعا بما هو من المزيد اهله ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقا
افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ في وجوهها ويوجب
بعضها بعضا ولا يستوجب بعضها الا ببعض واعظم ما افترض من تلك
الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله
سبحانه لكل على كل فجعلها نظاما لالفتهم وعزا لدينهم فليست تصلح
الرعية الا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة الا باستقامة الرعية
فاذا ادت الرعية الى الوالي حقه وادى اليها حقها عز الحق بينهم وقامت
مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على اذلالها السنن
فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء واذا
غلبت الرعية واليها واجحف الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة
وظهرت معالم الجور وكثر الادغال في الدين وتركت محاج السنن فعمل
بالهوى وعطلت الاحكام وكثرت علل النفوس فلا يستوحش لعظيم حق
عطل ولا لعظيم باطل فعل فهنالك تذل الابرار وتعز الاشرار و
تعظم تبعات الله عند العباد فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون
عليه فليس احد وان اشتد على رضا الله تعالى حرصه وطال في العمل
اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله تعالى اهله من الطاعة له ولكن من واجب

حقوق الله

حقوق الله عز وجل على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على اقامة
الحق بينهم وليس امرؤ وان عظمت في الحق منزلته وتقدمت في الدين فضيلته
بفوق ان يعان على ما حمله الله تعالى من حقه ولا امرؤ وان صغرته النفوس
واقتحمته العيون بدون ان يعين على ذلك او يعان عليه فاجابه عليه السلام
رجل من اصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له
فقال عليه السلام ان من حق من عظم جلال الله تعالى في نفسه وجل موضعه
من قلبه ان يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه وان احق من كان كذلك
لمن عظمت نعمة الله تعالى عليه ولطف احسانه اليه فانه لم تعظم نعمة
الله على احد الا ازداد حق الله عليه عظما وان من اسخف حالات الولاة عند
صالح الناس ان يظن بهم حب الفخر ويوضع امرهم على الكبر وقد كرهت ان
يكون جال في ظنكم اني احب الاطراء واستماع الثناء ولست بحمد الله كذلك ولو
كنت احب ان يقال ذلك لتركته انحطاطا لله تعالى عن تناول ما هو
احق به من العظمة والكبرياء وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء فلا تثنوا علي بجميل
ثناء لاخراجي نفسي الى الله تعالى واليكم من التقية في حقوق لم افرغ من ادائها و
فرائض لا بد من امضائها فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ولا تتحفظوا مني
بما يتحفظ به عند اهل البادرة ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنوا بي استثقالا
في حق قيل لي ولا التماس اعظام لنفسي فانه من استثقل الحق ان يقال له او العدل
ان يعرض عليه كان العمل بهما عليه اثقل فلا تكفوا عن مقالة بحق او مشورة
بعدل فاني لست في نفسي بفوق ان اخطئ ولا آمن ذلك من فعلي الا ان يكفي
الله تعالى من نفسي ما هو املك به مني فانما انا وانتم عبيد مملوكون لرب لا
رب غيره يملك منا ما لا نملك من انفسنا واخرجنا مما كنا فيه الى ما صلحنا
عليه فابدلنا بعد الضلالة بالهدى واعطانا البصيرة بعد العمى اقول انما كان
الحق في التواصف اوسع منه في التناصف لان القول اسهل وايسر

كلفة بني الثقل ومعام العول منطانه واذلالها وجوهها وطرقها واحجف
به ذهب باصله والادغال الافساد والمحاج الطرق الواضحة وعلل النفوس
شبهاتها في مخالفة الحق وقوله فعليكم بالتناصح في اي في حفظ حق الوالي
رعيته وحقهم عليه وقوله وليس امرء والى قوله في حقيه اي انه وان بلغ
المرء اعظم درجات طاعة الله فهو محتاج ان يعان عليها وليست درجته
تلك بارفع من ان يعان على ما حمله الله تعالى منها وذلك لان تكليف الله تعالى
بطاعته بحسب وسع المكلف والوسع في الطاعة قد يكون مشروطا بمعونة
الغير فيها فلا استغنى احد عنه وقوله ولا امرء الى قوله او يعان عليه اي انه
لا ينبغي ان يحتقر احد عن الاستعانة به في طاعة الله وان اقتحمته النفوس
اي استصغرته فانه ليس بدون ان يعين على طاعة الله ولو بقبول الصدقة
مثلا وعرضه من ذلك اتفاق الكلمة والاتحاد في الدين واستخف اضعف
الناس اكثرهم وقوله وربما الى قوله البلاء اي ربما استحل من ابلى بلاء حسنا
اي يمدح واحب ان يثنى عليه بعد بلائه واللام في قوله لاخراجي متعلق
بقوله كرهت واراد لان عرضي من طاعتي اخراجي من بقية حقوق الله الواجبة
علي له ولكم بامره مكانه قال واذا كانت طاعتي اداء واجب علي فكيف
استحق به ثناء والبادرة سرعة الغضب وما يتحفظ به عند اهل البادرة كترك
المسارة مثلا في مجالس الملوك اجلالا لهم وخوفا منهم وما كنا فيه هو ضلال الجاهلية
وما هدانا عليه اي الاسلام والهدى ومن كلام له عليه السلام اللهم اني استعديك
على قريش فانهم قطعوا رحمي واكفاؤا انائي واجمعوا على منازعتي حقا كنت
اولى به من غيري وقالوا الا ان في الحق ان تأخذه وفي ان تمنعه فاصبر مغموما
او مت متأسفا فنظرت فاذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا مساعد الا اهل بيتي
فضننت بهم عن المنية فاغضيت على القذى وجرعت ريقي على الشجا وصبرت
من كظم الغيظ على امر من العلقم وآلم للقلب من حز الشفار وقد مضى هذا الكلام

في

في اثناء خطبة متقدمة الا اني كررته هاهنا لاختلاف الروايتين اقول استعديك
اسالك عدواك اي معونتك وكفاؤا الاناء كبيته لوجهه وهو كناية عن قلبهم
لامره وتغييرهم للخلافة عنه وهو الحق الذي كان اولى به والرافد المعين وضننت
بخلت والشجا ما يعترض في الحلق من عظم وغيره وهو كناية عن الغم والتألم
الحاصل له والعلقم شجر مر وقد مر تفسيره مثله منها في ذكر السائرين
الى البصرة لحربه عليه السلام فقدموا على عمالي وخزان مال المسلمين الذي في يدي
وعلى اهل مصر كلهم في طاعتي وعلى بيعتي فشتتوا الكلمة وافسدوا علي جماعتي ووثبوا
على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدرا وطائفة عضوا على اسيافهم فضاربوا بها حتى لقوا
الله صادقين اقول عضوا على اسيافهم اي لزموها وقد اشرنا الى طرف
من حال السائرين الى البصرة لحربه في الاصل وسبق بيان هذا الفصل مشروحا
ومن كلام له عليه السلام لما مر بطلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن اسيد وهما
قتيلان يوم الجمل لقد اصبح ابو محمد بهذا المكان غريبا اما والله لقد كنت اكره
ان تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب ادركت وتري من بني عبد مناف
وافلتتني اعيان بني جمح لقد اتلعوا اعناقهم الى امر لم يكونوا اهله فوقصوا
دونه اقول كان طلحة والزبير من بني عبد مناف من قبل الام وجمح قبيلة
وكان في رهطه عليه السلام منهم عبد الله بن صفوان بن امية بن خلف و
عبد الرحمن بن صفوان وقيل كان مروان بن الحكم منهم اخذ اسيرا يوم الجمل و
استشفع بالحسن الى ابيه عليهما السلام وروى اغيار بالغين المعجمة اي جهلاؤهم
وبالمهملة جمع غير وعير القوم سيدهم واتلعوا اعناقهم رفعوها ومدوها كالـ
كالمتطلعين وهو كناية عن تطاولهم الى امر الخلافة ووقصوا اكسرت اعناقهم ومن
كلام له عليه السلام قد احيا عقله وامات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه
وبرق له لامع كثير البرق فابان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته

ومن كلام له ع

الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في
قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه اقول يشير الى وصف العارف
فاحيا عقله بالرياضة التامة وتحصيل الكمالات العلمية والعملية وتكميل قوتيه
بهما وامات نفسه اي الامارة بالسوء بتطويعها لعقله وكسرها بالعبادة و
الزهد الحقيقي واستعار وصف الامانة لقطعها عما يحصبها من الشبهات وغليظه
اما بدنه او طباعه وقواه فانها تلطف بالرياضة بعد غلظها وقساوتها و
اشار باللامع الى ما يعرض للسالك عند بلوغ الارادة والرياضة حدا ما
من الخلسات الى الجانب الاعلى من ظهور انوار الهية لذيذة شبيهة بالبرق
في سرعة لمعانه واختفائه وتلك اللوامع مسماة في عرف الحكماء بالاوقات
وهذه اللوامع في مبدأ الامر تعرض قليلا فاذا امعن في الارتياض كثرت فاشار باللامع
الى نفس ذلك النور وبكثرة بروقه الى كثرة عروضه له بعد الامعان في الرياضة
وقوله فابان له الطريق اي اظهر له ذلك اللمعان طريق الحق الى الله تعالى وكان
سببا لسلوكه في سبيله اليه وتدافعته الابواب اي ابواب الرياضة من الزهد
والعبادة وغيرهما ووجه التدافع هاهنا انتقاله من باب الى غيرها ومن عبادة الى
اخرى فكانها تدافعه وباب السلامة هو الباب الذي يلقى فيه السلامة من
الانحراف عن الصراط المستقيم بمعرفة ان ذلك هو الطريق ويشبه ان يكون هو
الوقت وقوله وثبتت رجلاه الى قوله والراحة في قرار الامن اشارة الى درجة
اعلى وهي طمأنينته وذلك ان السالك ما دام في مرتبة الوقت فانه يعرض له عند
لمعان تلك البروق في سره اضطراب وانزعاج يحس به جليسه لان النفس
اذ فاجاها امر عظيم انزعجت له فاذا كثرت تلك الغواشي الفتها فعارفت
بحيث لا تنزعج عنها بل تسكن اليها وتطمئن عندها الثبوت قدم عقلها في درجة اعلى
من درجات الجنة التي هي قرار الامن والراحة من عذاب الله وقوله بما استعمل متعلق

بثبيت

فوبل

بثبيت اي ذلك له بسبب هذا وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام قاله
قاله بعد تلاوته قوله تعالى الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر يا له مراما ما ابعده
وزورا ما اغفله وخطرا ما افظعه لقد استخلوا منهم اي مدكر وتناوشوهم
من مكان بعيد افبمصارع آبائهم يفخرون ام بعديد الهلكى يتكاثرون يرتجعون منهم
اجسادا خوت وحركات سكنت ولان يكونوا عبرا احق من ان يكونوا مفتخرا
ولان يهبطوا بهم جناب ذلة احجى من ان يقوموا بهم مقام عزة لقد نظروا اليهم
بابصار العشوة وضربوا منهم في غمرة جهالة ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك
الديار الخاوية والربوع الخالية لقالت ذهبوا في الارض ضلالا وذهبتم في اعقابهم
جهالا تطؤن في هامهم وتستنبتون في اجسادهم وترتعون فيما لفظوا وتسكنون
فيما خربوا وانما الايام بينكم وبينهم بواك ونوائح عليكم اولئكم سلف غايتكم
وفراط مناهلكم الذين كانت لهم مقاوم العز وحلبات الفخر ملوكا وسوقا
سلكوا في بطون البرزخ سبيلا سلطت الارض عليهم فيه فاكلت من لحومهم و
شربت من دمائهم فاصبحوا في فجوات قبورهم جمادا لا ينمون وضمارا لا يوجدون
لا يفزعهم ورود الاهوال ولا يحزنهم تنكر الاحوال ولا يحفلون بالرواجف ولا يأذنون
للقواصف غيبا لا ينتظرون وشهودا لا يحضرون وانما كانوا جميعا فتشتتوا
والافا فافترقوا وما عن طول عهدهم ولا بعد محلهم عميت اخبارهم وصمت
ديارهم ولكنهم سقوا كأسا بدلتهم بالنطق خرسا وبالسمع صمما وبالحركات سكونا
فكانهم في ارتجال الصفة صرعى سبات جيران لا يتأنسون واحباء لا يتزاورون
بليت بينهم عرى التعارف وانقطعت منهم اسباب الاخاء فكلهم وحيد وهم جميع
وبجانب الهجر وهم اخلاء لا يتعارفون لليل صباحا ولنهار مساء اي الجديدين
ظعنوا فيه كان عليهم سرمدا شاهدوا من اخطار دارهم افظع مما خافوا ورأوا
من آياتها اعظم مما قدروا فكلتا الغايتين مدت لهم الى مباءة فاتت مبالغ الخوف
والرجاء فلو كانوا ينطقون بها لعيوا بصفة ما شاهدوا وما عاينوا ولئن عميت آثارهم

وانقطعت اخبارهم لقد رجعت فيهم ابصار العبر وسمعت عنهم اذان العقول و
من غير جهات النطق فقالوا كلحت الوجوه النواضر وخلت الاجساد النواعم
ولبسنا اهدام البلا وتكاءدنا ضيق المضجع وتوارثنا الوحشة وتهكمت علينا
الربوع الصموت فانمحت محاسن اجسادنا وتنكرت معارف صورنا وطالت في
مساكن الوحشة اقامتنا ولم نجد من كرب فرجا ومن ضيق متسعا فلو مثلتهم
بعقلك او كشف عنهم محجوب الغطاء لك وقد ارتسخت اسماعهم بالهوام واستكت
واكتحلت ابصارهم بالتراب فخسفت وتقطعت الالسنة في افواههم بعد
ذلاقتها وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها وعاث في كل جارحة منهم جديد
بلى سمجها وسهل طرق الآفة اليها مستسلمات فلا ايد تدفع ولا قلوب تجزع لرايت
اشجان قلوب واقذاء عيون لهم من كل فظاعة صفة حال لا ينتقل وغمرة
لا تنجلي وكم اكلت الارض من عزيز جسد وانيق لون كان في الدنيا غذي ترف
وربيب شرف يتعلل بالسرور في ساعة حزنه ويفزع الى السلوة ان
مصيبة نزلت به ضنا بغضارة عيشه وشحاحة بلهوه ولعبه فبينا هو
يضحك الى الدنيا وتضحك اليه في ظل عيش غفول اذ وطئ الدهر به حسكه و
نقضت الايام قواه ونظرت اليه الحتوف من كثب فخالطه بث لا يعرفه
ونجي هم ما كان يجده وتولدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحته ففزع
الى ما كان عوده الاطباء من تسكين الحار بالقار وتحريك البارد بالحار فلم
يطفئ ببارد الا ثور حرارة ولا حرك بحار الا هيج برودة ولا اعتدل بممازج
لتلك الطبائع الا امد منها كل ذات داء حتى فتر معلله وذهل ممرضه وتعايا
اهله بصفة دائه وخرسوا عن جواب السائلين عنه وتنازعوا دونه
شجي خبر يكتمونه فقائل هو لما به وممن لهم اياب عافيته ومصبر لهم على فقده يذكرهم
اسى الماضين من قبله فبينا هو كذلك على جناح من فراق الدنيا وترك الاحبة اذ
عرض له عارض من غصصه فتحيرت نوافذ فطنته ويبست رطوبة لسانه فكم

من

من مهم من جوابه عرفه فعي عن رده ودعاء مؤلم لقلبه سمعه فتصام
عنه من كبير كان يعظمه او صغير كان يرحمه وان للموت لغمرات هي افظع من
ان تستغرق بصفة او يعتدل على عقول اهل الدنيا اقول اللام في يا له
لام الجر في المستغاث له والمنادى محذوف والمرام المتعجب من بعده هو التكاثر
اذ لا يتناهى والزور المتعجب من غفلته هم زائروا المقابر والخطر المتعجب من
فظاعته اي شدته هو خطر تلك الغفلة في الآخرة والمذكر محل التذكر من
الاموات والاعتبار بهم من آثارهم او حالهم الحاضرة واستخلوا منهم اتخذ الاحيا
من الاموات تخلية ذكر احوالهم دابهم واي مذكر استفهام على سبيل التعجب
من ذلك المذكر في قوة افادته للعبرة وتناوشوهم اي تناولوهم من جهة بعيدة
وهي افتخار كل بابيه وقبيلته ومكاثرته بالماضين من قومه الذين هم بعد الموت
ابعد الناس عنه في انفسهم وكمالاتهم واحجى اولى بالحجى وهو العقل ومقام الذلة
مقام الاعتبار بهم ومقام العزة مقام الافتخار بهم وابصار العشوة الابصار
العاشية والعشوة ركوب الامر على جهل واضافة الابصار اليها اضافة
الموصوف الى الصفة ويرتعون فيما لفظوا اي يتمتعون فيما تركوه وراء
ظهورهم من متاع الدنيا والايام البواكي عليهم ايام الحياة وسلف غايتكم
فراط مناهلكم اي الذين سبقوكم اليها والمناهل الموارد ومقاوم جمع مقام
لان الفه منقلبة عن واو وحلبات الفخر جماعاته وملوكا حال والبرزخ
الحائل بين الشيئين وهو هنا ما بين الدنيا والآخرة والفجوة المتسع من الارض
والضمار الغائب الذي لا يرجى ايابه ويأذنون يسمعون والآلاف جمع اليف وعميت
اخبارهم انقطع اثرها وصمت ديارهم لم يسمع بها صوت وهما مجازان في الاسناد
والشتات التفرق وقوله وكلتا الغايتين اي غاية المؤمنين والكافرين وهما
السعادة والشقاوة مدت اي ضرب لها اجل ينتهون فيه الى مباءة وهي المرجع اما
الجنة او النار وفات ذلك المرجع مبالغ الخوف والرجاء عظمة والكلوح تكشر في عبوس

والاهدام جمع هدم وهو الثوب البالي وتكاءدنا شق علينا تهكمت تهدمت
والاشجان الاحزان وغضارة العيش طيبه ووطئ الدهر به حسكه كالمثل يضرب
لمن يقع في الشدائد والبث الهم وآنس خال وعنى المدة وبصحته متعلق بآنس
اي انس اوقاته بصحته والقار البارد والاسى جمع اسوة وهي الاقتداء ويعتدل
على عقول اهل الدنيا اي يستقيم تصويرها لهم وباقي الفصل واضح وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا
بيع عن ذكر الله ان الله سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة وتبصر به
بعد العشوة وتنقاد به بعد المعاندة وما برح لله عزت آلاؤه في البرهة بعد البرهة
وفي ازمان الفترات عباد ناجاهم في فكرهم وكلمهم في ذات عقولهم فاستصبحوا
بنور يقظة في الاسماع والابصار والافئدة يذكرون بايام الله ويخوفون
مقامه بمنزلة الادلة في الفلوات من اخذ الطريق حمدوا اليه طريقه وبشروه بالنجاة القصد
ومن اخذ يمينا وشمالا ذموا اليه الطريق وحذروه من الهلكة وكانوا كذلك مصابيح
تلك الظلمات وادلة تلك الشبهات وان للذكر لاهلا اخذوه من الدنيا بدلا فلم
تشغلهم تجارة ولا بيع عنه يقطعون به ايام الحياة ويهتفون بالزواجر
عن محارم الله تعالى في اسماع الغافلين ويامرون بالقسط ويأتمرون به وينهون
عن المنكر ويتناهون عنه فكانما قطعوا الدنيا الى الآخرة وهم فيها فشاهدوا
ما وراء ذلك وكانما اطلعوا غيوب اهل البرزخ في طول الاقامة فيه وحققت
القيمة عليهم عداتها فكشفوا غطاء ذلك لاهل الدنيا حتى كانهم يرون ما لا يرى
الناس ويسمعون ما لا يسمعون فلو مثلتهم لعقلك في مقاومهم المحمودة ومجالسهم
المشهودة وقد نشروا دواوين اعمالهم وفرغوا لمحاسبة انفسهم على كل صغيرة
وكبيرة امروا بها فقصروا عنها او نهوا عنها ففرطوا فيها وحملوا ثقل اوزارهم
ظهورهم فضعفوا عن الاستقلال بها فنشجوا نشيجا وتجاوبوا نحيبا يعجون الى
ربهم من مقام ندم واعتراف لرايت اعلام هدى ومصابيح دجى قد حفت بهم

الملائكة

الملائكة وتنزلت عليهم السكينة وفتحت لهم ابواب السماء واعدت لهم مقاعد
الكرامات في مقام اطلع الله عليهم فيه فرضي سعيهم وحمد مقامهم يتنسمون
بدعائه روح التجاوز رهائن فاقة الى فضله واسارى ذلة لعظمته جرح
طول الاسى قلوبهم وطول البكاء عيونهم لكل باب رغبة الى الله تعالى منهم يد
قارعة يسالون من لا تضيق لديه المنادح ولا يخيب عليه الراغبون فحاسب
نفسك لنفسك فان غيرها من الانفس حسيب (محاسب) غيرك اقول الذكر
هو القرآن الكريم وقيل هو ذكر الله مطلقا والمنتفع به ما كان قلبيا ودوامه
فانه بذلك يستلزم محبة المذكور والاعراض عما سواه واستعار لفظ الجلاء
لازالة كل ما سوى المذكور عن لوح القلب بالذكر وتسمع به وتبصر اي يدرك ما
ينبغي ان يسمع من المواعظ ويبصر من العبر بعد وقرة الجهل وعشوته والوقرة
الصمم والعشوة ظلمة العين والبرهة المدة الطويلة وذات عقولهم انفسهم
الناطقة وتكليمهم بالافاضة والالهام ونور اليقظة في الاسماع اضاءة عقولهم وتكليمهم
بالفوائد المسموعة وفي الابصار اضاءتها من قبل العبر المبصرة وفي الافئدة
ادراكها للمعقولات وتكلمها بها والقصد لزوم الفضيلة في القوى العقلية
والنفسانية واليمين والشمال الانحراف عنها الى الافراط والتفريط منها
وقوله وحققت القيمة عليهم عداتها اي بطول ذكرهم تنزل الموعود
عندهم من امور القيمة منزلة الواقع المحقق ومقاوم جمع مقام وهو مقامهم
بين يدي ربهم في خلواتهم به والنشيج الغصص بالبكاء دون النحيب والعج
رفع الصوت والسكينة مرتبة للسالكين سبق ذكرها والتنسم انتظار
النسيم والفاقة الفقر وكنى بالايدي القارعة عن الدعوات في طلب ما يرغب
الى الله فيه من افاضاته العالية والمنادح جمع مندح وهو المتسع والفصل
من افصح العبارات واغزرها مقاصد ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوة
قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ادحض مسؤول حجة واقطع

مُغْتَرٍ مُعْرِضٍ لقد ابرح جهالةً بنفسه يا ايها الانسان ما جرّأك على ذنبك
وما غرّك بربك وما آنسك بهلكة نفسك اما من دائك بلول ام ليس من
نومتك يقظة اما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك فلربما ترى الضاحي
لحرّ الشمس فتظله او ترى المبتلى بالم يمضّ جسده فتبكي رحمة له فما صبّرك
على دائك وجلّدك على مصابك وعزّاك عن البكاء على نفسك وهي اعزّ
الانفس عليك وكيف لا يوقظك خوف بيات نقمة وقد تورّطت بمعاصيه
مدارج سطواته فتداو من داء الفترة في قلبك بعزيمة ومن كرى الغفلة
في ناظرك بيقظة وكن لله مطيعا وبذكره آنسا وتمثل في حال توليك
عنه اقباله عليك يدعوك الى عفوه ويتغمدك بفضله وانت متولّ
عنه الى غيره فتعالى من قوىّ ما احلمه وتواضعت من ضعيف ما اجرأك
على معصيته وانت في كنف ستره مقيم وفي سعة فضله متقلّب فلم يمنعك
فضله ولم يهتك عنك ستره بل لم تخل من لطفه مطرف عين في نعمة يحدثها
لك او سيئة يسترها عليك او بليّة يصرفها عنك فما ظنك به لو اطعته و
ايم الله لو ان هذه الصفة كانت في متفقين في القوة متوازيين في القدرة لكنت
اول حاكم على نفسك بذميم الاخلاق ومساوي الاعمال وحقا اقول ما الدنيا غرّتك
ولكن بها اغتررت ولقد كاشفتك العظات وآذنتك على سواء ولهي بما تعدك
من نزول البلاء بجسمك والنقص في قوتك اصدق واوفى من ان تكذبك او تغرّك
ولربّ ناصح لها عندك متّهم وصادق من خبرها مكذّب ولئن تعرّفتها في الديار
الخاوية والربوع الخالية لتجدنها من حسن تذكيرك وبلاغ موعظتك بمحلة الشفيق
عليك والشحيح بك ولنعم دار من لم يرض بها دارا ومحل من لم يوطنها محلا وان
السعداء بالدنيا غدا هم الهاربون منها اليوم اذا رجفت الراجفة وحقت
بجلائلها القيامة ولحق بكل منسك اهله وبكل معبود عبدته وبكل مطاع
اهل طاعته فلم يجز في عدله وقسطه يومئذ خرق بصر في الهواء ولا من غيرها

همس قدم في الارض الا بحقه فكم حجة يوم ذاك داحضة وعلائق عذر
منقطعة فتحرّ من امرك ما يقوم به عذرك وتثبت به حجتك وخذ ما
يبقى لك مما لا تبقى له وتيسّر لسفرك وشم برق النجاة وارحل مطايا التشمير
اقول دحض الحجة بطلانها وابرح جهالة بنفسه بالغ في تحصيل جهالتها واعجبه
ذلك ولما كانت الهلكة في الآخرة بمحبة الدنيا وباطلها وكان الانسان شديد
الانس بها صدق تعجبه من انسه بهلكة نفسه والبلول الصحة والضاحي البارز
وقوله فلربما الى قوله رحمة له في قوة صغرى ضمير احتج على وجوب رحمته
لنفسه وتقدير كبراه وكل من رحم غيره فاولى ان يرحم نفسه من بلاء يقع
فيه والجلد القوة والمدارج الطرق والتمثل التصوّر وتغمده تعمده وقوله
وايم الله الى قوله الاعمال اي لو كان هذا الوصف المذكور من اقبال الله عليك
وادبارك عنه وصف متفقين من الناس في القوة والقدرة والمنزلة انت احدهما (الحيّ)
منهما لكان فيما ينبغي لك من الحياء والانفة ان يكون اول حاكم على نفسك بتقصيرها
وقبح اعمالها وانما لم تغره الدنيا اذ لم تخلق في العناية الالهية لذلك وغروره
بها لظنّه ان المقصود منها هي لذاتها الحاضرة ومكاشفتها بالعظات ظهور ما ينبغي
الاتعاظ به من الغير والتصاريف اللازمة لها وآذنتك على سواء اي اعلمتك على
عدل منها تصاريفها اذ كان ذلك مقتضى خلقها بعدل من الله وحكمته وتعرفها
اعتبار تصاريفها ومحلة الشفيق منزلته وقد اضاف اسم نعم وبئس هنا الى ما
ليس فيه الالف واللام كقوله فنعم صاحب قوم لا سلاح لهم وجمع بين اسم الجنس
والنكرة تبدل منه وقد جاء مثله فنعم الزاد زاد ابيك زادا والراجفة قيل هي
النفخة الاولى في الصور وجلائلها اهوالها العظيمة جمع جليلة والمنسك محل العبادة
وهو اشارة الى لحوق كل نفس يوم القيمة بمعبودها ومقصودها في الدنيا وما احبته
فيها كما قال صلى الله عليه وآله لو احب احدكم حجرا لحشر معه وخرق البصر نفوذه
في الهواء اللمحة وتيسّر لسفره استعداده بالرياضة للسفر الى الآخرة وان

وان شم برق النجاة اي توجه الى استلاحة انوار الهداية المنجية ومن كلام له
عليه السلام والله لان ابيت على حسك السعدان مسهدا او اجر في الاغلال
مصفدا احب الي من ان القى الله ورسوله يوم القيمة ظالما لبعض العباد وغاصبا
لشيء من الحطام وكيف اظلم احدا لنفس يسرع الى البلى قفولها ويطول في الثرى
حلولها والله لقد رايت عقيلا وقد املق حتى استماحني من بركم صاعا ورايت
صبيانه شعث الالوان من فقرهم كانما سودت وجوههم بالعظلم وعاودني
مؤكدا وكرر علي القول مرددا فاصغيت اليه سمعي فظن اني ابيعه ديني
واتبع قياده مفارقا طريقي فاحميت له حديدة ثم ادنيتها من جسمه ليعتبر بها
فضج ضجيج ذي دنف من المها وكاد ان يحترق من ميسمها فقلت له ثكلتك
الثواكل يا عقيل اتئن من حديدة احماها انسانها للعبه وتجرني الى نار
سجرها جبارها لغضبه اتئن من الاذى ولا ائن من لظى واعجب من ذلك
طارق طرقنا بملفوفة في وعائها ومعجونة شنئتها كانما عجنت بريق حية او
قيئها فقلت اصلة ام زكاة ام صدقة فذلك محرم علينا اهل البيت فقال
لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية فقلت هبلتك الهبول اعن دين الله اتيتني لتخدعني
امختبط او ذو جنة ام تهجر والله لو اعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها
على ان اعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته وان دنياكم عندي
لاهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى نعوذ
بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين اقول السعدان نبت والمسهد الموثق
غلا والقفول الرجوع من السفر والاستماحة طلب المنح وهو العطاء والعظلم نبت
يصبغ به قيل هو النيل وميسمها اثرها وانسانها اي الذي احماها والاضافة
يكفي فيها ادنى سبب واعجب من ذلك اي من عقيل والطارق الآتي ليلا والملفوفة
هدية اتي بها قيل كانت شيئا من حلوى الفالوذج وشنئتها ابغضتها وشبهها في
بغضه لها بما عجن بالسم وذلك لما يعهده من ارادة مهديها من الميل معه في الحكم

دنيوى فيميل الى الظلم وهبلته الهبول ثكلته الثواكل والخباط داء كالجنون
وليس به والمختبط الذي يطلب معروفك من غير سابق معرفة له معك والجنة
الجنون والهجر الهذيان وجلب الشعيرة قشرها وغرض الفصل التبري من الظلم
وذلك يشبه ان يكون لما فهم من صاحب الهدية انه يلتمس منه امرا يستلزم ظلم احد
فايسه بهذا القول من ذلك والله اعلم ومن دعائه عليه السلام اللهم صن وجهي
باليسار ولا تبذل جاهي بالاقتار فاسترزق طالبي رزقك واستعطف شرار
خلقك وابتلى بحمد من اعطاني وافتتن بذم من منعني وانت من وراء ذلك ولي
الاعطاء والمنع انك على كل شيء قدير اقول الغنى المطلوب لمثله عليه السلام هو ما
دفع الحاجة بحسب الاقتصاد والقناعة والجاه المطلوب لمثله هو ما اعان على
طاعة الله ورفع عن رذيلة المهانة لا ما اريد به التفخر من المباهاة الدنيوية والفصل
ظاهر ومن خطبة له عليه السلام دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة لا تدوم احوالها
ولا يسلم نزالها احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والامان منها
معدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها و
اعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى قبلكم ممن
كان منكم اطول منكم اعمارا واعمر ديارا وابعد آثارا اصبحت اصواتهم
هامدة ورياحهم راكدة واجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية
فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة و
القبور اللاطئة الملحدة التي قد بني على الخراب فناؤها وشيد بالتراب بناؤها
فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل محلة موحشين واهل فراغ متشاغلين لا
يستانسون بالاوطان ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار
ودنو الدار وكيف يكون بينهم تزاور وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل
والثرى وكان قد صرتم الى ما صاروا اليه وارتهنكم ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع
فكيف بكم لو تناهت بكم الامور وبعثرت القبور هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت

ثنا

فمحلها

وردّوا الى الله مولاهم الحق وضلّ عنهم ما كانوا يفترون اقول حاصل الفصل
التنفير عن الدنيا بذكر معايبها والجذب بذلك الى استعمالها على الوجه المطلوب
لله من وجودها ولفظ الغرور مستعار لزينتها الظاهرة المستعقبة للهلاك في
الآخرة والتارة المرة ومستهدفة اى جعلت هدفا وهو الغرض وابعوا آثارا
اى ابعد ان ينال او يقدر على مثلها لعظمتها وركود رياحهم يشبه ان يكون
للحال والكلكل الصدر وهو مستعار والحشرة البقية والتفريق وشيك التحيير
ومن دعائه عليه السلام اللهم انك آنس الآنسين لاوليائك واحضرهم بالكفاية
للمتوكلين عليك تشاهدهم في سرائرهم وتطلع عليهم في ضمائرهم وتعلم مبلغ
بصائرهم فاسرارهم لك مكشوفة وقلوبهم اليك ملهوفة ان اوحشتهم الغربة آنسهم
ذكرك وان صبّت عليهم المصائب لجأوا الى الاستجارة بك علما بان ازمّة
الامور بيدك ومصادرها عن قضائك اللهم ان فههت عن مسألتي او عمهت
عن طلبتي فدلّني على مصالحي وخذ بقلبي الى مراشدي فليس ذلك بنكر من هداياتك
ولا ببدع من كفاياتك اللهم احملني على عفوك ولا تحملني على عدلك اقول انما كان تعالى
آنس الآنسين لاوليائه لانقطاعهم اليه عن سواه ولهف قلوبهم تحسرها على الوصول
اليه والغربة للوحشة لم غربتهم في الدنيا اذ كان مقرهم الاصلي هو حظيرة القدس
والصاحبة التي سبق العهد المحبب ومن كلام له عليه السلام لله بلاد فلان فلقد قوّم الاود
وداوى العمد واقام السنة وخلّف الفتنة وذهب نقي الثوب قليل العيب اصاب
خيرها وسبق شرها ادى الى الله طاعته واتقاه بحقه رحل وتركهم في طرق
متشعبة لا يهتدي فيها الضال ولا يستيقن المهتدي اقول يقال لله بلاد فلان
كما يقال لله درّه ولله ابوه وهي كلمة مدح قيل المراد به عمر وقيل بعض الصحابة ممن
جاهد في دين الله والاود الاعوجاج والعمد مرض يأخذ الابل في اسنمتها وهو مستعار
لامراض القلوب ومداواتها بالزواجر القولية والفعلية ونقاء ثوبه كناية عن طهارته
من المطاعن والضمير في خيرها وشرها للخلافة وان لم يجر ذكرها لكونها معهودة

او

او لتقدم ذكرها والطرق المتشعبة طرق الفتنة ومن كلام له عليه السلام
في وصف بيعته وقد تقدم بالفاظ مختلفة وبسطتم يدي فكففتها ومددتموها
فقبضتها ثم تداككتم علي تداك الابل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى
انقطع النعل وسقط الرداء ووطئ الضعيف وبلغ من سرور الناس
ببيعتهم اياي ان ابتهج بها الصغير وهدج اليها الكبير وتحامل نحوها
العليل وحسرت اليها الكعاب اقول التداكك الازدحام والهيم العطاش
والهدجان مشية الشيخ وهو مشي في ارتعاش والتحامل تكلف الشيء مع
مشقة وحسرت كشفت وجهها والكعاب بالفتح التي نهد ثديها والفصل
احتجاج على من خالفه من البغاة وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه
وكل من فعلت به ذلك فليس لكم ان تختلفوا عليه من بعد وتنكثوا بيعته
ومن خطبة له عليه السلام فان تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد و
عتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة بها ينجح الطالب وينجو الهارب وتنال
الرغائب فاعملوا والعمل يرفع والتوبة تنفع والدعاء يسمع والحال هادئة
والاقلام جارية وبادروا بالاعمال عمرا ناكسا او مرضا حابسا او موتا خالسا
فان الموت هادم لذاتكم ومكدر شهواتكم ومباعد طياتكم زائر غير
محبوب وقرن غير مغلوب وواتر غير مطلوب قد اعلقتكم حبائله و
تكنفتكم غوائله واقصدتكم معابله وعظمت فيكم سطوته وتتابعت
عليكم عدوته وقلّت عنكم نبوته فيوشك ان تغشاكم دواجي ظلله
واحتدام علله وحنادس غمراته وغواشي سكراته واليم ارهاقه ودجو
اطباقه وجشوبة مذاقه وكان قد اتاكم بغتة فاسكت نجيكم وفرق نديكم
وعفا آثاركم وعطل دياركم وبعث وراثكم يقتسمون تراثكم بين حميم
خاص لم ينفع وقريب محزون لم يمنع وآخر شامت لم يجزع فعليكم
بالجد والاجتهاد والتأهب والاستعداد والتزود في منزل الزاد فلا

تغرنكم الدنيا كما غرّت من كان قبلكم من الامم الماضية والقرون الخالية الذين
احتلبوا درّتها واصابوا غرّتها وافنوا عدّتها واخلقوا جدّتها اصبحت
مساكنهم اجداثا واموالهم ميراثا لا يعرفون من اتاهم ولا يحفلون من بكاهم
ولا يجيبون من دعاهم فاحذروا الدنيا فانها غدّارة غرّارة خدوع معطية
منوع ملبسة نزوع لا يدوم رخاؤها ولا ينقضي عناؤها ولا يركد بلاؤها اقول
السداد استقامة العبد على طريق الله الى جنته وتقوى مفتاح ذلك وفي كونها
عتق للعبد من ملكات السوء وهلكات الآخرة وللطالب في الدنيا و
الآخرة والهارب اي من عذاب الله واقلام الكرام الكاتبين وعمرا ناكسا
اي دارا ان طال بصاحبه الى الضعف والعجز عن العمل كقوله تعالى ومن
نعمره ننكسه في الخلق وقوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الآية والخالس
المختطف والطيات جمع طية بالكسر وهي منزل السفر والوتر الحقد والغضب
والتكنف الاحاطة والغوائل المصائب والمعابل جمع معبلة بكسر الميم وهي
نصل عريض طويل وعدوته ظلمه ونبا السيف اذا لم يؤثر في الضريبة
ودواجي ظلله مظلمات سحابه والاحتدام شدة الحرة وارهاقه اعجاله و
الجشوبة بالجيم غلظ الطعام والنجي القوم يتناجون والندي القوم يجتمعون
في النادي وهو مجتمعهم ومنزل الزاد الدنيا اذ هي منزل زاد الآخرة و
غرتها استعارة لايام السلامة فيها يغفلون ينالون وذكر مسكن منها
في صفة الزهاد كانوا قوما من اهل الدنيا وليسوا من اهلها فكانوا فيها كمن
ليس منها عملوا فيها بما يبصرون وبادروا فيها ما يحذرون تقلب ابدانهم
بين ظهراني اهل الآخرة يرون اهل الدنيا يعظمون موت اجسادهم وهم
اشد اعظاما لموت قلوب احيائهم اقول الاشارة الى بعض اصحابه الذين
درجوا قبله وكونهم من الدنيا بابدانهم ومشاركتهم الضرورية لاهلها
وليسوا من اهلها بقلوبهم لاستغراقها في محبة الله ومطالعة انوار كبرياء

وعملهم

وعملهم بما يبصرون ورأى من انوار النعم الفائدة لهم في سبيل الله ومبادرتهم
في الدنيا لما يحذرون مسارعتهم الى الاعمال الصالحة دفعا لما يحذرون من
عذاب الآخرة وقوله تقلب الى دولة الآخرة اي يتقلب والمراد ان ابدانهم
معاشرة اهل الآخرة العاملين بها دون غيرهم ويحتمل ان يريد انهم مع ساير
الناس بابدانهم كما سبق والناس اهل الآخرة باعتبار مصيرهم اليها وبين
ظهرانيهم بفتح النون اي بينهم وقوله يرون الى آخره فرق بينهم وبين
اهل الدنيا اذ كانوا لا يرون وراء كمال اجسادهم كمالا فهم يعظمون موتها
واما الزهاد فيها فهم اشد اعظاما لموت قلوب احيائهم اذ لا يرون كمالا الا كمال
القلوب ومن خطبة له عليه السلام خطبها بذي قار متوجها الى البصرة ذكرها
الواقدي في كتاب الجمل فصدع بما امر به وبلّغ رسالة ربه فلمّ الله به الصدع
ورتق به الفتق والّف به بين ذوي الارحام بعد العداوة الواغرة في الصدور
والضغائن القادحة في القلوب اقول من مادح الرسول صلى الله عليه وآله
وصدع اي شق بامر الله عصا الكفار ولمّ الله به ما انصدع من عصا المسلمين
ورتق به ما كان منفتقا من امورهم والواغرة ذات الوغرة وهي شدة حرارة
الصدور واضغانها ومن كلام له عليه السلام كلّم به عبد الله زمعة وكان
من شيعته فاتاه مستميحا في خلافته فقال عليه السلام ان هذا المال ليس لي ولا
لك وانما هو فيء للمسلمين وجلب اسيافهم فان شركتهم في حربهم كان لك مثل
حظهم والا فجناة ايديهم لا يكون لغير افواههم اقول زمعة بفتح الميم والجلب
المجلوب ويروى بالحاء وجناة الثمر ما يجتنى منه ومن كلام له عليه السلام
الا ان اللسان بضعة من الانسان فلا يسعده القول اذا امتنع ولا يمهله
النطق اذا اتسع وانا لامراء الكلام وفينا تنشبت عروقه وعلينا تهدلت
غصونه واعلموا رحمكم الله انكم في زمان القائل فيه بالحق قليل واللسان
عن الصدق كليل واللازم للحق ذليل اهله معتكفون على العصيان مصطلحون

عن الاذهان فناهم عارم وشائبهم آثم وعالمهم منافق وقاريهم مماذق لا
يعظم صغيرهم كبيرهم ولا يعول غنيهم فقيرهم اقول روى في سبب هذا
الكلام انه عليه السلام امر ابن اخته جعدة بن هبيرة المخزومي يوماً ان يخطب
فصعد المنبر فحصر فقام عليه السلام فصعد المنبر فخطب خطبة طويلة منها
هذا الفصل والبضعة القطعة والفهر بفتح الهاء يسعده وعمله للسان وفي امتنع و
اتسع للانسان والمعنى ان اللسان لما كان آلة للانسان فاذا امتنع الانسان من
القول النفساني امتنع اللسان من النطق واذا اتسع ذهنه بالمعاني واستحضرها
امكنه القول باللسان ولم يعطل النطق من الحركة به وتهدلت تدلت والاذهان
المتفاضة والعارم الشرس من الخلق والماذق الذي يمزج الود ولا يخلصه و
هو نوع من النفاق ومن كلام له عليه السلام روى اليماني عن احمد بن قتيبة عن
عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحية قال كنا عند امير المؤمنين عليه السلام وقد
ذكر عنده اختلاف الناس فقال انما فرق بينهم مبادي طينهم وذلك انهم كانوا
فلقة من سبخ الارض وعذبها وحزن تربة وسهلها فهم على حسب قرب ارضهم
يتقاربون وعلى قدر اختلافها يتفاوتون فتام الرواء ناقص العقل وماد القامة
قصير الهمة وزاكي العمل قبيح المنظر وقريب القعر بعيد السبر ومعروف الضريبة
منكر الجليبة وتائه القلب متفرق اللب وطليق اللسان حديد الجنان اقول
الفصل اشارة الى السبب المادي لاختلاف الناس في الصور والاخلاق و
الطين اشارة الى ما ذكره من التربة الممتزجة من السبخ والعذب والحزن و
السهل وهي الجزء الارضي في الابدان البشرية وانما خصصه بالذكر دون ساير
العناصر لانه الجزء الاغلب فيها كما علمت في الخطبة الاولى وظاهر ان لكل بحسب
ما يغلب عليها من الكيفيات المذكورة اثراً خاصاً في اختلاف الصور والاخلاق فان
الاغلب فيمن يتولد في البلاد السبخة مزاجه حار يابساً وبحسب ذلك يكون نحافة
بدنه وسرعة نزقه ويتبع ذلك من ذميم الاخلاق او حميدها وكذلك من غلبت تربته

كان الاغلب عليه لطف الصورة وحسن الاخلاق والخلقة المقطعة وقوله
تام الرواء الى آخره كالتفصيل لهم في تفاوتهم وذكر اقساماً ثمانية والرواء المنظر
الحسن والسبر اختبار الباطن وقريب القعر كناية عن القصر وقيل لبعض الحكماء
حين سئل ما بال القصير من الناس ادهى واحذق قال لقرب قلبه من دماغه و
كانه اراد ان القلب لما كان مبدء الحار الغريزي وكان الاعراض النفسانية من
الفطنة والذكاء والفهم والاقدام والوقاحة وحسن الظن وجودة الرجاء و
النشاط ورجولية الاخلاق وقلة الكسل وقلة الانفعال عن الاشياء كل ذلك يدل
على الحرارة وتوفرها واضداد ذلك تدل على البرودة لاجرم كان قرب القلب
من الدماغ في القصير لكونه سبباً لتوفر الحرارة في الدماغ وجودة استعداد
القوى النفسانية فيه سبباً لتلك الاعراض المذكورة وكان بعده منه في
الطويل سبباً لقلة الحرارة فيه وضعف استعداد القوى النفسانية
الاعراض والضريبة الخلق والجليبة ما يجلبه الانسان ويتكلفه وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام قاله وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله و
تجهيزه بابي انت وامي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة
والانباء واخبار السماء خصصت حتى صرت مسلياً عمن سواك وعممت حتى
صار الناس فيك سواء ولولا انك امرت بالصبر ونهيت عن الجزع لانفدنا
عليك ماء الشؤون ولكان الداء مماطلاً والكمد محالفاً وقلّا لك ولكنه ما لا
يملك رده ولا يستطاع دفعه بابي انت وامي اذكرنا عند ربك واجعلنا من
بالك اقول بابي وامي متعلق بمحذوف تقديره افديك ومن النبوة والانباء
بيان للغير وروى عوض الانباء الانبياء اي الاخبار ومن على هذه بيان لما انقطع
وخصصت اي في مصيبتك من حيث انها عظيمة لانصاب الناس بمثلها
فلذلك كانت مسلية لهم عن غيرها وماء الشؤون الدموع والشؤون متصل قطع
الراس المشعوب بعضها مع بعض والعرب تزعم ان الدموع ينزل منها وقيل الشأنان

عرقان ينحدران من الراس الى الحاجبين ثم الى العينين ومماطلة الداء ملازمته
والحزن كانه لما لازم منع ان من شأنه المفارقة مماطل فيها والمحالف الملازم وضمير
التثنية في وقلا لانفاد ماء الشؤون والمماطلة للحزن وفي لكنه للموت والبال
القلب اي اجعلنا ممن تباليه وتعتني به ومن كلام له عليه السلام فاعملوا وانتم
في نفس البقاء والصحف منشورة والتوبة مبسوطة والمدبر يدعى و
المسيء يرجى قبل ان يخمد العمل وينقطع المهل وتنقضي المدة ويسد باب التوبة
وتصعد الملائكة فاخذ امرؤ من نفسه لنفسه واخذ من حي لميت ومن
فان لباق ومن ذاهب لدائم امرؤ خاف الله وهو معمر الى اجله ومنظور
الى عمله امرؤ الجم نفسه بلجامها وزمها بزمامها فامسكها بلجامها عن
معاصي الله وقادها بزمامها الى طاعة الله اقول في نفس البقاء اي في سعة
منه والصحف صحف الاعمال والمدبر اي عن طاعة الله واستعار لفظ
الخمود لوقوف العمل كما يخمد بعد جريانه وقوله فاخذ امرؤ في صورة
الخبر اي فليأخذ امرؤ ومن نفسه الامارة بكسرها ومنعها عن مشتهياتها و
ميولها الطبيعية لنفسه العاقلة ويحتمل ان يريد بالنفس الاولى البدن
والاخذ منه بالعبادة كالصلاة والصيام وذلك كمال لنفسه العاقلة وذخر
لها في الآخرة وكذلك قوله واخذ من حي لميت اي وكذلك فليأخذ المرء من نفسه
باعتبار ما هو حي في الدنيا لنفسه باعتبار ما هو ميت لا محالة وكذلك فليأخذ
من فان وهو دنياه لباق ودائم هو آخرته وقوله امرؤ والى آخره كالجواب لسائل
سأل عن ذلك المرء الآخذ من نفسه لنفسه فكأنه قال هو امرؤ خاف الله
وامرؤ كذا ومنظور الى عمله اي ملتفت اليه من الله لقوله تعالى فننظر
كيف تعملون واستعار لفظ اللجام والزمام للتقوى ومن خطبة له عليه السلام
الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد ولا تراه النواظر ولا تحجبه
السواتر الدال على قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده وباشتباههم

على ان لا شبيه له الذي صدق في ميعاده وارتفع عن ظلم عباده وقام بالقسط
في خلقه وعدل عليهم في حكمه مستشهد بحدوث الاشياء على ازليته وبما
وسمها به من العجز على قدرته وبما اضطرها اليه من الفناء على دوامه واحد لا
بعدد دائم لا بامد قائم لا بعمد تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة وتشهد له المرائي
لا بمحاضرة لم تحط به الاوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها واليها
حاكمها ليس بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً ولا بذي عظم تناهت
به الغايات فعظمته تجسيداً بل كبر شأناً وعظم سلطاناً واشهد
ان محمداً عبده الصفي وامينه الرضي صلى الله عليه وآله ارسله بوجوب الحجج و
ظهور الفلج وايضاح المنهج فبلغ الرسالة صادعاً بها وحمل على المحجة دالاً عليها
واقام اعلام الاهتداء ومنار الضياء وجعل امراس الاسلام متينة وعرى
الايمان وثيقة اقول اراد بالشواهد الحواس لكونها تشهد ما يدركه وتحضر
عنده والمشاهد المحاضر والمجالس وقوله الدال على قدمه الى قوله لا شبيه
له قد سبقت الاشارة الى الاعتبارات المذكورة في قوله الحمد لله الدال على
وجوده بخلقه وكذلك باقي الاعتبارات كالاستدلال بعجز الخلق على قدرته و
بفنائهم على دوامه وكونه قائماً لا بعمد اي ثابت الوجود من غير سبب يستند
اليه وتلقي الاذهان له لا بمشاعرة اي ليس من طريق الحواس اذ ليس بمحسوس
بل بالعقول العارفة وشهادة المرائي لا بمحاضرة شهادة النواظر بوجوده في
آثار قدرته من غير حضور معه ويحتمل ان يريد بالمرائي نفس الانا التي يرى
فيها انها تشاهده بوجوده شهادة المعلول بوجود علته وتجليه للاوهام
بها هو ظهوره لها في صورة وجودها ووجود مدركاتها من جهة ما هو صانعها
وموجدها اذ كانت الاوهام عند اعتبارها لاحوال نفسها معترفة بحاجتها
الى موجد ومقيم ومساعدة للعقول في حكمها بذلك وان كان ادراكها على جهة
جزئية ملكات مشاهدة له بحسب ما طبعت عليه وبقدر امكانها وهو متجل لها

كذلك والباقي بها للسببية اذ وجودها هو السبب المادي في تجليه لها ويحتمل ان يكون بمعنى في اي وجودها وحتى بل هي بمعنى سلب الاحاطة به ان الاوهام لم يمكن ادراكها له على وجه الاحاطة به على الوجه المذكور الممكن من تجليه لها وقوله وبها امتنع منها اي بخلقها قاصرة عن ادراك المعاني الكلية المجردة كانت مبدأ لامتناعه عن ادراكها له وحاكمته لها اليها جعلها حكما بينها وبينه عند رجوعها من توجهها في طلبه متجردة خلف العقول حسيرة معترفة بانه لا يمكن ادراكه وقيل اراد بالاوهام العقول وقوله وبها امتنع منها اي بالعقول ونظرها علم انها لا تدركه واليها حاكمها اي جعل العقول المدعية انها تحيط به وتدركه كالخصوم ثم حاكمها الى العقول السليمة فحكمت له السليمة على المدعية لانها ليست اهلا له او انه جعل تلك المدعية هي الحاكمة على نفسها بعد اجتهادها في طلبه واعترافها بالعجز عن ادراكها ووجوب الحجة الى الحجة الواجبة على الخلق والنفع الفوز والمنار الاعلام والامراس جمع مرس من الرآء وهو الحبل وبالله التوفيق منها في صفة عجيب خلق اصناف من الحيوان ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا الى الطريق وخافوا عذاب الحريق ولكن القلوب عليلة والابصار مدخولة الا ينظرون الى الصغير ما خلق كيف احكم خلقه واتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على ارضها وصبت على رزقها تنقل الحبة الى جحرها وتعدها في مستقرها تجمع في حرها لبردها وفي ورودها لصدرها مكفول برزقها مرزوقة بوفقها لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس ولو فكرت في مجاري اكلها وفي علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها وما في الراس من عينها واذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا فتعالى الله الذي اقامها على قوائمها وبناها على دعائمها

لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه في خلقها قادر ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة الا ان فاطر النملة هو فاطر النخلة لدقيق تفصيل كل شيء وغامض اختلاف كل حي وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه الا سواء كذلك السماء والهواء والرياح والماء فانظر الى الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر واختلاف هذا الليل والنهار وتفجر هذه البحار وكثرة هذه الجبال وطول هذه القلال وتفرق هذه اللغات والالسن المختلفات فالويل لمن جحد المقدر وانكر المدبر زعموا انهم كالنبات ما لهم زارع ولا لاختلاف صورهم صانع ولم يلجؤوا الى حجة فيما ادعوا ولا تحقيق لما اوعوا وهل يكون بناء من غير بان او جناية من غير جان وان شئت في الجرادة اذ خلق لها عينين حمراوين واسرج لها حدقتين قمراوين وجعل لها السمع الخفي وفتح لها الفم السوي وجعل لها الحس القوي ونابين بهما تقرض ومنجلين بهما تقبض يرهبها الزراع في زرعهم ولا يستطيعون ذبها ولو اجلبوا بجمعهم حتى ترد الحرث في نزواتها وتقضي منه شهواتها وخلقها كله لا يكون اصبعا مستدقة فتبارك الله الذي يسجد له من في السموات والارض طوعا وكرها ويعفر له خدا ووجها ويلقي بالطاعة اليه سلما وضعفا ويعطي القياد رهبة وخوفا فالطير مسخرة لامره احصى عدد الريش منها والنفس وارسى قوائمها على الندى واليبس وقدر اقواتها واحصى اجناسها فهذا غراب وهذا عقاب وهذا حمام وهذا نعام دعا كل طائر باسمه وكفل له برزقه وانشأ السحاب الثقال واهطل ديمها وعدد قسمها فبل الارض بعد جفوفها واخرج نبتها بعد جدوبها اقول علة القلوب مرض الجهل ومدخوله معيوبة وعيبها كونها لا يدرك العبر ولا ينتفع بها والبشر الجلد ونقل الجاحظ من عجائب النملة انها تدخر في الصيف للشتاء فيتقدم في حال المهلة ولا تضيع اوقات الفرصة ويبلغ من صحة تميزها والنظر في عاقبة امرها ان يخاف على الحبوب التي ادخرتها للشتاء ان تعفن وتسوس في بطن الارض

فيخرجها الى ظهرها لتعيدها الى جفافها ويضربها النسيم فينفي عنها العفن والفساد وربما يختار في الاكثران يكون ذلك العمل ليلا ليكون اخفى وفي القمر لانها فيه ابصر فان كان مكانها نديا وخافت ان ينبت الحب نقرت موضع القطمير من وسطها لعلمها انها من ذلك الموضع ينبت وربما فلقت الحبة بنصفين فاما ان كان الحب من الكزبرة فانها تفلقه ارباعا لان انصاف حب الكزبرة ينبت من بين جميع الحب قال ونقل من اثق به انه احتفر بيتا للنمل فوجد الحبوب التي جمعها كل نوع وحده ووجد في بعضها ان بعض الحبوب فوق بعض وبينها فواصل حائلة من التبن والجامس الجامد والشراسيف اطراف الاضلاع المحتوية على البطن ودعائمها ما يقوم في بدنها مقام العظام والاعصاب ونحوها وقوله لدقيق تفصيل كل شيء الى قوله حي اشارة الى اوسط الحجة على ما ادعاه من اشتراك النملة على صغرها والنخلة على طولها وعظمها في الاستناد الى صانع واحد حكيم وتقرير الحجة ان في النملة والنخلة تفصيلا لطيفا دقيقا واختلاف شكل وهيئة ومقدار ووجوها من الحكمة وكل ما اشتمل على ذلك فله صانع مدبر حكيم خصصه بها دون غيره فينتج انهما يشتركان في الحاجة الى الصانع مدبر حكيم خص كلا منهما بما اشتمل عليه وهذه الحجة هي المسماة في عرف المتكلمين بالاستدلال بامكان الصفات وقوله وما الجليل الى قوله سواء اشارة الا ان كل المخلوقات وان اختلفت صفاتها ومقاديرها لا تفاوت فيها بالنظر الى قدرته وكماله بمعنى ان يفيض عنها صورة الحقير منها كالنملة او العظيم منها كالنخلة بل التفاوت من جانب القابل وكذلك السماء الى الى آخره اي ان الجميع متساوية في الحاجة الى الصانع الحكيم وهو المخصص لكل بكماله اللائق به اذ ليس ذلك للجسمية ولا للوازمها لتشابهها في الجميع ولا العوارضها لان الكلام في الاختصاص بالصفة ويلزم التسلسل فيبقى ان يكون لامر خارج عنها هو المدبر الحكيم واشار بالجاحدين الذين زعموا الزعم المذكور في حاجة من العرب انكروا الخالق والبعث وقالوا بالدهر المفني كما حكى الله تعالى عنهم نموت ونحيى

وما يهلكنا وقياس انفسهم على النبات من باب التمثيل والاصل فيه النبات والفرع انفسهم والحكم هو ما توهموه من كونهم بلا صانع والجامع هو ما يشتركون فيه مع النبات من الموت والحياة او نحوه وجوابهم منع الحكم المذكور والتنبيه على ما هو معلوم بالضرورة ان كل صنعة فلها صانع وكل جناية فلها جان وقوله وان شئت قلت في الجرادة الى قوله مستدقة تنبيه آخر على وجود الصانع الحكيم في وجود الجرادة وحدقة قمراء مضيئة والسوي المعتدل واراد بحسها قوتها الوهمية واجلبوا جمعوا والنزوات الوثبات وتعفير الخد غربيته في العفر وهو التراب وارسى قوائمها اثبتها وارساها في الندى كطير الماء واراد بالجنس اللغوي وهو يصدق على النوع والصنف في المصطلح العلمي واستعار وصف الدعاء هنا لحكم القدرة الالهية على كل منها بالدخول في الوجود وهو كقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها والقصل من افصح العبارات من خطبة له عليه السلام في التوحيد ويجمع هذه الخطبة من اصول العلم ما لا يجمعه خطبة ما وحده من كيفه ولا حقيقته اصاب من مثله ولا اياه عنى من شبهه ولا صمده من اشار اليه وتوهمه وكل معروف بنفسه مصنوع وكل قائم في سواه معلول فاعل لا باضطراب آلة مقدر لا بجول فكرة غني لا باستفادة لا تصحبه الاوقات ولا ترفده الادوات سبق الاوقات كونه والعدم وجوده والابتداء ازله بتشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له وبمضادته بين الامور عرف ان لا ضد له وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لا قرين له ضاد النور بالظلمة والوضوح بالبهمة والجمود بالبلل والحرور بالصرد مؤلف بين متعادياتها مقارب بين متبايناتها مقرب بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها لا يشمل بحد ولا يحسب بعد وانما تحد الادوات انفسها وتشير الآلات الى نظائرها منعتها منذ القدمة وحمتها قد الازلية وجنبتها لولا التكملة بها تجلى صانعها

للعقول وبها امتنع عن نظر العيون لا يجري عليه السكون والحركة وكيف
يجري عليه ما هو اجراه ويعود فيه ما هو ابداه ويحدث فيه ما هو احدثه
اذاً لتفاوتت ذاته ولتجزى كنهه ولامتنع من الازل معناه ولكان له وراء
اذ وجد له امام ولالتمس التمام اذ لزمه النقصان واذاً لقامت آية المصنوع فيه
ولتحول دليلاً بعد ان كان مدلولاً عليه وخرج بسلطان الامتناع من ان يؤثر فيه
ما يؤثر في غيره الذي لا يحول ولا يزول ولا يجوز عليه الافول لم يلد فيكون
مولوداً ~~عليه الافول لم يلد فيكون~~ ولم يولد فيصير محدوداً جل عن اتخاذ
الابناء وطهر عن ملامسة النساء لا تناله الاوهام فتقدره ولا تتوهمه الفطن
فتصوره ولا تدركه الحواس فتحسه ولا تلمسه الايدي فتمسه لا يتغير بحال
ولا يتبدل في الاحوال ولا تبليه الليالي والايام ولا يغيره الضياء والظلام
ولا يوصف بشيء من الاجزاء ولا بالجوارح والاعضاء ولا بعرض من الاعراض ولا
بالغيرية والابعاض ولا يقال له حد ولا نهاية وانقطاع ولا غاية ولا ان الاشياء
تحويه فتقله او تهويه او ان شيئاً يحمله فيميله او يعدله ليس في الاشياء بوالج
ولا عنها بخارج يخبر بلا لسان ولهوات ويسمع لا بخروق وادوات يقول ولا يلفظ لا بلسان
ويحفظ ولا يتحفظ ويريد ولا يضمر يحب ويرضى من غير رقة ويبغض ويغضب
من غير مشقة يقول لمن اراد كونه كن فيكون لا بصوت يقرع ولا نداء يسمع وانما
كلامه سبحانه فعل منه انشاءه ومثله لم يكن من قبل ذلك كائناً ولو كان
قديماً لكان الهاً ثانياً لا يقال كان بعد ان لم يكن فتجري عليه الصفات المحدثات
ولا يكون بينها وبينه فصل ولا له عليها فضل فيستوي الصانع والمصنوع
ويتكافأ المبتدع والبديع خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره ولم يستعن على
خلقها باحد من خلقه وانشأ الارض فامسكها من غير اشتغال وارساها
على غير قرار واقامها بغير قوائم ورفعها بغير دعائم وحصنها من الاود والاعوجاج
ومنعها من التهافت والانفراج ارسى اوتادها وضرب اسدادها واستفاض

عيونها وخد اوديتها ولم يهن ما بناه ولا ضعف ما قواه هو الظاهر عليها
بسلطانه وعظمته وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته والعالي على كل شيء منها
بجلاله وعزته ولا يعجزه شيء منها طلبه ولا يمتنع عليه فيغلبه ولا يفوته السريع
منها فيسبقه ولا يحتاج الى ذي مال فيرزقه خضعت الاشياء له وذلت
مستكينة لعظمته لا تستطيع الهرب من سلطانه الى غيره فتمتنع من نفعه
وضره لا كفؤ له فيكافيه ولا نظير له فيساويه هو المفني لها بعد وجودها
حتى يصير موجودها كمفقودها وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها باعجب من
انشائها واختراعها وكيف ولو اجتمعت جميع حيوانها من طيرها وبهائمها
وما كان من مراحها وسائمها واصناف اسناخها واجناسها ومتبلدة اممها و
اكياسها على احداث بعوضة ما قدرت على احداثها ولا عرفت كيف السبيل
الى ايجادها ولتحيرت عقولها في علم ذلك وتاهت وعجزت قواها وتناهت
ورجعت خاسئة حسيرة عارفة بانها مقهورة مقرة بالعجز عن انشائها
مذعنة بالضعف عن افنائها وانه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء
معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا
حين ولا زمان عدمت عند ذلك الآجال والاوقات وزالت السنون والساعات
فلا شيء الا الواحد القهار الذي اليه مصير جميع الامور بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها
وبغير امتناع منها كان فناؤها ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها لم يتكاءده صنع
شيء منها اذ صنعه ولم يؤده منها خلق ما براه وخلقه ولم يكونها لتشديد
سلطان ولا لخوف من زوال ونقصان ولا للاستعانة بها على ند مكاثر ولا للاحتراز
بها من ضد مثاور ولا للازدياد بها في ملكه ولا لمكاثرة شريك في شركه ولا لوحشة
كانت منه فاراد ان يستأنس اليها ثم هو يفنيها بعد تكوينها لا لسأم دخل عليه في
تصريفها وتدبيرها ولا لراحة واصلة اليه ولا لثقل شيء منها عليه ولا يمله طول بقائها
فيدعوه الى سرعة افنائها لكنه سبحانه دبرها بلطفه وامسكها بامره واتقنها

بقدرته ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه اليها ولا استعانة بشيء منها
عليها ولا لانصراف من حال وحشة الى حال استيناس ولا من حال جهل و
عمى الى علم والتماس ولا من فقر وحاجة الى غنى وكثرة ولا من ذل وضعة
الى عز وقدرة اقول الكيفية في اللغة الصفة والحال التي عليها الشيء عزته
وفي الاصطلاح العلمي هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبة
الى امر خارج عنه ولا قسمة في ذاته ولا نسبة واقعة في اجزائها وبرهان منافاة
الكيفية للتوحيد حاضر في الخطبة الاولى في قوله فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن
قرنه فقد ثناه وظاهر ان من ثناه لم يوحده قوله ولا حقيقته اصاب من مثله
اي اثبت له مثلاً فبرهانه ان المثل للشيء هو المشارك له اما في ذاته او في بعض
اجزائها او في صفة خارجة عنها وهو تعالى لا شريك له في ذاته والا لاحتاج
الى مميز من خارج يكون مقتضى ذاته والا لكان مشتركاً غير مميز بل مقتضى
علة اخرى فيكون واجب الوجود محتاجاً فيما يميزه عن غيره الى غيره هذا
خلف ولا شريك له في بعض الاجزاء والا لكان مركباً فكان ممكناً هذا خلف ولا
في صفة خارجة عن ذاته اذ ثبت انه لا صفة له وراء ذاته وكذلك قوله ولا
اياه عنى من شبهه وصمده اي قصده وقد سبق في الخطبة الاولى امتناع الاشارة
العقلية والوهمية عليه فمن اشار اليه فقد اشار الى غيره فلم يتحقق قصدها اياه
ومدار هذه الاشارات على انه تعالى غير معلوم الذات بالكنه قوله كل معروف
بنفسه مصنوع شرع في البرهان على ذلك وهو صغرى ضمير تقدير كبراه
وكل ما هو مصنوع فهو ليس باله العالم ينتج كل معروف بنفسه فهو ليس باله العالم
وتنعكس بعكس النقيض الى كل ما هو اله العالم فهو غير معروف بنفسه فنجعله
كبرى ونضم اليه صغرى صادقة هي قولنا انه تعالى اله العالم فينتج انه تعالى غير
معروف بنفسه فاما بيان صغرى الضمير فهو ان الحقيقة انما تعلم باجزائها
وكل ذي جزء فهو مركب فله مركب فهو مصنوع قوله وكل قائم في سواه معلول

تنزيه له عن حاجته الى المحل وهو صغرى ضمير كالذي قبله وان شئت فهذه الجملة
في قوة شرطية متصلة هي صغرى ضمير ايضاً تقديره لو كان قائماً في سواه لكان
معلولاً ويستثنى نقيض لازمها لينتج انه ليس بقائم في سواه وبيان الملازمة ان
القائم بغيره محتاج الى الغير فكان معلولاً له ولما يقيمه فيه كما علم في مظانه وكونه
مقدراً معطياً الكل مستحق مقدار ما يستحقه ويقبله من كمال الوجود ولواحقه من
اجل ورزق ونحوهما وغناه تعالى عدم حاجته الى غيره ولا باستفادة تنزيه
له عن غيره ولا يصحبه الاوقات اي ليس هو بذي وقت يقارنه ويحل فيه
وترفده تعينه ولما كان كل مسبوق بالعدم ممكناً كان ما ليس بممكن غير مسبوق
بالعدم فكان تعالى سابق الوجود على كل عدم لغيره والابتداء ازله اي سبقت
ازليته ابتداء العالم وقوله بتشعيره الى قوله له لان المشاعر ان كانت له من
غيره كان محتاجاً الى غيره هذا خلف وان كانت من ذاته فان كانت من كمال الالهية
كان موجداً لها من حيث هو فاقد كمالاً فكان ناقصاً بذاته هذا خلف وان لم
يكن كذلك كان اثباتها له نقصاً لان الزيادة على الكمال نقصان وكذلك قوله بمضادته
الى قوله اذ لو كان له ضد لكان خالقاً لضده ولنفسه وهو محال وكذلك تنزيهه
عن مقارنة الغير بمقارنته بين الاشياء ومضادته بين الاشياء بخلقه الحاملة لطباعها
المتضادة والوضح والوضوح البياض والحرور والبهمة السواد والحرارة والصرد
البرد وتفريقه بين متدانياتها بالفناء وكما جمع بين متعادياتها بالتركيب
والمزج ولا يشمله حد اي لا يحيط به نهاية ولا يدخل في حساب المعدودات وقد
سبق بيانه والادوات الآلات كالحواس ونحوها وقوله منعتها الى قوله التكملة
يعود الى الآلات ويحل منذ وقد ولولا الرفع بالفاعلية والمراد ان اطلاق لفظ
منذ على الآلات كما يقال هذه الآلة وجدت منذ كذا يمنع كونها قديمة اذ كان
وضعها لابتداء الزمان وكذلك يفيد تقريب الماضي من الحال كقولك قد وجدت
هذه الآلة وقت كذا ولا شيء من الازلي تقريب من الحال وكذلك اطلاق لفظ

الى م

لولا عند النظر الالات المستحسنة كما يقال ما احسن هذا لولا كذا فيدل بها على
امتناع كماله لوجود نقصان فيه وانما اشار الى نقصانها وحدوثها ليعلم انها
فى ابعد بعيد عن تقديره وتحديده وقوله بها الى قوله العقول اى بوجودها
الحكم المتفق على ان لها صانعا حكيما وقوله وبها الى قوله العيون اى بايجاده
وخلقها بحيث تدرك بحس البصر علم انه تعالى ليس مثلها وهو كقوله
بتغيره الى قوله لا مشعر له وقيل اراد ان وجودها لما كان سببا لكمال عقولنا
وكمال عقولنا سببا لعلمنا بانه لا يرى بحس البصر كانت اعنى اسبابا فى العلم بانه
لا يرى وقوله اذا لتفاوتت ذاته الى قوله فى غيره بيان لعدم جريان الحركة
والسكون عليه من سبعة اوجه فى قياسات استثنائية اتحد مقدم المتصلات
فيها وتعددت توالها وتقديره فى الاول لو جرت الحركة والسكون عليه
لتفاوتت ذاته ومعنى التفاوت التغير والنقصان بتعاقب الحركة والسكون
عليه والملازمة هنا ظاهرة وفى الثانى ان كل متحرك جسم وكل جسم فله جزء
وفى الثالث ان كل متحرك جسم وكل جسم فليس له من ذاته استحقاق الوجود
فضلا عن استحقاق الازلية التى معناها عدم اولية الوجود فلو كان تعالى
متحركا او ساكنا لم يكن لمعناه حقيقة ازلية بل ان كانت له فمن غيره وفى الرابع
انه لو كان متحركا لكان له امام يتحرك اليه وكل ما له امام فله وراء وفى الخامس انه
لو كان متحركا لالتمس التمام بحركته اذ الحركة لا بد ان يكون عن غاية مطلوبة للمتحرك
هى كمال له فيكون ناقصا بذاته وفى السادس انه لو كان كذلك لكان جسما وفيه
اثار الصنع وآياته وفى السابع انه كان يتحول دليلا لكونه جسما متحركا مصنوعا
يستدل به على صانعه وبطلان اللوازم فى هذه الاقيسة السبعة ظاهر فالملزوم
وهو كونه مما يجرى عليه الحركة والسكون باطل وقوله وخرج بسلطان الامتناع الى
قوله غيره عطف على قوله امتنع وقيل على قوله تجلى اى بها تجلى للعقول وخرج
بسلطان امتناع كونه مثلا لها اى بكونه واجب الوجود عن ان يكون ممكنا فيقبل

اخر

ان غيره ولا يحول اى لا يتغير من حال الى حال والافول الغيبة بعد الظهور ولو
جاز عليه لما كان محبوبا لابراهيم عليه السلام حيث قال لا احب الآفلين وقوله
فيكون محدودا اى بالمحل الخارج عنه وكونه تعالى لا يوصف بعرض اذ لا صفة
له يزيد على ذاته وقد مرت بيانه ولان محل الاعراض للجواهر وهو تعالى ليس بجوهر
فلا يوصف بالاعراض وقوله فيقبله ويبله منصوبان باضمار ان وعليه نسخة
الرضى رحمه الله بخطه وروى مرفوعين على العطف واخباره تعالى يعود الى خلقه
الكلام فى لسان النبى عليه السلام على وفق ما تصوره من المعنى كما سبقت عليه
السلام به وسماعه يعود الى علمه بالمسموعات وحفظه يعود الى علمه بانى الفعل
من الحكمة والمصلحة وهو المعروف بالداعى ومحبته ارادة هى مبدا فعل ما ويقرب
منه الرضى وهو منه تعالى علمه بطاعة العبد له وبغضه ويعود الى كراهيته
وهى علمه بعدم استحقاق العبد الثواب والغضب يعود الى علمه بعصيانه وهو
منزه عن المتعارف من ثوران النفس عن تصور المؤذى المستلزم للمشقة وقوله
لا بصوت يقرع اى ليس بذى حاسة سمع يقرعها الصوت وكذلك لا صوت
له يسمع ومن تفسيره عليه السلام لكلام الله استدلت المعتزلة على كونه
محدثا ومثله اى صورته فى ذهن النبى ولسانه وقيل مثله لجبرئيل فى اللوح المحفوظ
ووجه الملازمة فى قوله ولو كان قديما لكان الها ثانيا انه لو كان قديما لكان
واجب الوجود بذاته لانه لو كان ممكنا لكان صفة له تعالى قائمة بذاته
لامتناع قيام صفة الشئ بغيره فهى ان كانت معتبرة فى كمال الهيئة كان ناقصا
بذاته هذا خلف وان لم يكن كانت زائدة على كماله اللائق والزيادة على الكمال
نقصان فثبت انه لو كان كلامه قديما لكان واجب الوجود لذاته فكان الها
ثانيا وقد ثبت انه تعالى واحد هذا خلف وارساها اثبتها والاود الاعوجاج و
التهافت السقوط والاسداد جمع سد وهو كل ما حجز بين شيئين والكفو المثل و
قوله وليس فناء الدنيا الى قوله واختراعها تنبيه على فساد قول من زعم ان العالم

لا نفى ومفهومه ان الانشاء اعجب ووجه التنبيه قوله وكيف ولو اجتمع الى
قوله افنائها اى وكيف ولو اجتمع الى قوله افنائها اى وكيف يكون الافناء
اعجب من الانشاء والحال ما ذكرنا ومراجعها ما يراح فى مرابطها وسائمها ما ارسل
منها للرعى واسناخها اصولها فان قلت كيف يقرر العقول عن افناء البعوضة
مع امكان ذلك وسهولته قلت ان العبد اذا نظر الى نفسه بالنسبة الى قدرة
الصانع جلت عظمته وجد نفسه عاجزة عن كل شئ الا باذن منه ومعونة وانه
ليس له الا الاعداد لحدوث ما ينسب اليه من الآثار واما نفى وجود الاثر عنه
واهب الكل وايضا فانه تعالى كما خلق للعبد قدرة على النفع والضر كذلك خلق
للبعوضة قدرة على الامتناع والهرب من ضرره بالطيران بل على ان تؤذيه فلا يتمكن
من دفعها عن نفسه فكيف يستسهل العاقل افناءها من غير معونة من صانعها و
حاسبه ذليلة وتكاده الامر شق عليه واده اثقله والتناور المواثب وباقى الاعتبارات
له تعالى ظاهرة وقد مر انها الكلام بيانها وبقيتها عليها وبالله التوفيق و

بحشعي نور اللام

من خطبة له عليه السلام فى الملاحم الا بابى وامى هم من عدة
اسماؤهم فى السماء معروفة وفى الارض مجهولة الا فتوقعوا ما يكون من ادبار
اموركم وانقطاع وصلكم واستعمال صغاركم ذاك حيث تكون ضربة السيف
على المؤمن اهون من الدرهم من حله ذلك حيث يكون المعطى اعظم اجرا من المعطى
ذاك حيث تسكرون من غير شراب بل من النعمة والنعيم وتحلفون من غير اضطرار
وتكذبون من غير احراج ذاك اذا عضكم البلاء كما يعض القتب غارب البعير
ما اطول هذا العناء وابعد هذا الرجاء ايها الناس القوا هذه الازمة التى تحمل
ظهورها الاثقال من ايديكم ولا تصدعوا على سلطانكم فتذموا غب فعالكم ولا
تقتحموا ما استقبلكم من فور نار الفتنة واميطوا عن سننها وخلوا قصد السبيل
لها فقد لعمرى يهلك فى لهبها المؤمن ويسلم فيها غير المسلم انما مثلى بينكم مثل
السراج فى الظلمة يستضئ به من ولجها فاسمعوا ايها الناس وعوا واحضروا

آذان

آذان قلوبكم تفهموا اقول هم مبتدأ خبره مقدم وهو اشارة الى بعض
اولياء الله فيما يستقبل من زمانه عليه السلام ومعرفة اسمائهم فى السماء كناية
عن علو درجتهم عند الله وفى الملأ الاعلى وجهلهم فى الارض كناية عن
خمول ذكرهم بين اهلها كما هو شأن اكثر الاولياء وقوله الا فتوقعوا انذار
بما يكون بعده من الفتن بدولة بنى امية وغيرها المستلزمة لادبار امورهم الصالحة
وانقطاع وصلهم وهى الانتظامات الحاصلة بسبب اتفاق كلمتهم فى وجوده
عليه السلام واستعمال اراذلهم فى تدبير امورهم وقوله ذاك الى قوله البعير
اشارة الى اربع علامات لوقوع ما انذر به احدها بعد الدرهم الحلال على
المؤمن وقلته الى الغاية المذكورة الثانية ان يكون المعطى اعظم اجرا من المعطى
اما لان اكثر اموال المعطين حينئذ مشوبة بالحرام او يقصد فيه الربا فيقل اجره
ويكون المعطى فقيرا ذا عيال فاذا اخذ لسد خلته كان اعظم اجرا من معطيه
الثالث استعار وصف السكر لغفلتهم فى نعمة الدنيا عما ينبغى ويلزم ذلك الايمان
الباطلة من غير ضرورة بل غفلة عن عظمة الله والكذب من غير احراج اى من
غير ضرورة تضيق الاعذار بل يصير ملكة وخلقا الرابعة عض بلاء الفتن
لهم وقوله ما اطول الى قوله الرجاء كلام منقطع عما قبله فكانه قال ذاك حيث
يعضكم البلاء حتى تقولوا ما اطول البحث الذى نحن فيه وابعد رجاءنا الخلاص
منه وهو بقيام المنتظر من الائمة ويحتمل ان يكون متصلا ويكون كلاما له مستأنفا
فى معنى التوبيخ على الحرص فى الدنيا اى ما اطول هذا العناء اللاحق لكم فى طلبها
وما ابعد هذا الرجاء الذى ترجونه منها ويحتمل ان يريد بالعناء الطويل عناءه فى
جذبهم الى الله وبالرجاء رجاءه لصلاحهم واستعار لفظ الازمة للآراء الفاسدة
المتبعة وللاهواء القائدة الى الآثام ولفظ الظهور لانفسهم ولفظ الاثقال للآثام
المثقلة النفوس العاقلة عن النهوض الى حظائر القدس والتصدع التفرق وغب
كل شئ عاقبته واقتحامهم لما يستقبل من نار الفتنة تقحمهم عنه اذا افتراق الآراء

المؤمن

سبب لظهور العدو عليهم وقيام الفتنة به والاماطة والميط التنحي وكنى بالاماطة
بالعدول عن الاراء الفاسدة والتفرق عنها وقوله فلقد عثرتم الى قوله المسلم
من كراماته عليه السلام فان طيبة الدابرة في فتنة بني امية كانت
على من لزم دينه واشتغل بعبادة ربه وخاصة من اهل البيت وذرية الرسول
صلى الله عليه وآله وكانت الغلبة للمنافقين ومن يتقرب الى قلوبهم بالكذب على الله
وعلى رسوله وطلبها دخلها وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام اوصيكم
ايها الناس بتقوى الله وكثرة حمده على آلائه اليكم ونعمائه عليكم وبلائه
لديكم فكم خصكم بنعمة وتدارككم برحمة اعورتم له فستركم وتعرضتم
لاخذه فامهلكم واوصيكم بذكر الموت واقلال الغفلة عنه وكيف غفلتكم عما ليس
يغفلكم وطمعكم فيمن ليس يمهلكم فكفى واعظا بموتى عاينتموهم حملوا الى قبورهم
غير راكبين وانزلوا فيها غير نازلين كانهم لم يكونوا للدنيا عمارا وكأن الآخرة
لم تزل لهم دارا اوحشوا ما كانوا يوطنون ما كانوا يوحشون واشتغلوا بما فارقوا واضاعوا كانوا يوطنون و اوطنوا ما كانوا
ما اليه انتقلوا لا عن قبيح يستطيعون انتقالا ولا في حسن يستطيعون ازديادا انسوا
بالدنيا فغرتهم ووثقوا بها فصرعتهم فسابقوا رحمكم الله الى منازلكم التي امرتم
ان تعمروها والتي رغبتم فيها ودعيتم اليها واستتموا نعم الله عليكم بالصبر على طاعته
والمجانبة لمعصيته فان غدا من اليوم قريب ما اسرع الساعات في اليوم واسرع الايام
في الشهر واسرع الشهور في السنين فاسرع السنين في العمر اقول استعار وصف
الاعوار وهو ابداء العورة لاظهارهم معاصي الله ومحارمه التي ينبغي الاستحياء
منها وما فارقوا من احوال الدنيا وما اليه انتقلوا من الآخرة والمنازل التي امروا بعمارتها
منازل الابرار التي عمارتها بطاعة الله والفضل واضح ومن خطبة له عليه السلام
فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرا في القلوب ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور
الى اجل معلوم فاذا كانت لكم براءة من احد فقفوه حتى يحضره الموت فعند ذلك
يقع حد البراءة والهجرة قائمة على حدها الاول ما كان لله في اهل الارض حاجة من

مستسر

مستسر الامة ومعلنها لا يقع اسم الهجرة على احد الا بمعرفة الحجة في الارض فمن عرفها
واقر بها فهو مهاجر ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها
اذنه ووعاها قلبه ان امرنا صعب مستصعب لا يحمله الا عبد امتحن الله
قلبه للايمان ولا يعي حديثنا الا صدور امينة واحلام رزينة ايها الناس
سلوني قبل ان تفقدوني فلانا بطرق السماء اعلم مني بطرق الارض قبل ان تشغر
برجلها فتنة تطأ في خطامها وتذهب باحلام قومها اقول قسم عليه السلام الايمان
الى قسمين ووجه الحصر فيهما ان الايمان لما كان عبارة عن التصديق بوجود الصانع
وصفاته وصدق رسوله فيما جاء به فتلك الاعتقادات ان بلغت حد الملكات
في النفوس فهو الايمان الثابت المستقر في القلب وان لم يبلغ ذلك بل كانت حالات
في معرض التغير والانتقال فهي العواري واستعار لفظها باعتبار كونها في معرض الزوال
كالعارية التي هي في معرض الاسترجاع وكونها بين القلوب والصدور كناية
عن عدم استقرارها في جواهر النفوس وقيل اراد بالمستقر الايمان بالاخلاص
وبغيره ما كان على وجه النفاق اذ كان ذلك لغرض ثم يزول وقوله فاذا كانت
لكم الى قوله البراءة معناه اذا اردتم التبري من احد من اهل الكتاب فقفوه
الى حال الموت ولا تبادروا الى التبري منه فان اعظم الكبائر الكفر وجاز من الكافر
ان يسلم فاذا بلغ الى منتهى الحيوة ولم يقلع جاز حينئذ البراءة منه قيل وهذه
البراءة هي المطلقة اذ يجوز لنا ان نبرأ من الفاسق في حياته براءة مشروطة
بالاصرار عليها وقوله والهجرة قائمة على حدها الاول اي لما كانت حقيقة الهجرة
لغة ترك منزل الى آخر لم يكن تخصيصها بهجرة الرسول من مكة الى
المدينة ومن بيعته مخرجا لها عن حدها اللغوي واذا كان كذلك كان مراده من بقائها
على حدها الاول صدقها على من هاجر اليه والى الائمة من اهل بيته في طلب دين
الله كصدقها على من هاجر الى الرسول عليه السلام وفي معناها ترك الباطل الى الحق لقوله
تعالى ومن يهاجر في سبيل الله الآية ولقوله صلى الله عليه وآله المهاجر من هاجر ما حرم الله

عليه ولان المقصود من الهجرة ليس الا اقتباس الدين ومعرفة كيفية سبيل الله وهذا
المقصود حاصل ممن يقوم مقام الرسول صلى الله عليه وآله بحيث لا فرق الا النبوة
والامامة ولا مدخل لاحدهما في التوقيف في تخصيص اسم الهجرة بمن قصد الرسول
دون من قصد الائمة فان قلت فقد قال صلى الله عليه وآله لا هجرة بعد الفتح حتى
شفع عمه العباس في نعيم بن مسعود الاشجعي ان يستثنيه فاستثناه قلت يحمل ذلك
على انه لا هجرة من مكة بعد فتحها الى المدينة توفيقا بين الدليلين وسلب الخاص لا يستلزم
سلب العام ومقصوده عليه السلام من هذه الكلمة الدعوة الى الدين واقتباسه
منه ومن اهل بيته عليهم السلام وقوله ما كان الله الى قوله ومعلنها تمام معنى المدة
والهجرة قائمة على حدها الاول مهما كان لله في اهل الارض من مستسر دينه او اظهره حاجة
واستعار لفظ الحاجة لطلبه تعالى العبادة بالاوامر والنواهي ويحتمل ان تكون ما نافية
والكلمة وما قبلها وما بعدها وهو قوله لا يقع اسم الهجرة الى قوله قلبه كلمات منقطعة
منقطعة والحجة في الارض هو امام الوقت ومقتضى الكلام ان اطلاق اسم الهجرة على
طالب الدين مشروط بمعرفة عين الامام وقصده ويحتمل ان يكون الشرط معرفته
بالاخبار دون المشاهدة ويكون اطلاق اسم الهجرة على من عرفه كذلك كاطلاقه على من
ترك الجماع في قوله عليه السلام المهاجر من هجر ما حرم الله عليه وقوله ولا يصدق
الى قوله قلبه فالحجة قول الامام وله مفهومان احدهما ان من بلغته الاحكام من الامام
فوعاها وفهمها وامكنه العمل بها لم يصدق عليه اسم المستضعف كما صدق
على من ذكر تعالى بقوله الا المستضعفين الآية حتى يكون معذورا في ترك الشرع والاخبار
والعمل بها بل يؤاخذ على ترك العمل ويعاقبه وان لم يتكلف النهوض والمهاجرة
اليه في طلب الدين كما قال تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا
فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض الآية وقوله ان امرنا صعب الى قوله امرهم ان شانهم
وما لهم من الكمال الخارج عن كمال غيرهم كالقدرة على ما يخرج عن وسع غيرهم والحديث
عن الامور الغائبة كالوقائع المستقبلة لزمانه التي وقعت وفق اخباره فان هذا

الثاني

الشان صعب في نفسه لا يقدر عليه الا الانبياء والاوصياء والانبياء ومستصعب
الفهم على الخلق محجوبة عن حمل ما يلقى منه من الاشارات ولا يحتمله الا نفس عبد امتحن
الله قلبه للايمان فعرف كمالهم وكيفية صدور مثل هذه الغرائب عنهم ولم يستنكر
ذلك ويتعجب منه ويتلقاه بالتكذيب كما فعل ذلك جماعة من جهال اصحابه بل يتلقى
ما يصدر عنهم بالايمان به واولئك هم اصحاب الصدور الامينة والاحلام الرزينة
واجمع الناس على انه لم يقل احد من الصحابة سلوني غير علي عليه السلام واراد بطرق
السماء وجوه الهداية الى معرفة سكان السماوات من الملأ الاعلى ومراتبهم من حضرة
الربوبية وعلمه بما هنالك اتم من علمه بطرق الارض بمقدار اتصاله بالملأ الاعلى
والانقطاعه عن الدنيا وهذا اعم من قول من قال اراد انه اعلم بالدين وقوانينه منه
بالدنيا واحوالها والفتنة فتنة بني امية وكنى بشغر رجلها عن حلول تلك الفتنة من
تدبير يردها ويحفظ نظام الدين يومئذ واستعار وصف الناقة المرسل خطامها
فهي تخبط فيه وكنى به عن وقوع تلك الفتنة على غير نظام بل يفعل فيها المؤمن البرئ
ويتمتع فيها المنافق الشقي وتذهب باحلام قوم بها اي يستخف ذوي العقول فيخوضون
فيها ويشرعون اليها لغفلتهم فيها عن وجه الحق وبالله التوفيق ومن خطبة له
عليه السلام احمده شكرا لانعامه واستعينه على وظائف حقوقه عزيز الجند
عظيم المجد واشهد ان محمدا عبده ورسوله دعا الى طاعته وقاهر اعداءه جهادا عن
دينه لا يثنيه عن ذلك اجتماع على تكذيبه والتماس لاطفاء نوره فاعتصموا بتقوى الله عنه
فان لها حبلا وثيقا عروته ومعقلا منيعا ذروته وبادروا الموت وغمراته و
امهدوا له قبل حلوله واعدوا له قبل نزوله فان الغاية القيامة وكفى بذلك واعظا لمن
عقل ومعتبرا لمن جهل وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون من الارماس وشدة الابلاس ضيق م
وهول المطلع وروعات الفزع واختلاف الاضلاع واستكاك الاسماع وظلمة اللحد
وخيفة الوعد وغم الضريح وردم الصفيح فالله الله عباد الله فان الدنيا ماضية
بكم على سنن وانتم والساعة في قرن وكأنها قد جاءت باشراطها وازفت بافراطها

انفرشت

ارتقوا

نوابا م

ووقعت بكم على صراطها وكانها قد اشرفت بزلازلها وأناخت بكلاكلها و
انصرفت الدنيا باهلها واخرجتهم من حضنها فكانت كيوم مضى وشهر انقضى وصار
جديدها رثا وسمينها غثا في موقف ضنك المقام وامور مشتبهة عظام ونار
شديد كلبها عال لجبها ساطع لهبها متغيظ زفيرها متأجج سعيرها بعيد
خمودها ذاك وقودها مخوف وعيدها عميق قعرها مظلمة اقطارها حامية
قدورها فظيعة امورها وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا قد
امنوا العذاب وانقطع العتاب وزحزحوا عن النار واطمأنت بهم الدار
ورضوا المثوى والقرار الذين كانت اعمالهم في الدنيا زاكية واعينهم باكية و
كان ليلهم في دنياهم نهارا تخشعا واستغفارا وكان نهارهم ليلا توحشا و
انقطاعا فجعل الله لهم الجنة مآبا والجزاء ثوابا وكانوا احق بها واهلها في ملك
دائم ونعيم قائم فارعوا عباد الله ما برعايته يفوز فائزكم وباضاعته يخسر مبطلكم
وبادروا آجالكم باعمالكم فانكم مرتهنون بما اسلفتم ومدينون بما قدمتم
وكان قد نزل بكم المخوف فلا رجعة تنالون ولا عثرة تقالون استعملنا الله
واياكم بطاعته وطاعة رسوله وعفى عنا وعنكم بفضل رحمته الزموا الارض
واصبروا على البلاء ولا تحركوا بايديكم وسيوفكم وهوى السنتكم ولا تستعجلوا
بما لم يعجله الله لكم فانه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله
واهل بيته مات شهيدا ووقع اجره على الله واستوجب ثواب ما نوى
من صالح عمله وقامت النية مقام اصلاته بسيفه فان لكل شئ مدة واجلا
اقول استعار لفظ الحبل والعروة لما يتمسك به من التقوى فيعتصم به من
النار والمعقل للملجأ كالجبل ونحوه واعدوا له جعلوا له معادا اى التقوى
والارماس القبور والابلاس الانكسار والحزن والمطلع موضع الاطلاع وهو منازل
الآخرة ومحل القيمة واختلاف الاضلاع كناية عن ضغطة القبر المستلزمة لذلك
والصفيح الحجارة يردم بها القبر ويسد بها الشق القعد وارادع على شئ

واحد

واحد وهو طريق الآخرة وفي قرن اى مقترنين والقرن الحبل يقرن به البعيران
واشراط الساعة علاماتها وازفت دنت وافراطها مقدماتها واستعار
لفظ الكلاكل وهي الصدور لاثقالها ولفظ الحضن لحصولهم كأنا فيها لاشتمالها
عليها فمنهم في كالام الحاضنة لهم والرث الخلق والغث الهزيل والضنك
الضيق والكلب الشر واللجب الصوت والساطع المرتفع وذاك المشتعل
والزمرة الجماعة ومبادرة الآجال بالاعمال مسابقتها بها استعدادا لما بعد
الموت ومدينون مجزيون وقوله الزموا الارض الى آخره قيل هو خطاب خاص
بمن يكون بعده من اصحابه ولزوم الارض كناية عن الصبر على المكاره والثبات
في زمن الفتنة وعدم النهوض والجهاد ما لم يقم قائم حق والباقي بايديكم
على المكاره وهوى السنتهم ارادتها للسب والشتم اى لا تحركوا ايديكم
وسيوفكم والسنتكم بهواها ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم من الجهاد
قبل ظهور امام عادل وقوله فانه من مات الى قوله بسيفه بيان لحكمهم
في زمن عدم قيام الامام العادل بعد لطلب الامر بعينه على شرط الصبر
وهو ان من مات منهم على فراشه مع معرفته لحق الله وحق رسوله واهل
بيته والاعتراف بكونهم ائمة الحق والاقتداء بهم لحق بدرجة الشهداء
ووقع اجره على الله بذلك وقام صبره على المكاره وبنيته انه من انصار
الحق واهله مقام جهاده بسيفه في استحقاق الاجر وقوله فان لكل شئ
مدة واجلا تنبيه على ان لجهادهم وقتا يجب فيه ولعدوهم مدة و
دولة لا يجوز نزاعهم فيها مع غير امام حق هذا هو المتبادر الى الفهم من الكلام
والله اعلم ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الفاشي حمده والغالب
جنده والمتعالي جده احمده على نعمه التؤام وآلائه العظام الذي عظم حلمه فعفا
وعدل في كل ما قضى وعلم بما يمضي وما مضى مبتدع الخلائق بعلمه ومنشئهم بحكمه بلا
اقتداء ولا تعليم ولا احتذاء لمثال صانع حكيم ولا اصابة خطاء ولا حضرة

حول

واستغلقت و

حقكم

ابتدئ لم

ووا كظوا ابدا في اكثر النسخ وفي نسخة اخرى واكظوا بالام وبداو واحد لم

سفلاء

مطالبها ح

ملأ واشهد ان محمدا عبده ورسوله ابتعثه والناس يضربون في غمرة ويموجون
في حيرة قد قادتهم ازمة الحين واستغلقت على افئدتهم اقفال الرين
اوصيكم عباد الله بتقوى الله فانها حق الله عليكم والموجبة على الله حقكم وان تستعينوا
عليها بالله وتستعينوا بها على الله فان التقوى في اليوم الحرز والجنة وفي
غد الطريق الى الجنة مسلكها واضح وسالكها رابح ومستودعها حافظ
لم تبرح عارضة نفسها على الامم الماضين والغابرين لحاجتهم اليها غدا
اذا اعاد الله ما ابدى واخذ ما اعطى وسأل عما اسدى فما اقل من قبلها و
حملها حق حملها اولئك الاقلون عددا وهم اهل صفة الله سبحانه اذ
يقول وقليل من عبادي الشكور فاهطعوا باسماعكم اليها والظوا بجدكم
عليها واعتاضوها من كل سلف خلفا ومن كل مخالف موافقا ايقظوا بها نومكم
واقطعوا بها يومكم واشعروها قلوبكم وارحضوا بها ذنوبكم وداووا
بها الاسقام وبادروا بها الحمام واعتبروا بمن اضاعها ولا يعتبرن بكم من
اطاعها الا فصونوها وتصونوا بها وكونوا عن الدنيا نزاها والى الآخرة
ولاها ولا تضعوا من رفعته التقوى ولا ترفعوا من رفعته الدنيا ولا تشيموا
بارقها ولا تسمعوا ناطقها ولا تجيبوا ناعقها ولا تستضيئوا باشراقها ولا تفتنوا
باعلاقها فان برقها خالب ونطقها كاذب واموالها محروبة واعلاقها مسلوبة
الا وهي المتصدية العنون والجامحة الحرون والمائنة الخؤون والجحود الكنود و
العنود الصدود والحيود الميود حالها انتقال ووطأتها زلزال وعزها ذل
وجدها هزل وعلوها سفل دار حرب وسلب ونهب وعطب اهلها على ساق
وسياق ولحاق وفراق قد تحيرت مذاهبها واعجزت مهاربها وخابت مطالبها
واسلمتهم المعاقل ولفظتهم المنازل واعيتهم المحاول فمن ناج معقور ولحم مجزور
وشلو مذبوح ودم مسفوح وعاض على يديه وصافق لكفيه ومرتفق لخديه وزار
على رايه وراجع عن عزمه وقد ادبرت الحيلة واقبلت الغيلة ولات حين مناص

الحيلة م

هيهات

هيهات هيهات فات ما فات الخ

هيهات قد فات ما فات وذهب ما ذهب ومضت الدنيا لحال
بالها فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين اقول الفاشي المنتشر
والجد العظمة والغمرة غلبة الجهل والحين بالفتح الهلاك والرين غطاء الجهل و
غلبة الذنوب للغطية لاعين البصائر واستعار لفظ الاقفال للجهل والذنوب
وتستعينوا بها على الله اى على نيل ثوابه ودفع عقابه وكونها في اليوم حرزا و
جنة اى في الحياة الدنيا لقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا الآية وغدا اى
يوم القيمة ومستودعها بالفتح من اودعها وقبلها وحافظ اى لها او لنفسه من
التورط في الآثام وعذاب الله وعرضها لنفسها كونها صالحة للاخذ والاسداء اسدى
ارسل معروفه واهطعوا باسماعكم اسرعوا بها واكظوا اى داوموا او والظوا
عليها وروى باللام اى الزموا واشعروها قلوبكم اجعلوها شعارا لازما لها
وارحضوا اى اغسلوا والوله التحير من شدة الوجد وشيم البرق انتظار ان
يمطر سحابه والطمع في ذلك واستعار لفظ البارق لما يلوح من اطماعها وكنى
بناطقها عن مادحها وما كشف زينتها من قول او فعل او زينة او متاع وسامعه من
الاصغاء اليه والميل نحوه وناعقها الداعي اليها واستعار لفظ الاشراق للآراء الهادية
الى وجوه تحصيلها ووصف الاستضاءة لاتباع تلك الآراء ويحتمل ان يريد باشراقها
زينتها التي تبهج بها والاستضاءة لذلك الابتهاج به واعلاقها ما يعد فيها نفيسا والخالب
الذي لا مطر معه وقوله فان برقها الى قوله مسلوبة في قوة صغرى ضمير قرب به عنها
تعليلا لتلك النواهي وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فلا ينبغي ان يلتفت اليه والمحروب
الماخوذ باجمعه والمتصدية المتعرضة والعنون الدابة المتقدمة في السير والعنون
كثيره العنق وهو الاعتراض قال بعض الشارحين استعارها وصف المرأة الفاجرة
من شانها التعرض للرجال لتخدعهم عن انفسهم ويحتمل ان يكون استعارة لوصف الدابة
التي تمشي عرض الطريق للدنيا باعتبار كثرة تغيراتها وتقلباتها وجريها على غير قانون
تحفظ فيه واستعار لفظ الجموح والحرون لها باعتبار عدم انقيادها وعدم القدرة على

تصريفها عنه الحاجة اليها والماية الحادثة والكنود الكفور للنعمة والعنود المايلة عن القصد وكذلك الجنود كثيرة الجند وهو الميل والجنود للمتمايلة والحرب بفتح الراء سلب المال وسلب ما يسلب الانسان من ثوب وغيره وعلى ساق كناية عن عدم استقرارهم فيها وقيل الساق الشدة والسياق نزع الروح و السياق مصدر ساقه سياقا وهو ايضا كناية عن الامر الشديد وطاق اى طلاقين وفراق اى لها وتحير مذاهبا عدم الاهتدا الى طرق خيرها ودفع شرها واسند الحيرة الى المذاهب مجازا اى تحير اهلها فى مذاهبها وكذلك اعجزت مصادرها اى اعجزت من طلبها فى مصادرها والمحاول جمع محالة وهى الحيلة وقوله فمن ناج الى قوله عن عزيمة تقسيم لاهلها باعتبار ما نرميهم به من مصايبها والشلو العضو من اللحم بعد البلى وانشلاء الانسان اعضاؤه المتفرقة فى البلى والعبلة الاخذ على غرة والعض على اليدين كناية عن الندم فى الآخرة والموثق بحديه حامل موفقيه تحت خديه متكا وزار على رأيه على رايه اى فى تفريطه وراجع عن عزيمته فى ذلك والمناص مصدر قولك ناص نوصا اى فرّ وراغ ولات حرف سلب وشبه بليس واضمر فيها اسم الفاعل ولا يستعمل الا مع حين وقد يحذف حين والمال القلب والضمير فى مغنت للدنيا ومن خطبة له عليه السلام 7 فى ذم ابليس على استكباره تركه السجود لآدم عليه السلام وانه اول من اظهر العصبية وتبع الحمية وتحذير الناس من سلوك طريقته اقول فى هذه الخطبة فصول الفصل الاول قوله الحمد لله الذى لبس العز والكبرياء واختارهما دون خلقه وجعلهما حمى وحرما على غيره و اصطفاهما لجلاله وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين فقال سبحانه وهو العالم بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس اعترضته الحمية فافتخر على آدم بخلقه وتعصب عليه لاصله فعدو الله امام المتعصبين وسلف المستكبرين

ومن الناس من يسمى هذه الخطبة القاصعة فى اول الخطبة ذكر فى اكثر النسخ

من المستكبرين

الذى

الذى وضع اساس العصبية ونازع الله رداء الجبرية وادرع لباس التعزز وخلع قناع التذلل الا ترون كيف صغره الله بتكبره ووضعه بترفعه فجعله فى الدنيا مدحورا واعد له فى الآخرة سعيرا ولو اراد الله سبحانه ان يخلق آدم عليه السلام من نور يخطف الابصار ضياؤه ويبهر العقول رواؤه وطيب ياخذ الانفاس عرفه لفعل ولو فعل لظلت له الاعناق خاضعة ولخفت البلوى فيه على الملائكة ولكن الله سبحانه يبتلى خلقه ببعض ما يجهلون اصله تمييزا بالاختبار لهم ونفيا للاستكبار عنهم وابعادا للخيلاء منهم فاعتبروا بما كان من فعل الله بابليس اذ احبط عمله الطويل وجهده الجهيد وقد كان عبد الله ستة آلاف سنة لا يدرى امن سنى الدنيا ام من سنى الآخرة عن كبر ساعة واحدة فمن بعد ابليس يسلم على الله بمثل معصيته كلا ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشرا بامر اخرج به منها ملكا ان حكمه فى اهل السماء واهل الارض لواحد وما بين الله وبين احد من خلقه هوادة فى اباحة حمى حرمه على العالمين فاحذروا عدو الله ان يعديكم بدائه وان يستفزكم بخيله ورجله فلعمرى لقد فوق لكم سهم الوعيد واغرق لكم بالنزع الشديد ورماكم من مكان قريب وقال رب بما اغويتنى لازينن لهم فى الارض ولاغوينهم اجمعين قذفا بغيب بعيد ورجما بظن غير مصيب صدقه به ابناء الحمية واخوان العصبية وفرسان الكبر والجاهلية حتى اذا انقادت له الجامحة منكم واستحكمت الطماعية منه فيكم فنجمت الحال من السر الخفى الى الامر الجلى استفحل سلطانه عليكم ودلف بجنوده نحوكم فاقحموكم ولجات الذل واحلوكم ورطات القتل واوطاؤكم اثخان الجراحة طعنا فى عيونكم وحزا فى حلوقكم ودقا لمناخركم وقصدا لمقاتلكم وسوقا بخزائم القهر الى النار المعدة لهم لكم فاصبح اعظم فى دينكم حرجا واورى فى دنياكم قدحا من الذين اصبحتم لهم مناصبين وعليهم متالبين فاجعلوا عليه حدكم وله جدكم فلعمر الله لقد فخر على اصلكم ووقع فى حسبكم ودفع فى نسبكم واجلب بخيله عليكم وقصد برجله سبيلكم يقتنصونكم

لظلت له الاعناق

على

بكل مكان ويضربون منكم كل بنان لا تمتنعون بحيلة ولا تدفعون بعزيمة فى حومة ذل وحلقة ضيق وعرصة موت وجولة بلاء فاطفئوا ما كمن فى قلوبكم من نيران العصبية واحقاد الجاهلية وانما تلك الحمية تكون فى المسلم من خطرات الشيطان ونخواته ونزغاته ونفثاته واعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم والقاء التعزز تحت اقدامكم وخلع التكبر من اعناقكم واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم ابليس وجنوده فان له من كل امة جنودا واعوانا ورجلا وفرسانا ولا تكونوا كالمتكبر على ابن امه من غير ما فضل جعله الله فيه سوى ما الحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد وقدحت الحمية فى قلبه من نار الغضب ونفخ الشيطان فى انفه من ريح الكبر الذى اعقبه الله تعالى به الندامة والزمه آثام القاتلين الى يوم القيمة الا وقد امعنتم فى البغى وافسدتم فى الارض مصارحة لله بالمناصبة ومبارزة للمؤمنين بالمحاربة فالله الله فى كبر الحمية وفخر الجاهلية فانه ملاقح الشنآن ومنافخ الشيطان اللاتى خدع بها الامم الماضية والقرون الخالية حتى اعنقوا فى حنادس جهالته ومهاوى ضلالته ذللا عن سياقه سلسا فى قياده امرا تشابهت القلوب فيه وتتابعت القرون عليه وكبرا تضايقت الصدور به الا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حسبهم وترفعوا فوق نسبهم والقوا الهجينة على ربهم وجاحدوا الله ما صنع بهم مكابرة لقضائه ومغالبة لآلائه فانهم قواعد اساس العصبية ودعائم اركان الفتنة وسيوف اعتزاء الجاهلية فاتقوا الله ولا تكونوا لنعمه عليكم اضدادا ولا لفضله عندكم حسادا ولا تطيعوا الادعياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم وخلطتم بصحتكم مرضهم وادخلتم فى حقكم باطلهم وهم اساس الفسوق واحلاس العقوق اتخذهم ابليس مطايا ضلال وجندا بهم يصول على الناس وتراجمة ينطق على السنتهم استراقا لعقولكم ودخولا فى عيونكم ونفثا فى اسماعكم فجعلكم مرمى نبله وموطئ

يده

يده اقول القصع ابتلاع الماء والجرة وقصعه قصعا صغره وحقره وقيل فى معنى تسميتها بذلك انه عليه السلام خطب بها اهل الكوفة على ناقته وهى تقصع بجرتها فسميت خطبة القاصعة اى الناقة القاصعة وقيل بل لان فيها قصع ابليس وتحقيره واعلم ان مدار هذه الخطبة على النهى عن الكبر والفخر وما يلزمه من الفرقة ووصف اللبس مستعار لوصفه تعالى بالعز والكبرياء واختياره تعالى يعود الى استحقاقه لهما بالذات اذ الممكن لا يليق به التعزز والتكبر من حيث هو ممكن محتاج وخلقه من نور خلقه مشرقا او خلقه مجردا عن العلايق المواد اى لو اراد خلقه كذلك لكان مقدورا له فلم يخلقه من طين ظلمانى كثيف والخيلاء الكبر وقد اشرنا فى الخطبة الاولى الى قصة آدم وهى واضحة هنا والاحباط الابطال وجهده اجتهاده وقد صرح عليه السلام ان ابليس كان من الملائكة وقد نبهنا فى الخطبة الاولى الى وجه الجمع بين ذلك وبين قوله تعالى الا كان من الجن والهوادة الصلح وقوله فمن ذا الذى يسلم على الله اى يرجع اليه سالما ويحل ان يعديكم يغلب على البدل من عدو الله وخيله ورجله كناية عن اعوانه الغالين المضلين واستعار لفظ السهم لما توعدهم به والتغوين والوسوسة ومكان القريب ما اشار اليه النبوى ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم وقوله صلى الله عليه وآله لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السموات والغيب ما غاب عنه فلم يعلمه فقذف بحكم بعيد عن علمه وهو الاغواء والاغراق فى النزع استغراق مد السهم فان قلت فلم قال غير مصيب مع ان ابليس صدق ظنه فى اغواء الناس كما قال تعالى ولقد صدق الى قوله المؤمنين اجيب بوجهين احدها انه ظن اغواءهم يكون منه وكان منهم اختيارا الا انهم احبوا العمى على الهدى فغووا عن الطريق فكان ظنه فى نسبة ذلك اليه غير مصيب وانما تقدمه فى وقوع الغواية منهم وفق ظنه الثانى انه حكمه بانه يغوى الخلق

اجمعين لحكم تاسيدٌ عن ظنٍ غير مُصيب واما استثناؤه للمخلصين فكان
تصديقًا لقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا عن ظنٍ منه الا لك
والحمية المذمومة العصبية فى الباطل واستعار لفظ الجامحة للنفوس التى تقوى
على ابليس له وقوله مجمت الى قوله الجلى اى فظهرت الحال التى كان يروضها ثم تلبى اليه
منكم وتظنها فيكم ومن الغواية من القوة الى الفعل والقاعية الطمع و
ذلك منا ودنا واقحموكم ادخلوكم والوجات جمع وجة بالفتح موضع كالكهف ككالكهف
ونحوه ويستتر به المارة من المطر وغيره والورطة الارض المطمئنة لا طريق
فيها وانتصب طعنا وما بعده على المصادر عن افعالها المقدرة والخزام جمع خزامة
بالكسر وهى الحلقة من شعر يكون فى انف البعير يشد فيها الزمام والمناصبة
المعاداة والتالب الاجتماع وجدهم بامنهم وسطوتهم والوقع فى الغى كناية
عن الوقوع فيه وحومته التى معظمه وما استدار منه على كثرة والسلحة قوم
ذو سلاح يحفظون الثغر وارادوا بالمتكبر على ابن امه قابيل حين قتل اخاه هابيل
من حسد وكبر قبل وانما قال ابن امه دون ابيه لان الوالد الحق هو الام و
اما الاب فلم يصدر منه غير النطفة التى ليست بولد بل جزء مادى له وقوله
الزمه اثام القاتلين اشار الى قوله تعالى من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل الى
قوله جميعا اى يكون اثمه وعقابه فى الشدة كاثم قاتل الناس جميعا وعقابه وقول
الرسول صلى الله عليه وآله من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من
يعمل بها الى يوم القيمة وقابيل اول من سن القتل والشنآن العداوة والمصادمة
المكاشفة والملاقح جمع ملقح بفتح الميم وهو النحل والشنآن البغضان واعنق البعير
فى السير مد عنقه وخطوه والحنادس جمع حندس بالكسر وهو الليل شديد الظلمة و
المجنية الفعل القبيح والاعتزا الانتساب الى اب او قبيلة كقولهم يال فلان
واستعار لفظ الاعتزاء لمن يكفر نعمة الله باعتبار بعدها عنها ومفارقته اياها
بذلك ولفظ الحساد اذ كان النعمة كانه يطردها عنه بكفرانه لها حاسدًا لها

ويحتمل

الوعيد بالحرب او عن اتباعها ومن كتاب له عليه السلام الى معوية فاراد
قومنا قتل نبينا صلى الله عليه وآله واجتياح اصلنا وهموا بنا الهموم وفعلوا
بنا الافاعيل ومنعونا العذب واحلسونا الخوف واضطرونا الى جبل وعر
واوقدوا لنا نار الحرب فعزم الله لنا على الذب عن حوزته والرمى من وراء
حرمته مؤمننا يبغى بذلك الاجر وكافرنا يحامى عن الاصل ومن اسلم من قريش
خلو مما نحن فيه بحلف يمنعه او عشيرة تقوم دونه فهو من القتل بمكان
امن وكان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا احمر البأس واحجم الناس
قدم اهل بيته عليهم السلام فوقى بهم اصحابه حر السيوف والاسنة فقتل
عبيدة بن الحرث يوم بدر وقتل حمزه يوم احد وقتل جعفر يوم مؤتة واراد
من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذى ارادوا من الشهادة ولكن آجالهم
عجلت ومنيته اخرت فيا عجبا للدهر اذ صرت يقرن بى من لم يسع بقدمى
ولم يكن له كسابقتى التى لا يدلى احد بمثلها الا ان يدعى مدع ما لا اعرفه
ولا اظن الله تعالى يعرفه والحمد لله على كل حال   واما ما سألت من دفع قتلة
عثمان اليك فانى نظرت فى هذا الامر فلم اراه يسعنى دفعهم اليك ولا الى غيرك
ولعمرى لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك لا يكلفونك
طلبهم فى بر ولا بحر ولا جبل ولا سهل الا ان طلبه يسوءك وجدانه وزور
لا يسرك لقيانه والسلام لاهله اقول حاصل الفصل ذكر فضيلته عليه السلام
وبلائه فى الاسلام ليتبين قياس غيره اليه ولذلك نعى عليه التعجب من مساواته
بغيره وهموا بنا الهموم ارادوا بنا الارادات وارادوا بالافاعيل الشرور والعذب
طيب العيش وقيل الماء فانه قريبا منعتهم الطعام والشراب والحلس كساء رقيق
يجعل تحت قتب البعير فاستعار وصف الاحلاس لاخافتهم والجبل الوعر
من شعاب مكة وقد كانت قريش حين فشا الاسلام فى القبائل اجتمعت وتعاهدت
على ان لا ينا كحوا بنى هاشم وبنى عبد المطلب ولا يبايعوهم ما نحا زهو لاء الى طالب

فدخلوا معه شعبه وخرج من بني هاشم ابو لهب فظاهر المشركين وقطعوا عنهم
الميرة وحصروهم في ذلك الشعب سنة سبع من النبوة وبقوا كذلك ثلث
سنين لا يخرجون الا في الموسم وعزم الله ارادته الجازمة لهم واختياره
ان تذب عن حوزته دينه وتحمي حرمة دينه وكافرهم يومئذ كحمزة وعباس
وابي طالب على قول فانهم كانوا يمنعون عن رسول الله صلى الله عليه وآله حمية
لاصلهم وبيتهم ومن كان يومئذ قد اسلم من قريش عدا بني هاشم وعبد المطلب
كانوا خالين من ملوك قصد الجهاد فمنهم من كان له عهد وحلف من المشركين يمنعه
ومنهم من كان له عشيرة يحفظه وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وبدر
اسم بئر واحد اسم جبل ومؤتة بالضم اسم ارض بادنى البلقاء دون دمشق
ومن لو شاء ذكره يعني نفسه وواقعة بدر ومؤتة وغيرها من وقائع الرسول
صلى الله عليه وآله مع المشركين مشهورة في التواريخ وقد تركناها على طلاقتها في الاصل
ومن لم يسع بتقدمه كناية عن لم يبالغ في الجهاد والسعي في اقامة الدين والادلاء بالتي
التقرب به وقوله ولا الطف الله بمعرفة كناية عما لا اصل له فان ما لا وجود له لا يعلمه
الله موجودا واما تسليم قتلة عثمان الى معوية فلوجوه منها انه لم يكن ولي دمه
ومنها انه لم يعين قتلته ويدعي عليهم ويحاكمهم الى الامام الحق ومنها انه لا يسهل عليه السلام
تسليمهم قال وهو على المنبر ليعرف قتلة عثمان فقام اكثر من عشرة آلف رجل من المهاجرين
والانصار وغيرهم وصلوا ان مثل هذا الجمع العظيم لا يمكن عليه السلام من اخذهم
وتسليمهم الى غيره ولو امكن ذلك مع ان فيهم من شهد النبي صلى الله عليه وآله بالجنة
كعمار رضي الله اشتغل الاجتهاد وان لا يقتل هذا الجمع العظيم من قواعد الدين برجل واحد
احدث احداثا نقموها عليه وقتلوه لاهلها والزور الزائرون وافر وضرع نظرا
الى فرد اللفظ وقيل هو معمور ومن كتاب له عليه السلام الى معوية وكيف
انت صانع اذا انكشفت عنك جلابيب ما انت فيه من دنيا قد تبهجت بزينتها
وخدعت بلذتها دعتك فاجبتها وقادتك فاتبعتها وامرتك فاطعتها وانه

يوشك

يوشك ان يقفك واقف على ما لا ينجيك منه منجى فاقعس عن هذا الامر وخذ
اهبة الحساب وشمر لما قد نزل بك ولا تمكن الغواة من سمعك والا تفعل
اعلمك ما اغفلت من نفسك فانك مترف قد اخذ منك الشيطان ماخذه
وبلغ فيك امله وجرى منك مجرى الدم والروح ومتى كنتم يا معوية ساسة الرعية
وولاة امر الامة بغير قدم سابق وشرف باسق ونعوذ بالله من لزوم سوابق
الشقاء واحذرك ان تكون متماديا في غرة الامنية مختلف العلانية والسريرة
وقد دعوت الى الحرب فدع الناس جانبا واخرج الي واعف الفريقين من
القتال لتعلم اينا المرين على قلبه والمغطى على بصره فانا ابو حسن قاتل جدك و
خالك واخيك شدخا يوم بدر وذلك معي وبذلك القلب القى عدوي ما استبدلت
دينا ولا استحدثت نبيا واني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين ودخلتم فيه
مكرهين وزعمت انك جئت ثائرا بدم عثمان ولقد علمت حيث وقع دم عثمان
فاطلبه من هناك ان كنت طالبا فكاني قد رايتك تضج من الحرب اذا عضتك
ضجيج الجمال بالاثقال وكاني بجماعتك تدعوني جزعا من الضرب المتتابع والقضاء
الواقع ومصارع بعد مصارع الى كتاب الله تعالى وهي كافرة جاحدة او
مبايعة حائدة اقول استعار الجلابيب لاغطية الهيات البدنية من
محبة الدنيا وملذاتها والجلباب الملحفة وتبهجت تحسنت ويوشك اي
يقرب ولا ينجوا منه الموت وما بعده من اهوال الاخرة التي هو غافل عنها في
الدنيا والواقف له اما الله تعالى او يعني نفسه على سبيل التهديد له بالقتل
واقعس اي تاخر والاهبة الاستعداد وما نزل به اما الحرب او الموت وما بعده
اقامة للمتوقع مقام الواقع النازل والمترف من اطغته النعمة والباسق العالي
وسوابق الشقاء ما سبق منه في القضاء الالهي واللوح المحفوظ في حق كل شقي
قبل وجوده والامنية ما تتمناه نفسك وترجوه من الخلافة واختلاف علانيته
وسريرته كناية عن نفاقه والرين التغطية والمرين على قلبه من غطت عليه

الذنوب والهيات الدنيوية وجده المقتول هو جده لامه عتبة بن ابي ربيعة
ابو هند وخاله الوليد بن عتبة واخوه حنظلة بن ابي سفيان وقتلهم عليه
السلام يوم بدر جميعا والثائر الطالب بالدم والكافرة الجاحدة من اصحاب
معوية اشارة الى المنافقين منهم والمبايعة الحائدة بايعوه وعدلوا عنه
اليه وحاد عن الامر عدل عنه والمقاعة عليه السلام على مقارعتهم ودعاتهم الى
كتاب الله قبل وقوع ذلك من اياته وكراماته ومن وصية له عليه السلام وصى
بها جيشا بعثه الى العدو فاذا نزلتم بعدو او نزل بكم فليكن معسكركم في
قبل الاشراف او سفاح الجبال او اثناء الانهار كيما يكون لكم ردءا ودونكم مردا
ولتكن مقاتلتكم من وجه او اثنين واجعلوا لكم رقبا او صياصي الجبال ومناكب
الهضاب لئلا ياتيكم العدو من مكان مخافة او امن واعلموا ان مقدمة القوم
عيونهم وعيون القوم طلائعهم واياكم والتفرق فاذا نزلتم فانزلوا جميعا واذا
ارتحلتم فارتحلوا جميعا واذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة ولا تذوقوا النوم
الا غرارا او مضمضة اقول المعسكر بالفتح موضع العسكر والاشراف جمع شرف بالفتح
وهو المكان العالي وقبلها بضم القاف قدامها وسفح الجبل اسفله حيث سيل الماء
واثناء الانهار منعطفها والردء العون في المقاتلة وغاية القتال من وجه او
اثنين ان القتال من جهات متفرقة يوجب الضعف والتفرق والرقيب الحافظ
والصياصي للجبال اطرافها العالية والهضاب الجبال المنبسطة على الارض وقطعه
واعلموا الى قوله طلائعهم ارشاد الى وجود التاهب عند رؤية المقدمة او
الطليعة وان قل عددهم وكفة بالكسر اي مستديرة والغرار النوم القليل واستعار
له لفظ المضمضة ومن كتاب له عليه السلام ومن وصية لمعقل بن قيس الرياحي
حين انفذه الى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له اتق الله الذي لا بد لك من لقائه
ولا منتهى دونه ولا تقاتلن الا من قاتلك وسر البردين وغور بالناس ورفه في السير
ولا تسر اول الليل فان الله تعالى جعله سكنا وقدره مقاما لا ظعنا فارح

منتهى
غور بالناس

فيه

فيه بدنك وروح ظهرك فاذا وقفت حين ينبطح السحر او حين ينفجر الفجر
فسر على بركة الله تعالى فاذا لقيت العدو فقف من اصحابك وسطا ولا تدن
من القوم دنو من يريد ان ينشب الحرب ولا تباعد منهم تباعد من يهاب الحرب
حتى ياتيك امري ولا يحملنكم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار اليهم
اقول البردين العداوة والغني والتغوير القيلولة وقوله فاذا وقفت اشارة
الى ما جرت العادة به من وقوف صاحب الجيش وقت السحر لاستعداد اصحابه
للسير وينبطح ينبسط ويتسع وغايته وقوفه في الوسط استواء الى الطرفين
في وصول اوامره اليهما والشنآن البغض والعداوة ومن كتاب له عليه السلام
الى اميرين من امراء جيشه وقد امرت عليكما وعلى من في حيزكما مالك بن الحرث
الاشتر فاسمعا له واطيعا واجعلاه درعا ومجنا فانه ممن لا يخاف وهنه ولا
سقطته ولا بطؤه عما الاسراع اليه احزم ولا اسراعه الى ما البطؤ عنه امثل
اقول الاميران هما زياد بن النضر وشريح بن هاني واستعار له لفظ الدرع و
المجن باعتبار قوته ومنعته لقومه في الحرب والوهن الضعف والسقطة الزلة
في الراي ونحوه وامثل اشبه واولى ومن وصية له عليه السلام لعسكره
قبل لقاء العدو بصفين لا تقاتلوهم حتى يبدؤكم فانكم بحمد الله على حجة وترككم
اياهم حتى يبدؤكم حجة اخرى لكم عليهم فاذا كانت الهزيمة باذن الله فلا
تقتلوا مدبرا ولا تصيبوا معورا ولا تجهزوا على جريح ولا تهيجوا النساء باذى
وان شتمن اعراضكم وسببن امراءكم فانهن ضعيفات القوى والانفس والعقول
ان كنا لنؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات وان كان الرجل ليتناول المراة
في الجاهلية بالفهر او الهراوة فيعير بها وعقبه من بعده اقول المدبر المولى هاربا
المعور الذي امكن من نفسه واعور الفارس ظهر فيه موضع خلل للضرب و
اجهز على الجريح قتله وقد فرق عليه السلام بين هؤلاء البغاة وبين الكفار
بما ذكر من الامور الاربعة وان اوجب قتالهم وقتلهم وهجت الشيء واهجته

ارزئته والنقص مجو مستطيل املس يسحق به الطيب ونحوه والهراوة كالعصا
من الخشب والعقب الولد من الذكر والانثى وكان عليه السلام يقول اذا
لقى العدو محاربا اللهم اليك افضت القلوب ومدت الاعناق وشخصت
الابصار ونقلت الاقدام وانضيت الابدان اللهم قد صرح مكنون الشنآن
وجاشت مراجل الاضغان اللهم انا نشكو اليك غيبة نبينا وكثرة
عدونا وتشتت اهوائنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين
اقول افضت اليه خارجة عن كل شيء وانضيت اهزلت في طاعتك والسعي
الى جهاد عدوك والنضو الجمل الهزيل انهكه السير واضعفه وصرح ظهر والشنآن
العداوة واستعار لفظ المراجل للصدور والقلوب التي هي مظنة الاضغان والاحقاد
باعتبار ثورانها وكان عليه السلام يقول لاصحابه عند الحرب لا تشتدن عليكم
فرة بعدها كرة ولا جولة بعدها حملة واعطوا السيوف حقوقها ووطئوا للجنوب
مصارعها واذمروا انفسكم على الطعن الدعسي والضرب الطلحفي واميتوا
الاصوات فانه اطرد للفشل والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما اسلموا ولكن
استسلموا واسروا الكفر فلما وجدوا عليه اعوانا اظهروه اقول الفصل
من كلام له عليه السلام بصفين وقوله لا تشتدن الى قوله حملة اي اذا
اتبعوا الكر ان فررتم ثم عقبتموها بكرة فلا تشتدن عليكم الفرة
فيتجنبوا اختها فان الكرة كالماحية لها وفيه تنبيه على الامر بالكرة بعد وكذلك
قوله وكذلك قوله ولا جولة وهي الدورة بعدها حملة واذمروا اي حثوا و
الدعسي ذو الاثر والنكاية في العدو والدعس الاثر والطلحفي بكسر الطاء و
فتح اللام الشديد والنسمة الانسان ومن كتاب له عليه السلام الى معوية جوابا
عن كتاب منه اليه واما طلبك الي الشام فاني لم اكن لاعطيك اليوم ما
منعتك امس واما قولك ان الحرب قد اكلت العرب الا حشاشات انفس
بقيت الا ومن اكله الحق فالنار اولى به واما استواؤنا في الحرب والرجال

والطلحفي

فلست

فلست بامضى على الشك مني على اليقين وليس اهل الشام باحرص على الدنيا
من اهل العراق على الاخرة واما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن
ليس امية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا المهاجر كالطليق ولا الصريح
كاللصيق ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن كالمدغل ولبئس الخلف خلف
يتبع سلفا هوى في نار جهنم وفي ايدينا بعد فضل النبوة التي اذللنا
بها العزيز ونعشنا بها الذليل ولما ادخل الله العرب في دينه افواجا و
اسلمت له هذه الامة طوعا وكرها كنتم ممن دخل في الدين اما رغبة واما
رهبة على حين فاز اهل السبق بسبقهم وذهب المهاجرون الاولون
بفضلهم فلا يجعلن للشيطان فيك نصيبا ولا على نفسك سبيلا والسلام
اقول قد كان معوية سال منه عليه السلام ان يعطيه الشام على ان
يكون له في عنقه بيعة ولا طاعة والحشاشة بقية الروح وقوله فلست
بامضى الى قوله اليقين يريد ان حركة معوية في هذا الامر على شك منه في استحقاقه
وطلبه وهو من ذلك على يقين والشاك في امر ليس بامضى في طالبه من المتيقن
له وباقي الفصل افتخار عليه وفيه ايماء الى انه من الطلقاء وتدبير بيانه و
الصريح خالص النسب واللصيق الدعي والادغال الفساد ورذالة
الاخلاق ونعشه رفعه والفوج الجماعة الكثيرة ومن كتاب له عليه السلام
الى عبد الله عباس وهو عامله على البصرة واعلم ان البصرة مهبط ابليس و
مغرس الفتن فحادث اهلها بالاحسان اليهم واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم
وقد بلغني تنمرك لبني تميم وغلظتك عليهم وان بني تميم لم يغب لهم نجم الا طلع
لهم آخر وانهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا اسلام وان لهم بنا رحما ماسة
وقرابة خاصة نحن ماجورون على صلتها ومازورون على قطيعتها فاربع
ابا العباس رحمك الله فيما جرى على يديك ولسانك من خير وشر فانا شريكان
في ذلك وكن عند صالح ظني بك ولا يفيلن رأيي فيك والسلام اقول

الفصل من كلام طويل وكونها مهبط ابليس ومغرس الفتن باعتبار انها
منشاء الفتن والاراء المختلفة والاهواء المتبعة التي منشاؤها ابليس وربما
كان السبب الغالب في ذلك كونها طرفا بعيدا عن مقر الخلفاء وولاة الامر
وليس لما يقع في نفوس من يطمع بالفساد فيها واثارة الفتنة بها من
الوسوسة كامر قريب فتنتشر فيها الفتن ويكثر وكان ابن عباس قد اخذ
بني تميم حين ولي امر البصرة من قبله عليه السلام لما عرفهم به من العداوة
يوم الجمل لانهم كانوا من شيعة طلحة والزبير فحمل عليهم واقصاهم وتنكر
لهم حتى كان يسميهم شيعة عسكر وهو اسم الجمل وحزب الشيطان فاشتد ذلك
على نفر من شيعة علي من بني تميم منهم جارية بن قدامة فكتب بذلك الى علي عليه السلام
شاكيا من ابن عباس فكتب عليه السلام الكتاب المذكور والتنمر التنكر والخلاق
واستعار لفظ النجم لمن يظهر من اشرافهم والوغم الحقد وماسة قريبة قيل
ذلك لاتصال اسلافهم في الياس بن مضر لان هاشم بن عبد مناف بن
قصي بن كلاب بن لوي بن غالب بن فهر بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن
الياس وتميم بن مر بن اد بن طابخة بن الياس واصل مازورون موزورون
فقلب للتجانس واربع اي ارفق وبان وفيالة الرأي ضعفه وبالله التوفيق
ومن كتاب له عليه السلام الى بعض عماله اما بعد فان دهاقين اهل بلدك شكوا
منك قسوة وغلظة واحتقارا وجفوة فنظرت فلم ارهم اهلا لان يدنوا
لشركهم ولا ان يقصوا ويجفوا لعهدهم فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه
بطرف من الشدة وداول لهم بين القسوة والرافة وامزج لهم بين التقريب
والادناء والابعاد والاقصاء ان شاء الله تعالى اقول الدهقان فارسي
معرب والقسوة الشدة والجفاء ضد البر استعار لفظ جلباب وهو الملحفة
لما يشتمل عليه ويتلبس به من اللين والرافة والادالة الادارة وداول بين
القسوة والرافة اي استعمل كلا منهما تارة والمنقول ان هولاء كانوا مجوسا ومن

عامل امير المؤمنين عليه السلام بر بصره و... اهواز و فارس و كرمان

ومن كتاب له عليه السلام الى زياد بن ابيه وهو خليفة عبد الله بن عباس
على البصرة وعبد الله خليفة امير المؤمنين على البصرة والاهواز وفارس و
كرمان اني اقسم بالله قسما صادقا لئن بلغني انك خنت من فيء المسلمين
شيئا صغيرا او كبيرا لاشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر
ضئيل الامر والسلام اقول زياد هذا هو ابن سمية ام ابي بكرة وهو دعي
ابي سفيان واول من دعاه بابن ابيه عائشة حين سئلت لمن تدعى
والشدة الحملة والوفر المال والضئيل الحقير وثقل الظهر بالاثام او بالعائلة
وتدعك اي تتركك والمنصوبات الثلاثة احوال ولا يلزم ان يكون تلك
الاحوال من شدته عليه السلام لا الحال لا يلزم ان يكون من فعل الفاعل
ومن كتاب له عليه السلام اليه ايضا فدع الاسراف مقتصدا واذكر في اليوم
غدا وامسك من المال بقدر ضرورتك وقدم الفضل ليوم حاجتك اترجو
ان يعطيك الله اجر المتواضعين وانت عنده من المتكبرين وتطمع وانت
متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والارملة ان يوجب لك ثواب المتصدقين
وانما المرء مجزي بما اسلف وقادم على ما قدم والسلام اقول التمرغ التقلب
والفصل ظاهر ومن كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن عباس رضي الله عنه
وكان عبد الله يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله
كانتفاعي بهذا الكلام اما بعد فان المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه
فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من آخرتك وليكن اسفك
على ما فاتك منها وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا وما فاتك منها فلا
تأس عليه جزعا وليكن همك فيما بعد الموت اقول حاصل الفصل بيان
ما ينبغي ان يفرح المرء به من الكمالات الاخروية ويحزن لفوته منها وما لا
ينبغي له منها في متاع الدنيا وكمالاتها وقوله فان المرء الى قوله ليدركه كالمقدمة
لذلك اشار فيها الى ان في طبيعة الانسان ان يسر بما يدركه من المطالب ويسائها

سلف

يفوته منها فكانه قال واذا كان في طبيعة المرء ذلك فليكن سرورك بما نلت
الاخرة واسفك على ما يفوتك دون الدنيا وفي قوله ما لم يكن ليفوته وما
لم يكن ليدركه تنبيه على ان ما يفوت ويدرك فواجب في القضاء الالهي
فوته ودركه وفائدة ذلك ان لا يشتد الفرح بما ينال من متاع الدنيا ولا الاسف
على ما يفوت منها لان الفرح بما لا بد من حصوله والاسف على ما لا بد من
فواته جهل وسفه في العقول وما نال من آخرته في الدنيا هو
الكمالات النفسانية الباقية والفصل من لطايف الكتاب ومن كلام له
عليه السلام قاله قبيل موته لما ضربه ابن ملجم لعنه الله وصيتي لكم ان
لا تشركوا بالله شيئا ومحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته اقيموا هذين العمودين
وخلاكم ذم انا بالامس صاحبكم واليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم ان ابق فانا
ولي دمي وان افن فالفناء ميعادي وان اعف فالعفو لي قربة وهو لكم
حسنة فاعفوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله ما فجأني من الموت وارد
كرهته ولا طالع انكرته وما كنت الا كقارب ورد وطالب وجد وما عند الله خير
للابرار قال السيد وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب الا ان فيه هاهنا
زيادة اوجبت تكريره اقول استعار لفظ العمودين لتوحيد الله واتباع
سنة رسوله لقيام الدين بهما وقوله وخلاكم ذم من مدائح العرب ونبه بقوله
انا الى قوله مفارقكم على وجوب العبرة بحاله وقوله وان اعف اي تقدير البقاء
فكانه قال وانا ولي دمي ان اقتص فذاك حقي وان اعف فالعفو لي قربة
ولما كان عليه السلام سيد الاولياء الذين اشتاقوا الى الله واشوق الى لقائه لم يكن
وارد الموت مكروها له ولا منكرا عنده بل محبوبا ومألوفا فجئه الا واتاه
بغتة وشبه نفسه في شدة طلبه للقاء الله يومئذ بالقارب وهو طالب
الماء اذا ورده وبالطالب الواجد لمطلوبه ومن وصية له عليه السلام
بما يعمل في امواله كتبها بعد منصرفه من صفين هذا ما امر به عبد الله علي بن

ابي

ابي طالب امير المؤمنين في ماله ابتغاء وجه الله ليولجه به الجنة ويعطيه
الامنة منها وانه يقوم بذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف وينفق
منه في المعروف فان حدث بحسن حدث وحسين حي قام بالامر بعده و
اصدره مصدره وان لابني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي
وانما جعلت القيام بذلك الى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله وقربة الى
رسول الله صلى الله عليه وآله وتكريما لحرمته وتشريفا لوصلته ويشترط
على الذي يجعله اليه ان يترك المال على اصوله وينفق من ثمره حيث
امر به وهدي له وان لا يبيع من نخيل هذه القرى ودية حتى تشكل ارضها
غراسا ومن كان من امائي اللاتي اطوف عليهن لها ولد او هي حامل فتمسك على
ولدها وهي من حظه فان مات ولدها وهي حية فهي عتيقة قد افرج عنها
الرق وحررها العتق قال السيد قوله عليه السلام والا يبيع من نخلها ودية
فان الودية الفسيلة وجمعها ودي وقوله حتى تشكل ارضها غراسا اي يكثر
غراسها فيراها الناظر على غير الصفة التي عرفها فيشكل عليه امرها ويظنها
غيرها اقول يولجه يدخله والامنة الامن والضمير في قوله مصدره للامر
اي اخرج الحق مخرجه والقطعة في يشترط لعلي ويحتمل ان يكون الحسن وفائدة
النهي عن الفسيل قبل اشكال الارض غراسا انه يحتاج اليه وان النخلة قبل
ان تعلق لم يستحكم جذعها فيضرها قلع فسيلها والطواف هنا كناية عن النكاح
وكني به عنه مستحسن عشرة وقوله فتمسك الى آخره اي ان ثمنها محسوب من نصيب
ولدها وتمسك عليه وقضاؤه عليه السلام بذلك ووصيته بعتق من مات ولدها
من امائه بعد موته بناء على مذهبه في بقاء ام الولد على الرق بعد موت سيدها
المستولد وصحة بيعها وهو مذهب الامامية وقول قديم للشافعي وفي الجديد انها
تعتق بموت سيدها المولى ولا يجوز بيعها وعليه اتفاق فقهاء الجمهور ومن
وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وانما ذكرنا منها

جملا منها ليعلم بها انه عليه السلام كان يقيم عماد الحق ويشرع امثلة العدل في صغير
الامور وكبيرها ودقيقها وجليلها انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له
ولا تروعن مسلما ولا تجتازن عليه كارها ولا تأخذن منه اكثر من حق الله
تعالى في ماله فاذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير ان تخالط ابياتهم ثم امض
اليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ولا تخدج بالتحية لهم ثم
تقول عباد الله ارسلني اليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في اموالكم
فهل لله في اموالكم من حق فتؤدوه الى وليه فان قال قائل لا فلا تراجعه وان
انعم لك منعم فانطلق معه من غير ان تخيفه او توعده او تعسفه او ترهقه
فخذ ما اعطاك من ذهب او فضة وان كانت له ماشية او ابل فلا تدخلها الا
باذنه فان اكثرها له فاذا اتيتها فلا تدخلها دخول متسلط عليه ولا عنيف
به ولا تنفرن بهيمة ولا تفزعنها ولا تسوءن صاحبها فيها واصدع المال صدعين
ثم خيره فاذا اختار فلا تعرضن لما اختاره ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فاذا
اختار فلا تعرضن لما اختار فلا تزال بذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله تعالى
في ماله فاقبض حق الله منه فان استقالك فاقله ثم اخلطهما ثم اصنع مثل الذي
صنعت اولا حتى تأخذ حق الله في ماله ولا تأخذن عودا ولا هرمة ولا مكسورة ولا
مهلوسة ولا ذات عوار ولا تأمنن عليها الا من تثق بدينه رافقا بمال المسلمين
حتى يوصله الى وليهم فيقسمه بينهم ولا توكل بها الا ناصحا شفيقا وامينا حفيظا
غير معنف ولا مجحف ولا ملغب ولا متعب ثم احدر الينا ما اجتمع عندك نصيره
حيث امر الله تعالى به فاذا اخذها امينك فاوعز اليه ان لا يحول بين ناقة
وفصيلها ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بولدها ولا يجهدنها ركوبا وليعدل بين
صواحباتها في ذلك وبينها وليرفه على اللاغب وليستأن بالنقب والظالع و
ليوردها ما تمر به من الغدر ولا يعدل بها عن نبت الارض الى جواد الطرق
وليروحها في الساعات وليمهلها عند النطاف والاعشاب حتى يأتينا بها باذن الله

بمائهم من غير حق اثم

الا باذنه فان اكثرها
له فان اتيتها فلا تدخلها

بدنا

بدنا منقيات غير متعبات ولا مجهودات لنقسمها على كتاب الله تعالى وسنة
نبيه محمد صلى الله عليه وآله فان ذلك اعظم لاجرك واقرب لرشدك ان شاء الله
اقول الروع الفزع ولا تجتازن عليه اي لا يطلب جيازة ماله ولا تخدج التحية اي
لا تنقصها وانعم قال نعم والعسف الاخذ بشدة والارهاق تكليف العسر واصدع
المال اقسمه والعود للمسن من الابل اسن من البازل وكذلك الهرمة عالية السن و
المكسورة التي انكسرت احدى قوائمها والمهلوسة المسلولة والهلاس السل والعوار
بالفتح العيب وتدبغ والمجحف الذي يجحف بالمال في سوقه فيذهب بلحمه واللغب
التعب وأوعز اليه بكذا امره والمصر حلب كل ما في الضرع من اللبن والنقب البعير
يرق اخفافه والغدر جمع غدير الماء والساعات جمع ساعة مصدر قولك ساعة الناقة
اذا اهملت تسوع سوعا وساعة اي يوجدها الراحة في سوقها بالقبض والتأني عليها
في المرعى والنطاف المياه القليلة والبدن السمان والمنقيات التي صارت من
سمنها ذات نقي وهو مخ العظم وشحم العين ومقاصد الوصية ظاهرة وبالله التوفيق
ومن عهد له عليه السلام الى بعض عماله وقد بعثه الى الصدقة امره بتقوى الله
تعالى في سرائر امره وخفيات اعماله حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه وامره ان
لا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف الى غيره فيما اسر ومن لم يختلف سره وعلانيته
وفعله ومقالته فقد ادى الامانة واخلص العبادة وامره ان لا يجبههم ولا يعضههم
ولا يرغب عنهم تفضلا بالامارة عليهم فانهم الاخوان في الدين والاعوان على
استخراج الحقوق وان لك في هذه الصدقة نصيبا مفروضا وحقا معلوما وشركاء
اهل مسكنة وضعفاء ذوي فاقة وانا موفوك حقك فوفهم حقوقهم والا
فانك من اكثر الناس يوم القيامة خصوما وبؤسا لمن خصمه عند الله الفقراء و
المساكين والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل ومن استهان بالامانة
ورتع في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها فقد احل بنفسه في الدنيا وهو في الآخرة
اذل واخزى وان اعظم الخيانة خيانة الامة وافظع الغش غش الائمة اقول

الضمير في قوله أمره يعود إلى المعهود إليه وقوله وأمره إلى قوله فيما أسر أي
لا يخالف بين ظاهر عمله في طاعة الله وبين باطنه وعضهه عضيهة رماه
بالبهتان والكذب ولا يرغب عنهم ويترفع عليهم وقوله إلى قوله للحقوق
صغرى ضمير نبه فيها على وجوب الانتهاء عن المنهيات المذكورة وتقدير كبراه وكل
من كان كذلك فلا يجوز أن يفعل به دون ذلك والمستحقون للصدقة والبؤس
الشدة والفقير من له بلغة من العيش لا يكفيه والمسكين هو الذي لا شيء له و
المدفوعون قيل هم السائلون لدفعهم عند السؤال وقيل هم العاملون عليها باعتبار
أنهم يدفعون إلى الجباية أو يدفعهم المسؤول هل عليه زكاة أم لا أعني نفسه والغارم
من لزمه الدين في غير معصية وابن السبيل هو المنقطع به في السفر يعطى من
الصدقة وإن كان غنيا في بلده وأفظع الغش أشده ومن كتاب له عليه السلام
إلى محمد بن أبي بكر رحمه الله لما قلده مصر فاخفض لهم جناحك وألن لهم جانبك
وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم
ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم فإن الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة
من أعمالكم والكبيرة والظاهرة والمستورة فإن يعذب فأنتم أظلم وإن يعف فهو أكرم
واعلموا عباد الله أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا أهل
الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم سكنوا الدنيا بأفضل ما
سكنت وأكلوها بأفضل ما أكلت فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون
وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر
المربح أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم وتيقنوا أنهم جيران الله غدا في آخرتهم
لا ترد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب من لذة فاحذروا عباد الله الموت وقربه
وأعدوا له عدته فإنه يأتي بأمر عظيم وخطب جليل بخير لا يكون معه
شر أبدا أو شر لا يكون معه خير أبدا فمن أقرب إلى الجنة من عاملها ومن أقرب
إلى النار من عاملها وأنتم طرداء الموت إن أقمتم له أخذكم وإن فررتم منه أدرككم

من عدلك عليهم

في آخرتهم

وهو

وهو ألزم لكم من ظلكم والموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلفكم
واحذروا نارا قعرها بعيد وحرها شديد وعذابها جديد دار ليس فيها رحمة
ولا تسمع فيها دعوة ولا تفرج فيها كربة فإن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله وأن يحسن ظنكم به
فاجمعوا بينهما فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه وإن
أحسن الناس ظنا بالله أشدهم خوفا لله واعلم يا محمد بن أبي بكر أني قد وليتك أعظم
أجنادي في نفسي أهل مصر فأنت محقوق أن تخالف على نفسك وأن تنافح عن
دينك ولو لم يكن لك إلا ساعة من الدهر ولا تسخط الله برضى أحد من خلقه فإن
في الله خلفا من غيره وليس من الله خلف في غيره صل الصلاة لوقتها ولا تعجل
وقتها لفراغ ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال واعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلاتك
والسلام أقول خفض الجناح كناية عن التواضع وبسط الوجه كناية عن البشاشة
والطلاقة والضمير في عليهم للضعفاء وقيل للعظماء وقوله ذهبوا إلى قوله الآخرة
أي حصلوا على ذلك وقوله بأفضل ما سكنت وبأفضل ما أكلت أي استعملوها
على الوجه الذي ينبغي لهم والذي أمروا باستعمالها عليه وذلك هو أفضل الوجوه و الزاد
المبلغ هو التقوى واستعار لها لفظ المتجر ولعامل الجنة العامل لها واستعار وصف
الطي لتقضي أحوال الدنيا وأيامها التي يقطعها الإنسان وروي وعذابها جديد وهو
كقوله تعالى ولهم مقامع من حديد ونحوه وقوله بينهما أي بين شدة الخوف وحسن
الظن به واعلم أنه عليه السلام لم يجعل أحدهما علة الآخر بل أشار إلى تلازمهما
لأنهما معلولا علة واحدة وهي معرفة الله وقبولهما للشدة والضعف بحسب قبولها
في نفس العبد إلا أن كلا منهما يستند إلى اعتبار من المعرفة خاص يكون مبدأ قريبا له
أما في حسن الظن والرجاء فأن يلحظ العبد من ربه صفات رحمته وجوده ورأفته
ووعده وأما في الخوف فأن يلحظ منه أوصاف عظمته وبأسه وسطوته وقوله
ووعيده وبحسب تفاوت تلك الاعتبارات يكون اشتداد الخوف ولوازمه من
انقباض الجوارح عن المعاصي ونحول الأبدان وغير ذلك وتخالف على نفسك أي الأمارة

بالسوء في هواها والمنافحة المضاربة والمخاصمة والخلف العوض وإنما كان
كل عمل له تبعا لصلاته لأنها عمود الدين قال رسول الله صلى الله عليه وآله أول
ما يحاسب به العبد الصلاة فمن تمت صلاته سهل عليه غيرها من العبادات
ومن نقصت صلاته فإنه يحاسب عليها وعلى غيرها ومن هذا العهد
فإنه لا سواء إمام الهدى وإمام الردى وولي النبي وعدو النبي ولقد قال لي
رسول الله صلى الله عليه وآله إني لا أخاف على أمتي مؤمنا ولا مشركا أما المؤمن
فيمنعه الله بإيمانه وأما المشرك فيقمعه الله بشركه ولكني أخاف عليكم كل منافق
الجنان عالم اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون أقول أشار بإمام الهدى وولي
النبي إلى نفسه وبإمام الردى وعدو النبي إلى معاوية تنفيرا عنه وتقمعه تقهره
وتذله وعلم اللسان قول الحق الذي يعرفونه ومن كتاب له عليه السلام
إلى معاوية جوابا وهو من محاسن الكتاب أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر
فيه اصطفاء الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وآله لدينه وتأييده إياه بمن
أيده من أصحابه فلقد خبأ لنا الدهر منك عجبا إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله
عندنا ونعمته علينا في نبينا فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر أو داعي
مسدده إلى النضال وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان
فذكرت أمرا إن تم اعتزلك كله وإن نقص لم يلحقك ثلمه وما أنت والفاضل و
المفضول والسائس والمسوس وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين
المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم هيهات لقد
حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها ألا تربع أيها الإنسان على
ظلعك وتعرف قصور ذرعك وتتأخر حيث أخرك القدر فما عليك غلبة
المغلوب ولا لك ظفر الظافر وإنك لذهاب في التيه رواغ عن القصد ألا ترى
غير مخبر لك لكن بنعمة الله أحدث أن قوما استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين
ولكل فضل حتى إذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء وخصه رسول الله صلى الله

عليه

عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه أولا ترى أن قوما قطعت أيديهم في
سبيل الله ولكل فضل حتى إذا فعل بواحدنا كما فعل بواحدهم قيل الطيار
في الجنة وذو الجناحين ولولا ما نهى الله تعالى عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر
فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين فدع عنك من
مالت به الرمية فإنا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا لم يمنعنا قديم عزنا
وعادي طولنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء ولستم
هناك وأنى يكون ذلك كذلك ومنا النبي ومنكم المكذب ومنا أسد الله ومنكم أسد
الأحلاف ومنا سيدا شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار ومنا خير نساء
العالمين ومنكم حمالة الحطب في كثير مما لنا وعليكم فإسلامنا ما قد سمع وجاهليتنا
لا تدفع وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله تعالى وأولوا الأرحام بعضهم أولى
ببعض في كتاب الله وقوله تعالى إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي
والذين آمنوا والله ولي المؤمنين فنحن مرة أولى بالقرابة وتارة أولى بالطاعة
ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله
فلجوا عليهم فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم
وزعمت أني لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت فإن يكن ذلك كذلك فليست الجناية
عليك فيكون العذر إليك وتلك شكاة ظاهر عنك عارها وقلت إني كنت
أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع ولعمر الله لقد أردت أن تذم فمدحت وأن
تفضح فافتضحت وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكا في
دينه ولا مرتابا بيقينه وهذه حجتي إلى غيرك قصدها ولكني أطلقت لك منها
بقدر ما سنح من ذكرها ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان فلك أن تجاب
عن هذه لرحمك منه فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله أمن بذل له نصرته
فاستقعده فتراخى عنه وبث المنون إليه حتى أتى قدره عليه كلا والله
لقد علم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس

الا قليلا وما كنت اعتذر من انى كنت انقم عليه احداثا فان كان الذنب
اليه ارشادى وهدايتى له فرب ملوم لا ذنب له وقد يستفيد الظنة
المتنصح وما اردت الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت
واليه انيب وذكرت انه ليس لى ولا لاصحابى عندك الا السيف فلقد اضحكت
بعد استعبار متى الفيت بنو عبد المطلب عن الاعداء ناكلين وبالسيوف
مخوفين فلبث قليلا يلحق الهيجا حمل فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما
تستبعده وانا مرقل نحوك فى جحفل من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان
شديد زحامهم ساطع قتامهم متسربلين سرابيل الموت احب اللقاء اليهم لقاء
ربهم قد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية قد عرفت مواقع نصالها فى
اخيك وخالك وجدك واهلك وما هى من الظالمين ببعيد اقول طفق مثل اخذ
وجعل وقوله لجاب التمر الى هجر وداعى مسددة للنضال مثلان يضربان لمن
يحمل الشىء الى معدنه لينتفع به فيه وهو الى ان يؤخذ عنه واراد ان الاخبار
ببلاء الله عندنا ونعمته علينا ينبغى ان يؤخذ عنا ولا يليق ان تخبرنا انت
به وهجر مدينة بالبحرين والنضال المراماة واصله ان يدعو الانسان استاذه
فى الرمى ومسدده فيه الى المراماة وهو اولى بان يدعوه الى ذلك وقد كان معوية
فى كتابه ذكر درجات الصحابة فى فضلهم حسب ترتيبهم فى الخلافة فاقتضى
ذلك تفضيلهم عليه فانه كقوله وذكرت الى آخره والتلو الكس والنقصان
وما كونه طليقا وابن طليق فالمنقول ان رسول الله صلى الله عليه وآله حين
فتح مكة قال يا معشر قريش ما ترون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن
اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء وكان فيهم معوية وابو سفيان وقوله
حن قدح ليس منها واصله ان احد قداح الميسر اذا كان ليس من جوهر باقى
القداح ثم احاله المفيض خرج له صوت يخالف اصواتها فتعرف
به انه ليس من جملتها فضرب مثلا لمن يفتخر بقوم وليس فيهم مع انه

ليس

ليس منهم او ليس من متقدميهم فى الفضل وقوله وطفق الى قوله
مثل آخر يضرب لمن يحكم فى قوم وهو من اراذلهم وليس للحكم باهل والا
تربع اى تقف وترفق بنفسك والظلع العرج والذرع بسط اليد واستعار
لفظ الظلع لقصوره عن رتبة السابقين كالظالع وقصور ذرعه كناية
عن عجزه عن تناول تلك المرتبة والتيه الضلال وشهيدهم عمه حمزة
بن عبد المطلب رضى الله عنه وخصه بسبعين تكبيرة فى اربع عشرة
صلاة والذى قطعت يداه منهم اخوه جعفر بن ابى طالب رضى الله عنه
وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله ذى الجناحين بذلك الاعتبار والطيار
فى الجنة والذاكر يعنى نفسه ولا تمجها اى لا يلفظها وقوله من مالت به الرمية
كالمثل يضرب لمن عدل به عن الحق اغراضه الباطلة والرمية الصيد
يرمى واصل المثل ان الرجل يقصد قصدا فيعرض له الصيد فيتبعه
فيميل به عن قصده الاصلى والصفة الحسنة وقوله والناس بعد صنائع
لنا اذ كان كل فضل وشرف للعرب فمنهم مبداؤه وقوله وانى يكون ذلك
كذلك اى وكيف يكون الكفاء لنا والمكذب ابو جهل واسد الله حمزة بن
عبد المطلب واسد الاحلاف هو اسد بن عبد العزى والاحلاف هم
عبد مناف وزهرة واسد وتيم والحرث بن فهر وسموا الاحلاف لتحالفهم
على محاربة بنى قصى فى ايام ارادة بهم وصبية النار قيل هم صبية عقبة
بن ابى معيط حيث قال له الرسول صلى الله عليه وآله لك ولهم النار و
خير نساء العالمين فاطمة عليها السلام وحمالة الحطب ام جميل بنت حرب
عمة معوية كانت تحمل حزم الشوك فتنثرها فى طريق النبى صلى الله عليه وآله
وقوله وجاهليتنا لا تدفع اى لا يدفع شرفنا وفضلنا فيها وقوله يجمع لنا ما
شذ عنا اى من هذا الامر وهو احتجاج بالكتاب العزيز على اولويته من غيره بامر
الخلافة ووجه الاحتجاج بالآية الاولى انه من اخص اولى الارحام برسول الله وكل

من كان كذلك فهو اولى به وبالقيام مقامه والثانية انه كان اقرب الخلق الى
اتباع الرسول عليه السلام واول من آمن به وصدقه وافضل من اخذ عنه الحكمة
وكل من كان كذلك فهو اولى بمقامه وبعضه والفلج الفوز والظفر وحجة
قريش على الانصار قوله صلى الله عليه وآله الائمة من قريش والفلج به اى بالرسول
عليه السلام وتقرير الحجة ان غلب قريش للانصار وان كان بالرسول عليه السلام
وقربهم منه فنحن اولى بذلك لكوننا اقرب منهم اليه وان كان بغير ذلك
فدعوى الانصار فى الامامة قائم اذ لم يكن فى الخبر ما يدل على بطلانها وقوله
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها مثل يضرب لمن ينكر امرا
لا يلزمه انكاره والبيت لابى ذويب واوله وعيرها الواشون انى احبها
وظاهر زايل والمخشوش الذى جعل فى انفه الخشاش وهو خشبة يقاد بها
والغضاضة الذلة والمنقصة وكون ما ذكره معوية من ذلك فضيحة له باعتبار
انه لم يفرق بين ما يمدح به ويذم ولانه على تقدير ان يكون بيعته للائمة قبله
كرها وهو افضل الناس اوفى فضلائهم لا ينعقد الاجماع بدونه فيكون
خلافتهم مدخولة فيكون ذلك طعنا فيهم وفى ولايته من قبلهم وهو فضيحة وقوله
ای م الى غيرك قصدها الى الذين ظلمتهم وسنح عرض وخطر واغرى عليه اشد عدوانا
ومقاتله وجوه قتله ومعايبه الى قتل بها وقد كان عليه السلام عرض نصرته له
عليه فقال لا اريد نصرتك ولكن اقعد عنى لبيعته اياه بالمشاركة فى امره وكان
قد استصرخ بمعوية فما زال يعده ويتاخر عنه الى ان قتل وقوله فرب ملوم
لا ذنب له مثل لاكثم بن صيفى لمن ظهر للناس منه امرا انكروه عليه وهم
لا يعرفون حجته وعذره فيه وكذلك وقد يستفيد الظنة المتنصح يضرب مثلا
لمن يبالغ فى النصيحة حتى يتهم انه غاش فضربه لنفسه فى نصيحته لعثمان وصدر
البيت وكم سقت فى آثاركم من نصيحة والظنة التهمة وقوله اضحكت بعد
استعبار كناية ابلغ العجب اذ كان الضحك بعد البكاء انما يكون من عجب بالغ والغيث

وجوت

وجوت والنكول التاخر جبنا وقوله فلبث قليلا يلحق الهيجا حمل مثل يضرب
للوعيد بالحرب قاله حمل بن بدر فى بعض وقايعه والارقال ضرب من السير السريع
والجحفل الجيش العظيم والساطع المرتفع والقتام الغبار واستعار لفظ السرابيل وهى
القمصان اما للدروع او لعدة للموت الجارية مجرى الاكفان وقد سبق ذكر اخيه وخاله
وجده وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام الى اهل البصرة وقد كان من
انتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تغبوا عنه فعفوت عن مجرمكم ورفعت عن
مدبركم وقبلت من مقبلكم فان خطت بكم الامور المردية وسفه الآراء الجائرة
الى منابذتى وخلافى فها انا ذا قد قربت جيادى ورحلت ركابى ولئن الجأتمونى
الى المسير اليكم لاوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل اليها كلعقة لاعق مع انى
عارف لذى الطاعة منكم فضله ولذى النصيحة حقه غير متجاوز متهما الى برى
ولا ناكثا الى وفى اقول كنى بانتشار حبلهم عن تفرقهم عنه ونكثهم لبيعته و
تغبوا عنه لم تفطنوا له يقال غبيت عن الشىء وغبيته اذا جهلته ولم تفطن له و
المردية المهلكة والمنابذة المخالفة وكنى بتقريب جياده وترحيل ركابه عن استعداده
للكرة عليهم وشبه وقعة الجمل والنسبة الى الوقعة التى توعدهم بها باللعقة
فى للحقارة وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام الى معوية فاتق الله فيما لديك
وانظر فى حقه عليك وارجع الى معرفة ما لا تعذر بجهالته فان للطاعة اعلاما واضحة
وسبلا نيرة ومحجة نهجة وغاية مطلبة يردها الاكياس ويخالفها الانكاس من نكب
عنها جار عن الحق وخبط فى التيه وغير الله نعمته واحل به نقمته فنفسك نفسك
فقد بين الله لك سبيلك وحيث تناهت بك امورك فقد اجريت الى غاية خسر
ومحلة كفر وان نفسك قد اولجتك شرا واقحمتك غيا واوردتك المهالك و اوجلتك
اوعرت عليك المسالك اقول ما لديه هو مال المسلمين وبلادهم وما لا يعذر
بجهالته هو وجوب طاعة الله وطاعة رسوله ايمة الحق من بعده والمحجة الطريق
الواضح ومطلبه بتشديد الطاء وفتح اللام مطلوبة جدا واعلام طاعة الله الكتاب والسنة

وايمة الحق وهي السبل النيرة والطريق المضية وغايتها المطلوبة الحصول
على السعادة الباقية الاخروية والاكياس العقلاء والانكاس جمع نكس بكسر النون
وهو الدني من الرجال ونكب عدل والتيه الضلال وسبيله سبيل الطاعة المامول
بسلوكها وقوله وحيث الى قوله وعمله كنفو في حيث معنى الشرط وجوابه فقد
والمراد اي موضع ومقام وصلت تلك الامور كسر واحالك اليه فقد وصلت فيه
الى غاية خيبة اي غاية مستلزمة للخسر في الآخرة يقال اخوى الى غاية كذا اذا
قصدها وتسنى اليها واولجته نفسه شرا اي ادخلته نفسه الامارة بسوء في
شر الدنيا والآخرة وهو مخالفة طاعة الله ورسوله وامام الحق وروى اوحلتك
واقحمتك ادخلتك والغي الجهل واراد بالمهالك الشبهات والمودية واوعرت
صعبت وصد جميع ذلك هو النفس الامارة بالسوء وبالله التوفيق ومن
وصيته له عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام كتبها اليه بحاضرين عند انصرافه
من صفين اقول وروى انه عليه السلام كتبها الى ابنه محمد بن الحنفية رضي الله
عنه وهي من افصح الكلام وابلغه واجمعه لدقايق الحكمة العلمية ولطايفها وفيها
فصول الفصل الاول قوله من الوالد الفان المقر للزمان المدبر العمر المستسلم
للدهر الذام للدنيا الساكن مساكن الموتى الظاعن عنها غدا الى المولود المؤمل
ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك غرض الاسقام ورهينة الايام ورمية
المصايب وعبد الدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا واسير الموت وحليف
الهموم وقرين الاحزان ونصب الآفات وصريع الشهوات وخليفة الاموات اما
بعد فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عني وجموح الدهر علي واقبال الآخرة الي
ما يزعني عن ذكر من سواي والاهتمام بما وراي غير اني حيث تفرد بي دون هموم
الناس هم نفسي فصدفني راي وصرفني عن هواي وصرح لي محض امري
فافضى بي الى جد لا يكون فيه لعب وصدق لا يشوبه كذب وجدتك بعضي بل وجدتك
كلي حتى كان شيئا لو اصابك اصابني وكان الموت لو اتاك اتاني فعناني من امرك

من امرك ما يعنيني من امر نفسي فكتبت اليك كتابي هذا مستظهرا به ان انا بقيت
لك او فنيت فاني اوصيك بتقوى الله اي بني ولزوم امره وعمارة قلبك
بذكره والاعتصام بحبله واي سبب اوثق من سبب بينك وبين الله ان انت اخذت به احي
قلبك بالموعظة وامته بالزهادة وقوه باليقين ونوره بالحكمة وذلله
بذكر الموت وقرره بالفناء وبصره فجايع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش
تقلب الليالي والايام واعرض عليه اخبار الماضين وذكره بما اصاب من كان
قبلك من الاولين وسر في ديارهم وآثارهم فانظر ما فعلوا وعما انتقلوا واين
حلوا ونزلوا فانك تجدهم قد انتقلوا عن الاحبة وحلوا دار الغربة وكانك
عن قليل قد صرت كاحدهم فاصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك ودع القول
فيما لا تعرف والخطاب فيما لم تكلف وامسك عن طريق اذا خفت ضلالته
فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال وامر بالمعروف تكن
من اهله وانكر المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك وجاهد في الله
حق جهاده ولا تاخذك في الله لومة لائم وخض الغمرات الى الحق حيث كان و
تفقه في الدين وعود نفسك التصبر على المكروه ونعم الخلق التصبر والجئ
نفسك في الامور كلها الى الهك فانك تلجئها الى كهف حريز ومانع عزيز و
اخلص في المسالة لربك فان بيده العطاء والحرمان واكثر الاستخارة وتفهم
وصيتي ولا تذهبن عنها صفحا فان خير القول ما نفع واعلم انه لا خير في علم لا ينفع و
لا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه اي بني اني لما رايتني قد بلغت سنا ورايتني ازداد
وهنا بادرت بوصيتي اليك خصالا منها ان يعجل بي اجلي دون ان افضي اليك
بما في نفسي او ان انقص في راي كما نقصت في جسمي او يسبقني اليك بعض غلبات
الهوى او فتن الدنيا فتكون كالصعب النفور وانما قلب الحدث كالارض الخالية ما القي فيها من شيء قبلته فبادرتك بالادب قبل
ان يقسو قلبك ويشتغل لبك لتستقبل بجد رايك من الامر ما قد
كفاك اهل التجارب بغيته وتجربته فيكون قد كفيت مؤنة الطلب وعوفيت
من علاج التجربة فاتاك من ذلك ما قد كنا ناتيه واستبان لك ما ربما اظلم علينا منه

اي بني اني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في اعمالهم وفكرت
في اخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كاحدهم بل كاني بما انتهى الي من
امورهم قد عمرت مع اولهم الى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه
من ضرره فاستخلصت لك من كل امر نخيلته وتوخيت لك جميله وصرفت
عنك مجهوله ورايت حيث عناني من امرك ما يعني الوالد الشفيق واجمعت
عليه من ادبك ان يكون ذلك وانت مقبل العمر ومقتبل الدهر ذو نية سليمة
ونفس صافية وان ابتدئك بتعليم كتاب الله عز وجل وتاويله وشرايع
الاسلام واحكامه وحلاله وحرامه لا اجاوز ذلك بك الى غيره ثم اشفقت
ان يلتبس عليك ما اختلف فيه من اهوائهم وارائهم مثل الذي التبس
عليهم فكان احكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له احب الي من اسلامك
الى امر لا آمن عليك فيه الهلكة ورجوت ان يوفقك الله تعالى لرشدك وان
يهديك لقصدك فعهدت اليك وصيتي هذه واعلم يا بني ان احب ما انت
آخذ به الي من وصيتي تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك والاخذ
بما مضى عليه الاولون من آبائك والصالحون من اهل بيتك فانهم لم يدعوا ان
نظروا لانفسهم كما انت ناظر وفكروا كما انت مفكر ثم ردهم آخر ذلك الى الاخذ
بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا فان ابت نفسك ان تقبل ذلك دون ان
تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات وعلو
الخصومات وابدا قبل نظرك في ذلك بالاستعانة عليه بالهك والرغبة
اليه في توفيقك وترك كل شايبة اولجتك في شبهة او اسلمتك الى ضلالة فاذا
ايقنت ان قد صفا قلبك فخشع وتم رايك واجتمع وكان همك في ذلك هما واحدا
فانظر فيما فسرت لك وان انت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ نظرك
وفكرك فاعلم انك انما تخبط العشواء وتتورط الظلماء وليس طالب الدين من
خبط او خلط والامساك عن ذلك امثل فتفهم يا بني وصيتي واعلم ان مالك الموت

هو

هو مالك الحياة وان الخالق هو المميت وان المفني هو المعيد وان المبتلي هو
المعافي وان الدنيا لم تكن لتستقر الا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء
والجزاء في المعاد وما شاء مما لا نعلم فان اشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك
به فانك اول ما خلقت جاهلا ثم علمت وما اكثر ما تجهل من الامر ويتحير فيه
رايك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسواك
وليكن له تعبدك واليه رغبتك ومنه شفقتك واعلم يا بني ان احدا لم
ينبئ عن الله سبحانه كما انبا عنه نبينا صلى الله عليه وآله فارض به رائدا والى
النجاة قائدا فاني لم آلك نصيحة وانك لن تبلغ في النظر لنفسك وان اجتهدت
مبلغ نظري لك واعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لاتتك رسله ولرايت
آثار ملكه وسلطانه ولعرفت افعاله وصفاته ولكنه اله واحد كما وصف
نفسه لا يضاده في ملكه احد ولا يزول ابدا ولم يزل اول قبل الاشياء
بلا اولية وآخر بعد الاشياء بلا نهاية عظم ان تثبت ربوبيته باحاطة
قلب او بصر فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك ان يفعله في صغر خطره
وقلة مقدرته وكثرة عجزه وعظيم حاجته الى ربه في طلب طاعته والرهبة
في عقوبته والشفقة من سخطه وان لم يامرك الا بحسن ولم ينهك الا عن
قبيح اقول اطلق لفظ الفاني عليه مجازا اطلاقا لاسم الغاية على ذي الغاية و
استعار لفظ الرهينة باعتبار ان الانسان مربوط الوجود بالايام كالرهن
بما عليه والرمية الغرض والهدف ولفظ التاجر باعتبار بذله لنفسه في تحصيل
الدنيا واضافه الى الغرور اضافة المسبب الى السبب اذ الغفلة هي مبدا ذلك
ولفظ الغريم باعتبار طلب الموت له كالمتقاضي والنصب والمنصوب واستعار
لفظ الجموح للدهر اختلاط تصرفاته وجريانه على قانون مضبوط كالجموح من الخيل
يزعني يمنعني ومحض امره خالصه اي انكشف له انه راحل الى الآخرة وانه
وانه لا بد من لزوم الامر التي ينبغي له ووجدتك بعضي اي بمنزلة بعضي كقوله وانما

واما اولادنا بينا اكبادنا تمشى على الارض ذكى اى ما نما منعا كلى وعبارة
عنى كان هو خليفته والقايم مقامه فى عقله وعاقبه بلده واكد قربه منه وتنزيله
منزلة نفسه بذكر الغايتين وكذلك استعار لفظ الحبل لما يتمسک به من دين الله
الموصل اليه وقلبه الذى يحييه نفسه العاقلة واحياءها بالعلم والحكمة والذى
يميته هو نفسه الامارة بالسوء واما تنقها كسرها عن صولها المخالفة للعقل
بترك الدنيا والاعراض عنها وتطويعها بذلک ويحتمل ان يريد به النفس العاقلة
ايضا واما تنقها قطعها عن متابعة هواها وتقويته باليقين اى من ضعف
الجهل للنهوض الى افق اعلين وتنويره بالفنا وحمله على الاقرار به وذكرا دامة
ذكره وكثرة اخطاره بالبال واراد بالامساک عن طريق يخاف ضلالته التوقف
عند الشبهات والغمرات الشدايد والاستخارة الطلب الى الله ان يختار له فيما
يأتى ويذر وصفحا اى معرضا والعلم الذى لا يحق تعلمه اى لا ينبغى كالعلوم
الذى لا تجدى نفعا فى الآخرة وكالسحر والتكهن ونحوها والوهن الضعف
من الكبر وكان عليه السلام جاوز الستين وحصا لا مفعول به وبادرت سابقتها
وسارعتها وافضى اوصل وضعف الراى فى الكبر لضعف القوى النفسانية
والارواح الحاملة لها وعجزها عن التصرف فى طلب الاراء الصالحة وسبق بعض
غلبات الهوى لان الصبى اذا لم يؤخذ بالآداب فى حداثته ولم تتمكن قواه بطاعة
عقله كان بصدد ان تميل به القوى الحيوانية الى مشتهياته وينجذب فى قياد هواه
وتصرفه عن الوجه الحقيقى فيكون حينئذ كالمتصعب النفور من البهايم فى عسر
تصريفه على حسب المنفعة وقوله وانا كفيت ذلک اى من العلم التجربى ما كفتنا تبعه
ونطلبه وعدت اى صرت ونخيلة الشي خلاصته ومختاره وانجيت صممت عزمى
وقوله ثم اشفقت عطف على رايت اى كنت رايت ان اقتصر بك على ذلک
ولا اتجاوزه بک الى غيره من العلوم العقلية ثم خفت ان يلتبس عليک ما اختلف
الناس فيه من المسائل العقلية الالهية التى يكثر التباس الحق فيها بالباطل وتكثر فيها

الشبهات

الشبهات المغلطة التى هى منشأ فساد العقايد والهلاک بها فى الآخرة واحكام
ذلک ببيان وجه البرهان فيه واوثجتک ادخلتک واراد خبط العشواء
نحو خبط المغاف ونبغته بقوله واعلم الى قوله المعاد على جملة من صفات
الله تعالى وافعاله التى يتوهم تضادها والتنافى فى اسناده الى مبدإ
واحد اما الصفات فاشار الى انها ليست بمتضادة وان مبداها واحد
وقد اشرنا فى الخطب السابقة الى كيفية وصفه تعالى بالاعتبارات المتعددة
واما الافعال فهو انه تعالى لما خلق الدنيا لم يكن خلقها واستقرار وجودها
الاعلى ما خلقها عليه من ساير ما يعد نعمة وابتلاء ثم لزوم الجزاء فى المعاد
لنفوس المبتلين والمنعم عليهم بحسب طاعتهم ومعصيتهم فى النعماء والابتلاء
وكذلک خلقه لها على ما شاء مما لا يعلم وجه الحكمة فيه الا هو اذ ثبت فى اصول
الحكمة ان المقصود من العناية الالهية بالذات انما هو الخير واما الشرور
الواقعة فى قضائه بالعرض من حيث انه لا يمكن نزع الخير وتجريده عما يعد شرا
مثلا كون النار نارا منتفعا بها انما يكون بكونها محرقة وهو باعتبار احراق
بيت الناسک مثلا شر وكون الماء منتفعا به انما هو من حيث هو سيال
من شانه ان يغرق وهو باعتبار اغراقه شر ولما كان الخير اغلب فى الوجود
وكانت الشرور امورا لازمة لم يجز ترک الخير الكثير لاجلها ولان تركه لوجود
شر قليل ينافى الحكمة وذلک معنى قوله وان الدنيا لم يكن لتستقر الاعلى ما جعلها
الله عليه مما عدده اى لم يكن يمكن خلقها الاعلى ما فيها من خير مقصود بالذات
وشر لازم له ولزوم الجزاء على السيئة وعقاب النفوس فى المعاد عليها
من الشرور اللازمة لما حصلت عليه من الهيآت البدنية والملكات الردية
فى الدنيا وشفقتک خوفک واستعار لفظ الرايد للنبى عليه السلام ملاحظة
الشبه فى استعلام اخبار السماء الرايد فى استعلامه للكلاء والماء ولم
آلک نصيحة اى لم اقصر فى نصيحتک ونصيحة تميز وقوله واعلم يا بنى

الى قوله عن تبيع اشارة الى الحجة على وحدانية الصانع وعلى جملة من صفاته والحجة
على وحدانيته هى قياس استثنائى مقدم الشرطية فيه قوله لو كان لربک شريک
لاتتک رسله الى قوله وصفاته ونتيجة باستثناء نقايض اقسام
التالى نقيض المقدم بيان الملازمة انه لو كان له شريک لكان ذلک الشريک الصالح
لشركته الها مستجمعا لجميع شرايط الالهية والا لم يصلح لها لكن من لوازم الالهية
امور احدها الحكمة فى وجوب بعثة الرسل الى الخلق لما علمت من وجوب البعثة
الثانى ان يكون آثار ملكه وسلطانه وصفات افعاله ظاهرة مشاهدة
الثالث ان تعرف افعاله وصفات ذاته لكن هذه اللوازم باطلة اما
فلانه لم يأتنا رسول ذو معجزة يدلنا على الثانى ويخبرنا عنه واما الثانى
والثالث فلان آثار الملک والسلطان ووجود الافعال انما يدل على فاعل
حكيم قادر على تعدد الفاعلين فلا وكذلک صفات الالهية المكتسبة لنا
من الافعال كالعلم والقدرة والارادة وغيرها انما يدل على صانع موصوف
بها فاما التعدد فلا فاذن القول بان له شريكا قول باطل واما الصفات
فظاهرة واشار بقوله عظم الى قوله او بصر الى نزاهة صفات الربوبية
عن احاطة العقول والابصار بها والشفقة للخوف وباقى الفصل واضح
وبالله التوفيق الفصل الثانى قوله واعلم يا بنى انى قد انبأتک عن الدنيا
وحالها وزوالها وانتقالها وانبأتک عن الآخرة وما اعد لاهلها فيها و
ضربت لک فيهما الامثال لتعتبر بها وتحذو عليها انما مثل من خبر الدنيا كمثل
قوم سفر نبا بهم منزل جديب فأموا منزلا خصيبا وجنابا مريعا فاحتملوا
وعثاء الطريق وفراق الصديق وخشونة السفر وجشوبة المطعم ليأتوا
سعة دارهم ومنزل قرارهم فليس يجدون من ذلک الما ولا يرون نفقة
مغرما ولا شئ احب اليهم مما قربهم من منزلهم وادناهم من محلتهم ومثل
من اغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم الى منزل فليس شئ

اكره

اكره اليهم ولا افظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه الى ما يهجمون عليه
ويصيرون اليه يا بنى اجعل نفسک ميزانا فيما بينک وبين غيرک فاحبب
لغيرک ما تحب لنفسک واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم
واحسن كما تحب ان يحسن اليک واستقبح من نفسک ما تستقبح من غيرک وارض
من الناس بما ترضاه لهم من نفسک ولا تقل ما لا تعلم وان قل ما تعلم ولا تقل ما
لا تحب ان يقال لک واعلم ان الاعجاب ضد الصواب وآفة الالباب فاسع فى
كدحک ولا تكن خازنا لغيرک فاذا انت هديت لقصدک فكن اخشع ما تكون لربک
ان امامک طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة وانه لا غنى بک فيه عن
حسن الارتياد وقدر بلاغک من الزاد مع خفة الظهر فلا تحملن على ظهرک فوق
طاقتک فيكون ثقل ذلک وبالا عليک واذا وجدت من اهل الفاقة من يحمل
لک زادک الى يوم القيامة فيوافيک به غدا حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمله
اياه واكثر من تزويده وانت قادر عليه فلعلک تطلبه فلا تجده واغتنم من
استقرضک فى حال غناک ليجعل قضاءه لک فى يوم عسرتک واعلم ان امامک عقبة
كؤودا المخف فيها احسن حالا من المثقل والمبطئ عليها اقبح امرا من المسرع
وان مهبطها بک لا محالة على جنة او على نار فارتد لنفسک قبل نزولک
ووطئ المنزل قبل حلولک فليس بعد الموت مستعتب ولا الى الدنيا منصرف
واعلم ان الذى بيده خزاين السموات والارض قد اذن لک فى الدعاء وتكفل
لک بالاجابة وامرک ان تساله ليعطيک وتسترحمه ليرحمک ولم يجعل بينک و
بينه من يحجبه عنک ولم يلجئک الى من يشفع لک اليه ولم يمنعک ان اسات من
من التوبة ولم يعيرک بالانابة ولم يعاجلک بالنقمة ولم يفضحک حيث تعرضت
للفضيحة ولم يشدد عليک فى قبول الانابة ولم يناقشک بالجريمة ولم يؤيسک
من الرحمة بل جعل نزوعک عن الذنب حسنة وحسب سيئتک واحدة وحسب
حسنتک عشرا وفتح لک باب المتاب وباب الاستعتاب فاذا ناديته سمع

حيث الفضيحة

فذاك واذا ناجيته علم نجواك فافضيت اليه بحاجتك وابثثته ذات نفسك
وشكوت اليه همومك واستكشفته كروبك واستعنته على امورك وسالته
من خزاين رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره من زيادة الاعمار وصحة الابدان و
سعة الارزاق ثم جعل في يديك مفاتيح خزاينه بما اذن لك فيه من مسالته
فمتى شئت استفتحت بالدعاء ابواب نعمه واستمطرت شآبيب رحمته
ولا يقنطنك ابطاء اجابته فان العطية على قدر النية وربما اخرت عنك
الاجابة ليكون ذلك اعظم لاجر السائل واجزل لعطاء الآمل وربما سالت الشيء
فلا تؤتاه واوتيت خيرا منه عاجلا او آجلا او صرف عنك لما هو خير لك
فلرب امر قد طلبته فيه هلاك دينك لو اوتيته فلتكن مسالتك فيما يبقى لك
جماله وينفى عنك وباله والمال لا يبقى لك ولا تبقى له اقول نحو التنفير وجذبه
عن الدنيا الى الآخرة بتمثيلين فالاول ذكر حال من خبر الدنيا وزوالها وخبر الآخرة
وبقاءها ومثلهم بحال قوم سفر اي مسافرين فارقوا منزلا جديبا الى منزل خصيب
ووجه التمثيل ان النفوس البشرية لما كانت الحكمة في هبوطها الى العالم ومفارقتها
لهذه الهياكل المظلمة في دار الغربة ومحل الوحشة من عالمها هو ان يحصل بواسطتها
الكمالات العقلية ثم ترجع بعد الكمال طاهرة عن علايقها وهيآتها الردية كانت
كل نفس لزمت الصراط المستقيم وحفظت العهد المأخوذ عليها في زمن المدة المضروبة
لها ناظرة بعين الاعتبار ان الدنيا كالمنزل الجديب لخلوه عن المطاعم الحقيقية وكونه
غير صالح للاستيطان وان الآخرة كالمنزل الخصيب المريع الفناء ذي الكلاء والماء
من وصل اليه مستقيما على الطريق الحق فاز بالمقاصد السنية واللذات الباقية فكانت
في الدنيا في طريق السفر وقطع منازل سبيل الله والاستعداد للوصول الى نجعة
حضرته الشريفة محتملة وعثاء السفر اي مشقته وجشوبة المطعم اي غلظه قصدا
الى سعة الدار لا تجد لذلك الما ولا احب اليها منه لكونه وسيلة الى مطلوبها الاعظم
واما التمثيل الثاني فذكر حال اهل الدنيا الذين قادتهم نفوسهم الامارة بالسوء

الى

اليها فغفلوا اعمارها ونسوا عهد ربهم ومثلهم بحال قوم كانوا في منزل خصيب
فنبا بهم الى منزل جديب والمنزل الخصيب هنا هو الدنيا لانها محل سعادة
اهلها ولذاتهم والمنزل الجديب هو الآخرة اذ لم يكونوا قد استعدوا لادراك السعادة
فيها ووجه التمثيل هو في ذلك عن الاثر العظيم والحكم اللازم له هو ما ذكره من انه ليس شيء
اكره اليهم الى قوله اليه ومضادة الاعجاب للصواب مضادة الرذيلة للفضيلة
وكونه آفة الالباب باعتبار انه من الامراض النفسانية المهلكة في الآخرة كما سبق بيانه
والكدح الكسب والسعي فيه اي فيما ينبغي منه وهو كسب الفضايل وخزنه لغيره
كناية عن رذيلة البخل واستعار لفظ الطريق لما يستقبله الانسان من احوال الدنيا
ويعبره عنها الى الآخرة واحوالها مسافرا الى الله واشار بطولها وشدتها الى عسر
النجاة والسلامة من خطرها اذ كان ذلك انما يكون بلزوم القصد فيها والثبات على
صراط الله المستقيم فبالحري ان يكون ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة وانه لا
غنى فيه عن حسن الارتياد اي طلب ما يقوم مقام الكلاء والماء من الكمالات العقلية
الموصلة الى الغاية الحقيقية والزاد هو التقوى وخفة الظهر اي من الرذائل و
الآثام والوبال الهلاك واشار بحمل الفقراء الزاد الى ما يحصل له من ثواب الصدقة
عليهم والمساواة لهم وكذلك ثواب القرض واستعار لفظ العقبة الكؤود اي شاقة
المصعد للطريق الى الآخرة باعتبار ما فيها من الصعود والارتقاء في درجات
الكمال بالفضايل عن مهابط الرذايل ووصفها بالمشقة باعتبار ما فيها من العسر
وكثرة الموانع والمخف اي من ثقل الآثام والمبطي اي عن اقتناء الفضايل و
ارتد اي اطلب واذنه تعالى في الدعاء وتكفله بالاجابة في قوله تعالى ادعوني استجب
لكم والانابة الرجوع ونزع عن الذنب خرج منه وافضيت وصلت والبث النشر
والكشف وذات نفسك حاجتك والشآبيب جمع شؤبوب وهي الدفعة من
المطر ويقنطك يؤيسك والفصل من لطف التاديب والاستدراج الى طاعة الله و
محبته وهو واضح وبالله التوفيق الفصل الثاني قوله واعلم انك انما خلقت

للآخرة لا للدنيا وللفناء لا للبقاء وللموت لا للحياة وانك في منزل قلعة ودار بلغة
وطريق الى الآخرة وانك طريد الموت الذي لا ينجو هاربه ولا بد انه مدركه فكن
منه على حذر ان يدركك وانت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة
فيحول بينك وبين ذلك فاذا انت قد اهلكت نفسك يا بني اكثر من ذكر الموت وذكر
ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت اليه حتى ياتيك وقد اخذت منه حذرك وشددت له
ازرك ولا ياتيك بغتة فيبهرك واياك ان تغتر بما ترى من اخلاد اهل الدنيا اليها
وتكالبهم عليها فقد نباك الله عنها ونعت لك نفسها وتكشفت لك عن مساويها
وانما اهلها كلاب عاوية وسباع ضارية يهر بعضها بعضا وياكل عزيزها ذليلها
ويقهر كبيرها صغيرها نعم معقلة واخرى مهملة قد اضلت عقولها وركبت
مجهولها سروح عاهة بواد وعث ليس لها راع يقيمها ولا مسيم يسيمها سلكت
بهم الدنيا طريق العمى واخذت بابصارهم عن منار الهدى فتاهوا في حيرتها و
غرقوا في نعمتها واتخذوها ربا فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها رويدا
يسفر الظلام كان قد وردت الاظعان يوشك من اسرع ان يلحق واعلم ان من
كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان كان واقفا ويقطع المسافة وان كان
مقيما وادعا واعلم يقينا انك لن تبلغ املك ولن تعدو اجلك وانك في سبيل من قد
كان قبلك فخفض في الطلب واجمل في المكتسب فانه رب طلب قد جر الى حرب
وليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروم واكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك
الى الرغائب فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ولا تكن عبد غيرك وقد
جعلك الله حرا وما خير خير لا يوجد الا بشر ويسر لا ينال الا بعسر واياك
ان توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة وان استطعت ان
لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فانك مدرك قسمك وآخذ سهمك وان
اليسير من الله سبحانه اكرم واعظم من الكثير من خلقه وان كان كل منه وتلافيك
ما فرط من صمتك ايسر من ادراكك ما فات من منطقك وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء

وحفظ

وحفظ ما في يديك احب الي من طلب ما في يد غيرك ومرارة الياس خير من
الطلب الى الناس والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور والمرء احفظ
لسره ورب ساع فيما يضره من اكثر اهجر ومن تفكر ابصر قارن اهل الخير
تكن منهم وباين اهل الشر تبن عنهم بئس الطعام الحرام وظلم الضعيف
افحش الظلم اذا كان الرفق خرقا كان الخرق رفقا ربما كان الدواء داء
والداء دواء وربما نصح غير الناصح وغش المستنصح واياك والاتكال على المنى فانها
بضائع النوكى والعقل حفظ التجارب وخير ما جربت ما وعظك بادر الفرصة
قبل ان تكون غصة ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤوب ومن الفساد
اضاعة الزاد ومفسدة المعاد ولكل امر عاقبة سوف ياتيك ما قدر لك
التاجر مخاطر ورب يسير انمى من كثير لا خير في معين مهين ولا صديق ظنين
ساهل الدهر ما ذل لك قعوده ولا تخاطر بشيء رجاء اكثر منه واياك ان تجمح بك مطية
اللجاج احمل نفسك من اخيك عند صرمه على الصلة وعند صدوده على اللطف والمقاربة
وعند جموده على البذل وعند تباعده على الدنو وعند شدته على اللين وعند جرمه
على العذر حتى كانك له عبد وكانه ذو نعمة عليك واياك ان تضع ذلك في غير موضعه او انقبض م
ان تفعله بغير اهله لا تتخذن عدو صديقك صديقا فتعادي صديقك وامحض
اخاك النصيحة حسنة كانت او قبيحة وتجرع الغيظ فاني لم ار جرعة احلى
منها عاقبة ولا الذ مغبة ولن لمن غالبك فانه يوشك ان يلين لك وخذ على عدوك غالظك
بالفضل فانه احلى الظفرين وان اردت قطيعة اخيك فاستبق له من نفسك احد
بقية يرجع اليها ان بدا له ذلك يوما ما ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه ولا تضيعن
حق اخيك اتكالا على ما بينك وبينه فانه ليس لك باخ من اضعت حقه ولا يكن
اهلك اشقى الخلق بك ولا ترغبن فيمن زهد فيك ولا يكونن اخوك اقوى على
قطيعتك منك على صلته ولا يكونن على الاساءة اقوى منك على الاحسان ولا
يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى في مضرته ونفعك وليس جزاء من سرك ان تسوءه

واعلم يا بني ان الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان انت لم تاته
اتاك ما اقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى انما لك من دنياك ما اصلحت
به مثواك وان جزعت على ما انفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل اليك
استدل على ما لم يكن بما قد كان فان الامور اشباه ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة
الا اذا بالغت في ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهائم لا تتعظ الا بالضرب
اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين من ترك القصد جار
الصاحب مناسب والصديق من صدق غيبه والهوى شريك العمى رب بعيد اقرب
من قريب وقريب ابعد من بعيد والغريب من لم يكن له حبيب من تعدى
الحق ضاق مذهبه ومن اقتصر على قدره كان ابقى له واوثق سبب
اخذت به سبب بينك وبين الله من لم يبالك فهو عدوك قد يكون الياس
ادراكا اذا كان الطمع هلاكا ليس كل عورة تظهر ولا كل فرصة تصاب وربما
اخطا البصير قصده واصاب الاعمى رشده اخر الشر فانك اذا شئت
تعجلته قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل من امن الزمان خانه ومن اعظمه
اهانه ليس كل من رمى اصاب اذا تغير السلطان تغير الزمان سل عن الرفيق
قبل الطريق وعن الجار قبل الدار اياك ان تذكر من الكلام ما كان مضحكا وان
حكيت ذلك عن غيرك واياك ومشاورة النساء فان رايهن الى افن وعزمهن
الى وهن واكفف عليهن من ابصارهن بحجابك اياهن فان شدة الحجاب
ابقى عليهن وليس خروجهن باشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن وان استطعت
ان لا يعرفن غيرك فافعل ولا تملك المراة من امرها ما جاوز نفسها فان المراة ريحانة
وليست بقهرمانة ولا تعد بكرامتها نفسها ولا تطمعها ان تشفع لغيرها واياك والتغاير
في غير موضع غيرة فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم والبريئة الى الريب
واجعل لكل انسان من خدمك عملا تاخذه به فانه احرى ان لا يتواكلوا في خدمتك
واكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير واصلك الذي اليه تصير ويدك

التي

انما لك

يكون ابنه

حدارها

التي بها تصول واستودع الله دينك ودنياك واساله خير القضاء لك في
العاجلة والآجلة والدنيا والآخرة ان شاء الله اقول اشار بالامور التي خلق
لها الى غاياته ومنزل قلعة لا يصلح للاستيطان والدنيا دار بلغة باعتبار
ان الواجب في استعمالها قدر الضرورة التي تتبلغ بها الى الآخرة دون الاستكثار
منها اذ كانت طريقا اليها واستعار له لفظ الطريد باعتبار طلب الموت له
كالطريدة من الصيد والازر القوة وبصره غلبه والقبح والاخلاد الى الشيء
السكون اليه والتكالب التواثب والمساوي العيوب والضراوة تعود الصيد
والجراة عليه واشار بقوله فانما اهلها الى قوله صغيرها الى اهل الدنيا باعتبار
قواهم الغضبية واتباعها وبقوله نعم معقلة الى قوله ورداها الى اهلها
باعتبار اتباعهم لقواهم الشهوية ثم قسم هولاء قسمين فاستعار لفظ المعقلة
للذين تمسكوا منهم بظواهر الشريعة وتقيدوا بها عن الاسترسال الظاهر في
الشهوات المحرمة في الدين وان لم يعقلوا اسرار الشريعة فهم كالنعم
التي عقلها راعيها واستعار لفظ المهملة الذين استرسلوا في اتباع شهواتهم
مطلقا وخرجوا عن طاعة امامهم وقوله عقولها قيل اراد عقلها فاشبع الضمة
فقلبها واوا للمناسبة بين التوضيعين والمجهول المفازة التي لا اعلام بها
والوادي وعث لا يثبت به خف ولا حافر لكثرة سهولته والمسيم الراعي واراد
بالعمى الجهل ورعيدا اى اهمل واستعار لفظ الظلام لحجب الابدان وظلمات هيئاتها
الحاجبة لابصار البصائر عن ادراك امور الآخرة وهو عيد بالموت وما بعده وكنى
بالاظعان عن المسافرين الى الله وكان المخففة من ~~المخففة~~ التثقيل ر ينعيد تقريبا
المستقبل من الامور وقوله يوشك من اسرع ان يلحق ترغيب في اسراع السير
في مراتب القربة الى الله تعالى بذكر الغاية وهي اللحوق بمراتب السابقين
ويحتمل ان يكون من تمام الوعيد بالموت وقربه اذ الناس نحو كل الا اليه على مطيتي
الليل والنهار ومن كان كذلك فقريب لحوقه بمن سبقه والوادع ذو الدعة

التثقيل ر

ولا تبلغ امله لان الامال لا يزال يتجدد وتتعدد ولا تتجاوز وخفض
تحمل على نفسك والاجمال في الاكتساب ان يكون على وجه جميل وهو الوجه
الذي ينبغي والحرب سلب المال وبنهيه عن التعبد للغير مستلزم النهي عن
سببه وهو الطمع وقوله فانك لن قوله عوضا صغرى ضمير يحث فيه على الامر
باكرام نفسه وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فواجب عليه ان يبذل نفسه
في الدنيا ويكرمها عنها والوجيف ضرب من السير فيه سرعة واستعار لفظ
المطايا للاطماع ووصف الوجيف لها باعتبار هجومها بالانسان على الهلاك
الاخروي واستعار لها لفظ المناهل وهي الشرايع وموارد الشرب وقسم المورك
له هو ما قسم الله له من رزق وغيره في كتابه المبين ولوحه المحفوظ وقوله
وتلافيك اى تداركك الى قوله الوكاء ارشاد الى حفظ اللسان وضبطه عما
لا ينبغي من القول وقوله وحفظ ما في يدك الى قوله غيرك ارشاد الى الاقتصاد
في المال وترك الاسراف لما يستلزمه من الحاجة الى الغير والحرفة ضيق الرزق
والمجوقال الهجر وهو الفحش في المنطق وقوله المرء احفظ لسره اخبار في معنى
الامر وفي قوله احفظ تنبيه على الفرق بين حفظ الانسان لسر نفسه وبين
ايداعه الغير وكذلك من تفكر ابصر وقوله اذا كان الرفق الى قوله رفقا اى
اذ كان استعمال الرفق وهو اللين في بعض المواضع كالخرق وهو العنف
في كونه مفسدة ومفوتا للغرض كان استعمال الخرق في ذلك الموضع كاستعمال
الرفق في استلزامه المصلحة غالبا فكان اولى من الرفق في ذلك
الموضع ونحوه قوله الى الطيب والبذل في موضع السيف العلى مضر كوضع
السيف في موضع الندى وهو انبار في معنى النهي عن وضع كل منهما موضع
الاخر وربما فهم معنى آخر وهو انه اذا استعمل الرفق في موضع الخرق لزم ذلك
ان يستعمل الخرق في غير موضعه وهو موضع الرفق وذلك مما لا ينبغي وقوله ربما
كان الى قوله دوا تنبيه على ان فعل بعض الامور قد يعتقد مصلحته

وهو

وهو مفسدة وفعل بعض بالعكس ونحوه قول المتنبي وربما صحت الاجسام
بالعلل والنوكى الحمقى وقوله والعقل حفظ التجارب رسم للعقل العملي ببعض كمالاته
ومقاماته وانما خص العلوم التجريبية لانها اصل عظيم فيما ينبغي ان يفعل والعقل قد
يراد به قوة النفس وقد يراد به المعقول وهو فعل تلك القوة وهو محتمل الارادة ها هنا
والطوعة وقت امكان العمل للآخرة والغصة هو ما يلحق من الم الندم بعد فوت الفرصة
والمهين الضعيف والظنين المتهم وقوله ساهل الى قوله قعودة كما هتك
بالجريان معه بقود مقتضاه من دون تشدد وتسخط عليه ولفظ القعود مستعار
للوقت الذي تيسر فيه الامور وكذلك وصف الذلة باعتبار سهولة المطالب فيه
خفيف القعود باعتبار انه في مظنة النفار براكبه والزمان في مظنة التغير
وقوله احمل الى قوله غير اهله امره ان يلزم نفسه ويحملها في حق صديقه الاهل
للصنيعة على ان يقابل رذايله المعدودة بما يضادها من الفضايل والصرم القطيعة
والجمود عند البذل والمحض اى اخلص وحسنة او قبيحة اى في نظر المنصوح والمعتبر
العاقبة والمخالطة المخاشنة وما بينك وبينه من المودة وقوله فانه ليس لك الى
قوله حقه صغرى ضمير مقربة عن اضاعة حق الاخ انك اذا اضعت حقه لابد
ان يفارقك ونفعه على تقدير كونه مطلوبا حصوله على ابواب الصابرين في الآخرة
والرزق المطلوب كان مبدؤه الحرص في الدنيا والرزق الطالب للانسان هو
المقدر له وفيه تنبيه على الاجمال في طلب الرزق والجفاء قسوة القلب ومثواه
موضع اقامته من الآخرة وعزاء الصبر ما جزعت به منه وحسن اليقين بالله
تعالى وهو ان يعلم يقينا ان كل صادر في الوجود فعلى وفق الحكمة ولا ظلم فيها والجار
داخل في رذيلة الجور وهو الانحراف عن فضيلة العدل ورذيلة الجور ولفظ
المناسب مستعار للصاحب باعتبار منفعته وقربه كالنسب والطريق الى الخالص
في صداقته وشريك العمى اى في كونهما لا يهتدي معهما الى ما ينبغي من المصلحة وضيق
مذهب المتعدي باعتبار ان الغالب على الخلق اتباع اكثر الخلق والمتعدي عنه

مأخوذ بالاقوال الذامة والافعال الرادعة مضيق عليه بها مذهبه وحيث
سلك من الباطل من لايبالك اى لايهتم بامورك عند حاجتك اليه واستعار
له لفظ العدو باعتبار عدم المبالاة كالعدو وقوله قد يكون الى قوله هلاكا
اى اذا كان الطمع فى امر يؤدى الى الهلاك كان الياس منه ادراكا للنجاة
وقوله ليس كل عورة اى محرجة قوله رشوة تنبيه على ان من الامور الممكنة وفرص
ما يغفل الطالب ايضيع بالامور عن وجه طلبه ولا يصيبه ولا يفتقد له الاعمى
الجاهل بما ينبغى والعورة كالفرجة واعور الفارس اذا بدا منه موضع للضرب
وقوله ومن اعظمه اهانه فاعظامه من حيث انه مشتمل على شهوات الدنيا
لذاتها بالفضة والذهب والثياب والامن ونحوه وبذلك الاعتبار يكرم ويستعظم واما
لزوم اهانة من يستعظمه فلاستلزام اعظامه الركون اليه والاشتغال
بما فيه من اللذات ثم ان الزمان بعد ذلك يجنى عليه بمقتضى طباعه فيزيل ما
كان فيه من لذة وخير ويبدله بالعزة هوانا وباللذة الما وقوله اذا تغير
السلطان اى فى نيته وفعله تغير الزمان وذلك ان الزمان انما يحمد او يذم
بحسب ما يقع فيه من خير وشر وظاهر ان تغير السلطان من احدهما الى
الآخر يستلزم وقوع ما تغير اليه فى وقت وقوعه وبحسب ذلك يكون
تغير الزمان وتنبيه الى الخير او الشر الواقع بعد ان لم يكن والسابق الى
الفهم من التغير هو التغير من الخير الى الشر والاخرى بالسكون النقص و
الضعف وما جاوز نفسها هو ما عدا ما عليها فذلك فى عرف الشريعة استعار
لها لفظ الريحانة باعتبار ان المرغوب منها اللذة والاستمتاع وكرامة نفسها بما
يجب من كسوة ونحوها والصحيحة البدنية من الفساد وغيرة الرجل على البوية
واشعارها بتهمتها بالفساد ربما يؤدى الى فسادها لانها ربما تستقبح ذلك
فى اول الامر ويعظم عليها ذكره فاذا كثرت المواجهة به هان عليها وصار
فى قوة اغراء لها به والريب الشك والحول اولى وتيبوا كلوا اى بكل كل

منهم

منهم الامر اى حاجته واليه تفيض اى ترجع واكثر المقاصد فى هذه الوصية واضحة
غنية عن الشرح والاستقصاء فيما مذكور فى الاصل ومن كتاب له عليه السلام
الى معوية واردت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك والقيتهم فى موج
بحرك تغشاهم الظلمات وتتلاطم بهم الشبهات فجاروا عن وجهتهم و
نكصوا على اعقابهم وتولوا على ادبارهم وعولوا على احسابهم الا من فاء من
اهل البصائر فانهم فارقوك بعد معرفتك وهربوا الى الله من موازرتك اذ حملتهم
على الصعب وعدلت بهم عن القصد فاتق الله يا معوية فى نفسك وجاذب الشيطان
قيادك فان الدنيا منقطعة عنك والآخرة قريبة منك اقول اردت اهلكت
والجيل الصنف والغى الضلال واستعار لفظ الموج للشبهات التى القاها معوية
الى الناس كشبهة قتل عثمان وشبهة التحكيم ولفظ الظلمات لتلك الشبهة
باعتبار عدم اهتداء الخلق فيها الى تخليص الحق وجاروا عدلوا ونكصوا
رجعوا وعولوا اعتمدوا واحسابهم ما يفخرون به من مال واصل وفاء
رجع وموازرتك اى معونتهم بك والموازرة المعاونة واستعار لفظ الصعب
من الابل ونحوه لما حملهم عليه من مخالفة الحق والبغى على الامام العادل ومن
كتاب له عليه السلام الى قثم بن عباس وهو عامله على مكة اما بعد فان عينى
بالمغرب كتب الى يعلمنى انه وجه الى الموسم اناس من اهل الشام العمى القلوب
الصم الاسماع الكمه الابصار الذين يلبسون الحق بالباطل ويطيعون المخلوق
فى معصية الخالق ويحتلبون الدنيا درها بالدين ويشترون عاجلها باجل الابرار
المتقين ولن يفوز بالخير الا عامله ولا يجزى جزاء الشر الا فاعله فاقم على
ما فى يديك قيام الحازم الصليب والناصح اللبيب التابع لسلطانه المطيع
لامامه واياك وما يعتذر منه ولا تكن عند النعماء بطرا ولا عند البأساء فشلا
اقول [illegible] العين الجاسوس واراد بالمغرب الشام لانها من الحدود المغربية
والوجه للقوم هو معوية والموسم موسم الحاج ونقل العمى الى قوله الابصار استعارة

الى شدة غفلتهم عن الله تعالى وعن الامور الآخرة والحق هو ما يطلبونه من دم عثمان
والباطل وجه طلبهم له وشبهتهم فيه ودرها بدل من الدنيا والفشل الضعف
والجبن ومقاصد الكتاب واستعاراته ظاهرة ومن كتاب له عليه السلام الى
محمد بن ابى بكر لما بلغه توجده من عزله عن مصر ثم توفى الاشتر فى توجهه
الى مصر قبل وصوله اليها وقد بلغنى موجدتك من تسريح الاشتر الى عملك
وانى لم افعل ذلك استبطاء لك فى الجهد ولا ازديادا لك فى الجد ولو نزعت
ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو ايسر عليك مؤونة واعجب اليك
ولاية ان الرجل الذى كنت وليته امر مصر كان رجلا لنا ناصحا وعلى عدونا
شديدا ناقما فرحمه الله فلقد استكمل ايامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون
اولاه الله رضوانه وضاعف الثواب له فاصحر لعدوك وامض على بصيرتك
وشمر لحرب من حاربك وادع الى سبيل ربك واكثر الاستعانة بالله يكفك
ما اهمك ويعنك على ما نزل بك والسلام اقول الموجدة ما يجده الانسان
الجهد الاجتهاد دواعى اجب واصحر اى اظهر وابرز وبصيرتك علمك بما
تتيقنه انه على الحق وان خصمه على الباطل والتشمير كناية عن الاستعداد ومن
كلام له عليه السلام الى عبد الله بن عباس بعد مقتل محمد بن ابى بكر رضى الله عنه
اما بعد فان مصر قد افتتحت ومحمد بن ابى بكر رحمه الله قد استشهد فعند الله نحتسبه
ولدا ناصحا وعاملا كادحا وسيفا قاطعا وركنا دافعا وقد كنت حثثت
الناس على لحاقه وامرتهم بغياثه قبل الوقعة ودعوتهم سرا وجهرا
وعودا وبدءا فمنهم الآتى كارها ومنهم المعتل كاذبا ومنهم القاعد خاذلا اسال
الله ان يجعل لى منهم فرجا عاجلا فوالله لولا طمعى عند لقاى عدوى فى
الشهادة وتوطينى نفسى على المنية لاحببت ان لا ابقى مع هؤلاء يوما
واحدا ولا التقى بهم ابدا اقول احتسب بكذا عند الله طلب به
الحسبة بالكسر وهى الاجر فى الرزية به واستشهد كانه استحضر الى الله

بالقتل

بالقتل وكونه ولدا باعتبار انه كان ربيبا له عليه السلام وامه اسماء بنت
عميس الخثعمية وكانت تحت جعفر بن ابى طالب فولدت له محمدا وعونا و
عبد الله بالحبشة حين هاجرت معه اليها وتزوجها بعد قتله ابو بكر فولدت
له محمدا هذا ثم تزوجها بعد وفاته على عليه السلام فولدت له يحيى والكدح
السعى واستعار لمحمد لفظ السيف والركن باعتبار نكايته كقاطعيتهما ومانع القتل
دافع ومن كتاب له عليه السلام الى عقيل بن ابى طالب فى ذكر جيش انفذه
الى بعض الاعداء وهو جواب كتاب كتبه فسرحت اليه جيشا كثيفا من المسلمين
فلما بلغه ذلك شمر هاربا ونكص نادما فلحقوه ببعض الطريق وقد طفلت
الشمس للاياب فاقتتلوا شيئا كلا ولا فما كان الا كموقف ساعة حتى نجا جريضا
بعد ما اخذ منه بالمخنق ولم يبق معه غير الرمق فلأيا بلأى ما نجا فدع عنك
قريشا وتركاضهم فى الضلال وتجوالهم فى الشقاق وجماحهم فى التيه
فانهم قد اجمعوا على حربى كاجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه واله قبلى
فجزت قريشا عنى الجوازى فقد قطعوا رحمى وسلبونى سلطان ابن امى
واما ما سالت عنه من رايى فى القتال فان رايى قتال المحلين حتى القى الله لا
يزيدنى كثرة الناس حولى عزة ولا تفرقهم عنى وحشة ولا تحسبن ابن ابيك
ولو اسلمه الناس متضرعا متخشعا ولا مقرا للضيم واهنا ولا سلس الزمام
للقائد ولا وطئ الظهر للراكب المقتعد ولكنه كما قال اخو بنى سليم فان تسالينى
كيف انت فاننى صبور على ريب الزمان صليب يعز على ان ترى بى
كآبة فيشمت عاد او يساء حبيب اقول طفلت الشمس بالتشديد مالت
للمغيب وآبت لغة فى غابت وكلا ولا لفظان قصيران عند السمع سريعا الانقطاع
كنى بهما عما كان سريعا من الفعل لمشابهته فى قصر الزمان لهما ونحوه قول ابن
برهان الغزلى واسرع فى العين من لحظة واقصر فى السمع من لا ولا والموقف
هنا مصدر والجريض المغموم الذى يبتلع ريقه على غصة من الحزن والمخنق بالتشديد

هو من العنق موضع الخنق بالكسر والرتق بقية النفس واللائي الشدة وهو
مقصور محذوف عايدة وما مصدرية في موضع الرفع فاعلا لفعل المحذوف اي
فلا تحي لأيا غاوه اي انتبق وعي وقوله بلاي تأكيدا اي لاي مشتغلا
بلاي والتكافي مبالغة في الركض واستعارة لجري اذهانهم في الضلال
عن سبيل الله وكذلك لفظ التجوال والجماح وابن امه يعني الرسول صلى الله
عليه لان امها ابيه فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن مخزوم ام عبد الله وابي طالب
والحليف الذين [illegible] احلوا ذمة الله ونقضوا عهده والواهي
الضعيف ومن كتاب له عليه السلام الى معوية فسبحان الله ما اشد لزومك
للاهواء المبتدعة والحيرة المتبعة مع تضييع الحقايق واطراح الوثايق
التي هي لله طلبة وعلى عباده حجة فاما اكثارك الحجاج في عثمان وقتلته فانك
انما نصرت عثمان حيث كان النصر لك وخذلته حيث كان النصر له اقول
اراد بالحقايق ما هو حق في نفس الامر ينبغي اتباعه من العقايد كاعتقاد امامته
للحق واتباعه وقوله حيث كان النصر لك اي الآن وانت منتصر
تنتصر له ومن كتاب له عليه السلام الى اهل مصر لما ولى عليهم الاشتر رحمه الله
من عبد الله علي امير المؤمنين الى القوم الذين غضبوا لله تعالى حين عصي
في ارضه وذهب بحقه فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر و
المقيم والظاعن فلا معروف يستراح اليه ولا منكر يتناهى عنه اما بعد فقد
بعثت اليكم عبدا من عباد الله لا ينام ايام الخوف ولا ينكل عن الاعداء ساعات
الروع اشد على الفجار من حريق النار وهو مالك بن الحرث اخو مذحج فاسمعوا
له واطيعوا امره فيما طابق الحق فانه سيف من سيوف الله كليل الظبة
ولا نابي الضريبة فان امركم ان تنفروا فانفروا وان امركم ان تقيموا فاقيموا
فانه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم الا عن امري وقد آثرتكم به على نفسي
لنصيحته وشدة شكيمته على عدوكم اقول السرادق البيت من القطن وهو

مستعار

مستعار لما اشتمل من جور الظالمين وعمهم والروع الفزع ثكل بالضم ترجح ومذحج
كمسجد ابو قبيلة من اليمن وهو مذحج بن جابر بن مالك بن كهلان بن سبا والظبة بالتخفيف
حد السيف ونبا السيف عن الضريبة اذا لم يقطعها وهو كناية عن كمال
قوة بأسه والاحجام التأخر والشكيمة للحديدة المعترضة في فم الفرس وكني بشدتها
عن شدة وطأته على العدو ومن كتاب له عليه السلام الى عمرو بن العاص فانك
قد جعلت دينك تبعا لدنيا امرئ ظاهر غيه مهتوك ستره يشين الكريم
بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فاتبعت اثره وطلبت فضله اتباع الكلب
للضرغام يلوذ الى مخالبه وينتظر ما يلقي اليه من فضل فريسته فاذهبت دنياك
وآخرتك ولو بالحق اخذت ادركت ما طلبت فان يمكني الله منك ومن ابن ابي سفيان
اجزكما بما قدمتما وان تعجزا وتبقيا فما امامكما شر لكما والسلام اقول كون دينه
تبعا لدنيا معوية لبيعته اياه بطعمة مصر وما اعطاه من مال وكون مجلسه يسفه الحليم
لان دابه ودأب بني امية شتم بني هاشم والتعرض بذكر اكابر الصحابة وذلك مما يستخف
الحليم عن الثبات على سماعه والضرغام الاسد ووجه التشبيه ظاهر والذي امامهما
بتقدير انه من عذاب الآخرة وهو شر لقوله تعالى ولعذاب الآخرة اشد وابقى ومن
كتاب له عليه السلام الى بعض عماله اما بعد فقد بلغني عنك امر ان كنت فعلته
فقد اسخطت ربك وعصيت امامك واخزيت امانتك بلغني انك جردت الارض
واخذت ما تحت قدميك فارفع الي حسابك واعلم ان حساب الله اعظم من حساب
الناس اقول اخزيت امانتك اهنتها وجردت الارض قشرتها وهو كناية عن اخذه
جميع المال ومن كتاب له عليه السلام ايضا الى بعض عماله اما بعد فاني كنت اشركتك
في امانتي وجعلتك شعاري وبطانتي ولم يكن في اهلي رجل اوثق منك في نفسي لمواساتي
وموازرتي واداء الامانة الي فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو قد حرب
وامانة الناس قد خزيت وهذه الامة قد فنكت وشغرت قلبت لابن عمك ظهر
المجن ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخاذلين وخنته مع الخائنين فلا ابن عمك

الى عبد الله بن عباس

آسيت ولا الامانة اديت وكانك لم تكن الله تريد بجهادك وكانك لم تكن على بينة
من ربك وكانك انما كنت تكيد هذه الامة عن دنياهم وتنوي غرتهم عن فيئهم
فلما امكنتك الشدة في خيانة الامة اسرعت الكرة وعاجلت الوثبة واختطفت
ما قدرت عليه من اموالهم المصونة لاراملهم وايتامهم اختطاف الذئب الازل
دامية المعزى الكسيرة فحملته الى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متأثم من اخذه
كانك لا ابا لغيرك حدرت على اهلك تراثك من ابيك وامك فسبحان الله اما تؤمن
بالمعاد او ما تخاف من نقاش الحساب ايها المعدود كان عندنا من ذوي الالباب
كيف تسيغ طعاما وشرابا وانت تعلم انك تاكل حراما وتشرب حراما وتبتاع
الاماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين
افاء الله عليهم هذه الاموال واحرز بهم هذه البلاد فاتق الله واردد الى
هؤلاء القوم اموالهم فانك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لاعذرن الى الله
فيك ولاضربنك بسيفي الذي ما ضربت به احدا الا دخل النار ووالله لو ان الحسن
والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة ولا ظفرا مني بارادة
حتى آخذ الحق منهما وازيح الباطل عن مظلمتهما واقسم بالله رب العالمين ما يسرني
ان ما اخذته من اموالهم حلال لي اتركه ميراثا لمن بعدي فضح رويدا فكانك
قد بلغت المدى ودفنت تحت الثرى وعرضت عليك اعمالك بالمحل الذي
ينادي الظالم فيه بالحسرة ويتمنى المضيع الرجعة ولات حين مناص اقول
المروي ان الكتاب الى عبد الله بن عباس كما هو في بعض النسخ حين كان واليا على
البصرة وامانته هي ولاية امور المسلمين والشعار ما يلي الجسد من الثياب وهو مستعار
لفظه له باعتبار قربه منه وبطانة الرجل خاصته والموازرة المعاونة وكلب الزمان
شدته وحرب العدو اشتد غضبه وخزيت الامانة هانت ذلت والفتك القتل
على غرة وشغرت تفرقت وقوله قلبت الى قوله المجن مثل يضرب لمن يكون مع
اخيه فيتغير عنه ويقاتله واصله ان الترس انما يقابل به الرجل ويعطي ظهره

في

في الحرب فكنى به عن تغيره عليه وخروجه عن امره ولم يكن على بينة من ربه اي
على ثقة من وعده ووعيده ويقين من ذلك وغرتهم غفلتهم والشدة الحملة
والازل خفيف الوركين ووجه التشبيه سرعة الاخذ ورحيب الصدر كناية عن
الفرح والسرور به ونقاش الحساب استقصاؤه وادخل حسابه له في الفضلاء
في المخبر وكان يظنه على انه لم يبق عنده كذلك وآثاره جعله فيئا والفيء الغنيمة
والهوادة المصالحة والمصانعة وقوله ضح رويدا كلمة يؤمر بها للتؤدة واصلها الرجل
يطعم ابله ضحى ويسرحها سرحا يسيرا فلا يشبعها فيقال ضح رويدا اي تمهلا والمدى
الغاية وهي الموت وما بعده والمناص الهرب والمخلص والنوص التخلص وشبهوا
لات بليس واضمروا فيها اسم الفاعل وقد جاءت حين مرفوعة على انها اسمها
ولا يستعمل لات الا مع حين وقيل التاء زايدة كما في ثمت وربت ومعاني
الكتاب ظاهرة ومن كتاب له عليه السلام الى عمر بن ابي سلمة المخزومي و
كان عامله على البحرين فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي مكانه اما بعد
فاني قد وليت نعمان بن عجلان الزرقي على البحرين ونزعت يدك بلا ذم لك ولا تثريب
عليك فلقد احسنت الولاية واديت الامانة فاقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم
ولا مأثوم فقد اردت المسير الى ظلمة اهل الشام واحببت ان تشهد معي فانك
ممن استظهر به على جهاد العدو واقامة عمود الدين ان شاء الله اقول هذا كان
ربيبا لرسول الله صلى الله عليه وآله وامه ام سلمة وابوه ابو سلمة بن عبد الاسد من
بني مخزوم والنعمان بن عجلان من سادات الانصار من بني زريق والتثريب التعنيف
والظنين المتهم ومن كتاب له عليه السلام الى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو
عامله على اردشير خرة بلغني عنك امر ان كنت فعلته فقد اسخطت الهك
واغضبت امامك انك تقسم في المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم واريقت
عليه دماؤهم فيمن اعتامك من اعراب قومك فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة
لئن كان ذلك حقا لتجدن علي هوانا ولتخفن عندي ميزانا فلا تستهن بحق ربك

ولا تقطع دنياك بمحق دينك فتكون من الاخسرين اعمالا الا وان لنا حق من قبلك
وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء يردون عندي عليه ويصدرون
عنه والسلام اقول اغنا لك اختيارك للطلب وخفته مبدأ انه صغر منزلته
عنده ومبدأ انا نفيد لك ومن كتاب له عليه السلام الى زياد بن ابيه وقد بلغه ان
معوية كتب اليه يريد خديعته باستلحاقه وقد عرفت ان معوية كتب اليك يستزل
لبك ويستفل غربك فاحذره فانما هو الشيطان ياتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن
يمينه وعن شماله ليقتحم غفلته ويستلب غرته وقد كان من ابي سفيان في زمن عمر بن
الخطاب فلتة من حديث النفس ونزغة من نزغات الشيطان لا يثبت بها نسب
ولا يستحق بها ارث والمتوغل بها كالواغل المدفع والنوط المذبذب فلما قرأ زياد
الكتاب قال شهد بها ورب الكعبة ولم تزل في نفسه حتى ادعاه معوية قال السيد
رحمه الله الواغل هو الذي يهجم على الشرب ليشرب معهم وليس منهم فلا يزال مدفعا
محاجزا والنوط المذبذب هو ما يناط برحل الراكب من قعب او قدح او ما اشبه
ذلك فهو ابدا يتقلقل اذا حث ظهره واستعجل سيره اقول زياد هذا هو دعي
ابي سفيان وولاه علي عليه السلام فارس فضبطها وحماها فكتب اليه معوية
يخدعه باستلحاقه اخا له فعلم عليه السلام بذلك فكتب اليه الكتاب وغرب السيف
حدته والاستفلال طلب الفل وهو الثلم وهو كناية عن كسر قوته في نصح علي
عليه السلام واتيانه من الجهات الاربع كناية عن تمام حيلته في الخديعة قال سفين
الثوري ما من صباح الا ويقعد الشيطان على اربع مواضع من بين يدي فيقول
لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب الاية ومن خلفي فيخوفني
من الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ومن قبل
يميني فيأتيني من جهة الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين ومن قبل شمالي فيأتيني من
قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون واما الفلتة من ابي سفيان في
ادعائه اياه فهو ما روى انه تكلم يوما بحضرة عمر فاعجب الحاضرين كلامه فقال

عمرو

عمرو بن العاص لله ابوه لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه فقال ابو سفين والله
انه لقرشي ولو عرفته لعرفت انه من خير اهلك فقال ومن ابوه فقال انا والله
وضعته في رحم امه فقال فهلا تستلحقه فقال اخاف هذا العير الجالس ان يخرق
علي اهابي يعني عمر وحديث النفس الوسوسة وكونها نزغة من الشيطان باعتبار
انها على غير وجه شرعي وفيها اقرار بالزنا وشبه المتوغل في هذا النسب اي
الداخل فيه باحعاء بالواغل ووجه الشبه كونه لا يزال مدفعا عنه كما يدفع الواغل
عن الشراب وكذلك شبهه بالنوط المذبذب باعتبار انه لا يستقر نسبه والتذبذب
التحرك والتردد ومن كتاب له عليه السلام الى عثمان بن حنيف الانصاري وهو
عامله على البصرة وقد بلغه انه دعي الى وليمة قوم من اهلها فمضى اليها اما بعد
يا ابن حنيف فقد بلغني ان رجلا من فتية اهل البصرة دعاك الى مادبة فاسرعت
اليها تستطاب لك الالوان وتنقل اليك الجفان وما ظننت انك تجيب الى طعام
قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو فانظر الى ما تقضمه من هذا المقضم فما اشتبه
عليك علمه فالفظه وما ايقنت بطيب وجوهه فنل منه الا وان لكل ماموم
اماما يقتدي به ويستضيء بنور علمه الا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه
ومن طعمه بقرصيه الا وانكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينوني بورع واجتهاد
وعفة وسداد فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا ولا ادخرت من غنايمها وفرا
ولا اعددت لبالي ثوبي طمرا بلى كانت في ايدينا فدك من كل ما اظلته السماء فشحت
عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين ونعم الحكم الله وما اصنع بفدك
وغير فدك والنفس مظانها في غد جدث ينقطع في ظلمته آثارها ويغيب اخبارها
وحفرة لو زيد في فسحتها واوسعت يدا حافرها لاضغطها الحجر والمدر وسد
فرجها التراب المتراكم وانما هي نفسي اروضها بالتقوى لتاتي آمنة يوم الخوف
الاكبر وتثبت على جوانب المزلق ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى
هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات ان يغلبني هواي ويقودني

جشعي الى تخير الاطعمة ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له
بالشبع او ابيت مبطانا وحولي بطون غرثى واكباد حرى او اكون كما قال
القائل وحسبك داء ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن الى القد ااقنع
من نفسي بان يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر او اكون اسوة
لهم في خشونة العيش فما خلقت ليشغلني اكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها
او المرسلة شغلها تقممها تكترش من اعلافها وتلهو عما يراد بها او اترك سدى
او اهمل عابثا او اجر حبل الضلالة او اعتسف طريق المتاهة وكاني بقائلكم
يقول اذا كان هذا قوت ابن ابي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الاقران
ومنازلة الشجعان الا وان الشجرة البرية اصلب عودا والروايع الخضرة
ارق جلودا والنابتات العذية اقوى وقودا وابطأ خمودا وانا من رسول
الله صلى الله عليه وآله كالصنو من الصنو والذراع من العضد والله لو
تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها ولو امكنت الفرصة من رقابها
لسارعت اليها وساجهد في ان اطهر الارض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس
حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد اليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك قد انسللت
من مخالبك وافلت من حبائلك واجتنبت الذهاب في مداحضك
اين القوم الذين غررتهم بمداعبك اين الامم الذين فتنتهم بزخارفك فها هم غررتهم فها هم
رهاين القبور ومضامين اللحود والله لو كنت شخصا مرئيا وقالبا حسيا لاقمت
عليك حدود الله في عباد غررتهم بالاماني وامم القيتهم في المهاوي وملوك اسلمتهم
الى التلف واوردتهم موارد البلاء اذ لا ورد ولا صدر هيهات من وطئ
دحضك زلق ومن ركب لججك غرق ومن ازور عن حبالك وفق والسالم منك
لا يبالي ان ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه اعزبي عني فوالله لا
اذل لك فتستذليني ولا اسلس لك فتقوديني وايم الله يمينا استثني فيها
بمشية الله تعالى لاروضن نفسي رياضة تهش معها الى القرص اذا قدرت

عليه

عليه مطعوما وتقنع بالملح مادوما ولادعن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة
دموعها اتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة من عشبها فتربض
وياكل علي من زاده فيهجع قرت اذن عينه اذا اقتدى بعد السنين المتطاولة
بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية طوبى لنفس ادت الى ربها فرضها وعركت
بجنبها بؤسها وهجرت في الليل غمضها حتى اذا غلب الكرى عليها افترشت
ارضها وتوسدت كفها في معشر اسهر عيونهم خوف معادهم وتجافت
عن مضاجعهم جنوبهم وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت
بطول استغفارهم ذنوبهم اقول المادبة بالفتح الطعام يدعى اليه والعائل
الفقير والقضم الاكل وعلمه اي علم حله وحرمته والطمر الثوب الخلق وطمراه
كانا قميصا ورداء ومدرعة قد استحييا من راقعها وقرصاه كانا من شعير غير منخول
واراد بالورع هنا الكف عن المحارم والوفر المال الكثير وفدك قرية كانت
لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصة صالح اهلها على النصف بعد فتح
خيبر واجماع الشيعة على انه اعطاها فاطمة عليها السلام في حياته فلما ولي
ابو بكر الخلافة على اخذها منها فارسلت اليه تطلب ميراثها من رسول الله
صلى الله عليه وآله وتقول انه اعطاني فدكا في حياته واستشهدت على ذلك
عليا وام ايمن فشهدا لها بها فابى عن الميراث بخبر رواه وهو نحن معاشر
الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة وعن دعوى فدك انها لم تكن للنبي
صلى الله عليه وآله وانما كانت مالا للمسلمين في يده يحمل به الرجال وينفقه
في سبيل الله وانا اليه كما كان يليه فلما بلغها ذلك لاثت خمارها واقبلت
في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ في ذيولها حتى دخلت عليه ومعه جل
المهاجرين والانصار فضربت بينها وبينه قبطية ثم انت انة اجهش لها
القوم بالبكاء وامهلت طويلا حتى سكتوا من فورتهم ثم خطبت خطبة
طويلة ذكرنا مختصرا منها في الاصل تشتمل على توبيخ الجماعة وتقريعهم في جحدها

ثم رجعت الى بيتها واقسمت الا تكلم ابابكر ولتدعون الله عليه ولم يزل كذلك
حتى حضرتها الوفاة فاوصت ان لا يصلي عليها فصلى عليها العباس ودفنت
ليلا واشار بالنفوس التي سخت عنها الى بني هاشم وقوله وانما هي اي وانما همتي
وحاجتي نفسي ورياضتها ورياضة النفس ماخوذة من رياضة البهيمة وهي منعها
عن الاقدام على حركات غير صالحة لصاحبها فالقوة الحيوانية التي هي مبدا
الادراكات والافعال اذا لم يكن مطيعة للقوة العاقلة كانت بمنزلة بهيمة
لم ترض فهي يتبع الشهوة تارة والغضب اخرى ويستخدم القوة العاقلة في تحصيل
مراداتها فيكون هي امارة والعاقلة موتمرة اما اذا ارتاضتها القوة العاقلة
حتى صارت موتمرة لها متمرنة على ما تقتضيه العقل العملي باتمارا امره ونهيه
بنهيه كانت العاقلة مطمئنة لا تنفعل انفعالا مخالفة المبادي وكانت
باقي القوى مسالمة لها اذا عرفت ذلك فنقول لما كان غرض الاقصى من رياضته
الانسان نفسه هو نيل الكمال الحقيقي ولا بد له من استعداد موقوفا على وكان ذلك لاستعداد
زوال المانع الخارجية والداخلية كانت للرياضة اغراض ثلثة احدها حذف
كل محبوب ومرغوب عدا الحق سبحانه عن القصد وهو حذف الموانع الخارجية
الثاني تطويع النفس الامارة للنفس المطمئنة فيجذب التخيل والتوهم عن الجانب
السفلي الى العلوي ويتبعها ساير القوى ويزول الدواعي الحيوانية وهو حذف
الموانع الداخلية والثالث توجيه السر الى الجنبة العالية ليلقى السوانح الالهية واقتناصها
ويعين على الاول الزهد الحقيقي وهو الاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها بالقلب وعلى
الثاني العبادة المشفوعة بالفكر في ملكوت السموات والارض وعظمة الله سبحانه
والاعمال الصالحة المنوية لوجه خالصا وعبر عن هذه الامور المعينة بالتقوى فرض
نفسه بها ونبه على بعض لوازم الغاية بقوله لتاتي الى قوله الزلق وهو الصراط
المستقيم والقمح النخلة والخبع اشد الحرص على الطعام والبطان عظيم البطن من
كثرة الاكل وغرثى جايعة وكبد حرى عطشى جشوبة العيش غلظته النعم

بتبع الغامة وهي الكناسة والاكتراش ملا الكرش وسدى اي مهملا والمتاهة
موضع التيه والحيرة والروايع الاغمار التي يروع بنضارتها والعزبة لا يستقيما
الا الملطر وشبه نفسه من رسول الله صلى الله عليه وآله بالصنوين الصنو
النخلتان وهما نخلتان يجمعهما اصل واحد وهو وجه الشبه وكذلك تشبيهه منه بالذراع
من العضد ووجه الشبه كونه فرعا من رسول الله صلى الله عليه وآله منه المعاونة
والمعاضدة كالذراع وتظاهرت تعاونت وقوله لسارعت اليها اي حين
القتال لكفرهم وعداوتهم للحق وفتح العفو عنهم حينئذ واشار بالشخص المعكوس
والجسم المنكوس الى معوية وجعله مجرد جسم كانه خال عن النفس الانسانية لاتباعه
للكمالات الجسمانية دون العقلية وكونه مسكوسا ومعكوسا باعتبار التفاته عن
الامور العالية وانتكاسه عن تلقي الكمالات الروحانية وانعكاس وجه عقله
عن القبلة الحقيقية الى تحصيل الدنيا والعناية بها واستعار لفظ المدرة له
وحب الحصيد للمؤمنين ووجه المشابهة انه يخلص المؤمنين من وجوده
بينهم لئلا يفسد عقايدهم ويستغويهم كما يفعله اهل البيادر من تصفية غلاتهم
من المدر وغيره واستعار لفظ المداحض وهي المزالق لطرق تحصيلها التي هي
مظنة الزلق والوقوع في الرذايل المهلكة ولفظ المضامين للموتى ملاحظة
لشبههم في اللحود بالاجنة في بطون امهاتهم وازورت اخذت جانبا واعوجاجا
ابتعدي وهني الى كذا انطلق ويجهه بزابه والمشاشه طلاقة للوجه والبشاشة
بالفتح سهل بالكسر سهل قيادة والعين والماء الجاري والربيضة الجماعة
الرابضة من الغنم وقوله وعركت بجنبها بوسها كناية عن الصبر على الشدايد يقال
عرك فلان بجنبه الاذى اذا اغضى عن يوذيه وصبر عليه واستعاد وصف
التقشع لزوال الذنوب عن لوح النفس ملاحظة لشبهه بالسحاب المنجاب
عن وجه السماء ومن كتاب له عليه السلام الى بعض عماله اما بعد فانك ممن استظهر به
على اقامة الدين واقمع به نخوة الاثيم واسد به لهاة الثغر المخوف فاستعن

بالله على ما اهمك واخلط الشدة بضغث من اللين وارفق ما كان الرفق ارفق
واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك الا الشدة واخفض للرعية جناحك وابسط
لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة والاشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء
في حيفك للرعية ولا ييأس الضعفاء من عدلك اقول النخوة الكبر والاثيم
الآثم ولفظ اللهاة مستعار للثغر لحاجته الى من يسده ويمنعه كالحيوان
المفترس وهو تجويد للاستعارة والضغث النصيب من الشيء واعتزم الرجل
الطريق مضى فيه لا ينثني واراد ان كل امر لا يغنيك فيه الا الشدة فامض فيه
بالشدة وآس اي سو ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما للآخرة
السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله اوصيكما بتقوى الله وان لا تبغيا الدنيا
وان بغتكما ولا تاسفا على شيء منها زوي عنكما وقولا بالحق واعملا للاجر
وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا اوصيكما وجميع ولدي واهلي ومن بلغه كتابي
بتقوى الله ونظم امركم وصلاح ذات بينكم فاني سمعت جدكما رسول الله
صلى الله عليه وآله يقول صلاح ذات البين افضل من عامة الصلاة والصيام الله الله
في الايتام فلا تغبوا افواههم ولا يضيعوا بحضرتكم والله الله في جيرانكم فانهم
وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا انه سيورثهم والله الله في القران
لا يسبقكم بالعمل به غيركم والله الله في الصلوة فانها عمود دينكم والله الله في بيت
ربكم لا تخلوه ما بقيتم فانه ان ترك لم تناظروا والله الله في الجهاد باموالكم
وانفسكم والسنتكم في سبيل الله وعليكم بالتواصل والتباذل واياكم والتدابر و
التقاطع لا تتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم اشراركم
ثم تدعون فلا يستجاب لكم ثم قال عليه السلام يا بني عبد المطلب لا الفينكم تخوضون
دماء المسلمين خوضا تقولون قتل امير المومنين الا لا يقتلن بي الا قاتلي انظروا
اذا انا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا تمثل بالرجل فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور اقول

بعثت كذا اردته وزويت عنيت وذات البين كناية عن الحالة الموجبة للافتراق
واغباب افواههم ان يطعمهم يوما ويتركهم يوما والمناظرة المراقبة اي لم تراقبوا
من الله ومن الخلق لاهمالكم امور دينكم وبيت ربكم اذ في المحافظة عليه عزا بالله
واعتصاما به يوجب مراعات الخلق لهم والتدابر التقاطع والتعادي وخوض
الدماء كناية عن كثرة القتل ومن كتاب له عليه السلام الى معوية وان البغي
والزور يوتغان المرء في دينه ودنياه ويبديان خلله عند من يعيبه وقد علمت انك
غير مدرك ما قضي فواته وقد رام اقوام امرا بغير الحق فتاولوا على الله فاكذبهم فاحذر يذهبان
يوما يغتبط فيه من احمد عاقبة عمله ويندم من امكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه
وقد دعوتنا الى حكم القرآن ولست من اهله ولسنا اياك اجبنا ولكنا اجبنا القرآن
الى حكمه اقول الوتغ الهلاك ويوتغانه يهلكانه وما قضي فواته نصرة
عثمان التي كانت يطلب في حياته ولا يمكن دركها بعد فواتها المقتضي ويحتمل ان
يريد الآمال الدنيوية التي لا يدركها والذين راموا غير الحق اصحاب الجمل وتاولهم
على الله اظهارهم للتمسك في حربهم بما دل عليه القرآن الكريم من الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر في الطلب بدم عثمن واكذاب الله لهم بذم الذين ينقضون عهد الله
من بعد ميثاقه ووعيدهم اذ نقضوا بيعته عليه السلام وقيل بنصرته عليهم وقيل
تاولهم على الله تمسكهم بقوله اطيعوا الله الى قوله واولي الامر منكم وتسميتهم
لمن نصبوه من قبلهم ابتداء اولي الامر فاكذبهم الله بكونهم ظالمين بغاة و
يغتبط يسر وروي يغبط اي يتمنى الناس مثل حاله وقد مضى ذكر التحكيم ومن
كتاب له عليه السلام اليه اما بعد فان الدنيا مشغلة عن غيرها ولم يصب
صاحبها منها شيئا الا فتحت له حرصا عليها ولهجا بها ولن يستغني صاحبها بما
نال فيها عما لم يبلغه منها ومن وراء ذلك فراق ما جمع ونقض ما ابرم ولو اعتبرت
بما مضى حفظت ما بقي والسلام اقول اللهج بالفتح الحرص الشديد وحاصل الكتاب
التنفير عن الدنيا بذكر معايبها وما ابرم اي احكم من امور وحفظت ما بقي اي من

من الهوى كي لا يخضع في الباطل ومن كتاب له عليه السلام الى امرائه على
الجيوش من عبد الله علي امير المؤمنين الى اصحاب المسالح اما بعد فان حقا
على الوالي ان لا يغيره على رعيته فضل ناله ولا طول خص به وان يزيده ما
قسم الله له من نعمه دنوا من عباده وعطفا على اخوانه الا وان لكم عندي ان
لا احتجز دونكم سرا الا في حرب ولا اطوي دونكم امرا الا في حكم ولا اؤخر
لكم حقا عن محله ولا اقف به دون مقطعه وان تكونوا عندي في الحق
سواء فاذا فعلت وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة وان لا تنكصوا
عن دعوة ولا تفرطوا في صلاح وان تخوضوا الغمرات الى الحق فان انتم لم تستقيموا
لي على ذلك لم يكن احد اهون علي ممن اعوج منكم ثم اعظم لكم العقوبة ولا يجد فيها
عندي رخصة فخذوا هذا من امرائكم واعطوهم من انفسكم ما يصلح الله به
امركم والسلام اقول احتجز امنع واحفظ استثنى الحرب لان الاعلام بها
مظنة النفرة من بعضهم اما لكراهتهم لها او لخوف انتشار الحال الى العدو
فيكون سبب حذره وتاهبه ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا اراد
حربا ورى بالسفر الى جهة اخرى وكذلك استثنى الحكم لان احكام الله لا مشورة
في امضائها وتركها والذي لا يقف به دون مقطعه كالاحكام المتعلقة بالقصاص
فانه لم يكن نقف فيها دون فصلها مراقبة لاحد منهما والغمرات الشدائد ومن كتاب
له عليه السلام الى بعض عماله على الخراج من عبد الله علي امير المؤمنين الى اصحاب
الخراج اما بعد فان من لم يحذر ما هو صاير اليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها
اعلموا ان ما كلفتم به يسير وان ثوابه كثير ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي و
العدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه فانصفوا
الناس من انفسكم واصبروا لحوائجكم فانكم خزان الرعية ووكلاء الامة وسفراء
الائمة ولا تحشموا احدا عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته ولا تبيعن للناس في الخراج
كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها ولا عبدا ولا تضربن احدا

سوطا

سوطا لمكان درهم ولا تمسن مال احد من الناس
او سلاحا يعدى به على اهل الاسلام فانه لا ينبغي للمسلم ان يدع ذلك في ايدي
اعداء الاسلام فيكون شوكة عليه ولا تدخروا انفسكم نصيحة ولا الجند حسن
سيرة ولا الرعية معونة ولا دين الله قوة وابلوه في سبيله ما استوجب
عليكم فان الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم ان نشكره بجهدنا وان ننصره
بما بلغت قوتنا ولا قوة الا بالله اقول التشغوا الرسل وتحشموا اي تغضبوا
وتخجلوا والمصلي المسلم والمعاهد الذمي والشوكة القوة والضمير في عليه لاهل
الاسلام وابلوا اي اعطوا يقال ابليته معروفا اي اعطيته وقوله
اصطنع الى قوله ان نشكره اي جعل شكرنا له صنيعة عندنا ووفقنا لذلك
وقيل اراد لان نشكره ومن كتاب له عليه السلام كتبه الى امراء البلاد
في معنى الصلاة اما بعد فصلوا بالناس الظهر حين تفيء الشمس مثل مربض
العنز وصلوا بهم العصر والشمس بيضاء حية في عضو من النهار حين يسار
فيها فرسخان وصلوا بهم المغرب حين يفطر الصائم ويدفع الحاج وصلوا
بهم العشاء حين يتوارى الشفق الى ثلث الليل وصلوا بهم الغداة و
الرجل يعرف وجه صاحبه وصلوا بهم صلاة اضعفهم ولا تكونوا فتانين
اقول فيء الشمس رجوعها عن القيام وزوالها وبيضاء لم تصفر للمغيب و
العضو هنا القطعة والضمير في قوله فيها اما للشمس او للعضو باعتبار كونه قطعة
ويدفع الحاج اي يفيض من عرفات ولشهرة العلامتين عرف الوقت بهما
ويتوارى الشفق اي من المغرب وصلاة اضعفهم كناية عن الصلاة
الخفيفة التي يقدر على القيام بها الشيخ الهم والضعيف وفتانين اي
باطالة الصلاة والقراءة فانها تشبه الابتلاء بالامر الشاق المحوج للضعفاء عن
صلاة الجماعة وتركها ومن عهد له عليه السلام كتبه للاشتر النخعي رحمه الله
على مصر واعمالها حين اضطرب امر اميره محمد بن ابي بكر رحمه الله وهو اطول

عهد كتبه واجمعه للمحاسن اقول في هذا العهد فصول الفصل الاول قوله
بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما امر به عبد الله علي امير المؤمنين
مالك بن الحارث الاشتر في عهده اليه حين ولاه مصر جبوة خراجها وجهاد
عدوها واستصلاح اهلها وعمارة بلادها امره بتقوى الله وايثار
طاعته واتباع ما امر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد احد الا
باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه
ولسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره واعزاز من اعزه وامره
ان يكسر من نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء
الا ما رحم الله ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها
دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من امورك في مثل ما كنت
تنظر فيه من امور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وانما
يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده فليكن احب الذخاير
اليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فان الشح
بالنفس الانصاف منها فيما احببت وكرهت واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة
لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم فانهم صنفان اما
اخ لك في الدين واما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل
تؤتى على ايديهم في العمد والخطاء فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب
ان يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالي الامر عليك فوقك
والله فوق من ولاك وقد استكفاك امرهم وابتلاك بهم لا تنصبن نفسك
لحرب الله فانه لا يدي لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن
على عفو ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وجدت عنها مندوحة
ولا تقولن اني مؤمر امر فاطاع فان ذلك ادغال في القلب ومنهكة
للدين وتقرب من الغير واذا احدث لك ما انت فيه من سلطانك ابهة

او

او مخيلة فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من
نفسك فان ذلك يطامن اليك من طماحك ويكف عنك من غربك ويفيء
اليك بما عزب عنك من عقلك اياك ومساماة الله في عظمته والتشبه
في جبروته فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال انصف الله و
انصف الناس من نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك
فانك ان لا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن
خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حربا حتى ينزع ويتوب وليس ادعى الى
تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم فان الله يسمع دعوة المظلومين
وهو للظالمين بالمرصاد وليكن احب الامور اليك اوسطها في الحق واعمها
في العدل واجمعها لرضا الرعية فان سخط العامة يجحف برضا الخاصة وان
سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة وليس احد من الرعية اثقل على الوالي
مؤونة في الرخاء واقل له معونة في البلاء واكره للانصاف واسال
بالالحاف واقل شكرا عند الاعطاء وابطاء عذرا عند المنع واضعف صبرا
عند ملمات الدهر من اهل الخاصة وانما عمود الدين وجماع المسلمين والعدة
للاعداء العامة من الامة فليكن صغوك لهم وميلك معهم وليكن ابعد رعيتك
منك واشناهم عندك اطلبهم لمعايب الناس فان في الناس عيوبا الوالي
احق من سترها ولا تكشفن عما غاب عنك منها فانما عليك تطهير ما ظهر لك
والله يحكم ما غاب عنك منها واستر العورة ما استطعت يستر الله منك
ما تحب ستره من رعيتك اطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك
سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يضح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع فان الساعي
غاش وان تشبه بالناصحين ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل
ويعدك الفقر ولا جبانا يضعفك عن الامور ولا حريصا يزين لك الشره بالجور
فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله ثم شر وزرائك

من كان للاشرار قبلك وشركهم في الاثام فلا يكونن لك بطانة فانهم اعوان
الظلمة م
الاثمة واخوان الظلمة وانت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل ارائهم
ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم واوزارهم ممن لم يعاون ظالما على
ظلمه ولا آثما على اثمه اولئك اخف عليك مؤنة واحسن لك معونة واحنى عليك
عطفا واقل لغيرك الفا فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن
آثرهم عندك اقولهم بمر الحق واقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله
لاوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع والصق باهل الورع والصدق ثم
رضهم على ان لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء يحدث
الزهو وتدني من العزة ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فان في ذلك
تزهيدا لاهل الاحسان وتدريبا لاهل الاساءة على الاساءة والزم كلا منهم ما الزم
نفسه واعلم انه ليس شيء بادعى الى حسن ظن وال برعيته من احسانه اليهم
وتخفيفه المؤنات عليهم وترك استكراهه اياهم على ما ليس له قبلهم فليكن
منك في ذلك امر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فان حسن الظن يقطع عنك
نصبا طويلا وان احق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وان احق من ساء
ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة
واجتمعت بها الالفة وصلحت عليها الرعية ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي
تلك السنن فيكون الاجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها واكثر مدارسة العلماء
ومنافثة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه امر بلادك واقامة ما استقام به الناس قبلك
اقول النخع قبيلة من مذحج وجبوة بدل من مصر ونزعها يكفها اي يروض
نفسه الامارة بتطويعها للعقل واستعادها وصف للجاح باعتبار خروجها عن
طاعة العقل فلا يملكها كالفرس الجموح ورسم الشح بالنفي بانه الانعطاف منها وهو
تعريف له ببعض لوازمه اذ كان الانعطاف منها ملازما للضنة بها عن عذاب
الله ويفرط يسبق واراد بالعلل التي يعرض لهم الامور الشاغلة العارضة لهم عما ينبغي

من

من اجراء اوامر الوالي على وجوهها وقوله ويؤتى على ايديهم كناية عن كونهم
غير معصومين بل هم ممن يخطئ ويؤتى الناس او انفسهم على ايديهم في خطابهم
وعمدهم فيدخل عليهم الزلات واستكفاك طلب منك كفاية امورهم و
القيام بها وابتلاك اختبرك بهم واستعار لفظ الحرب لمقابلة الله بالمعصية
ولا يدي لك اي لا قوة والبجح اظهار السرور والبجح بسكون الجيم السرور و
الفرح والبادرة حدة الغضب والمندوحة السعة والادغال الافساد وكنى به
عن رذيلة الكبر والعجب ونحوها والمفكة موضع النهك وهو الضعف و
الغير جمع غيرة وهي الاسم من التغيير والاشارة الى قوله تعالى ان الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم والابهة العظمة والخيلاء الكبر والطماح
العلو واصله ارتفاع البصر وعزب به حدته وعزب غاب والمساماة مفاعلة
من السمو والجبروت اشد الكبر والمختال ذو الخيلاء وحجة داحضة باطلة و
يجحف برضا الخاصة اي يذهب باصله والالحاف شدة السوال وابطاء عذرا
اي اعذارا او مسامحة وجماع المسلمين جماعتهم والصغو الميل واشناهم ابغضهم
والعورة القبيحة تبدو من الرجل والوتر الحقد والتغابي التجاهل ويزين لك الشره
بالجور اذ الحريص في تحصيل المال وجمعه انما يشعر بايلام خلقه فيحتج بالمشار
عليه الى رذيلة الشره والجور والباء للاستصحاب والغريزة الخلق والطبيعة وبيان
كون الثلثة من مبدا هو سوء الظن بالله ان سوء الظن ينشا عن عدم معرفته تعالى
بما هو اهله فالجاهل به لا يعرفه من جهة ما هو جواد فياض بالخيرات لمن استعد
لذلك فيسوء ظنه به ولا يثق بانه مخلوف عليه عوض ما يبذله فيمنعه ذلك مع
ملاحظة الفقر عن البذل وتقوى نفسه الامارة في الحرص واما الجبان فيجهل من
جهة لطفه بعباده وعنايته بهم ولا يعلم سر القدر في الاجال فيسوء ظنه بانه لا
يحفظ من التلف ويتصور الهلاك فيمنعه ذلك عن الاقدام في الحروب ويلزمه
الجبن والبطانة خاصة الرجل والآصار الاثقال الاثام جمع اصر وهو الثقل وعطفا مصدر

احنى من غيره لنظم وحفلاتك جمع حفلة بالكسر وهي الجماعة او جمع حفلة وهي
للخلوة والظهور في الجماعات وقوله واقعا الى قوله حيث وقع اي واقعا ذلك
القول منه والنصيحة وقلة المساعدة حيث وقع من هواك سواء كان موافقا
له او مخالفا والاطراء المدح الكثير والزهو الكبر والتدريب التعويد وقوله
والزم كلا الى نفسه اي من مقابلة الاحسان او الاساءة بمثلها والنصب
التعب والمنافثة المحادثة وبالله التوفيق الفصل الثاني
في التنبيه على طبقات الناس ووضع كل في موضعه اللايق به في الحكمة المدنية
والاشارة الى تعلق كل طبقة بالاخرى والى من يستصلح من كل صنف ويكون اهلا
لتلك المرتبة وذلك قوله واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى
ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها ارباب
الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكل قد سمى الله
سهمه ووضع على حده فريضته في كتابه او سنة نبيه محمد صلى الله عليه
وآله عهدا منه عندنا محفوظا فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين
الولاة وعز الدين وسبل الامن وليس تقوم الرعية الا بهم ثم لا قوام
للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم
ويعتمدون عليه فيما اصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين
الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون
من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الامور وعوامها
ولا قوام لهم جميعا الا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم
ويقيمون من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بايديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم
ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم
وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه فول من جنودك انصحهم
في نفسك لله ولرسوله ولامامك انقاهم جيبا وافضلهم حلما ممن يبطئ عن

الغضب

عن الغضب ويستريح الى العذر ويرؤف بالضعفاء وينبو على الاقوياء وممن نخ
لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف ثم الصق باهل الاحساب وذوي البيوتات
الصالحة والسوابق الحسنة ثم اهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم جماع
من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من امورهم ما يتفقده الوالدان من
ولدهما ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به ولا تحقرن لطفا تعاهدتهم
به وان قل فانه داعية لهم الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد
لطيف امورهم اتكالا على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعا ينتفعون
به وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه وليكن آثر رؤس جندك عندك من واساهم
في معونته وافضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف اهليهم
حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم
عليك ولا يصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة امورهم وقلة استثقال دولهم وترك
استبطاء انقطاع مدتهم فافسح في آمالهم وواصل من حسن الثناء عليهم وتعديد ما
ابلى ذوو البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن فعالهم يهز الشجاع ويحرض الناكل ان
شاء الله ثم اعرف لكل امرئ منهم ما ابلى ولا تضمن بلاء امرئ الى غيره ولا تقصرن
به دون غاية بلائه ولا يدعونك شرف امرئ الى ان تعظم من بلائه ما كان صغيرا
ولا ضعة امرئ الى ان تستصغر من بلائه ما كان عظيما واردد الى الله ورسوله
ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الامور فقد قال الله سبحانه لقوم
احب ارشادهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول و
اولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول والرد الى الله
الاخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة ثم
اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور
ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه ولا تشرف
نفسه على طمع ولا يكتفي بادنى فهم دون اقصاه واوقفهم في الشبهات واخذهم

بالحجج واقلهم تبرماً بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور واصرمهم عند تكشف
اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء واولئك قليل ثم اكثر تعاهد
قضائه وافسح له في البذل ما يزيح علته وتقل معه حاجته الى الناس واعطه
من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليامن بذلك اغتيال الرجال
عندك فانظر في ذلك نظراً بليغاً فان هذا الدين قد كان اسيراً في ايدي الاشرار
يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا ثم انظر في امور عمالك فاستعملهم اختباراً ولا
تولهم محاباة واثرة فانهما جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم اهل التجربة
والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم اكرم اخلاقاً
واصح اعراضاً واقل في المطامع اشرافاً وابلغ في عواقب الامور نظراً ثم اسبغ اعراضاً
عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على الاستصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ما
تحت ايديهم وحجة عليهم ان خالفوا امرك او ثلموا امانتك ثم تفقد اعمالهم وابعث
من اهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك في السر لامورهم حدوة لهم على استعمال
الامانة والرفق بالرعية وتحفظ من الاعوان فان احد منهم بسط يده الى خيانة
اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه
العقوبة في بدنه واخذته بما اصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته
بالخيانة وقلدته عار التهمة وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله فان في صلاحه
وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم الا بهم لان الناس
كلهم عيال على الخراج واهله وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك
في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة
اخرب البلاد واهلك العباد ولم يستقم امره الا قليلاً فان شكوا علة
او ثقلاً او انقطاع شرب او بالة او احالة ارض اغتمرها غرق او اجحف ثقلاً او علة
بها عطش خففت عنهم بما ترجوا ان يصلح به امرهم ولا يثقلن عليك شيء خففت
به المؤنة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك

مع

مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمداً فضل ثنائهم
قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك
عليهم ورفقك بهم فربما حدث من الامور ما اذا عولت فيه عليهم من
بعد احتملوه طيبة انفسهم به فان العمران محتمل ما حملته وانما يؤتى خراب محتمل
الارض من اعواز اهلها وانما يعوز اهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع
وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر ثم انظر في حال كتابك فول على
امورك خيرهم واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكايدك واسرارك
باجمعهم لوجوه صالح الاخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك
في خلاف لك بحضرة ملأ ولا تقصر به الغفلة عن ايراد مكاتبات عمالك
عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما ياخذ لك ويعطي منك
ولا يضعف عقداً اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك ولا
يجهل مبلغ قدر نفسه في الامور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره اجهل
ثم لا يكن اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك
فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم
ليس وراء ذلك من النصيحة والامانة شيء ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين
قبلك فاعمد لاحسنهم كان في العامة اثراً واعرفهم بالامانة وجهاً فان ذلك
دليل على نصيحتك لله ولمن وليت امره واجعل لراس كل امر من امورك
راساً منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من
عيب فتغابيت عنه الزمته ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات
واوص بهم خيراً المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانهم مواد المنافع ببدنه
واسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك و
جبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها فانهم سلم لا تخاف
بائقته وصلح لا تخشى غائلته وتفقد امورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم

مع ذلك ان في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع في البياعات وذلك وشحاً
باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى
الله عليه واله منع منه وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل واسعار لا تجحف
بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل وعاقب
في غير اسراف ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين و
المحتاجين والبؤسى والزمنى فان في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً فاحفظ الله
ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي
الاسلام في كل بلد فان للاقصى منهم مثل الذي للادنى وكل قد استرعيت حقه
فلا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييع التافه لاحكامك الكثير المهم
فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم وتفقد امور من لا يصل اليك ممن تقتحمه
العيون وتحقره الرجال ففرغ لاولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع فليرفع
اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله سبحانه يوم تلقاه فان هؤلاء من
بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر الى الله في تادية حقه اليه
وتعهد اهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه
وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا
انفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم اقول قسم الناس الى الطبقات بسبع لا يصلح
بعضها الا ببعض كما بينه واهل الاذمة تفسير لاهل الجزية ومسلمة الناس تفسير لاهل
الخراج ويجوز ان يكونا تفسيراً لاهل الجزية والخراج معاً لان للامام ان يقبل ارض
الخراج من سائر المسلمين واهل الذمة واراد بالسهم الذي سماه الله لكل منهم
استحقاقه في كتابه اجمالاً من الصدقات كالفقراء والمساكين وعمال الخراج والصدقة
وحده الذي وضع الله عليه عهداً منه هو من سنته ومنزلته من الناس مثل الجند
لهم مرتبة ومقام من العمل محدود اخذ عليه عهداً من الله في النصيحة والقيام بطاعة
الله فيه وفرضه لزومه للعمل بذلك وكذلك سائر الطبقات والمعاقد جمع معقد ومعقود

كعقود

كعقود البياعات والانكحة ونحوها واحكامهم تعود الى القضاة وجمع المنافع
يعود الى العمال والضمير في يثقلون يعود الى الصنفين والمرافق المنافع والرفق
النفعة وارفق المعونة ويحق بحب ونقاء الجيب كناية عن الامانة ويتيح الى
العوز اي بقبوله وينبو عن الاقوياء اي يعلو عليهم ولا يميل ميلهم على من دونهم
ولا تثيره العنف اي لا يكون له عنف فتثيره وقيل لا يثيره عنف الغير ولا
ينزعج منه ولا يقعد به الضعف اي لا يكون ضعيفاً يقعده ضعفه عما ينبغي و
الحسب ما يعد من الماثر والمكارم والحسب الكفاية والنجدة فضيلة تحت الشجاعة
والعرف المعروف ونعاقم الامر اشتد وصعب ولطيف امورهم صغيرها و
جسيمها عظيمها اي لا تدع تفقد حاجاتهم الجزئية اعتماداً على قضائك حاجتهم
الكلية في العطاء العام ونحوه ومعونة رزقه وجدته غناه والخلوف المتخلفون
عنهم وحيطتهم شفقتهم الناكل الراجع الفار ويطلعك يثقل وضاق به
الامر اذا لم يقدر عليه وتمحكه الخصوم تغلبه على الحق باللجاج وهو اللجاج والالداد
والحصر الوقوف من العي والتبرم التضجر وتكشف الامور ايضاحها ويزدهيه
الاطراء اي يفعل فيه كثرة المدح ويدخل فيه الغيبة ونحوها والاشرار الولاة
قبله وقيل محمد بن ابي بكر ولا تولهم محاباة اي معاملة واثرة اي استبداد المتي باخذ
من شخص شيئاً وتوليه امراً ويستبد بذلك دون مشاورته فيه وجماع من شعب
الجور والخيانة اي جماعة منها اما انهما من شعب الجور فللخروج بهما عن فضيلة
العدل المامور به شرعاً وهو التحري في طلب الوالي الاصلح للعباد والبلاد والاتبع
بطاعة الله فيهما واما انهما من شعب الخيانة فلان من الدين التحري في طلب الوالي
الاصلح وهو امانة فعدم التحري في ذلك خروج عنها الى رذيلة الخيانة والتوخي
طلب القصد والثلم الكسر وكنى به عن الخيانة وحدوة اي حث والضمير في قوله
صلاحهم يعود الى اهل الخراج والشرب النصيب من الماء والبالة اليسير من الماء
تبل به الارض واحالة الارض تغيرها عما كانت عليه من استواء فلم يحب زرعها

ولو فيں يحلّها واجحف بها ذهب وتبجحك اى اظهار سرورك وفخرك
ومعتمدا اى قاصدا والاجمام الاراحة والرفق ضد العنف والاعوان الفقهى
وسوطتهم بالبقاء اى بقاء العمل فى ايديهم وقوله ولا يضعف الى قوله الامور
اى يكون ممن اذا اعقد لك عقدة اى احكمها واذا عليك غير كرامر اقام
بجليه ولا يدخل فى امر الابعد معرفته به واستنام الى الامر سكن اليه واعتمد عليه
وقوله ليس وراء ذلك اى تعشير لفراسة الولاة واعدوا اى اقصدوا وتغابلته
تغافلت والزمته اى عند الله وفى الآخرة وما اوصى بالتجار وذوى الصناعات
بنته على ذلك يصيرين صنفوى الاول قوله فانهم مواد المنافع الى قوله يحتوبون
عليها وذلك اشارة الى وجود المنفعة منهم وصنفوى الثانى قوله فانهم سلم الى
قوله غايلته واشار بذلك الى عدم المضرة منهم والترفق ببدنه طالب المنفعة
بصنعته والمطارح جمع مطرح وهى الارض البعيدة ولا يلتئم الناس لمواضعها
اى فى مواضعها وذلك كالجبال والبحار والغير فى مواضعها الكمال فرح والبائقة
الداهية الغايلة الشر والضيق البخل والاحتكار حبس المنافع عن الناس عند الحاجة
اليها وورود النهى الشرعى عن ذلك فى اجناس التى يعم نفعها ويكثر الحاجة اليها وهى
الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن والملح والتحكم فى البياعات ان يبيع على
حكمه بمجرد الهوى من غير رجوع الى شريعة او عرف وقارف كذا اى اكتسبه
وفعله والحوكة بالضم الاسم والبوسى الشدة والقانع السائل يقنع بما يعطى والمعتر
الذى يتعرض للعطاء من غير سوال والصوافى جمع صافية وهى ارض الغنيمة والاقصى
والادنى اى الابعد عنك والادنى منك والبطر تجاوز الحد فى الفرح والنشاط واراد
لا يكن لك بطر بما انت فيه من الامرة فيشتغل عنهم والتافه الشئ القليل وشخص همك
ترفعه وتصعير الخد امالته او تقتحمه العيون تزدريه واعذر الرجل اذا عذر وذوى
الرقة فى السن العاجزون الذين رقت حالهم عن تحصيل المعاش ولا ينصب للمسئلة
نفسه اى حياء وتعففا الفصل الثالث فى اوامر ونواهى مصلحية وآداب خلقية

وسياسية

وعالها الى غير ذلك وهو
وسياسية بعضها خاصة بنفسه واحوال عبادته وبخاصته
قوله واجعل لذوى الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا
عاما فتتواضع فيه لله الذى خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك
وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه
وآله يقول فى غير موطن لن تقدس امة لا يوخذ للضعيف فيها حقه من القوى
غير متتعتع ثم احتمل الخرق منهم والعى ونح عنك الضيق والانف يبسط الله عليك
بذلك اكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته واعط ما اعطيت هنيئا وامنع
فى اجمال واعذار ثم امور من امورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك
بما يعيا عنه كتابك ومنها اصدار حاجات الناس عند ورودها عليك مما تحرج
به صدور اعوانك وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما
بينك وبين الله افضل تلك المواقيت واجزل تلك الاقسام وان كانت
كلها لله اذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية وليكن فى خاصة ما تخلص
به لله دينك اقامة فرائضه التى هى له خاصة فاعط الله من بدنك فى ليلك
ونهارك ووف ما تقربت به الى الله من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص
بالغا من بدنك ما بلغ فاذا قمت فى صلاتك للناس فلا تكونن منفرا
ولا مضيعا فان فى الناس من به العلة وله الحاجة وقد سالت رسول الله
صلى الله عليه وآله حين وجهنى الى اليمن كيف اصلى بهم فقال صل بهم كصلاة
اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما واما بعد هذا فلا تطولن احتجابك عن
رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور و
الاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم
الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل وانما الوالى بشر لا يعرف
ما توارى عنه الناس به من الامور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب
الصدق من الكذب وانما انت احد رجلين اما امرء سخت نفسك بالبذل

فى الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه او فعل كريم تسديه او مبتلى
بالمنع فما اسرع كف الناس عن مسالتك اذا ايسوا من بذلك مع ان اكثر حاجات
الناس اليك ما لا مؤنة فيه عليك من شكاة مظلمة او طلب انصاف فى
معاملة ثم ان للوالى خاصة وبطانة فيهم استيثار وتطاول وقلة انصاف فاحسم
مؤنة اولئك بقطع تلك الاحوال ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك قطيعة
ولا يطمعن منك فى اعتقاد عقدة يضر بمن يليها من الناس فى شرب او عمل
مشترك يحملون مؤنته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه
عليك فى الدنيا والآخرة والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن فى ذلك
صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخواصك حيث وقع وابتغ عاقبته بما
يثقل عليك منه فان مغبة ذلك محمودة وان ظنت الرعية بك حيفا فاصحر لهم
بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك فان فى ذلك اعذارا تبلغ فيه حاجتك
من تقويمهم على الحق ولا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك لله فيه رضى فان
فى الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وامنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر
من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم فى ذلك حسن
الظن وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة او البسته منك ذمة فحط
عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة دون ما اعطيت فانه
ليس من فرائض الله سبحانه شئ الناس اشد عليه اجتماعا مع تفرق اهوائهم
وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون
المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن
بعهدك ولا تختلن عدوك فانه لا يجترى على الله الا جاهل شقى وقد جعل الله
عهده وذمته امنا افضاه بين العباد برحمته وحريما يسكنون الى منعته و
يستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا
تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التاكيد والتوثقة ولا يدعونك ضيق

امر

امر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق امر ترجو انفراجه
وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك فيه من الله طلبة
لا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك اياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه ليس
شئ ادعى لنقمة ولا اعظم لتبعة ولا احرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك
الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من
الدماء يوم القيمة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه
ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندى فى قتل العمد لان
فيه قود البدن وان ابتليت بخطاء وافرط عليك سوطك او يدك بعقوبة فان
فى الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن ان تؤدى
الى اولياء المقتول حقهم واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها
وحب الاطراء فان ذلك من اوثق فرص الشيطان فى نفسه ليمحق ما يكون من
احسان المحسنين واياك والمن على رعيتك باحسانك او التزيد فيما كان من فعلك
او ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فان المن يبطل الاحسان والتزيد
تذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله وعند الناس فان الله
سبحانه يقول كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون اياك والعجلة بالامور
قبل اوانها او التساقط فيها عند امكانها واللجاجة فيها اذا تنكرت او الوهن
عنها اذا استوضحت فضع كل امر موضعه واوقع كل عمل موقعه واياك و
الاستيثار بما الناس فيه اسوة والتغابى عما يعنى به مما قد وضح للعيون فانه
ماخوذ منك لغيرك وعما قليل تنكشف عنك اغطية الامور وينتصف منك
للمظلوم املك حمية انفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك
واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتاخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك
الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك والواجب
عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنة فاضلة او اثر

اواللجاجة

عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله او فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكي لا يكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها ومن هذا العهد وهو آخره وانا اسأل الله تعالى بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء في العباد وجميل الاثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة انا اليه راغبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليما كثيرا اقول الشرط العلامة وسمي الشرطة بذلك لاعلامهم انفسهم بعلامة يعرفون بها والتقديس التطهير والخرق العنف في القول وهو ضد الرفق والضيق سوء الخلق والكناف جمع كنف جوانبها واحور مبتدأ قدم خبره اي ثم هناك امور وكنى بخروج صدور اعوانه عن عجزهم عن اصدار ما يرد عليهم والاجر الاعظم والجزيل العظيم وقوله وان كانت كلها لله الى قوله الرعية اشارة الى ان حسن التدبير في الولاية من الامام الحق عبادة وممنوعا اي بطول الصلاة والضمير في منهم للولاة وقوله فيصغر الى قوله القبيح اشارة الى المفاسد اللازمة من الاحتجاب والضمير في عندهم للرعية وصغر الامر الكبير كان يظلم القوي فيصغر الناس جريمته وكبر الضعيف كان تقع من بعض الضعفاء صغيرة فيعظمها الناس وكذلك قبح الحسن وحسن القبيح والسمات العلامات وتلك الاحوال اشارة الى الاستيثار والتطاول وقلة الانصاف والحسم القطع واسباب تلك الاحوال هو كما اشار اليه ونهاه عنه من اقطاع القطايع لحاشيته وخاصته وهي قرابته و اعتقاد العقد وكنى بها عما يقتني من الضياع والعقدة الضيعة والمكان كثير الشجر والنخل واعتقد الضيعة اقتناها ومن لزمه اي الحق ومحتسبا اي متقربا به الى الله وقوله واقعا ذلك اي الزام الحق وحيث وقع اي من بعيد او قريب

منهم

النعمة

منهم وعاقبته هو ثواب الآخرة والذكر الجميل ومغبته ذكر عاقبته المذكورة واضحوا اظهر والدعة الراحة وما استوبلوا اي ما وجدوه من الوبال في عاقبة الغدر وهو وخمها وسوؤها وخاس بالعهد نقضه والختل الخداع ونبه على ان الخداع بالمعاهدة والغدر فيها جراءة على الله يستلزم الشقاوة بقوله فانه الى قوله شقي وفيه تنبيه على ضمير تقدير صغراه فانك بذلك مجتر على الله وتقدير كبراه وكل مجتر على الله تلزمه الشقاوة الاخروية وافضاه وسعه وتسكنه ويستفيضون يندفعون الى جواره ولزومه والادغال الافساد والمدالسة مفاعلة من التدليس والعلل الاحداث المفسدة للعهود ونحوها ولحن القول كالتورية والتعريض فيه كما ادعاه طلحة في بيعته لعلي عليه السلام ولا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك اي لا يكون لك فيها خير تستقبله وتلتقي الا للخزي وروي تستقيل بالياء اي لا يكون لك من تلك التبعة اقالة في الدنيا والآخرة واحرى اولى والقود قتل القاتل بالمقتول وافرط سبق والوكزة مثل الضربة والدفعة وقيل هي الضربة بجمع اليد على الذقن ولا تطمحن اي لا ترتفع والفرصة امكان الشيء من نفسه والتزيد اظهار الزيادة مع عدمها في معرض الافتخار ونفى عن المن والتزيد والخلف بضماير ثلثه وتقدير رباتها وكلما كان كذلك فلا يجوز فعله ونبه على صغرى الثالث وهي قوله الخلف الى قوله الناس بضمير صغراه قوله فان الله سبحانه الى قوله تفعلون وقولهم ما لا يفعلون هو الخلف وتقدير كبراه وكلما اوعد الله المقت على فعله اوجب فعله المقت عنده وعند الناس والعجلة في الامور قبل اوانها واللجاجة في طلبها اذا تنكرت اي لم يعرف وجه تحصيلها وتفسرت هو طرف الافراط في طلبها والتساقط فيها والقعود عنها عند امكانها والوهن عنها عند وضوحها طرف التفريط والتقصير فيها وهي رذايل منهي عنها والحق هو الوسط بين هذه الاطراف ولذلك وضع كل امر موضعه واسوة اي سواء والتغابي التغافل ويعني به اي ما ينبغي

العناية به من رد المظالم الواقعة منك او بسببك واشار بغطية الامور الى غطاء الموت وهيانه الى احجبه لحقايق الامور ان يدركها بعين بصيرته وحمية الانف الغضب والانفة وسورة حرة حدة غضبه وباسه وغرب اللسان حدته والبادرة سرعة السطوة والعقوبة والعلة والتعلل بما يشبه العذر واعلم ان مقاصد هذا العهد واخره بينة ولا مزيد على ما اودعه عليه السلام فيه من الحكمة الخلقية والمدنية والسياسة وكمالات القوة العملية التي ورثها الانبيا والمرسلون اوصياهم والحكماء السابقون من بعدهم وكفى بذلك شرفا وفضلا وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام الى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي وذكر هذا الكتاب ابو جعفر الاسكافي في كتاب المقامات اما بعد فقد علمتما وان كتمتما اني لم ارد الناس حتى ارادوني ولم ابايعهم حتى بايعوني وانكما ممن ارادني وبايعني وان العامة لم تبايعني بسلطان غاصب ولا لحرص حاضر فان كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا الى الله من قريب وان كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل باظهاركما الطاعة واسراركما المعصية ولعمري ما كنتما باحق المهاجرين بالتقية والكتمان وان دفعكما هذا الامر من قبل ان تدخلا فيه كان اوسع عليكما من خروجكما منه بعد اقراركما به وقد زعمتما اني قتلت عثمان فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من اهل المدينة ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل فارجعا ايها الشيخان عن رايكما فان الآن اعظم امركما العار من قبل ان يجتمع العار والنار اقول خزاعة قبيلة من الازد والاسكافي منسوب الى اسكاف رستاق كبير كان بين النهروان والبصرة وكتاب المقامات صنفه الشيخ المذكور في مناقب امير المؤمنين عليه السلام وقوله ثم يلزم كل امرئ اي من الايمة والعار بقدر ما احتمل من الاثم والغدر والعيب تعبير بالغدر ونقض العهد كثيرا والمعنى ظاهر ومن كتاب له عليه السلام الى معوية اما بعد فان الله

سبحانه

وانكما

سبحانه جعل الدنيا لما بعدها وابتلى فيها اهلها ليعلم ايهم احسن عملا ولسنا للدنيا خلقنا ولا بالسعي فيها امرنا وانما وضعنا فيها لنبتلى بها وقد ابتلاني بك وابتلاك بي فجعل احدنا حجة على الآخر فعدوت على طلب الدنيا بتاويل القران وطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني وعصبته انت واهل الشام بي والب عالمكم جاهلكم وقائمكم قاعدكم فاتق الله في نفسك ونازع الشيطان قيادك واصرف الى الآخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك واحذر ان يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الاصل وتقطع الدابر فاني اولي لك بالله الية غير فاجرة لئن جمعتني واياك جوامع الاقدار لا ازال بباحتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين اقول اراد بالسعي المذموم في طلبها لنفسها وقد سبق معنى ابتلاء الله لعباده ووجه كونه عليه السلام حجة على معوية دعاؤه اياه الى طاعة الله فذلك حجة عليه ان يقول يوم القيمة اني كنت من الغافلين ووجه كون معوية حجة عليه عصيانه لله ومحاربته اياه حتى لو قصر في قتاله كان ملوما فكان معوية حجة الله على التقصير في طاعته وعدوت يحتمل ان يكون من العدو وهو الجري او من العدوان وتاويل القران كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى وتاويله لذلك بادخال نفسه فيه وطلب القصاص لعثمان وانما دخل بالتاويل لان الخطاب خاص بمن قتل وقتل منه ومعوية بمعزل عن ذلك اذ لم يكن ولي دمه فتاول الآية بالعموم ليدخل فيها وما لم تجن يداي من القتل والمشاركة فيه وعصبته علقته والتاليب التحريض والقارعة الداهية والدابر المتاخر من النسل والالية اليمين وباحة الدار ساحتها ومقصوده تهديده بعدم انفكاكه عنه الى الغاية المذكورة بلاغ في التخويف والانذار ومن كلام له عليه السلام وصى به شريح بن هاني لما جعله على مقدمته الى الشام اتق الله في كل صباح ومساء وخف على نفسك الدنيا الغرور ولا تامنها على حال واعلم انك ان لم تردع نفسك عن كثير

ما تحب مخافة مكروهه سمت بك الاهواء الى كثير من الضرر فكن لنفسك
مانعا رادعا ولنزوتك عند الحفيظة واقما قامعا اقول لا يأمنها على حال اي
تركن اليها البتة لانها غرور ونفسه التي ابى بكلها الامارة بالسوء والنزوة و
الوثبة والحفيظة الغضب والرد الذي يرد الشيء ابلغ الرد والوقم القهر والاذلال
وكذلك القمع ومن كتاب له عليه السلام الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى
البصرة اما بعد فاني خرجت من حيي هذا اما ظالما واما مظلوما واما باغيا واما
مبغيا عليه وانا اذكر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر الي فان كنت محسنا اعانني
وان كنت مسيئا استعتبني اقول الحي القبيلة وقوله اما ظالما الى قوله عليه من باب
تجاهل العارف او لان اهل الكوفة لم يكن بعد ظهرت لهم القضية ليعرفوا الظالم
من المظلوم ومن بلغه مفعول اول لاذكر اخر لطوله ولما مشددة بمعنى الا او مخففة
من ما زايدة دخل عليها اللام التاكيد اي لينفرن الي وبالله التوفيق ومن كتاب له
عليه السلام الى اهل الامصار يقتص فيه ما جرى بينه وبين اهل صفين وكان بدؤ — بدئ
امرنا انا التقينا والقوم من اهل الشام والظاهر ان ربنا واحد ونبينا واحد و
دعوتنا في الاسلام واحدة لا نستزيدهم في الايمان بالله والتصديق لرسوله صلى
الله عليه وآله لا يستزيدوننا والامر واحد الا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه — لا يستزيدوننا الامر
براء فقلنا تعالوا نداو ما لا يدرك اليوم باطفاء النائرة وتسكين العامة حتى يشتد
الامر ويستجمع فنقوى على وضع الحق في مواضعه فقالوا بل نداويه بالمكابرة فابوا
حتى جنحت الحرب وركدت ووقدت نيرانها وحمست فلما ضرستنا واياهم ووضعت
مخالبها فينا وفيهم اجابوا عند ذلك الى الذي دعوناهم فاجبناهم الى ما دعوا و
سارعناهم الى ما طلبوا حتى استبانت عليهم الحجة وانقطعت منهم المعذرة فمن تم
على ذلك منهم فهو الذي انقذه الله من الهلكة ومن لج وتمادى فهو الراكس الذي
ران الله على قلبه وصارت دائرة السوء على رأسه اقول
يروى بدء امرنا اي ابتداؤه والنائرة العداوة وقوله فقلنا الى قوله مواضعه

كناية

كناية عن دعائه لهم الى حقن الدماء بترك الحرب وقوله فقالوا الى قوله المكابرة كناية
عن ابائهم ومخالفتهم له وجنحت مالت وركدت ثبتت وحمست اشتدت
وروي بالشين المعجمة اي التهبت غضبا واجابتهم الى ما دعاهم اليه طلبهم للصلح
وحقن الدماء صبيحة ليلة الهرير كما سبق واجابته لهم في رضاه بالتحكيم وظهور
الحجة عليهم برجوعهم الى عين ما كان قد دعوهم اليه من حقن الدماء وفي ذلك
انقطاع عذرهم في المطالبة بدم عثمان اذ كان سكوتهم عن مطالبة لا حق لهم فيه
اسهل من سفك دماء سبعين الفا من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان
ومن تم على ذلك اي على الصلح والرضا به فهو الذي انقذه الله اي خلصه من
الهلكة ومن لج اي في انكار الصلح وتحكيم كتاب الله وتمادى في ذلك اي اقام عليه
وهم الخوارج واستعار لهم لفظ الراكس وهو المردود فعلوا باعتبار انتكاس عقولهم
في ظلمة الجهل والشبه الباطلة بعد استنارتها وظهورها بنور الايمان او
انتكاسهم في العقوبة والقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة كقوله تعالى والله
اركسهم بما كسبوا اي ردهم الى عقوبة كفرهم ومن كتاب له عليه السلام الى
الاسود بن قطبة صاحب جند حلوان اما بعد فان الوالي اذا اختلف هواه
منعه ذلك كثيرا من العدل فليكن امر الناس عندك في الحق سواء فانه ليس في الجور
عوض من العدل فاجتنب ما تنكر امثاله وابتذل نفسك فيما افترض الله
عليك راجيا ثوابه ومتخوفا عقابه واعلم ان الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها
فيها ساعة الا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة فانه لن يغنيك عن
الحق شيء ابدا ومن الحق عليك حفظ نفسك والاحتساب على الرعية بجهدك
فان الذي يصل من ذلك افضل من الذي يصل بك والسلام اقول ما تنكر
امثاله اي من غيرك ولم يفرغ اي من العمل في طاعة الله وحفظ نفسك اي في الآخرة
والاحتساب على الرعية اي بالأخذ على ايديهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقوله
فان الذي آخره منفرا ضميره تنبيه به على وجوب الاحتساب والمعنى ان الذي يصل

اليك من ثواب العمل بذلك افضل مما يصل الى الرعية من عدلك واحسانك اليهم
ومن كتاب له عليه السلام الى العمال الذين يطأ عملهم الجيش من عبد الله علي
امير المؤمنين الى من مر به الجيش من جباة الخراج وعمال البلاد اما بعد فاني قد سيرت
جنودا هي مارة بكم ان شاء الله وقد اوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الاذى
وصرف الشذى وانا ابرأ اليكم والى ذمتكم من معرة الجيش الا من جوعة المضطر
لا يجد عنها مذهبا الى شبعه فنكلوا من تناول منهم ظلما عن ظلمهم وكفوا ايدي
سفهائكم عن مضادتهم والتعرض لهم فيما استثنيناه منهم وانا بين اظهر الجيش فارفعوا
الي مظالمكم وما عراكم مما يغلبكم من امرهم ولا تطيقون دفعه الا بالله وبي فانا اغيره
بمعونة الله ان شاء الله اقول الشذى الشر ومعرة الجيش مضرته ونكلوا اصرفوا
وخوفوا وما استثناه منهم هو جوعة المضطر وكونه بين اظهر الجيش كناية عن
كونه موجها لهم وعراكم غشيكم اقول ومن كتاب له عليه السلام الى كميل بن
زياد النخعي وهو عامله على هيت ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو
طالبا للغارة اما بعد فان تضييع المرء ما ولي وتكلفه ما كفي لعجز حاضر ورأي
متبر وان تعاطيك الغارة على اهل قرقيسيا وتعطيلك مسالحك التي وليناك ليس بها
من يمنعها ولا يرد الجيش عنها لرأي شعاع فقد صرت جسرا لمن اراد الغارة من
اعدائك على اوليائك غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب ولا ساد ثغرة ولا كاسر
لعدو شوكة ولا مغن عن اهل مصره ولا مجز عن اميره والسلام اقول المتبر الهالك
الفاسد والشعاع المتفرق واستعار له لفظ الجسر باعتبار عبور العدو اليه الى عمله
وشدة المنكب كناية عن القوة على الدفع والثغرة والثغر من الفرج من البلاد التي
تحتاج الى السد بالرجال والشوكة القوة ومن كتاب له عليه السلام الى اهل مصر
مع مالك الاشتر رحمه الله لما ولاه امارتها اما بعد فان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله
عليه وآله نذيرا للعالمين ومهيمنا على المرسلين فلما مضى صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون
الامر من بعده فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي ان العرب تزعج هذا الامر

من

من بعده صلى الله عليه وآله عن اهل بيته ولا انهم منحوه عني من بعده فما راعني
الا انثيال الناس على فلان يبايعونه فامسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس
قد رجعت عن الاسلام يدعون الى محق دين محمد صلى الله عليه وآله فخشيت ان
لم انصر الاسلام واهله ان ارى فيه ثلما او هدما تكون المصيبة به علي اعظم
من فوت ولايتكم التي انما هي متاع ايام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب
او كما يتقشع السحاب فنهضت في تلك الاحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن
الدين وتنهنه ومن هذا الكتاب اني والله لو لقيتهم واحدا وهم طلاع الارض
كلها ما باليت ولا استوحشت واني من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي انا
عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي واني الى لقاء الله لمشتاق وحسن ثوابه
لمنتظر راج ولكني آسى ان يلي امر هذه الامة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله
دولا وعباده خولا والصالحين حربا والفاسقين حزبا فان منهم الذي شرب فيكم
الحرام وجلد حدا في الاسلام وان منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الاسلام الرضائخ
فلولا ذلك ما اكثرت تأليبكم وتأنيبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم اذ ابيتم — ولتركتكم
وونيتم الا ترون الى اطرافكم قد انتقصت والى امصاركم قد افتتحت والى ممالككم — وروي قد انتقضت
تزوى والى بلادكم تغزى انفروا رحمكم الله الى قتال عدوكم ولا تثاقلوا الى الارض
فتقروا بالخسف وتبوءوا بالذل ويكون نصيبكم الاخس ان اخا الحرب الارق
ومن نام لم ينم عنه والسلام اقول المهيمن الشاهد والروع بالضم القلب وكذلك
البال والانثيال الانصباب وفلان هو ابو بكر وراجعة الناس الذين رجعوا عن الدين
وارتدوا في خلافته والمحق الهلاك والثلم الكسر وتلك الاحداث وقايع الحرب الذين ارتدوا
وزاح ذهب وزهق اضمحل وتنهنه اتسع وطلاع الارض ملؤها وآسى احزن واراد
بالسفهاء والفجار بني امية والدول بالضم جمع دولة بالضم والفتح وربما خص الضم
بالمال والفتح بالحرب وهو ان يصير المال او الغلبة مرة لهذا ومرة لذاك والخول العبيد
والذي شرب الحرام من بني امية هو المغيرة بن شعبة في عهد عمر حين كان واليا من

فاذا اقدم عليك رسولي
فان حققت

قبله على الكوفة فانه شرب الخمر وصلى بالناس سكران وزاد في الركعات وقاء
الخمر في المحراب فشهدوا عليه وجلد الحد وكذلك عتبة بن ابي سفيان جلده في
الخمر خالد بن عبد الله بالطائف والرضائخ جمع رضيخة والرضخ والرضيخة العطية
والذي رضخ له قيل هو ابو سفيان وابنه معوية حين كانا من المؤلفة قلوبهم يستمالون
الى نصرة الدين بالعطاء وقيل عمرو بن العاص حين اطعمه مصر على حرب علي عليه
السلام والتأليب الجمع والتحريض والتأنيب التعنيف واللوم وونيتم فترتم
والونى الفتور والضعف والتباطي عن الامور وتزوى تنقبض وتجمع وتفرقوا
بالخسف ترضوا بالدنية والنقصان وتبوءوا ترجعوا وباء كذا رجع به والارق
كبير السهر وهو كناية عن المتيقظ في الامور المهتم بها ومن كتاب له عليه السلام
الى ابي موسى الاشعري وهو عامله على الكوفة وقد بلغه تثبيطه الناس عن الخروج
اليه لحرب اصحاب الجمل من عبد الله علي امير المؤمنين الى عبد الله بن قيس اما بعد
فقد بلغني عنك قول هو لك وعليك فاذا قدم رسولي عليك فارفع ذيلك واشدد
مئزرك واخرج من جحرك واندب من معك وان تحققت فانفذ وان تفشلت
فابعد وايم الله لتؤتين حيث انت ولا تترك حتى تخلط بخاثرك وذايبك
بجامدك وحتى تعجل عن قعدتك وتحذر من امامك كحذرك من خلفك وما هي بالهوينا
التي ترجوا ولكنها الداهية الكبرى تركب جملها وتذل صعبها ويسهل جبلها
فاعقل عقلك واملك امرك وخذ نصيبك وحظك فان كرهت فتنح الى غير رحب
ولا في نجاة فبالحري لتكفين وانت نائم حتى لا يقال اين فلان والله انه لحق
مع محق وما نبالي ما صنع الملحدون اقول تثبيطه عن الامر شغله عنه واقعاده
والقول الذي هو له وعليه هو تثبيطه الناس عن الخروج الى حرب البصرة
بقوله ان ذلك فتنة وما كان يرويه عن الرسول صلى الله عليه وآله من القعود عن
الفتنة وهو له باعتبار ظاهر الدين وعليه باعتبار انه تنفير عن طاعة الامام الحق
واجب الطاعة وخروج عنها بالجهل وذلك عايد على فاعله بالمضرة الاخروية و

الدنيوية

والدنيوية ورفع ذيله وشد مئزره كناية عن تشميره في المسارعة الى امره
واستعار لفظ الجحر لبيته ملاحظة لشبهه بالثعلب ونحوه واندب اي
ابعث وقوله وان حققت اي ما نحن فيه من هذه الامور وصحة وجوب المتابعة
فيه فانفذ في ذلك وامض فيه وان تفشلت اي جبنت وضعفت عن معرفة
ذلك فابعد عنا وعنه وقوله حتى تخلط الى قوله بجامدك كالمثلين كنى
بهما عن خلط احواله الصافية بالتكدير كخثورة بذلته وسرور نفسه وسهولة
امره بصعوبته والقعدة هيئة القعود وانما جعل الحذر من خلف اصلا في التشبيه
لانه المعتاد في الحذر وهو كناية عن غاية الخوف وقيل اراد حتى تخاف من الدنيا
كخوفك من الآخرة وقوله وما هي بالهوينا اي القضية المعهودة بالهينة السهلة
وقوله تركب جملها الى قوله جبلها اي يركب الجمل فيها ويذل الصعب
الداخل فيها ولفظ الجبل مستعار للثابت من الرجال الرابط الجاش
ويستقل اي يلين فيها ويذل كل ذلك كناية عن شدتها واعقل عقلك مصدر
يقال فلان عقل عقله اذا رجع نفسه كانه شعر بشعوره بالشيء فيتقنه
اي اعقل عقلك بهذه الحال العظيمة وقيل مفعول به واعقله مأخوذ
من العقال اي اضبط عقلك واحبسه على معرفة الحق ولا تفرقه فيما لا
ينبغي ونصيبه من حظه اي من طاعة الله وقوله بالحري لتكفين اي
فبالجدير والاولى ان تكفى مؤنة هذا الامر وانت نائم عن طاعة الله
حتى لا يسأل عنك ولا يلتفت اليك والضمير في انه للامر المدعو اليه و
المحق في الدين مال عن الاستقامة فيه ومن كتاب له عليه السلام الى معوية
جوابا عن كتاب منه اما بعد فانا كنا نحن وانتم على ما ذكرت من الالفة
والجماعة ففرق بيننا وبينكم امس انا آمنا وكفرتم واليوم انا استقمنا
وفتنتم وما اسلم مسلمكم الا كرها وبعد ان كان انف الاسلام كله لرسول
الله صلى الله عليه وآله حزبا وذكرت اني قتلت طلحة والزبير وشردت

الزبير و

المصريين

بعائشة ونزلت بين المصرين وذلك امر غبت عنه فلا عليك ولا العذر
فيه اليك وذكرت انك زائري في المهاجرين والانصار وقد انقطعت
الهجرة يوم اسر اخوك فان كان فيك عجل فاسترفه فاني ان ازرك فذلك
جدير ان يكون الله انما بعثني للنقمة منك وان تزرني فكما قال اخو بني
اسد مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين
اغوار وجلمود وعندي السيف الذي اعضضته بجدك وخالك
واخيك في مقام واحد فانك والله ما علمت الاغلف القلب المقارب العقل
والاولى ان يقال لك انك رقيت سلما اطلعك مطلع سوء عليك لا لك لانك
نشدت غير ضالتك ورعيت غير سائمتك وطلبت امرا لست من اهله ولا في معدنه
فما ابعد قولك من فعلك وقريب ما اشبهت من اعمام واخوال حملتهم الشقاوة
وتمني الباطل على الجحود بمحمد صلى الله عليه وآله فصرعوا مصارعهم حيث علمت
لم يدفعوا عظيما ولم يمنعوا حريما لوقع سيوف ما خلا منها الوغى ولم تماشها
الهوينا وقد اكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم
الي احملك واياهم على كتاب الله واما تلك التي تريد فانها خدعة الصبي
عن اللبن في اول الفصال والسلام اقول امس كناية عن بدو الاسلام و
فتنتم اي ابتليتم بالغي وممن اسلم كرها ابو سفيان كما نبهنا عليه في
الاصل واستعار لفظ الانف لاشراف المسلمين باعتبار شرفهم وتقدمهم
كالانف والتشريد الابعاد والمصرين البصرة والكوفة وقوله وقد انقطعت
الهجرة يوم اسر اخوك اشارة الى انهم لم يكونوا من المهاجرين اذ كان
هو وابوه وجماعتهم ممن اخذ يوم الفتح ومن عليهم رسول الله صلى الله عليه
وآله فاطلقهم وسماهم بالطلقاء بعد ان اسلموا يومئذ كما سبق بيانه و
قال صلى الله عليه وآله يومئذ لا هجرة بعد الفتح وروي يوم اسر اخوك و
اخوه المأسور هو عمرو بن ابي سفيان اسر يوم بدر والتمثيل بالبيت

انه

انه لاحظ مشابهة استقبال معوية له باستقبالهم رياح الصيف في
شدة حرها وحملها الحصباء في مستقبليها وشابهته وجعله برياح
الصيف الموصوفة باعتبار شدة بأسهم وسطوتهم واستعار بحسب
تلك المشابهة لفظ الرياح المذكورة اوصافها لهم والحاصب الريح الشديدة
ترمي بالحصباء والاغوار المنخفضة من الارض جمع غور والجلمود الحجارة و
اعضضت السيف فلانا اي جعلته يعض به وهو من المقلوب لان
المضروب هو الذي يعض بالسيف وقد ذكرنا انه عليه السلام قتل جده لامه
وخاله واخاه حنظلة يوم بدر وروي اعضضته بالضاد المعجمة هو
استعارة وما بمعنى الذي ولفظ الاغلف مستعار لقلبه باعتبار كونه مغشى
بالشبهات والهيئات البدنية الحاجبة له عن ادراك الحق وفلان مقارب
العقل اي قليله وناقصه وقوله نشدت الى قوله سائمتك مثلان
كنى بهما عن طلبه ما ليس له بحق وقوله هو طلبه ما ليس له بحله عني
وفعله وحركاته طلب الملك وما مصدرية محلها الرفع بالابتداء وقريب خبره
مقدما قيل فمن اهل الشقاوة من جهة عمومته حمالة الحطب ومن جهة
خؤولته الوليد بن عتبة ويدخل في ذلك عمومة ابويه كشيبة عم هند والباطل
الذي كانوا يتمنونه كالنصرة على محمد عليه السلام واقامة امر الشرك وحيث علمت
كبدر وحنين وغيرها من المواطن والوغى الحرب وقوله ولم تماشها الهوينا
اي لم يلحق من بها هون ولا سهولة وما دخل فيه الناس هو بيعته عليه
السلام وطاعته واما تلك التي تريدها فهي خدعته بتخليته وبغيه لغاية ان
ترضى بامارة على الشام ومن كتاب له عليه السلام ايضا اليه اما بعد فقد
آن لك ان تنتفع باللمح الباصر من عيان الامور ولقد سلكت مدارج اسلافك
بادعائك الاباطيل واقحامك غرور المين والاكاذيب وبانتحالك ما قد
علا عنك وبابتزازك لما اختزن دونك فرارا من الحق وجحودا لما هو

الذي لك من لحمك ودمك مما قد وعاه سمعك وملئ به صدرك فماذا بعد
الحق الا الضلال وبعد البيان الا اللبس فاحذر الشبهة واشتمالها
على لبستها فان الفتنة طال ما اغدفت جلابيبها واغشت الابصار ظلمتها
وقد اتاني منك كتاب ذو افانين من القول ضعفت قواها عن السلم
اساطير لم يحكها منك علم ولا حلم اصبحت منها كالخائض في الدهاس والخابط في
الديماس وترقيت الى مرقبة بعيدة المرام نازحة الاعلام تقصر دونها
الانوق ويحاذى بها العيوق وحاش لله ان تلي للمسلمين بعدي صدرا
او وردا او اجري لك على احد منهم عقدا او عهدا فمن الآن فتدارك نفسك
وانظر لها فانك ان فرطت حتى ينهد اليك عباد الله ارتجت عليك الامور ومنعت
امرا هو منك اليوم مقبول والسلام اقول استعار لفظ اللحم والدم للادراك
عقله بشرعيته ومن عيان الامور متعلق بينفع والمفارج المسالك والمذاهب
والاقتحام الدخول في الشئ بشدة وانتحل الشئ ادعاه لنفسه وليس له وما علا
عنه هو ما يطلبه من الملك والامرة وابتزازه لما اختزن دونه هو استلابه
وغصبه لمال المسلمين الذي من شانه ان يخزن دونه وما هو الزم له هو طاعته
عليه السلام وما وعاه سمعه من دليل ذلك وملئ به صدره من العلم بوجوبه
والسنة الاساطير بها ولفظ مستعار لهم باعتبار دخولهم فيها واغدفت
ارسلت والافانين الاجناس المختلفة وذم الكتاب من جهة اللفظ بانه
اقوال مختلفة ملفقة لا تناسب وليس لها قوة توجب صلحا او عاطفة
ومن جهة المعنى بانه اباطيل غير محكمة النسج لا من جهة العلم ولا من جهة الحلم لان
الكتاب كان يشتمل على خشونة وغلظة مع انه في معرض طلب الصلح والاساطير
جمع اسطورة وهي الاباطيل والكذب والدهاس المكان السهل اللين كالرمل و
الديماس المكان شديد الظلمة وشبهه بالخائض والخابط فيهما باعتبار انه لا يهتدي
لوجه الحق في مسلكه وحركاته والمرقبة موضع عال مشرف ترتفع عليه الراصد

والانوق

والانوق الرخم والعيوق نجم معروف واستعار لفظ المرقبة لولاية المسلمين
وخص الرخمة لانها تقصد الاماكن العالية الصعبة من رؤوس الجبال فتوكر
هناك وتبيض وتفقص وارتجت اغلقت وما هو مقبول منه اليوم التوبة
والرجوع الى الطاعة ومن كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن عباس رحمه الله
وقد مضى هذا الكتاب فيما تقدم بخلاف هذه الرواية اما بعد فان العبد ليفرح بالشئ
الذي لم يكن ليفوته ويحزن على الشئ الذي لم يكن ليصيبه فلا يكن افضل ما نلت
من نفسك من دنياك بلوغ لذة او شفاء غيظ ولكن اطفاء باطل واحياء حق وليكن
سرورك بما قدمت واسفك على ما خلفت وهمك فيما بعد الموت اقول بما
قدمت اي لنفسك من الاعمال الصالحة النافعة في الآخرة وما خلفت اي من
الدنيا واسفه عليه ان يكون انفقه في سبيل الله ومن كتاب له عليه السلام
كتبه الى قثم بن العباس رحمهما الله وهو عامله على مكة اما بعد فاقم للناس
الحج وذكرهم بايام الله واجلس لهم العصرين فافت المستفتي وعلم الجاهل وذاكر
العالم ولا يكن لك الى الناس سفير الا لسانك ولا حاجب الا وجهك ولا تحجبن
ذا حاجة عن لقائك بها فانها ان ذيدت عن ابوابك في اول وردها لم
تحمد فيما بعد على قضائها وانظر الى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه الى
من قبلك من ذوي العيال والمجاعة مصيبا به مواضع المفاقر والخلات وما فضل
عن ذلك فاحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا ومر اهل مكة ان لا ياخذوا من ساكن اجرا
فان الله سبحانه يقول سواء العاكف فيه والباد فالعاكف المقيم والبادي الذي
يحج اليه من غير اهله وفقنا الله واياكم لمحابه والسلام اقول ايام الله كناية
عن عقوباته التي نزلت بمن مضى في الايام الخالية والعصرين الغداة والعشي و
السفير الرسول وذيدت دفعت وردت والمفاقر مواضع الفقر ووجوهه
واضاف مواضع اليه لتقارب اللفظين ومن كتاب له عليه السلام الى سلمان الفارسي

رحمه الله عليه قبل ايام خلافته اما بعد فانما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها
قاتل سمها فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت
به من فراقها وكن آنس ما تكون بها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمأن
فيها الى سرور اشخصته عنه الى محذور اقول آنس حال وما عطف عليه
خبر كان احذر اي اكن حال انسك بها احذر اكوانك منها وقوله فان صاحبها
الى آخره اي ان سكون صاحبها الى اللذة بها يستلزم الغفلة المحذورة
في الآخرة ومن كتاب له عليه السلام الى الحرث الهمداني وتمسك بحبل القرآن
واستنصحه واحل حلاله وحرم حرامه وصدق بما سلف من الحق واعتبر
بما مضى من الدنيا ما بقي منها فان بعضها يشبه بعضا وآخرها لاحق باولها
وكلها حائل مفارق وعظم اسم الله ان تذكره الا على حق واكثر ذكر الموت
وما بعد الموت ولا تتمن الموت الا بشرط وثيق واحذر كل عمل يرضاه
صاحبه لنفسه ويكرهه لعامة المسلمين واحذر كل عمل يعمل به في السر
ويستحيا منه في العلانية واحذر كل عمل اذا سئل عنه صاحبه
انكره واعتذر منه ولا تجعل عرضك غرضا لنبال القول ولا تحدث
الناس بكل ما سمعت فكفى بذلك كذبا ولا ترد على الناس كل ما حدثوك
به فكفى بذلك جهلا واكظم الغيظ واحلم عند الغضب وتجاوز عند المقدرة واصفح
مع الدولة تكن لك العاقبة واستصلح كل نعمة انعمها الله عليك ولا تضيعن
نعمة من نعم الله عندك ولير عليك اثر ما انعم الله به عليك واعلم ان
افضل المؤمنين افضلهم تقدمة من نفسه واهله وماله وانك ما تقدم من
خير يبق لك ذخره وما تؤخره يكن لغيرك خيره واحذر صحابة من يفيل رايه
وينكر عمله فان الصاحب معتبر بصاحبه واسكن الامصار العظام فانها
جماع المسلمين واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلة الاعوان على طاعة الله

واقصر

واقصر رايك على ما يعنيك واياك ومقاعد الاسواق فانها محاضر الشيطان
ومعاريض الفتن واكثر ان تنظر الى من فضلت عليه فان ذلك من ابواب
الشكر ولا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلاة الا فاصلا في سبيل الله او في امر
تعذر به واطع الله في جمل امورك فان طاعة الله فاضلة على ما سواها وخادع
نفسك في العبادة وارفق بها ولا تقهرها وخذ عفوها ونشاطها الا ما كان مكتوبا
عليك من الفريضة فانه لا بد من قضائها وتعاهدها عند محلها واياك ان ينزل بك
الموت وانت آبق من ربك في طلب الدنيا واياك ومصاحبة الفساق فان
الشر بالشر ملحق ووقر الله واحبب احباءه واحذر الغضب فانه
جند عظيم اقول همدان بسكون الدال قبيلة وحبل القرآن مستعار لما يتمسك
به منه ليتوصل الى الله واستنصحه اي اتخذه ناصحا وحائل اي زائل مفارق والشرط
الوثيق طاعة الله وما يرضاه صاحبه لنفسه ويكرهه لعامة الناس كالاستئثار
بالخيرات وهو كقوله ره للناس ما تريد لنفسك واكره لهم ما تكره لها واستصلاح
نعمة الله واظهار اثرها بدوام شكرها والاحسان منها الى الغير واضاعتها بقلة
ذلك والغفلة عنه والتقدمة من النفس والاهل استعمالهم في طاعة الله وعبادته
والصحابة مصدر كالصحبة وفيل رايه يضعف وجماع المسلمين جامعتهم وكون
الاسواق محاضر الشيطان باعتبار كونها مظان ثوران الشهوة ودونه موادها
وفاصلا في سبيل الله ذاهبا فيه وخادع نفسك اي اخرجها الى العبادة
بالخديعة دون القاهرة وعفوها ما سهل عليها ونحوه قول النبي صلى الله عليه وآله
ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض نفسك عبادة الله فان المنبت
لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى واستعار لفظ الآبق للخارج عن الطاعة في طلب الدنيا
باعتبار خروجه عنها والتوقير الاجلال والتعظيم ومن كتاب له عليه السلام الى
سهل بن حنيف الانصاري وهو عامله على المدينة في معنى قوم من اهلها لحقوا
بمعاوية اما بعد فقد بلغني ان رجالا ممن قبلك يتسللون الى معاوية فلا تاسف

على ما ينقونك من عددهم ويذهب عنك من مددهم فكفى لهم غيّاً ولك منهم شافياً
فرارهم من الهدى والحق وايضاعهم الى العمى والجهل وانما هم اهل الدنيا
مقبلون عليها ومهطعون اليها قد عرفوا العدل ورأوه و
سمعوه ووعوه وعلموا ان الناس عندنا فى الحق اسوة فهربوا الى الاثرة
فبعداً لهم وسحقاً انهم والله لم ينفروا من جور ولم يلحقوا بعدل وانا لنطمع
فى هذا الامر ان يذلل الله لنا صعبه ويسهل لنا حزنه ان شاء الله اقول
التسلل الذهاب واحداً واحداً والايضاع الاسراع وكذلك الاهطاع والاثرة الاستبداد
بالمال ونحوه والسحق البعد والحزن الشدة ومن كتاب له عليه السلام الى المنذر
بن الجارود العبدى وقد كان استعمله على بعض النواحى فخان الامانة اما بعد فان
صلاح ابيك غرنى منك وظننت انك تتبع هداه وتسلك سبيله فاذا انت
فيما رقى الى عنك لا تدع لهواك انقياداً ولا تبقى لآخرتك عتاداً تعمر دنياك بخراب
آخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك ولئن كان ما بلغنى عنك حقاً لجمل اهلك
وشسع نعلك خير منك ومن كان بصفتك فليس باهل ان يسد به ثغر او
ينفذ به امر او يعلى له قدر او يشرك فى امانة او يؤمن على خيانة فاقبل
الى حين يصل اليك كتابى هذا ان شاء الله قال السيد رحمه الله والمنذر بن الجارود
هذا هو الذى قال فيه امير المؤمنين انه لنظار فى عطفيه مختال فى برديه تفال
فى شراكيه اقول رقى الى رفع والعتاد العدة وعمارة الدنيا بخراب الاخرة
وترك العمل لها والشسع سير بين الاصبعين فى النعل العربى وقوله او
يؤمن على خيانة اى حال خيانة لان كلمة على يفيد الحال ومن كتاب له عليه
السلام الى عبد الله بن العباس رحمه الله اما بعد فانك لست بسابق اجلك ولا
مرزوق ما ليس لك واعلم بان الدهر يومان يوم لك ويوم عليك وان الدنيا دار
دول فما كان منها لك اتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك
اقول انما ذكر الضعف والقوة منه ليعلم استناد الاعمال والارزاق وغيرها

اهل دنيا بنيد الالف واللام فى اكثر النسخ

اى

الى مؤثر حكيم هو مبدء اسبابها ونظام وجودها وكمالاتها والتفصيل مع حكمته
ظاهر ومن كتاب له عليه السلام الى معوية اما بعد فانى على التردد فى جوابك
والاستماع الى كتابك لموهن راى ومخطى فراستى وانك اذا تحاولنى الامور
وتراجعنى السطور كالمستثقل النائم تكذبه احلامه او المتحير القائم يبهظه
مقامه لا يدرى أله ما يأتى ام عليه ولست به غير انه بك واقسم بالله لولا
بعض الاستبقاء لوصلت اليك منى قوارع تقرع العظم وتهلس اللحم واعلم
ان الشيطان قد ثبطك عن ان تراجع احسن امورك وتاذن لمقال نصيحتك
اقول موهن اى مضعف والسطور الكتب وتشبهه فى طمعه منه
بما يحاوله من امور الشام بالمستثقل فى نومه ووجه التشبه قوله تكذبه احلامه
واراد ان تخيلاته وامانيه لوصول الامر اليه تخيلات كاذبة والسطور
نصب بحذف الجار وكذلك شبهه بالمتحير القائم ووجه الشبه قوله يبهظه
اى يتعبه ويثقله الى قوله عليه واراد انه متحير فى طلب هذا الامر مجد فيه
وقد اتعبه ذلك مع انه لا يعلم عاقبته خير هى ام شر وقوله ولست به اى
ولست بهذا المشبه شبيهاً ولكنه بل شبيهاً وجعله هو اصلا فى التشبيه مبالغة
والقوارع شدائد الحرب واهواله وتهلس اللحم يذهب باصله وكذلك تمشى
وتبطه شغله وتاذن اى تصغى باذنك ومن كتاب له عليه السلام بين اليمن
وربيعة نقل من خط هشام بن الكلبى هذا ما اجتمع عليه اهل اليمن حاضرها
وباديها وربيعة حاضرها وباديها انهم على كتاب الله يدعون اليه و
يامرون به ويجيبون من دعا اليه وامر به لا يشترون به ثمناً ولا يرضون
به بدلاً وانهم يد واحدة على من خالف ذلك وتركه انصار بعضهم لبعض
دعوتهم واحدة لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب ولا لغضب غاضب ولا
لاستذلال قوم قوماً ولمسبة قوم قوماً على ذلك شاهدهم وغائبهم وحليمهم
وجاهلهم ثم ان عليهم بذلك عهد الله وميثاقه ان عهد الله كان مسئولاً

نوازع تنزع تمشى

وكتب على بن ابى طالب اقول حاضرها بدل من اهل وقوله ولا لاستذلال الى
قوله قوماً اى لا ينقضون العهد لمعونة قوم استذلهم قوم او ارادهم قوم و
روى لمسبة بالباء وهو ظاهر ومن كتاب له عليه السلام الى معوية من المدينة
فى اول ما بويع له بالخلافة وذكره الواقدى فى كتاب الجمل من عبد الله على امير
المؤمنين الى معوية ابن ابى سفيان اما بعد فقد علمت اعذارى فيكم واعراضى
عنكم حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له والحديث طويل والكلام كثير وقد ادبر
من ادبر واقبل من اقبل فبايع من قبلك واقبل الى فى وفد من اصحابك
اقول اعذاره اظهار عذره الى الله فى نصيحة عثمن واعراضه عنهم بعد الياس
من قبول نصيحته وعجزه عن نصرته وما لا بد منه هو قتله الذى وجب فى علم الله وقضائه
وطول الحديث فى امره ومن ادبر اشارة الى اهل الجمل ويحتمل ان يريد الاشياء
اى دخل فى الادبار من ادبر عنى وفى الاقبال من اقبل على والوفد الواردون
ويحتمل ان يكون قوله فيكم وعنكم لمعوية وغيره من السلمين واعذاره
اليهم بالنصيحة واداء الامانة واعراضه عنهم بترك معاجلة المسيء بالعقوبة وما
لا بد منه حرب الناكثين من اصحاب الجمل والحديث شرح قصتهم وشبهتهم
طويل وقد ادبر منهم من ادبر واقبل اليه من اقبل ومن وصية له عليه
السلام لعبد الله بن العباس عند استخلافه اياه على البصرة سع الناس بوجهك
ومجلسك وحكمك واياك والغضب فانه طيرة من الشيطان واعلم ان ما قربك
من الله يباعدك من النار وما باعدك من الله يقربك من النار اقول سعة الناس
بوجهه كناية عن بشره وطلاقته لهم ومجلسه كناية عن تواضعه ورافته بهم والطيرة
الاسم من التطير وهو التشأم واضافه الى الشيطان لانه مبدء الغضب
ومن وصية له عليه السلام لعبد الله بن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج
لا تخاصمهم بالقرآن فان القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاججهم
بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصاً اقول انما كان القرآن حمالاً للوجوه لان

وحلمك

الكثر

اكثر الايات غير ناصة على المطلوب بل محتملة يمكنهم المجادلة باحتمالها والحجج
المعول ومن كتاب له عليه السلام اجاب به موسى الاشعرى عن كتاب كتبه
اليه من المكان الذى اتعد واقيه للحكومة وذكر هذا الكتاب سعيد بن يحيى الاموى
فى كتاب المغازى وان الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم فمالوا مع
الدنيا ونطقوا بالهوى وانى نزلت من هذا الامر منزلاً معجباً اجتمع به اقوام اعجبتهم
انفسهم فانى اداوى منهم قرحاً اخاف ان يعود علقاً وليس رجل فاعلم احرص
على جماعة امة محمد صلى الله عليه وآله والفتها منى ابتغى بذلك حسن الثواب وكرم
المآب وسأفى بالذى وايت على نفسى وان تغيرت عن صالح ما فارقتنى عليه
فان الشقى من حرم نفع ما اوتى من العقل والتجربة وانى لاعبد ان تقول
قائل بباطل وان افسد امراً قد اصلحه الله فدع ما لا يعرف فان شرار الناس
طائرون اليك باقاويل السوء اقول عن كثير من حظهم اى الحظ الذى
ينبغى لهم من الدين والهدى والحظ النصيب والامر امر الخلافة والمنزل
المعجب الذى نزله منه حاله التى حصل فيها مع اصحابه وصارت محل التعجب
وكيف صار محكوماً لهم فى قبول الحكومة والرضى بالتحكيم وقوله اجتمع به صفة
منزل واستعار لفظ القرح لما فسد من حاله معهم ولفظ العلق وهو الدم
الغليظ لما يخاف من تفاقم امرهم عن تلك الحال ووأيت وعدت واعبد
استنكف وانف ومن كتاب له عليه السلام لما استخلف الى امراء الاجناد
اما بعد فانما هلك من كان قبلكم انهم منعوا الناس الحق فاشتروه
واخذوهم بالباطل فاقتدوه اقول اشتروه بمعنى باعوه اى وباعه الناس
وتعوضوا عنه الباطل فاقتدوه اى جعلوه قدوة ومتبوعاً لهم المختار
من حكم امير المؤمنين عليه ومواعظه ويدخل فى ذلك المختار من اجوبة
مسائله والكلام القصير الخارج فى ساير اغراضه قال عليه السلام كن
فى الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب اقول ابن اللبون ولد

اتعدوا

فئة

اهلك

الناقة اذا استكمل سنتين ودخل في الثالثة واراد شبهه في الفتنة بابن
اللبون في عدم انتفاع الطالبين بك بوجه كما لا ينتفع فيه فظهر ولا ضرع قال
عليه السلام احدى وعشرين كلمة من الادب والحث على مكارم الاخلاق وهي
قوله ازرى بنفسه من استشعر الطمع ورضي بالذل من كشف ضره وهانت
عليه نفسه من امر عليها لسانه والبخل عار والجبن منقصة والفقر يخرس
الفطن عن حجته والمقل غريب في بلدته والعجز آفة والصبر شجاعة والزهد
ثروة والورع جنة ونعم القرين الرضا والعلم وراثة كريمة والآداب حلل
مجددة والفكر مرآة صافية وصدر العاقل صندوق سره والبشاشة حبالة المودة
والاحتمال قبر العيوب وروي عنه عليه السلام في العبارة عن هذا المعنى
المسالمة خبء العيوب ومن رضي عن نفسه كثر الساخط عليه والصدقة دواء
منجح واعمال العباد في عاجلهم نصب اعينهم في آجلهم اقول استشعر
الطمع اي اتخذه شعارا القلب والشعار ما يلي الجسد من الثياب فاستعار
وصفه هاهنا لمكان الملابسة وهو مستلزم لهوان النفس والازراء بها عند الناس
بحسب الحاجة اليهم والذلة لهم وتامير اللسان تحكيمه في القول من غير مراجعة
النفس وفكر في ذلك بذكر ما يلزم من سهولة نفسه عليه لانه ربما كان سبب
هلاكها في الدارين كقول الرسول صلى الله عليه وآله وهل يكب الناس
على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم وعار البخل ونقصان الجبن باعتبار
كونهما رذيلتين واستعار وصف الخرس عن الفقر لكونه مذلة ينفعل بها النفس
ضعفا وفتورا وعجزا عن المقاومة بالحجة كالخرس وغربة المقل باعتبار قلة
الالتفات اليه والآفة النقصان والصبر شجاعة باعتبار انه مقاومة النفس
الامارة لئلا تنقاد الى قبائح اللذات وذلك مستلزم لاسم الشجاعة والزهد مستلزم
لغنى النفس لانه اعراض عن متاع الدنيا والحاجة اليها والورع لزوم الاعمال الجميلة
وهو جنة ساتر من عذاب الله واستعار لفظ الحلل المجددة للآداب باعتبار

دوام

دوام زينة المتلبس بها ولفظ المرآة لقوة الفكر باعتبار انتقاش صور
الاشياء كالمرآة ولفظ الصندوق باعتبار حفظه للسر ورغب بذكر العقل
في حفظ السر ولفظ الحبالة للبشاشة في وجوه الناس باعتبار استلزامها
المودة كالحبالة للصيد ولفظ القبر للاحتمال باعتبار ستره للعيوب من صاحبه
وكذلك لفظ الخبأ في الرواية الثانية وكثرة الساخط على من رضي عن نفسه
لانه يرفعها فوق قدرها لاعتقاده كمالها والناس يرونه دون ذلك فيكثر
الانكار عليه وسخط فعله واستعار لفظ الدواء للصدقة باعتبار انها حسنة
يذهب السيئة التي هي الداء النفساني ولانها يستجلب الدعاء والادعية الصالحة
لشفاء الامراض البدنية فيشفي كما قال صلى الله عليه وآله داووا مرضاكم بالصدقة
وكون اعمال العباد نصب اعينهم في آجلهم لما علمت ان النفوس تنتقش
في الدنيا بملكات الخير والشر لكنها في اغطية من الابدان تحجبها عن ادراك
الامور كما هي فاذا ازالت تلك الحجب بالموت ادركت ما فيها من خير وشر
وكانت نصب عينها مشاهدة لها كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاك الآية
وقال عليه السلام اذا اقبلت الدنيا على قوم اعارتهم محاسن غيرهم واذا
ادبرت عنهم سلبتهم محاسن انفسهم يريد ان اقبال الدنيا بسبب توافق
اسباب الخير فيها لقوم يعدهم للحصول على مثل كمالات التي حصلت لمن كان
قبلهم مما يعد حسنا واذا ادبرت عنهم اعدتهم لاضداد ذلك وسلبوا ما كان
منه حاصلا لهم واستعار وصف العارية لتلك الكمالات باعتبار عدم دوامها
وقال عليه السلام خالطوا الناس مخالطة ان متم معها بكوا عليكم وان عشتم
حنوا اليكم واراد المخالطة بمكارم الاخلاق فانها يستلزم ما ذكر وقال
عليه السلام اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه الشكر هو الاعتراف
بالنعمة والعفو مستلزم للاعتراف بنعمة القدرة على العدو فامر بالعفو المستلزم
للشكر واطلق لفظه على العفو مجازا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه وقال

عليه السلام اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به
منهم اما الاول فلان اكتساب الاخوان انما يفتقر الى كرم الاخلاق وحسن العاشرة
وهي امور طبيعية في اكثر الناس سهلة عليهم واما ان المضيع لهم اعجز فلانه لا يفتقر
في حفظه الى كلفة التحصيل فكان سبب حفظهم اسهل فكان مضيعهم اعجز
وقال عليه السلام في الذين اعتزلوا القتال معه خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل
والمعنى واضح وقال عليه السلام اذا وصلت اليكم اطراف النعم فلا تنفروا
اقصاها بقلة الشكر وهو تمثيل للنعم واوائلها او اوائلها واقصاها ما يأتي بعد ذلك
واستعار وصف التنفير لانقطاعها بترك الشكر لانه سبب لمزيدها فانقطاعها
بانقطاعه وفيه تنبيه على لزوم الشكر وقال عليه السلام من ضيعه الاقرب
اي من اهله وقرابته اتيح له الابعد اي قدر لمنفعته ومعونته لوجوب ذلك من ضيعه الاقرب اتيح له الابعد الخ
في عناية الله تعالى وقال عليه السلام ما كل مفتون يعاتب اي ليس كل مبتلى بمعصيته
ينفع معه العتاب وقال عليه السلام تذل الامور للمقادير حتى يكون الحتف
في التدبير فذلتها مطاوعتها للمقدور بحسب القضاء الالهي وكان الهلاك الخفي
منها مقدرا فيما يعتقده الانسان تدبيرا صالحا لجهله بسر القدر وسئل عليه
السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود
فقال عليه السلام انما قال النبي صلى الله عليه وآله ذلك والدين قل فاما الآن فقد اتسع
نطاقه وضرب بجرانه فامرؤ وما اختار فقد كان الرسول صلى الله عليه ندب
الى الخضاب ليوهم الكفار والمسلمين بعين الشيبة والقوة حيث كانوا قليلين
وكان ينفرهم عن تركه بان ذلك تشبه باليهود وكذلك بينه عليه السلام على المقصود
من قوله والدين قل واستعار لفظ النطاق وهو شقة طويلة يلقى على الارض
اذا البيت للاسلام باعتبار عمومه وانبساطه ولفظ الجران وهو صدر البعير
له باعتبار تمكنه وثباته واشار بقوله فامرؤ وما اختار الى الاباحة بعد الندب
وقال عليه السلام من جرى في عنان امله عثر باجله استعار وصف الجري للانقطاع

في

في الامل ووصف العثار للاجل باعتبار ما يعقل من قطعه لذلك الانقطاع وتنفيرا
عن الغفلة والجري فيه وقال عليه السلام اقيلوا ذوي المروات عثراتهم
فما يعثر منهم احد الا ويده بيد الله يرفعه استعار لفظ العثرات للزلات عاثر
الواقعة منهم ولفظ اليد لعناية الله تعالى وقدرته وكنى عن تداركه له و
تعلق العناية به بكون يده بيده يرفعه ويرفعه حال وقال عليه قرنت الهيبة
بالخيبة والحيا بالحرمان والفرصة بادر وقتها والفرصة ما امكن من نفسه
وقال عليه السلام لنا حق فان اعطيناه والا ركبنا اعجاز الابل وان طال
السرى قال السيد وهذا من لطيف وفصيح ومعناه انا ان لم نعط حقنا
كنا اذلاء وذلك ان الرديف يركب عجز البعير كالعبد والاسير ومن يجري
مجراهما وقال عليه السلام من ابطا به عمله لم يسرع به نسبه حسبه يريد
ان من لم يكن له عمل حسن يرفعه فيتأخر بسبب ذلك عن معالي الرتب لم يسرع
به نسبه وشرف بيته اليها ورعي حسنه والحسب ما يعد من المآثر
وقال من كفارات الذنوب العظام اغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب
فالملهوف المظلوم يستغيث والتنفيس التفريج وقال عليه السلام يا بن
آدم اذا رأيت ربك يتابع عليك نعمه فاحذره تتابع نعم الله على العبد
مع معصيته له استدراج منه يوجب حذره وقال عليه السلام ما اضمر احد
شيئا الا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه لان الوجود اللساني مظهر
للوجود الذهني والتصورات النفسانية مبادي للآثار الظاهرة كصفرة
الوجل وحمرة الخجل بالمضمر لشيء دلا لها وينبسطه دائما لغفلة العقل واستعماله
بمهم آخر عن العناية بحفظ ما اضمر فيتفلت به اللسان ويظهر ما يدل عليه
في الوجه كما يتبين من العداوة والغضب وقال امش بدائك ما مشى بك اي ما
دام المرض لا ينهضك فلا تنفعل عنه لان في التجلد مقاومة للطبيعة على دفع
من الامراض ما تحلل بالحركات البدنية وقال افضل الزهد اخفاء الزهد بعده من

اخفاء الزهد

مخالطة الريبة المفسدة له وقال عليه السلام اذ كنت في ادبار والموت في
اقبال فما اسرع الملتقى اراد ما يحصل من ادبار الانسان في قطع منازل
العمر عن اوله ومن وصول افنائه اليه بحسب توجهه وقال الحذر الحذر
فوالله لقد ستر حتى كانه قد غفر وهو ظاهر وسئل عليه السلام عن الايمان
فقال الايمان على اربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد فالصبر منها
على اربع شعب على الشوق والشفق والزهد والترقب فمن اشتاق الى
الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار اجتنب المحرمات ومن زهد
في الدنيا استهان بالمصيبات ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات و
اليقين منها على اربع شعب على تبصرة الفطنة وتاول الحكمة وموعظة العبرة
وسنة الاولين فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة
عرف العبرة ومن عرف العبرة فانما كان في الاولين والعدل منها على اربع
على غائص الفهم وغور العلم وزهرة الحكم ورساخة فمن فهم علم غور العلم
ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم لم يفرط في الامور وعاش في الناس ومن حكم
حميدا والجهاد منها على اربع شعب على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق
في المواطن وشنآن الفاسقين فمن امر بالمعروف شد ظهور المؤمنين ومن
نهى عن المنكر ارغم انوف المنافقين ومن صدق في المواطن قضى ما عليه ومن
شنئ الفاسقين وغضب الله له وارضاه يوم القيامة والكفر على اربع دعائم
على التعمق والتنازع والزيغ والشقاق فمن تعمق لم ينب الى الحق ومن كثر نزاعه
دام عماه عن ... ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر
سكر الضلالة ومن شاق وعرت عليه طرقه واعضل عليه امره وضاق
مخرجه والشك على اربع شعب على التماري والهول والتردد والاستسلام
فمن جعل المراء ديدنا لم يصبح ليله ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه ومن
تردد في الريب وطئته سنابك الشياطين ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة

هلك

هلك فيهما قال السيد وبعد هذا الكلام طويل الذيل تركنا ذكره خوف الاطالة والخروج
عن الغرض المقصود في هذا الكتاب اقول اراد بالايمان الايمان الكامل وله اصول
وكمالات اما الاصول فهو استكمال القوة النظرية للنفس بتصور الامور والتصديق
بالحقائق النظرية والعملية بقدر الطاقة البشرية ويسمى حكمة علمية واما
الكمالات فهي التحلي بالملكات الفاضلة ومكارم الاخلاق فمنها استكمال القوة
العملية للنفس بملكة العلم بوجوه الفضائل الخلقية وكيفية اكتسابها ووجوه
الرذائل النفسانية وكيفية اجتنابها وتسمى حكمة عملية وعبر عن هذه الملكة
والتي قبلها باليقين لانها لا تسمى حكمة حتى يصير هذا الكمال ملكة للنفس
ويقينا ومنها العفة وعبر عنها بالصبر لانه من لوازمها ومنها الشجاعة
وهي ملكة الاقدام الواجب على الامور التي ينبغي دفعها وقتا ومقدارا وعبر عنها
بالجهاد لملازمتها ومنها العدالة وهو ملكة فاضلة تنشا عن الفضائل الثلث
المذكورة ويلزمها واستعار لهذه الاربع لفظ الدعائم باعتبار قيام الايمان
الكامل بها ثم نبه على ما يتشعب عن هذه الدعائم من الفضائل وتكون كالنوع
تحتها فالشوق الى الجنة والاشفاق من النار والزهد في الدنيا وترقب
الموت يلزمها العفة والصبر عن المحارم وتبصرة الفطنة واعمالها وتاول الحكمة
وهو تفسيرها واستخراج الحقائق ببراهينها والاتعاظ عن العبر وملاحظة
سنن الاولين حتى يصير كانه منهم شعب اليقين وفروعه وبعضها كالنوع لبعض
والفهم الغائص وغور العلم واقصاه وهو العلم بالشيء بتحقيقه وزهرة الحكم اي
يكون الاحكام الصادرة عنه نيرة واضحة ويحتمل ان يريد بالحكم الحكمة ونورها
ان يكون ملكة واضحة وراسخة الحلم وهو ان يصير ملكة من شعب العدل وفروعه
واعلم ان فضيلتي جودة الفهم وغور العلم وان كانتا داخلتين تحت الحكمة
وكذلك فضيلة الحلم داخلة تحت ملكة الشجاعة الا ان العدل لما كان فضيلة
موجودة في الاصول الثلثة كانت في الحقيقة هي وفروعها شعبا للعدل

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن المكروهة وشنآن
الفاسقين اي بغضهم المستلزم لعداوتهم وحربهم وجهادهم في
سبيل الله من شعب الشجاعة المعبر عنها بالجهاد ولكل من هذه الفضائل
ثمرة وبعض ثمراتها ثمرات لبعض كما اشار اليه وهو ظاهر واما الكفر
فله اصل هو الجهل الصانع وجملة جحده انكار بعض رسله وما علم
مجيئهم به بالضرورة او الشك في شيء من ذلك ومتممات هي رذائل تقويه
وتبعده فمنها التعمق وهو الافراط في طلب الحق والتعسف فيه بالجهل
وهو رذيلة الجور ونفر عنها بذكر ثمرتها وهو عدم الانابة الى الحق ثم التنازع
وهو رذيلة الافراط من فضيلة العلم ويسمى جريرة ويعتمد الجهل المركب
ويلزمه دوام العمى عن الحق ثم الزيغ وهو رذيلة التفريط من فضيلة
العلم ويسمى غباوة وجهلا بسيطا ولذلك لزمه قبح الحسن وحسن القبيح
ثم الشقاق ويشبه ان يكون رذيلة الافراط من فضيلة الشجاعة ويسمى تهورا
ويلزمها عسر المسائل على صاحبها وضيق مخرجه من الامور لان مبدء سهولة
المسالك واتساع المداخل والمخارج في الامور هو الحلم عن الناس واحتمال
مكروههم واعضل اشتد واما الشك فهو تردد الذهن في اعتقاد احد
طرفي النقيض ويتشعب عنه التماري لانه مبداه ويفرق بمن اتخذه
ملكة بكونه لا يصبح ليله وكنى بذلك عن عدم وضوح الحق له من ظلمة ليل
الشك والجهل ثم الهول لان الشك في الامور يستلزم الخوف من الاقدام عليها
وثمرته الرجوع على الاعقاب ثم التردد في الذهاب الى الانتقال من في الريب
بعض جزئيات الشك الى بعض وذلك داب من تعود الشك وصار له ملكة و
نفر عن ذلك بما يلزمه مما كنى عنه بوطي سنابك الشياطين وهو ملك الوهم و
الخيال لارض قلبه حتى يكون سلطان العقول بمعزل عن الحكم بما من شانه
ان يحكم به واستعار لفظ السنابك جمع سنبكة وهي الاستسلام

لهلكه

لهلكة الدنيا والآخرة ونفر عن الشك في امورها لان الشاك فيها غير عامل
لشيء منها ولا مقتحم باسبابها وبحسب ذلك يكون استسلامه لما يرد منها
عليه ولزوم هلاكه عن ذلك ظاهر وبالله التوفيق وقال عليه السلام
فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر منه لان كلا منهما علة والعلة افضل
من معلولها واقوى فيما هي علة فيه وقال عليه السلام كن سمحا ولا تكن مبذرا وكن
مقدرا ولا تكن مقترا اما التبذير طرف الافراط من فضيلة السماحة والتقتير طرف
التفريط منها والتقدير هو العدل والاستواء عليها وقال عليه السلام اشرف
الغنى ترك المنى وذلك لملازمته القناعة المستلزمة لغنى النفس وهو اشرف انواع
الغنى والمنى جمع منية بمعنى التمني وقال عليه السلام من اسرع الى الناس بما يكرهون
قالوا فيه ما لا يعلمون وذلك لغلبة قواهم الغضبية على عقولهم بباعث
تصور المكروه منه وقال من اطال الامل اساء العمل وذلك لاستلزام طوله
الغفلة عن الآخرة والاهتمام بها وقال عليه السلام وقد لقيه عند مسيره الى
الشام دهاقين الانبار فترجلوا له واشتدوا بين يديه ما هذا الذي صنعتموه استدلوا
فقالوا خلق منا نعظم به امراءنا فقال عليه السلام والله ما ينتفع بهذا
امراؤكم وانكم لتشقون به على انفسكم وتشقون به في آخرتكم وما اخسر
المشقة وراءها العقاب واربح الدعة معها الامان من النار اشتدوا اعدوا
بين يديه والشقاء في الآخرة بذلك لانه تعظيم لغير الله وقال عليه السلام لابنه
الحسن عليه السلام يا بني احفظ عني اربعا واربعا لا يضرك ما عملت معهن ان
اغنى الغنى العقل واكبر الفقر الحمق واوحش الوحشة العجب واكرم الحسب
حسن الخلق يا بني اياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه واياك
ومصادقة الكذاب فانه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب
اقول لما كان العقل اشرف من المال وافضل كان الغنى به افضل انواع
الغنى والفقر منه بالحمق اكبر انواع الفقر واما العجب بالنفس فهو ما يلزمه

من رذيلة الكبر اقوى الاسباب الموجبة لاستيحاش العجب من الخلق لانه يرى
لنفسه من الفضيلة عليهم ولا يرى لنفسه قرينا ولا اهلا للصاحبة وبحسب
ذلك يكون نفورهم منه ولذلك كان التواضع مستلزما للانس والمحبة
ما يعد من الآثار واشرفها الكمالات النفسانية الباقية وقد يخص حسن
الخلق في العرف بسعة الصدر والتواضع والبشاشة والثقافة النفسية
القليل وباقي الفصل ظاهر وانما قال اربعا واربعا لان الاربع الاولى من
باب اكتساب الفضائل الخلقية والثانية من باب المعاملة مع الخلق وقيل
الاولى من باب الاثبات والثانية من باب النفي وقال عليه السلام لا قربة بالنوافل
اذا اضرت بالفرائض والاضرار بالفرائض تفويتها وتنقيص فضلها للتعب والملال
في النافلة واراد نفي القربة في كمالها وفضيلتها لا نفي ذاتها قال عليه السلام
لسان العاقل وراء قلبه وقلب الاحمق وراء لسانه قال السيد رحمه الله وهذا
من المعاني العجيبة الشريفة والمراد به ان العاقل لا يطلق لسانه الا بعد مشاورة
الروية ومؤامرة الفكرة والاحمق تسبق حذفات لسانه وفلتات كلامه مراجعة
ومماخضة رأيه فكأن لسان العاقل تابع لقلبه وكأن قلب الاحمق تابع للسانه
وروي عنه عليه السلام هذا الكلام بلفظ آخر وهو قلب الاحمق في فيه و
لسان العاقل في قلبه ومعناهما واحد واقول انه استعار الوراء في
الموضعين لما يعقل من تأخر لفظ العاقل عن رويته وتأخر روية الاحمق
وفكره كما فيما يقول عن نوادر مقاله من غير مراجعة لعقله والمعنى ظاهر
مما سبق وقال عليه السلام لبعض اصحابه في علة اعتلها جعل الله ما كان
من شكواك حطا لسيئاتك فان المرض لا اجر فيه ولكنه يحط السيئات ويحتها
حت الاوراق وانما الاجر في القول باللسان والعمل بالايدي والاقدام و
ان الله يدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة
قال السيد واقول صدق صلى الله عليه وآله ان المرض لا اجر فيه لانه من قبيل

ما

ما يستحق عليه العوض لان العوض يستحق على ما كان في مقابلة فعل الله تعالى
بالعبد مما يلحق من الآلام والامراض وما يجري مجرى ذلك والاجر
والثواب يستحقان على ما كان في مقابلة فعل العبد فبينهما فرق قد بينه عليه
السلام كما يقتضيه علمه الثاقب ورأيه الصائب واقول ان الاجر
والثواب انما يستحقان بالافعال والاحوال لاعدادها النفس لذلك كما
اشار اليه بقوله وانما الاجر الى قوله الاقدام وكنى بالاقدام عن القيام بالعبادة
والسعي فيها وكذلك ما يكون كالافعال من عدميات الملكات كالصوم ونحوه
والمرض ليس بفعل للعبد ولا ما هو كالفعل واما حطه السيئات فباعتبار كسره
لقوتي الشهوة والغضب اللذين هما مبدآن للذنوب ولان من شأنه ان
يرجع الانسان فيه الى ربه بالتوبة والخضوع فما كان من السيئات حالا غير
متمكنة من جوهر النفس فانه يسرع زوالها منها وما صار ملكة فربما يزول
على طول المرض ودوام الانابة فيه الى الله تعالى ووجه تشبيه حت الورق
سقوطه بالكلية وما ذكره مذهب المعتزلة وقال عليه السلام في ذكر خباب
بن الارت رحمه الله يرحم الله خبابا فلقد اسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش
مجاهدا طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله
خباب بخاء معجمة وباء مضعفة كان من المهاجرين ومات بعد انصرافه من صفين
بالكوفة وهو اول من قبره عليه السلام بها وقال عليه السلام لو ضربت خيشوم
المؤمن بسيفي هذا على ان يبغضني ما ابغضني ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق
على ان يحبني ما احبني وذلك انه قضي فانقضى على لسان النبي الامي عليه السلام انه قال
لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق شقي فالخيشوم اصل الانف والجمات
جمع جمة وهو مجتمع الماء من الارض واستعار لمجتمع المال وقال عليه السلام
سيئة تسوؤك خير عند الله من حسنة تعجبك تسوؤك اي تندم عليها وتحزن وانما
كانت خيرا لان الحزن على السيئة ماح لها والعجب بالحسنة سيئة باقية

مع احباطها للحسنة وقال عليه السلام قدر الرجل على قدر همته وصدقه
على قدر مروته وشجاعته على قدر انفته وعفته على قدر غيرته قدره
منزلته في اعتبار الناس من تعظيم واحتقار وهو من لوازم علو همته او دناءتها
فعلو همته وهو ان لا يقتصر على بلوغ غاية من الامور التي تزداد بها شرفا او فضيلة
حتى يسمو الى ما وراءها مما هو اعظم ويلزم ذلك نبله وتعظيمه وصغرها ان
يقتصر على محقرات الامور ويقصر عن علياتها وبحسب ذلك يكون قلة
قدره وكذلك المروة فضيلة يتعاطى الانسان معها الافعال الجميلة
واجتناب ما يعود عليه بالنقص وان كان مباحا فلذلك لزمه الصدق و
كانت قوته وضعفه بحسب قوتها وضعفها والانفة حمية الانف و
ثوران الغضب لما يتخيل من مكروه يعرض استنكارا له واستنكافا من
وقوعه وظاهر كونه مبدأ للشجاعة والاقدام على الامور والغيرة نفرة
طبيعية يكون عن تخيل مشاركة في امر محبوب له او مستحق لوجوب حفظه
وبحسب قوة تلك النفرة وتخيل مشاركة الغير في امر تخصه محبوب له
وقوعه عن اتباع شهوته في الامور المختصة بالغير المحبوبة لهم وهو معنى
العفة وقال عليه السلام الظفر بالحزم والحزم باجالة الرأي والرأي
بتحصين الاسرار اشار الى اسباب الظفر القريب والمتوسط والبعيد
فالحزم ان تقدم العمل للحوادث الممكنة قبل وقوعها بما هو ابعد من الغرور
واقرب الى السلامة وهو السبب للظفر بالمطالب والمتوسط وهو اجالة الرأي
واعماله في تحصيل الوجه الاحزم وهو سبب اقرب للحزم والابعد وهو
اسرار ما يطلب وهو سبب اقرب للرأي الصالح اذ قل ما تم رأي وظفر
بمطلوب مع ظهور ارادته ووجه السببية ظاهر وقال عليه السلام
احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع اراد بالكريم شريف
النفس علي الهمة وكنى بجوعه عن شدة حاجته واستلزام ذلك لثوران

حميته

حميته والقائه نفسه في عليات الامور كالولاية على الناس وطلب مجازاتهم
والانتقام منهم فيما اسلفوا معه من قلة الالتفات اليه والعناية بحاله
وشبع اللئيم كناية عن غناه وهو مستلزم لاستمراره على مقتضى طباعه
من اللؤم وتمرده له فيه وقال قلوب الرجال وحشية فمن تألفها اقبلت
عليه الوحشة عدم الانس والالفة عما من شأنه ان يأنس به وتألف وجعلها
اقبالا والالفة فرعا لحاجة الالفة الى الاكتساب وقال عليه السلام عيبك
مستور ما اسعدك جدك سعادة الجد حسن البخت وتوافق اسباب المصالح
ومنها ستر العيوب وقال اولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة لان العفو
انما يصدق مع القدرة على العقوبة فالاقدر عليها هو الاولى ان يسمى عفوا وقال
السخاء ما كان ابتداء فاما ما كان عن مسئلة فحياء وتذمم السخاء ملكة بذل المال
لمستحقه بقدر ما ينبغي ابتداء لانبعاث النفس وحنو المساواة لذي الحاجة فيه
وبهذا الرسم خرج ما كان عن مسئلة وتذمم والتذمم الاستنكاف مما يقع من
يقع من السائل كالالحاف ونحوه وقال عليه السلام لا غنى كالعقل ولا فقر
كالجهل ولا ميراث كالادب ولا ظهير كالمشاورة لفضله على المال والظهير
كالمساواة لانها انفع من القوة وكثرة العدد والظهر المعين وقال الصبر صبران
صبر على ما يكره وصبر عما تحب فالصبر مقاومة النفس للمكاره الواردة عليها
وثباتها عن الغضب وعن الانفعال عنها وتدعى سعة الصدر واحتمال المكروه
وهو داخل تحت الشجاعة والصبر الثاني مقاومة النفس لقوتها الشهوية وهو
فضيلة تحت العفة وقال الغنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة واستعار
له لفظ الوطن باعتبار انه مظنة راحته وسكونه اليه فلا يرى للغربة معه كبير
اثر ولفظ الغربة للفقر في الوطن باعتبار ضيق الخلق به وتعسر الامور معه
وقال القناعة مال لا ينفد وقد روى بعضهم هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله
واستعار لفظ المال الموصوف للقناعة باعتبار عدم الحاجة معها وقال المال

مادة الشهوات وقال من حذركما ى من الامر كمن بشرك اى بالنجاة منه
ووجه الشبه ظاهر وقال اللسان سبع ان خلى عنه عقر ولفظ السبع و
وصف العقر مستعاران باعتبار ان اهمال اللسان وعدم ضبطه عن القول بالتفكر
سبب الهلاك الاكثر والاذى الغالب وقال المرأة عقرب حلوة
اللسبة واستعار لها لفظ العقرب لاشتراكها فى الاذى وكنى بحلاوة لسبها
عما فيها من اللذة واللسبة للعقرب كالسعة للحية وقال الشفيع جناح
الطالب باعتبار توصله به الى مراده وقال اهل الدنيا كركب يسار بهم
وهم نيام ووجه الشبه قوله يسار بهم اذ الدنيا طريق لاهلها هم
فيها سايرون الى الاخرة وكنى بنومهم عن غفلتهم وقال فقد الاحبة غربة
فاستعار لفظ الغربة لفقد الاحبة لما يلزمهما من الوحشة وقال فوت
الحاجة اهون من طلبها الى غير اهلها يعنى اللئام لما فى ذلك من فوائد لغالبها
وزيادة ذل الطلب اليهم وقال لا تستحى من اعطاء القليل فان الحرمان اقل
منه اى احقر فى الاعتبار وقال العفاف زينة الفقر لانه فضيلة تزين
بها صاحبها وقال اذا لم يكن ما تريد فلا تبل كيف كنت اى اذا لم يقع مرادك
من الامر فلا تبالى فى الحال التى كنت عليها فيه من عدمه او حصول بعضه
لانه غير مقدور لك فهما لا لك واهتمامك به مضرة خالصة وسفه وقال
لا ترى الجاهل الا مفرطا او مفرطا اى مرتكبا لاحد طرفى الافراط والتفريط من
العدل فى الامور لجهله به وقال اذا تم العقل نقص الكلام وذلك لضبط العقل اياه
ووزنه والموزون اقل من المكيل والجزاف وقال الدهر يخلق الابدان ويجدد
الامال ويقرب المنية ويباعد الامنية من ظفر به نصب ومن فاته تعب اخلاقه
للابدان اعداده اضعفها وفناءها بتغيراته وتجديده الامال بالغرور بطول
البقاء والصحة فيه وتبعيده للامنية بحسب تقريبه للمنية ومن ظفر به
اى بحوادثه ومساعدته بما يراد فيه من متاع الدنيا نصب بها وشقى بحفظها

ومن فاته

وامثالهم فى القلوب موجودة ها ان ههنا لعلما جما واشار بيده الى صدره
لو اصبت له حملة بلى اصبت لقنا غير مامون مستعملا آلة الدين للدنيا
ومستظهرا بنعم الله على عباده وبحججه على اوليائه او منقادا لحملة — بجملة
الحق لا بصيرة له فى احنائه ينقدح الشك فى قلبه لاول عارض من شبهة الا لا ذا
ولا ذاك او منهوما باللذة سلس القياد للشهوة او مغرما بالجمع والادخار
ليسا من رعاة الدين فى شئ اقرب شئ شبها بهما الانعام السائمة كذلك يموت
العلم بموت حامليه اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهرا مشهورا
او خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم ذا واين اولئك اولئك والله
الاقلون عددا والاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه وبيناته حتى يودعوها
ويزرعوها فى قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا
روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون
وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله فى ارضه و
الدعاة الى دينه اه اه شوقا الى رؤيتهم انصرف اذا شئت اقول
الجبان الصحراء والصعود آنزع من التنفس بصعيره المتلهف الحزين ووجه
قسمة الناس انهم اما عالم اولا وغير العالم اما طالب له اولا والربانى من
علم علم الربوبية والنسبة على غير قياس وزيدت الالف والنون للمبالغة فى
النسبة واستعار لفظ الهمج وهو ذباب صغار للعوام باعتبار حقارتهم والرعاع
الاحداث والعوام وكنى بميلهم مع كل ريح عن ضعفهم عن التماسك فى مذهب واحد
واستعار لفظ الركن الوثيق للاعتقادات الحقة البرهانية وصنيع المال
الاحسان به والطاعة المكتسبة به طاعة الخلق لصاحبه او طاعة الله تعالى
فان الطاعة بلا علم لا اصل لها والعلم حاكم باعتبار ان يحصل المال وتصريفه
انما يكون بالعلم بوجه الحركة والسعى والمصارف واللقن سريع الفهم والمنقاد
لحملة الحق هو المقلد واشار بعدم بصيرته الى عدم علمه بالبرهان والحجة والحنا

الجواب وقوله الا لا ذا ولا ذاك اى ليسا من حملة العلم الذى الطلب المنهوم
باللذة الشره فيها والحريص عليها وقوله كذلك اى تشابه تلك الاحوال من عدم
من يصلح للعلم وحمله ووجود من لا يصلح له موت العلم بموت حامليه واراد بالظاهر
من يقوم بحجة الله من عباده ويتمكن من اظهار العلم والعمل به من اولياء الله
وبالخائف المغمور من لم يتمكن من ذلك قالت الامامية هذا تصريح بوجوب الامامة
فى كل زمان التكليف وان الامام قائم بحجة الله على خلقه ويجب وجوده بمقتضى
الحكمة وهو اما ان يكون ظاهرا معروفا بين الناس كالذين سبقوا الى
الاحسان ووصلوا الى المحل الاعلى من الائمة الاثنى عشرية ومن ولده العترة
عليهم السلام واما ان يكون خائفا مستورا لكثرة اعدائه وقلة المخلصين
من اوليائه كالحجة المنتظر وقوله وكم ذا استبطاء لظهوره واستطالة لمدة
غيبته وتبرم من امتداد دولة الظالمين وقوله اين هم استقلال لعدد ائمة
الدين وقوله هجم بهم الى قوله البصيرة اى فاجاءهم ودخل على عقولهم دفعة
لان علومهم لدنية حدسية وقيل ذلك على المقلوب اى هجمت بهم عقولهم
على حقيقة العلم وباشروا روح اليقين اى وجدوا لذته وما استوعره المترفون
اى ما استصعبوه من خشونة المطعم وخشونة المضجع والملبس ومصابرة الصيام
والسهر وما استوحش منه الجاهلون هو الامور المذكورة وقوله معلقة بالمحل الاعلى
اى عاشقة لما شاهدته من جمال حضرة الربوبية ومحبة الملأ الاعلى من الملائكة
وقال عليه السلام المرء مخبوء تحت لسانه فاستعار لفظ المخبوءة باعتبار انه
لا يظهر مقداره حتى يتكلم فيعرف كالمخبوء وقال عليه السلام هلك امرؤ لم يعرف
قدره وذلك لان من لا يعرف قدره فى مظنة ان يتجاوز فيتلعب به السنة
الناس وايديهم حتى يهلك قال عليه السلام لرجل ساله ان يعظه ولا تكن ممن
يرجوا الاخرة بغير عمل ويرجى التوبة بطول الامل يقول فى الدنيا بقول
الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين ان اعطى منها لم يشبع وان منع منها

لعد

لم يقنع يعجز عن شكر ما اوتى ويبتغى الزيادة فيما بقى ينهى ولا ينتهى ويامر بما لا ياتى
يحب الصالحين ولا يعمل عملهم ويبغض المذنبين وهو احدهم ويكره الموت
لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له ان سقم ظل نادما وان صح امن لاهيا
يعجب بنفسه اذا عوفى ويقنط اذا ابتلى ان اصابه بلاء دعا مضطرا وان ناله
رخاء اعرض مغترا تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن يخاف
على غيره بادنى من ذنبه ويرجو لنفسه باكثر من عمله ان استغنى بطر وفتن
وان افتقر قنط ووهن يقصر اذا عمل ويبالغ اذا سال ان عرضت له شهوة
اسلف المعصية وسوف التوبة وان عرته محنة انفرج عن شرائط الملة
يصف العبرة ولا يعتبر ويبالغ فى الموعظة ولا يتعظ فهو بالقول مدل ومن
العمل مقل ينافس فيما يفنى ويسامح فيما يبقى يرى الغنم مغرما والغرم مغنما يخشى
الموت ولا يبادر الفوت يستعظم من معصية غيره ما يستقل اكثر منه من
نفسه ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره فهو على الناس طاعن ولنفسه
مداهن اللهو مع الاغنياء احب اليه من الذكر مع الفقراء يحكم على غيره لنفسه
ولا يحكم عليها لغيره يرشد غيره ويغوى نفسه فهو يطاع ويعصى ويستوفى
ولا يوفى ويخشى الخلق فى غير ربه ولا يخشى ربه فى خلقه قال السيد رحمه الله لو لم
يكن فى هذا الكتاب الا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة وحكمة بالغة وبصيرة
لمبصر وعبرة لناظر متفكر اقول يرجئها يؤخرها ويروى يزجيها
بالزاى المعجمة اى يدفعها وقوله يغلبه نفسه على ما يظن اى من مطامع الدنيا ولا
يغلبها على ما يستيقن اى من ثواب الاخرة ولا يغلبها على ذلك اى على العمل له و
انفراجه عن شرائط الملة عن نزول المحنة به خروجه عن فضيلة الصبر عليها
ورؤيته الغنم مغرما كالانفاق فى سبيل الله والغرم مغنما كالانفاق فى معصيته
ويغوى نفسه اى لا يسلك بها سبيل الحق والكلام من شريف الحكمة والموعظة
الحسنة والكثرة ظاهر وقال عليه السلام لكل امرئ عاقبة حلوة او مرة

اشار الى غايته الخيرية والشرية كالجنة ولذاتها والنار وعذابها واستعار
لفظي الحلوة والمرة للذيذ والمكروه وقال عليه السلام للخير مقبل ادبار وما ادبر
كان لم يكن وهو تزهيد في متاع الدنيا وفنائها وقال عليه السلام لا يعدم الصبور
الظفر وان طال به الزمان وقال عليه السلام الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم
وعلى كل داخل في باطل اثمان اثم العمل به واثم الرضا به وهو ظاهر وقال عليه السلام
اعتصموا بالذمم في اوتادها اي لذمم العهود والعقود والايمان واستعار لفظ
الاوتاد لشرايطها باعتبار انها سبب حفظها كما الوتد يحفظ به واراد
استمسكوا بالمحافظة عليها او لزوم الوفاء بها عن عذاب الله وقال عليه السلام عليكم
بطاعة من لا تعذرون بجهالته يريد طاعة الله تعالى وقيل ائمة الحق ايضا اذ لا
يعذر الخلق في الجهل بهم لتعلم قواعد الدين وقال عليه السلام قد بصرتم ان ابصرتم
وقد هديتم ان اهتديتم واسمعتم ان استمعتم اي قد بصرتم سبيل الرشاد و
هديتم اليها واسمعتم الدلالة عليها وقال عليه السلام عاتب اخاك بالاحسان
اليه واردد شره بالانعام عليه وقال عليه السلام من وضع نفسه مواضع
التهمة فلا يلومن من اساء الظن لانه هو السبب في اساءة الظن وقال عليه السلام من
ملك استاثر وقال عليه السلام من استبد برايه هلك ومن شاور الرجال شاركها
في عقولها اي استبد واراد ان شان الملوك الاستبداد بالامور دون الناس
ومن استبد برايه هلك اذ كان الاستبداد بالراي مظنة للغلط والايقاع من
الهلاك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها لاستنتاج الراي الاصلح منها فكانه
قد حصل على مثل ما حصل جميعهم عليه من العقل وقال عليه السلام من كتم
سره كانت الخيرة بيده اي في اذاعته وكتمانه وهو ترغيب في كتمان السر و
وقال الفقر الموت الاكبر استعار له لفظ الموت باعتبار انقطاع النفع بمتاع
الدنيا معه كالموت وكونه اكبر باعتبار ارتفاع الالم في الحياة وراحة
الميت بموته وقال من قضى حق من لا يقضي حقه فقد عبده وذلك لانه فقد

كان لم يكن

استمسكوا

لحق

له واللطف بذلك في حقه وقال عليه السلام لا تجعلوا علمكم جهلا ويقينكم شكا
اذا علمتم فاعملوا واذا تيقنتم فاقدموا فجعلهم علمهم جهلا ويقينهم شكا اي في قوتهما لتركهم
العمل على وفقه فكانهم جاهلون بما علموه من حال الآخرة شاكون في ذلك وقال
عليه السلام ان الطمع مورد غير مصدر وضامن غير وفي وربما شرق شارب
الماء قبل ريه وكلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده و
الاماني تعمي اعين البصائر والحظ ياتي من لا ياتيه مورد للطامع موارد
الذل والهلكة في الآخرة غير مصدر له عنها واستعار لفظ الضامن لوثوق
الطامع به كالضامن قوله وتعمي اعين البصاير اي عن ادراك المطالب الحقة
والكلام مشتمل على صغريات ضماير يشتمل نفيها عن الطمع وما تلزمه من الحرص وطول
الامل وقال عليه السلام اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لامعة العيون علانيتي
وتقبح فيما ابطن لك سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي بجميع ما انت
مطلع عليه مني فابدي للناس حسن ظاهري وافضي اليك بسوء عملي تقربا
الى عبادك وتباعدا من مرضاتك فالباء في قوله بجميع متعلق برياء او بقوله محافظا
وافضي اليك اي اصل والفصل واضح وقال عليه السلام لا والذي امسينا منه
في غبر ليلة دهماء تكشر عن يوم اغر ما كان كذا وكذا فغبر الليل بقاياه والدهماء
السوداء واستعار لفظ وهو التبسم تبدو معه الاسنان لاسفارها عن ضوء
يومها والاغر الواضح وقال عليه السلام قليل تدوم عليه ارجى من كثير مملول
فارجا اكثر رجاء للنفع وقال اذا اضرت النوافل بالفرائض فارفضوها وقد مر مثله
وقال من تذكر بعد السفر استعد اي السفر الى الآخرة والاستعداد بزاد
التقوى وقال ليس الروية مع الابصار وقد تكذب العيون اهلها ولا يغش العقل
من استنصحه واراد ان الاعتماد في العلوم على العقل دون الحس لكذبه في مواضع
وقال بينكم وبين الموعظة حجاب من الغرة اي الغفلة ولفظ مستعار لها وقال
جاهلكم مزداد اي من الاثم مسوف اي بالتوبة وقال قطع العلم عذر المتعللين واراد

العلم بالدين وما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله من البشارة والنذارة فان ذلك قاطع
لمن عساه يقول انا كنا عن هذا غافلين وكذلك ما جاء من التنبيهات على ذلك في
العقول كالعبر بالاحوال الماضين ووجود الصانع وصفاته وقال كل معاجل يسال
الانظار وكل مؤجل يتعلل بالتسويف وهو توبيخ على ترك العمل للعاجل والمؤجل وقال
ما قال الناس لشيء طوبى له الا وقد خبا له الدهر يوم سوء فاستعار لفظ الخبء
لما بالقوة في طبيعة الزمان من الحوادث المهلكة لسترها عن افهام الخلق وقال
وقد سئل عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكوه وبحر عميق فلا تلجوه وسر الله
فلا تتكلفوه فاستعار لفظ الطريق بوصف المظلم لغموض البحث وتعرف الوهم
فيه وعدم الاهتداء الى الحق منه وكذلك لفظ البحر فيه ودقته وكونه سر الله
باعتبار انه لم يبح للخوض فيه وكلف البحث عنه وقال اذا ارذل الله عبدا حظر
عليه العلم والادب فاستعار لفظ الحظر وهو المنع لعدم توفيقه له وتهيئة اسبابه
عليه وقال عليه السلام كان لي فيما مضى اخ في الله يعظمه في عيني صغر الدنيا في
عينيه وكان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد و
كان اكثر دهره صامتا فان قال بذ القائلين ونقع غليل السائلين وكان
ضعيفا مستضعفا فان جاء الجد فهو ليث غاد ولا يدلي بحجة حتى ياتي قاضيا و
كان لا يلوم احدا على ما يجد العذر في مثله حتى يسمع اعتذاره وكان لا يشكو وجعا
الا عند برئه وكان يفعل ما يقول ولا يقول ما لا يفعل وكان اذا غلب على
الكلام لم يغلب على السكوت وكان على ان يسمع احرص منه على ان يتكلم وكان اذا
بدهه امران نظر ايهما اقرب الى الهوى فخالفه فعليكم بهذه الاخلاق فالزموها
وتنافسوا فيها فان لم تستطيعوها فاعلموا ان اخذ القليل خير من ترك الكثير قيل
اراد ابا ذر الغفاري وقيل عثمان بن مظعون وكنى بصغر الدنيا في عينه
عن زهده فيها وبخروجه عن سلطان بطنه الى قوله وجد عن عفته وبذ غلب
ونقع الغليل سكن العطش وهما كنايتان عن قول الحكمة في مواضعها بعد طول

السكوت

السكوت في مواضعه وكنى بضعفه واستضعافه عن تواضعه وذلته لله و
استعار له لفظ الليث والصل في مواطن الحرب ومواضع انكار المنكر لسطوته و
ناسه فيها وادلى بحجته ارسلها وبدهه الامر اتاه من غير تروٍ واكثر تحرصه
على الاستماع تغليبا للاستفادة على الافادة والفصل يشتمل على اثنتي عشرة فضيلة وهي
واضحة وقال لو لم يتوعد الله على معصيته لكان يجب ان لا يعصى شكرا لنعمته
اراد فكيف وقد توعد فاولى ان يجب ترك معصيته وقال وقد عزى الاشعث
بن قيس عن ابن له يا اشعث ان تحزن على ابنك فقد استحقت ذلك منك الرحم
وان تصبر ففي الله من كل مصيبة خلف يا اشعث ان صبرت جرى عليك القدر
وانت ماجور وان جزعت جرى عليك القدر وانت مازور سرك وهو بلاء وفتنة
وحزنك وهو ثواب ورحمة اصل مازور الواو فهمز لمناسبة القرينة الاولى وهو
بلاء وفتنة لما يلزم الولد بسببه من الجبن والبخل والجهل والحزن وغيرها وثواب
ورحمة لو الواو اذا راعى فيه العدل والتفضيلة من الرذايل المذكورة وقال عليه السلام
على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة دفن ان الصبر لجميل الا عنك وان
الجزع لقبيح الا عليك وان المصاب بك لجليل فانه قبلك وبعدك لجلل فالجلل
هو الامر الهين وهو ايضا الامر العظيم وهو من الاضداد واراد ان المصاب قبل
موتك وبعده بمن كان من الناس سهل هين بالنسبة اليك وقيل اراد ان المصاب
بك قبل موتك عظيم عند الناس اذا تصوروه وتخوفهم منه وانه بعدك عظيم
لاختلال امر الدين به والاول اظهر وقال عليه السلام لا تصحب المائق فانه يزين
لك فعله ويود ان تكون مثله فالمائق الاحمق ونفى عنه بنفي صحبته قوله فانه
اخوه وقال وقد سئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس
وهو جواب واضح مقنع اذ غرض الخطيب الاقناع وقال عليه السلام اصدقاؤك
ثلثة فاعداؤك ثلثة فاصدقاؤك صديقك وصديق صديقك وعدو عدوك واعداؤك عدوك
وعدو صديقك وصديق عدوك اراد العداوة والصداقة لما لصفتين والحكم

بان الصديق الصديق وعدو العدو صديق الكتوي لاحتمال كون الصديق
غير عالم بان لصديقه صديقا والعدو غير عالم بان لعدوه عدوا فضلا ان
يصادقه او يعاديه وكذلك الحكم بان عدو الصديق وصديق العدو عدو
وقال عليه السلام لرجل رآه يسعى على عدو له بما فيه اضرار بنفسه انما انت
كالطاعن نفسه ليقتل ردفه وقال ما اكثر العبر واقل الاعتبار اراد بالعبر
مواضع الاعتبار وقال عليه السلام من بالغ في الخصومة اثم ومن قصر فيها
ظلم ولا يستطيع ان يتقي الله من خاصم نفر من طرفي الافراط والتفريط في الخاصمة
بما يلزمهما من الظلم المستلزم للاثم ومن الانظلام ونبه على بعد العدل فيها
وصعوبة الوقوف على حده وقال عليه السلام ما اهمني ذنب امهلت
بعده حتى اصلي ركعتين وذلك لاستلزامهما محوه وتكفيره وسئل عليه
السلام كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم فقال كما يرزقهم على كثرتهم
قيل كيف يحاسبهم ولا يرونه قال كما يرزقهم ولا يرونه اجاب بما يفيد
الاقناع والجواب الحق للمسئلة مبني على معرفة حقيقة الحساب وحقيقة
المحاسب وهي ثلث مسائل اصولية صعبة يطول الخوض فيها وقال عليه
السلام رسولك ترجمان عقلك وكتابك ابلغ من ينطق عنك فاستعار لفظ الترجمان
للرسول باعتبار انه يعبر عن مقدار عقل المرسل وجهله والكتاب ابلغ
ناطق عن الانسان لضبط مواده فيه دون الالسنة ولمطابقته نطق المرسل عن
نفسه وقال عليه السلام ما المبتلى الذي قد اشتد به البلاء باحوج الى الدعاء
من المعافى الذي لا يأمن البلاء اي انهما سواء في الحاجة الى الدعاء فذاك لزوال
بلائه وهذا لدوام عافيته وقال عليه السلام الناس ابناء الدنيا ولا يلام الرجل على
حب امه ولفظ الابن والام مستعاران باعتبار كونهم فرعا وكونها اصلا
وقال عليه السلام ان المسكين رسول الله فمن منعه فقد منع الله ومن اعطاه
فقد اعطى الله باعتبار انه طالب لله وبامره وقال عليه السلام ما زنا غيور

المعشر

قط

قط اي البتة لاستلزام الغيرة الحقة من الزنا تصور الغيور وقوع مثله
في حرمته من الغير فيعارض خياله داعيته فيستحقه فيكف عنه وقال عليه السلام
كفى بالاجل حارسا فاستعار لفظ الحارس له باعتبار ان الانسان محفوظ
الوجود في مدته كالمحافظ وقال عليه السلام ينام الرجل على الثكل ولا ينام على الحرب
قال السيد رحمه الله ومعنى ذلك انه يصبر على قتل الاولاد ولا يصبر على سلب الاموال
واقول الحرب سلب المال وانما لم يصبر عليه دون الثكل لامكان انتزاع المال
واسترجاعه دون من ثكل وقال مودة الآباء قرابة بين الابناء فاستعار لفظ
القرابة للاتصال بين الابناء باعتبار قوة المودة وفضل المودة على القرابة بحاجة
القرابة اليها دون العكس وقال اتقوا ظنون المؤمنين فان الله جعل الحق على
السنتهم وذلك لصفاء اسرارهم وتلقيهم السوانح الالهية بافكارهم الصافية
وحدوسهم الصائبة فلا ينطق السنتهم الا بالحق عن امارات الصادقة وقال
لا يصدق ايمان عبد حتى يكون بما في يد الله تعالى اوثق منه بما في يده فصدق
الايمان هو اليقين التام بالله ويلزمه حسن الرجاء له وصدق التوكل عليه و
يلزمه ان يكون بما يرزقه اوثق مما في يده وقال لانس بن مالك وقد كان بعثه
الى طلحة والزبير لما جاءا الى البصرة يذكرهما شيئا سمعه من رسول الله صلى الله
عليه وآله في معناهما فلوى عن ذلك فرجع اليه عليه السلام فقال اني انسيت ذلك
فقال ان كنت كاذبا فضربك الله بها بيضاء لامعة لا تواريها العمامة يعني
البرص فاصاب انسا هذا الداء فيما بعد في وجهه فكان لا يرى الا متبرقعا
قيل ما بعثه به هو ما سمعه من قول الرسول صلى الله عليه وآله لهما انكما ستقاتلان
عليا وانتما له ظالمان وبيضاء في موضع حجة بدلا من الضمير في بها وقال عليه السلام
ان للقلوب اقبالا وادبارا فاذا اقبلت فاحملوها على النوافل فاذا ادبرت
فاقتصروا بها على الفرائض خص اقبالها بالنوافل لنشاطها واتساعها فيه لها و
للفرائض دون ادبارها وقال عليه السلام في القرآن نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم

وحكم ما بينكم فنبأ ما قبلهم اخبار القرون الماضية وما بعدهم احوال القيمة
وحكم ما بينهم الاحكام الخمسة وكيفية فصل الحكومات وقال عليه السلام ردوا
الحجر من حيث جاء فان الشر لا يدفعه الا الشر كنى بالحجر عن الشر ورده من حيث
جاء عن مقابلة الشر بمثله وهو مخصوص بشر لا يندفع الا بالشر وقال لكاتبه
عبيد الله بن ابي رافع الق دواتك واطل جلفة قلمك وفرج بين السطور وقرمط
بين الحروف فان ذلك اجدر بصباحة الخط الق دواتك اصلحها بالمداد وجلفته
سنانه وقال عليه السلام انا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار ومعنى
ذلك ان المؤمنين يتبعوني والفجار يتبعون المال كما يتبع النحل يعسوبها وهو
رئيسها وقال له بعض اليهود ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فقال انما اختلفنا عنه
لا فيه ولكنكم ما جفت ارجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم آلهة
قال انكم قوم تجهلون فاختلافهم عنه اي عما جاء به من الكتاب والسنة لعدم معرفة
جميعهم بها لا فيه اذ لم يشكوا في نبوته وانما لزم بني اسرائيل الشك في نبوة موسى
عليه السلام لشكهم في الاله المرسل له وقيل له عليه السلام باي شيء غلبت الاقران
فقال ما لقيت احدا الا اعانني على نفسه قال السيد يومي بذلك الى تمكن هيبته
في القلوب وقال لابنه محمد رحمه الله يا بني اني اخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه
فانه منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت فمنقصته للدين باعتبار
الاهتمام بامر المعاش عنه وما يلزم الفقر غير الصابر من الرذائل ودهشة العقل
به ضيق الصدر بسببه والحيرة منه وقال لسائل سأله عن معضلة سل
تفقها ولا تسأل تعنتا فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالم وان العالم المتعسف
شبيه بالجاهل فالمعضلة المشكلة والتعنت طلب العنت وهو الامر الشاق ولا
تسأل تعنتا اي لغير الوجه الذي ينبغي طلب العلم كالمجادلة والمغالبة وقال لعبد الله
بن العباس رحمه الله عليه وقد اشار عليه في شيء لم يوافق رأيه لك ان تشير علي
فارى فان عصيتك فاطعني روي ان الذي اشار عليه به هو اقرار معوية

على

على الشام وتولية طلحة البصرة والزبير الكوفة وروي انه عليه السلام لما ورد
الكوفة قادما من صفين مر بالشباميين فسمع بكاء النساء على قتلى صفين
وخرج اليه حرب بن شرحبيل الشبامي وكان من وجوه قومه فقال عليه السلام
اتغلبكم نساؤكم على ما اسمع الا تنهونهن عن هذا الرنين واقبل يمشي معه
وهو عليه السلام راكب فقال له ارجع فان مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي
ومذلة للمؤمن شبام بالكسر حي من العرب والفعل واضح وقال
وقد مر بقتلى الخوارج يوم النهر وان بؤسا لكم لقد ضركم من غركم فقيل
له من غرهم يا امير المؤمنين فقال الشيطان المضل والانفس الامارة بالسوء
غرتهم بالاماني وفسحت لهم في المعاصي ووعدتهم بالاظهار فاقتحمت بهم
النار فالبؤس الشدة والاظهار اي اظهارهم على من غالبهم والاقتحام
الدخول بسرعة وقال اتقوا معاصي الله في الخلوات فان الشاهد هو الحاكم اراد
فان الشاهد عليكم بما تعملون هو الذي يحكم عليكم بجزاء ذلك فهو تخويف
تغريه عن المعاصي وقال لما بلغه قتل محمد بن ابي بكر رحمه الله ان حزننا عليه
على قدر سرورهم به الا انهم نقصوا بغيضا ونقصنا حبيبا اراد سرورهم
بقتله وقال العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة اعذر اليه
اتاه بالعذر وهو امهاله المدة المذكورة التي تمكن فيها تحصيل زاد
التقوى وقال ما ظفر من ظفر الاثم به واراد الظفر الظالم لانه مقهور
بالاثم عند الله وقال ان الله سبحانه فرض في اموال الاغنياء اقوات الفقراء فما
جاع فقير الا بما منع غني والله تعالى سائلهم عن ذلك واراد فرض
الزكاة وقال الاستغناء عن العذر اعز من الصدق به يريد ان الاستغناء
عن ترك الحوجة الى العذر اعز للنفس منه وان كان صادقا لما فيه من المذلة
وقال ان اقل ما يلزمكم لله ان لا تستعينوا بنعمته على معاصيه وذلك لان
وضع النعمة للاستعانة بها على طاعة الله فلا اقل من ترك المعصية بها

وقال ان الله سبحانه جعل الطاعة غنيمة الاكياس عن تفريط العجزة فالاكياس
الذين استعملوا فطنهم فيما ينبغى والعجزة المقصرون عما ينبغى وقال السلطان
وزعة الله فى ارضه فالوزعة جمع الوازع واراد السلطان العادل بقرينة اضافته
الى الله وقال فى صفة المؤمن المؤمن بشره فى وجهه وحزنه فى قلبه اوسع
شئ صدرا واذل شئ نفسا يكره الرفعة ويشنا السمعة طويل غمه بعيد
همه كثير صمته مشغول وقته صبور شكور مغمور بفكرته ضنين بخلته
سهل الخليقة لين العريكة نفسه اصلب من الصلد وهو اذل من
العبد اقول عرفه فى معرض المدح بستة عشر وصفا وحزنه على
مؤنته وسعة الصدر فضيلة تحت الشجاعة وذلة نفسه تواضعا
لله وكراهته للرفعة تنزها عن رذيلة الكبر وطول غمه نظرا الى ما
بين يديه من الموت وما بعده وبحسب ذلك كان بعد همته فى المطالب العالية
والسعادت الباقية وشغل وقته بعبادة ربه مغموم بفكرته فى ملكوت
السموات والارض وضنته بخلته اى لا يسرع الى صداقة احد لقلة اخوان
الصدق اولانقطاعه عن الخلق الى الله وروى بفتح الخاء اى نضن بحاجته
ان يذكرها لاحد والخلة الحاجة وكنى بصلابته عن شجاعته وقوته فى الدين
وقال لو راى العبد الاجل ومسيره لابغض الامل وغروره فاستعار
لفظ مسير الاجل لسرعة انقضاء الزمان المستلزم للفناء وقال عليه السلام
لكل امرئ فى ماله شريكان الوارث والحوادث وقال الداعى بلا عمل كالرامى
بلا وتر اراد من يدعو الله لمراده من غير وسيلة اليه من العمل له وقال
العلم علمان مطبوع ومسموع ولا ينفع المسموع اذا لم يكن المطبوع واراد
بالمطبوع ما يعلم بطبيعة العقل من الاصول كالتوحيد والعدل وبالمسموع العلوم
الشرعية التى هى فرع العقلية وقيل اراد بالمطبوع العلوم الضرورية وبالمسموع
المكتسبة وظاهر ان المكتسب لا ينتفع به الا ان يستند الى البرهان ومقدماته

اليقينية

اليقينية اذ التقليد غير كاف وقال عليه السلام صواب الراى بالدول و
يذهب بذهابها لما كان صواب الراى من اسباب الدولة وتمامها كان مصاحبا
لها وتلازما ويدل ذهابها على ذهابه دلالة عدم المعلول على عدم العلة وقال
العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى وقال عليه السلام يوم العدل على
الظالم اشد من يوم الجور على المظلوم وقال عليه السلام الاقاويل محفوظة
ومبلوة وكل نفس بما كسبت رهينة والناس منقوصون مدخولون
الا من عصم الله سائلهم متعنت ومجيبهم متكلف يكاد افضلهم رايا
يرده عن فضل رايه الرضاء والسخط ويكاد اصلبهم عودا تنكاه اللحظة
وتستحيله الكلمة الواحدة معاشر الناس اتقوا الله فكم من مؤمل ما لا يبلغه و
بان لا يسكنه وجامع ما سوف يتركه ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه
اصابه حراما واحتمل به اثاما فباء بوزره وقدم على ربه اسفا لاهفا قد
خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين اقول مبلوة مختبر مسؤلة يوم
القيامة ومدخولون اى فى عقولهم دخل وعلة واصلبهم عودا اى فى دينه
تنكاه تؤثر فيه واراد اللحظة والكلمة ممن تشتهيه للدنيا وتستحيله تغيره
وباء رجع والوزر ثقل الاثام واللاهف المتحسر والفعل واضح وقال عليه
السلام من العصمة تعذر المعاصى اى من اسباب العصمة لان العصمة ملكة ترك
المعاصى وقد يحصل من فقد الذكر لعدم الوجدان وقال ماء وجهك جامد يقطره
السوال فانظر عند من تقطره فاستعار لفظ ماء الوجه للحياء وقيل كنى عن العرق
قد يعرض للسائل من الحياء عند سواله وقال الثناء باكثر من الاستحقاق ملق و
التقصير عن الاستحقاق عى او حسد فالملق التلطف الشديد بالقول والافراط
فى المدح وقال اشد الذنوب ما استهان به صاحبه لاستلزام ذلك مداومته
حتى يصير ملكة وقال عليه السلام من نظر فى عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره
ومن رضى برزق الله لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغى قتل به وكابد الامور

وماء وجهك جامد

عطب ومن اقتحم اللجج غرق ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن كثر كلامه كثر
خطاؤه ومن كثر خطاؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه
مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار ومن نظر فى عيوب الناس فانكرها ثم
رضيها لنفسه فذلك الاحمق بعينه ومن اكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير
ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه اقول انما يشتغل عن عيب
غيره اذا اعتبر نقصان نفسه بعينه وكنى بسل سيف البغى عن القتل ظلما
وهو مستلزم لمثله بوجوب المجازات فى الطبيعة ومكابدة الامور مقاساتها بالنفس
وهى مظنة العطب والهلاك وكنى باللجج عن الامور العظام كالحروب وتدبير الدول
وبالغرق عن الهلاك بها لان ذلك مظنته والتهمة فى الدخول مداخل السوء لانها
مظنة ما يتهم به من السوء وكثرة الخطاء فى كثرة الكلام لانها مظنته وكثرة
الخطاء يستلزم قلة الحياء لكثرة مقابلة الناس بما يستحيا منه وتعوده حتى يصير
خلقا وقلة الورع بقلة الحياء لان الحياء من الورع فنقصانه بنقصانه وموت القلب
بقلة الورع لان بالورع ولزوم الاعمال الجميلة حياة القلب وبعدمها موته واستعار
لعدم الفضائل لفظ الموت والراضى لنفسه بما ينكره من عيب غيره احمق لخالفته
الراى الاصوب فى انكاره واستلزام ذكر الموت للرضا باليسير من الدنيا العلم الذاكر
بعدم الانتفاع بالكثير منها وبالحسرة اللازمة لمفارقته ولزوم قلة الكلام الا فيما
يعنى للعلم بان الكلام من جملة بدليل هكذا الكلام من الاعمال والاعمال يكتسب و
يواخذ على الفضول منها ينتج ان الكلام يكتسب ويواخذ على الفضول منه وقال عليه
السلام للظالم من الرجال ثلث علامات يظلم من فوقه بالمعصية ومن دونه بالغلبة
ويظاهر القوم الظلمة اراد بمن فوقه خالقه وامامه والمظاهرة المعاونة وقال
عليه السلام عند تناهى الشدة تكون الفرجة وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء
لان تناهى الشدة ان لم يستلزم الخلاص منها لم يكن قد تناهت وقد فرضت كذلك
واستعار لفظ الحلق للشدائد على احاطتها بالانسان لا يجد منها مخلصا كالحلقة

وقال

مستعمل علمه وجاهل لا يستنكف ان يتعلم وجواد لا يبخل بمعروفه وفقير لا يبيع
اخرته بدنياه فاذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل ان يتعلم واذا بخل
الغنى بمعروفه باع الفقير اخرته بدنياه يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج
الناس اليه فان قام بما يجب لله فيها عرضها لدوامها وان لم يقم بما يجب لله فيها
عرض نعمته لزوالها فاستعمال العلم على وفقه واشار بقوله قائم الى قوله بدنياه
الى علمه ما به قوام الناس وصلاح حالهم فى معاشهم ومعادهم من الفضائل والى
فقد ذلك المستلزم لفساد حالهم من الرذائل وقيام العبد بما يجب لله فى نعمته
عليه الشكر عليها وصرفها فى مصارفها الشرعية ومع قيامه فيها بذلك
كفرانها ومنعها عن وجوهها وروى ابن جرير الطبرى فى تاريخه عن عبد الرحمن
ابن ابى ليلا الفقيه وكان ممن كان يخرج لقتال الحجاج مع ابن الاشعث انه
قال فيما كان يحضض به الناس على الجهاد انى سمعت امير المؤمنين على ابن
ابى طالب عليه السلام يقول يوم لقينا اهل الشام ايها المؤمنون انه من
راى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه فانكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن
انكره بلسانه فقد اجر وهو افضل من صاحبه ومن انكره بالسيف لتكون
كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذى اصاب سبيل الهدى
وقام على الطريق ونور فى قلبه اليقين وقد قال فى كلام له عليه السلام غير
هذا يجرى هذا المجرى فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك المستكمل
لخصال الخير ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده فذلك متمسك بخصلتين
من خصال الخير ومضيع خصلة ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه
فذلك الذى ضيع اشرف الخصلتين من الثلث وتمسك بواحدة ومنهم التارك
لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الاحياء وما اعمال البر كلها والجهاد
فى سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يقربان من اجل ولا ينقصان
من رزق وافضل من ذلك كله كلمة حق عند امام جائر اقول الضمير فى انه قال

راجع الى ابن الاشعث وسلم برئ من الاثم واشار بقوله ليكون كلمة الله
هي العليا الى شرط اصابته سبيل الهدى دون غرض آخر في انكار المنكر واستعار
لفظ الميت لتارك الامر بالمعروف مطلقا باعتبار خلوه عن جميع خصال الخير
التي يستلزمها ووجه شبه اعمال البر بالنفثة كون اعمال البر جوهرية تحت
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وداخله فيهما وقليله جدا بالنسبة اليهما كما
كالنفثة في البحر وعن ابي جحيفه قال سمعت امير المؤمنين عليه السلام يقول
ان اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم فمن
لم يعرف بقلبه معروفا ولم ينكر منكرا قلب فجعل اعلاه اسفله ومعنى غلبهم
على الجهاد بقلوبهم انهم اذا غلبوا عليه بايديهم والسنتهم الفوا المنكر
واعتادوا الانقياد عن انكاره فزال من قلوبهم ولم يبق لها انكاره واستعار
وصف القلب لانتكاس عقله في محاوي الرذايل وقال عليه السلام ان الحق
ثقيل مرئ وان الباطل خفيف وبئ اي مهلك عند اسر وقال لا تامنن
على خير هذه الامة من عذاب الله لقول الله سبحانه ولا يامن مكر الله الا القوم
الخاسرون ولا تياسن لشر هذه الامة من روح الله لقوله تعالى انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون فاستعار لفظ المكر لامهال الله ثم اخذه
على غرة وهو صورة مكر وخداع وقال عليه السلام البخل جامع لمساوي العيوب
وهو زمام يقاد به الى كل سوء وذلك لانه يستلزم البخيل بمواضع بذل المال
ووضعه فيها والفجور لقصوره في تحصيله عن فضيلة شهوته وهي العفة
المطرف الافراط والجبن لان البخيل بماله ابخل بنفسه والظلم والانظلام وهو
ظاهر وهذه الرذايل الاربع هي امهات العيوب والرذايل وتحتها رذايل
كثيرة هي انواع لها كالحرص والحسد والكذب والشره ودناءة الهمة والغدر
والخيانة وقطع الرحم وعدم المواساة وكلها لوازم البخل وتوابعه والاستقرار
تحقق صدقه عليه السلام وقال عليه الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك

ثمان

فان لم تاته اتاك فلا تحمل هم سنتك على هم يومك فيه كفاك كل يوم ما فيه فان
تكن السنة من عمرك فان الله تعالى جده سيؤتيك في كل غد جديد ما قسم لك
وان لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهم لما ليس لك ولن يسبقك الى رزقك
طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطئ عنك ما قد قدر لك وقد مضى هذا الكلام
فيما تقدم من هذا الباب الا انه هاهنا اوضح واشرح فلذلك كررناه على القاعدة
المقررة في اول الكتاب قوله فيه اي في يومك والفصل واضح وقد سبق مثله
مشروحا وقال عليه السلام رب مستقبل يوما ليس بمستدبره ومغبوط في
اول ليله قامت بواكيه في آخره وقال عليه السلام الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به
فاذا تكلمت به صرت في وثاقه فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك
فرب كلمة سلبت نعمة فالوثاق الحبل ولفظه مستعار وقال عليه السلام
لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كل ما تعلم فان الله سبحانه قد فرض على جوارحك كلها
فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة اراد فرض عليك في جوارحك لان
الانسان هو المكلف بالفرض وقال احذر ان يراك الله عند معصيته و
يفقدك عند طاعته فتكون من الخاسرين واذا قويت فاقو على طاعة الله
واذا ضعفت فاضعف عن معصية الله وهو ظاهر وقال عليه السلام الركون
الى الدنيا مع ما يعاين منها جهل والتقصير في حسن العمل اذا وثقت بالثواب
عليه غبن والطمانينة الى كل احد قبل الاختبار عجز اراد بما يعاين منها
من التغير والزوال وجهله بما ينبغي له مع ذلك من الحذر والاستعداد
للامور الثابتة الباقية في الآخرة والتقصير في حسن العمل غبن لانه ترك خير
كثير لعمل يسير والعجز في الطمانينة الى كل احد اي عن البحث عمن ينبغي السكون
اليه والنفرة عنه وقال عليه السلام من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى
الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقال من طلب شيئا ناله او بعضه اي
غالبا وفي المعتاد وقال عليه السلام ما خير بخير بعده النار وما شر بشر بعده

الجنة وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاء دون النار عافية اراد ما خير
بعده النار يستحق ان يسمى خيرا وشر بعده الجنة ينبغي ان يعد شرا و
قال عليه السلام الا وان من البلاء الفاقة واشد من الفاقة مرض البدن
واشد من مرض البدن مرض القلب الا وان من النعم سعة المال و
افضل من سعة المال صحة البدن وافضل من صحة البدن تقوى القلب
فالتفاوت بين مرض البدن ومرض القلب بالرذايل بالشدة والضعف بحسب
تفاوت غايتيهما وهو الموت المحسوس والموت المعقول وما يلزمهما من الشدة و
العذاب وما يفوت بسببهما من العافية الحسية والعقلية وقال للمؤمن ثلث
ساعات فساعة يناجي فيها ربه وساعة يرم معاشه وساعة يخلي بين
نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل وليس للعاقل ان يكون شاخصا الا في
ثلاث مرمة لمعاش او خطوة في معاد او لذة في غير محرم قسم زمان المؤمن
الى اقسام الثلثة التي ينبغي له بحسب مقتضى الحكمة العملية ورم المعاش
اصلاحه ويجمل يحسن والشاخص الذاهب من بلد الى بلد وقال عليه السلام ازهد
في الدنيا يبصرك الله عوراتها ولا تغفل فلست بمغفول عنك الزهد في
الدنيا مستلزم لادراك عيوبها لان حبك الشيء يعمي ويصم وقال عليه السلام تكلموا
تعرفوا فان المرء مخبوء تحت لسانه وقد مر مفسرا وقال خذ من الدنيا ما اتاك و
تول عما تولى عنك فان انت لم تفعل فاجمل في الطلب فامر بالقناعة اولا ثم
بالاجمال في طلب الدنيا ان لم يكن القناعة وهو طلبها من الوجه الذي ينبغي
وعلى الوجه الجميل الذي ينبغي وقال رب قول انفذ من صول اي قد يبلغ الانسان
بالقول ما لا يبلغه بالشدة والصولة فيكون القول انفذ في غرضه ويقرب مثلا
للرفق واللين الذي يبلغ به ما لا يبلغ بالعنف وقال كل مقتصر عليه كاف اي ما يكفي
الاقتصار عليه وفيه جذب الى القناعة وقال المنية ولا الدنية ان يحمل المنية ولا
يحمل الدنية وقيل المنية مبتدأ دل على خبره قوله ولا الدنية اي اسهل من ركوب

الدنية

الدنية وهي الامر الخسيس يرتكب في طلب الدنيا والتعلل والتوسل اي
الى اهل الدنيا في طلبها ومن لم يعط قاعدا لم يعط قائما فكنى بالقعود عن
الطلب السهل وبالقيام عن التعسف في الطلب اي من لم يرزق بالطلب
السهل لم ينفعه التشديد والتعسف في طلبه والحكم اكثري وقيل اراد
من لم يرزق الشيء في وقت الامر لم ينفعه الحركة فيه والدهر يومان يوم
لك ويوم عليك فاذا كان لك فلا تبطر واذا كان عليك فاصبر و
البطر مجاوزة الحد وقال عليه السلام لبعض مخاطبيه وقد تكلم بكلمة يستصغر
مثله عن قول مثلها لقد طرت شكيرا وهدرت سقبا قال السيد والشكير
هاهنا اول ما ينبت من ريش الطائر قبل ان يقوى ويستحصف والسقب الصغير
من الابل ولا يهدر الا بعد ان يستفحل واقول الشكير هو الفرخ قبل النهوض
واستعار لفظي الشكير والسقب له باعتبار صغر قدره عما تكلم به ووصف
الطيران والهدر له باعتبار نهوضه الى كلام ليس من شانه وقال مقاربة الناس
في اخلاقهم امن من غوائلهم اي يستلزم الامن منها والغائلة الحقد وقال
من اومى الى متفاوت خذلته الحيل اراد بالمتفاوت التي يتعذر اجتماعها
ويضعف الوسع عن تحصيلها في العادة واستعار وصف الخذلان
لعدم مواتاة الحيل له فيما يروم من ذلك وقال وقد سئل عن معنى قولهم لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لا نملك مع الله شيئا ولا نملك الا ما ملكنا فمتى ملكنا
ما هو املك به منا كلفنا ومتى اخذه منا وضع تكليفه عنا وقال عليه السلام لعمار
ابن ياسر رحمه الله وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاما دعه يا عمار فانه
لن ياخذ من الدين الا ما قاربته الدنيا وعلى عمد لبس على نفسه ليجعل الشبهات عاذرا
لسقطاته اراد انه لا يعمل من الدين الا بما يستلزم دنيا ويقرب منها وسقطاته
زلاته وقال عليه السلام ما احسن تواضع الاغنياء للفقراء طلبا لما عند الله و
احسن منه تيه الفقراء على الاغنياء اتكالا على الله وفيه تنبيه على ان التيه

له موضع يخشى فيه وقال عليه السلام ما استودع الله امرءا عقلا الا ليستنقذه به
يوما ما اي يكون سببا لخلاصه من بلاء دنيوي واخروي وقال عليه السلام من
صارع الحق صرعه فمصارعة الحق مغالبته ومقاومته والحق اكثر اعوانا
واعز انصارا وقال عليه السلام القلب مصحف البصر فاستعار لفظ المصحف
للقلب باعتبار انتقاش صور ما ينبغي التكلم به في لوح الخيال وادراك الحس
المشترك له من باطن فهو كالمصحف يقرا منه وقال عليه السلام التقى رئيس الاخلاق
لافضليته على جميعها باستلزامه السعادة الابدية دون كل فرد فرد منها وقال
عليه السلام لا تجعلن ذرب لسانك على من انطقك وبلاغة قولك على من سددك
وهو كالمثل يضرب لمن يحصل من انسان علما او ادبا فيستعين بذلك على مخاصمته
وذرب اللسان حدته وقال كفاك ادبا لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك اراد
بما يكرهه من غيره الرذائل واجتنابها نعم الادب وتنفر عنها بكونها مكروهة
له وقال من صبر صبر الاحرار والا سلا سلو الاغمار وفي خبر آخر انه قال
للاشعث بن قيس معزيا ان صبرت صبر الاكارم والا سلوت سلو البهائم و
الاغمار جمع غمر وهو الجاهل وقال في صفة الدنيا تغر وتضر وتمر ان الله
لم يرضها ثوابا لاوليائه ولا عقابا لاعدائه وان اهل الدنيا كركب بيناهم حلوا
اذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا اراد تغر بمحبتها وتضر بمتعبها وتمر
بفراقها من المرارة او من المرور وقال لابنه الحسن عليهما السلام يا بني لا تخلفن
وراءك شيئا من الدنيا فانك تخلفه لاحد رجلين اما رجل عمل فيه بطاعة الله
فسعد بما شقيت به او رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له وليس
احد هذين حقيقا ان تؤثره على نفسك ولا تحمل له على ظهرك فارج لمن قد مضى رحمة الله
ولمن بقي رزق والفصل من احسن الاداب في بذل المال وقال عليه السلام لقائل
قال بحضرته استغفر الله ثكلتك امك اتدري ما الاستغفار ان الاستغفار
درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان اولها الندم على ما مضى والثاني العزم

على ترك

على ترك العود اليه ابدا والثالث ان تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله
عز وجل املس ليس عليك تبعة والرابع ان تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها
فتؤدي حقها والخامس ان تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالاحزان
حتى يلصق الجلد بالعظم وينشا بينهما لحم جديد والسادس ان تذيق الجسم
الم الطاعة كما اذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول استغفر الله اقول
لما كان الاستغفار هو طلب المغفرة وكان الطلب بدون التوبة والعمل المطلوب
ممتنعا كما اشار اليه فيما قبل كانت الامور المذكورة من اللوازم التي ينبغي للاستغفار
فعبر بها عنه واستعار لفظ الاملس لنقي الصحيفة من الاثم وقال الحلم عشيرة
فاستعار له لفظ العشيرة باعتبار انه يحمي صاحبه ويجنبه الاذى ممن يبادره
ويعاديه وقال عليه السلام مسكين ابن آدم مكتوم الاجل مكنون العلل محفوظ
العمل تؤلمه البقة وتقتله الشرقة وتنتنه العرقة فالعلل الامراض والاعراض
والصفات المذكورة وجوه المسكنة والضعف وروي انه عليه السلام كان
جالسا في اصحابه اذ مرت بهم امراة جميلة فرمقها القوم بابصارهم فقال
عليه السلام ان ابصار هذه الفحول طوامح وان ذلك سبب هبابها فاذا نظر
احدكم الى امراة تعجبه فليلمس اهله فانما هي امراة كامراة فقال له رجل من
الخوارج قاتله الله كافرا ما افقهه فوثب اليه القوم ليقتلوه فقال عليه السلام
رويدا انما هو سب بسب او عفو عن ذنب فالرمق النظر وطموح البصر
ارتفاعه والهبيب والهباب صوت التيس عند هياجه والكلام واضح وقال
كفاك من عقلك ما اوضح لك سبل غيك من رشدك فاشار الى غاية العقل العملي وقال
افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئا فان صغيره كبير وقليله كثير ولا يقولن احدكم
ان احدا اولى بفعل الخير مني فيكون والله كذلك ان للخير والشر اهلا فمهما تركتموه
منهما كفاكموه اهله قوله فيكون والله كذلك لان ذلك القول من القائل ربما يكون
باعثا لمن توسم فيه فعل الخير ونسبه اليه فيصدق قوله وظنه بفعله فيكون اولى

منه وقال من اصلح سريرته اصلح الله له علانيته ومن عمل لدينه كفاه الله
امر دنياه ومن احسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس لان
الاحوال الظاهرة كالثمرات والاثار للاحوال الباطنة وصلاحها وفسادها
تابعان لصلاح الباطن وفساده وقال الحلم غطاء ساتر والعقل حسام
قاطع فاستر خلل خلقك بحلمك وقاتل هواك بعقلك فاستعار لفظ الغطاء
للحلم لستره رذائل الاخلاق ولفظ الحسام للعقل لقهر النفس الامارة به و
قال ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فيقرها في ايديهم ما بذلوها
فاذا منعوها نزعها منهم ثم حولها الى غيرهم وقال لا ينبغي للعبد ان يثق
بخصلتين العافية والغنى بينما تراه معافى اذ سقم وبينما تراه غنيا اذ افتقر
نفر عن الثقة بهما لاستلزامهما الغفلة عن الآخرة بضمير صغراه قوله بينما تراه
الى آخره وقال من شكا الحاجة الى مؤمن فكانما شكاها الى الله ومن شكاها
الى كافر فكانما شكا الله وذلك لان المؤمن حبيب الله فالشكاية اليه كالشكاية
الى الله وهو في معرض ان يكون وسيلة الى الله في قضاء الحاجة والكافر
عدو الله فالشكاية اليه تشبه شكاية الله الى عدوه اذ هو مبدء الحاجة والغنى
وقال في بعض الاعياد انما هو عيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه وكل يوم
لا يعصى الله فيه فهو يوم عيد وقال ان اعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل
كسب مالا في غير طاعة الله فورثه رجلا فانفقه في طاعة الله فدخل به الجنة و
دخل الاول به النار وكون ذلك اعظم الحسرات لعدم انتفاعه بماله وعقابه
في الآخرة ومشاهدته لانتفاع غيره به وقال ان اخسر الناس صفقة واخيبهم
سعيا رجل اخلق بدنه في طلب آماله ولم تساعده المقادير على ارادته فخرج
من الدنيا بحسرته وقدم على الآخرة بتبعته وتبعته آثامه التي يطلب بها
ويتبع فيها وقال عليه السلام الرزق رزقان طالب ومطلوب فمن طلب الدنيا
طلبه الموت حتى يخرجه عنها ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي رزقه منها

فاستعار

الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من اهل النفاق فاستعار لفظ الضالة باعتبار ان
من شانه ان يطلبها وينشدها كصاحب الضالة وقال قيمة كل امرئ ما
يحسنه فقيمته محله عند الناس والكلمة ظاهرة وغرضها الترغيب في
اعلى ما يكتسب من الكمالات وقال عليه السلام اوصيكم بخمس لو ضربتم
اليها آباط الابل لكانت لذلك اهلا لا يرجون احد منكم الا ربه ولا يخافن
الا ذنبه ولا يستحيين احد اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم ولا يستحيين
احد اذا لم يعلم الشيء ان يتعلمه وعليكم بالصبر فان الصبر من الايمان كالراس
من الجسد لا خير في جسد لا راس معه ولا في ايمان لا صبر معه كنى بضرب
آباط الابل عن الرحلة في طلبها وذلك ان الراكب يضرب ابط راحلته ليحثها
والفصل ظاهر وانما شبه فضيلة الصبر من الايمان بالراس من الجسد وانما م
لشرفها وحاجة جميع الفضائل التي هي اجزاء الايمان الكامل الى الصبر على الثبات عليها
ثم على البقاء عليها عن الخروج عنها فاشبهت الراس في عدم قيام البدن بدونه
وقال عليه السلام لرجل افرط في الثناء عليه وكان له متهما انا دون ما تقول
وفوق ما في نفسك وقال بقية السيف ابقى عددا واكثر ولدا وذلك
لا للعناية الالهية ببقاء النوع وحفظه واقامته باسلاف من قتل ممن
بقي وقال عليه السلام من ترك قول لا ادري اصيبت مقاتله الترك المذكور
كناية عن القول بغير علم واصابة المقاتل كناية عن الهلاك الحاصل بسبب القول
بالجهل في الدنيا والآخرة وقال راي الشيخ احب الي من جلد الغلام وجلده قوته
انما خص الراي بالشيخ والجلد بالغلام لان كلا منهما مظنة لما خصه به والراي
الصالح مقدم على القوة كما قال الراي قبل شجاعة الشجعان ومشهد الغلام حضوره
وقال عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار وحكى عنه ابو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما
السلام انه قال كان في الارض امانان من عذاب الله تعالى فرفع
احدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به اما الامان الذي رفع فهو رسول الله صلى الله

عليه وآله واما الامان الباقي فالاستغفار قال عز من ذكره وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا من محاسن
الاستخراج ولطايف الاستنباط والقنوط الياس والمعنى واضح وقال
عليه السلام من اصلح ما بينه وبين الله اى بتقواه اصلح الله ما بينه و
بين الناس لان بالتقوى صلاح قوتي الشهوة والغضب اللتين فسادهما مبدء
الفساد بين الناس ومن اصلح امر آخرته اصلح الله له امر دنياه لان الدنيا
المطلوبة لمن اصلح امر آخرته سهلة قد تكفلت العناية الالهية باصلا
حها ولان صلاح الآخرة معامل للخلق بمكارم الاخلاق وذلك مستلزم لصلاح دنياه
مع اهلها ومن كان له في نفسه واعظ اى زاجر عن المعاصي باعث على
لزوم العدل في النفس الامارة التي هي مبدء الشر في الدارين كان عليه من الله حافظ
فيهما وقال عليه السلام الفقيه كل الفقيه اى التام في العلم من لم يقنط الناس
من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله وذلك ان
لكل من النفوس الجاهلة دواء من الموعظة مخصوصا لا يشفى بغيره فلبعضها من النفوس بدل
الوعد ولبعضها الوعيد ولبعضها البشارة ولبعضها النذارة والفقيه
العالم يعرف الحكمة الالهية من الكتاب العزيز فيضع كلا موضعه وقال اوضع
ما وقف على اللسان وارفعه ما ظهر على الجوارح والاركان يريد بالعلم الاول
العلم الذي لا عمل معه وظهوره في الوصف اللساني فقط وبالثاني العلم
المقرون بالعمل وهو العلم الراسخ الذي يظهر آثاره في العبادات البدنية
على جوارح العبد ظهور العلة في معلولها وهو العلم المنتفع به في الآخرة و
قال ان هذه القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرايف الحكمة و
طرايفها لطايفها وغرايبها المعجبة للنفس اللذيذة لها وذلك ليكون ابدا في اكتساب
الحكمة بنشاط وقال لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة لانه ليس
احد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن

فان

فان الله سبحانه يقول واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة قال عليه السلام
ومعنى ذلك انه سبحانه يختبرهم بالاموال والاولاد ليتبين الساخط لرزقه
والراضي بقسمه وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم ولكن ليظهر الافعال
التي بها يستحق الثواب والعقاب لان بعضهم يحب الذكور ويكره الاناث
وبعضهم يحب تثمير المال ويكره انثلام الحال قال السيد رحمه الله وهذا من غريب
ما سمع منه عليه السلام في التفسير واقول مضلات الفتن ما يضل بها عن
سبيل الله وهي المستعاذ منها وهي اخص من مطلق الفتن كما اشار اليه عليه
السلام وسئل عليه السلام عن الخير ما هو فقال ليس الخير ان يكثر مالك
وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك وان يعظم حلمك وان تباهي الناس بعبادة
ربك فان احسنت حمدت الله وان اسأت استغفرت الله ولا خير في الدنيا الا
لرجلين رجل اذنب ذنوبا فهو يتداركها بالتوبة ورجل يسارع في الخيرات وان
اى انما بالقليل اذا كان متقيا لان ذلك مع التقوى يتقبله الله منه ولا
يقل ما يتقبله الله ويحتمل ان يريد بذلك ان المذنب وان كانت حسنته بالتوبة
قليلة بالنسبة الى حسنات من سارع بالخيرات وسبق اليها لكنها ليست
بقليلة عند الله اذ لا يقل ما يتقبله وقال عليه السلام ان اولى الناس بالانبياء
اعلمهم بما جاؤا به ثم تلا عليه السلام قوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين
اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا الآية ثم قال عليه السلام ان ولي محمد من
اطاع الله وان بعدت لحمته وان عدو محمد من عصى الله وان قربت قرابته انما جعل
الآية دليلا على ان الاعلم بما جاءت به الانبياء اولى بهم لان الاتباع مستلزم
للعلم بما جاؤا به والمراد بالولي الاولى باتباعهم والاخص بهم وقال عليه السلام
وقد سمع رجلا من الحرورية يتهجد ويقرأ فقال نوم على يقين خير من صلاة
في شك الحرورية فرقة من الخوارج نسبوا الى قرية بالنهروان يعرف
بحروراء كان اول اجتماعهم بها والتهجد السهر في العبادة والشك الذي

هم فيه شكهم في الامام وما يتفرع على وجوب طاعته والاقتداء به من
ساير الاحكام وقال عليه السلام اعقلوا الخبر اذا سمعتموه عقل
رعاية لا عقل رواية فان رواة العلم كثير ورعاته قليل فعقل الرعاية
تدبره وتفهم معناه وعقل الرواية نقل الفاظه فقط وسمع رجلا يقول
انا لله وانا اليه راجعون فقال ان قولنا انا لله اقرار على انفسنا بالملك وقولنا انا لله م
وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك والمعنى ظاهر ومدحه قوم
في وجهه فقال اللهم انك اعلم بي من نفسي وانا اعلم بنفسي منهم
اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون واغفر لنا ما لا يعلمون وقال لا يستقيم
قضاء الحوايج الا بثلث باستصغارها لتعظم واستكتامها لتظهر و
بتعجيلها لتهنأ اراد باستقامة قضائها كونه على قانون العدل واستصغاره
لما يقتضيه منها يدل على علو الهمة والسماحة وهو مستلزم لعظمها و
اشتهارها بين الناس واستكتامها يدل على بعده عن الريا والسمعة
والاستصغار والاستكتام يعودان في الحقيقة الى ما يقضى به الحاجة لكن
تسمية المحتاج اليه بالحاجة مجاز من باب اطلاق اسم المتعلق على المتعلق
فلذلك عادت الضماير الى لفظ الحوايج وباقي الكلام ظاهر وقال
عليه السلام يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه الا الماحل ولا يظرف فيه
الا الفاجر ولا يضعف فيه الا المنصف يعدون الصدقة فيه غرما
وصلة الرحم منا والعبادة استطالة على الناس فعند ذلك يكون السلطان
بمشورة الاماء وامارة الصبيان وتدبير الخصيان فالماحل الساعي بالنميمة
الى الملوك والمحل الكيد وروى الماجن وهو المستهزي اللاعب عوض الفاجر
ويضعف يعد ضعيفا عاجزا وقيل يعد ضعيف العقل لترك الظلم كان
له حقا يحمله بانصاف وعدم التعدي والاستطالة بالعبادة ان يرى
صاحبها ان له على الناس حقا فيترفع عليهم كالممتن بها وروى عليه السلام و

ازاره

له السترح للمأخوذ على غرة والمفتون المبتلى والاملاء الامهال وقال عليه السلام
هلك في رجلان محب غال ومبغض قال الغلو في محبته طرف افراط وبغضه
طرف تفريط منها وهما رذيلتان يستلزمان النفاق بل الكفر والهلاك به في الآخرة
اما المحب الغالي فيجعله الها واما المبغض القالي فيتنكره له كالخوارج وقال
عليه السلام اضاعة الفرصة غصة فالفرصة ما امكن من نفسه وقال عليه السلام مثل
نافع الدنيا مثل الحية لين مسها والسم الناقع في جوفها يهوي اليها الغر الجاهل
ويحذرها ذو اللب العاقل ووجه التمثيل ان لذة الدنيا وطيبها يشبه لين
المس من الحية وما يحصل من لذاتها من الهيئات الردية المتمكنة من جوهر النفس
التي يحصل بها التعذيب في الآخرة يشبه سمها وهوى الجاهل اليها ميله
ما في ظاهرها من اللين واللذة وحذر العاقل منها لمعرفته بها وسئل عليه السلام
عن قريش فقال اما بنو مخزوم فريحانة قريش نحب حديث رجالهم والنكاح في نسائهم
واما بنو عبد شمس فابعدها رأيا وامنعها لما وراء ظهورها واما نحن فابذل لما
في ايدينا واسمح عند الموت بنفوسنا وهم اكثر وامكر وانكر ونحن افصح و
انصح واصبح بنو مخزوم بطن من قريش قيل كان لمخزوم ريح كالخزامى وكون لونه
وهو غالبا في وليده ولذلك سمي هذا البطن بريحانة وقيل كان في رجالهم كيس
وفي نسائهم لطف وتصنع للرجال وبعد الرأي كناية عن جودته وقوته يقال
فلان بعيد الرأي اذا كان يرى المصلحة على بعد وكونهم امنع لما وراء ظهورهم كناية
عن الحمية وانكر اكثر نكرا والنكر المنكر واصبح احسن وجوها واطلق وجوها و
اشد بشاشة وقال عليه السلام شتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى
تبعته وعمل تذهب مؤونته ويبقى اجره والعمل الاول للدنيا والثاني العمل للآخرة
قال عليه السلام وقد تبع جنازة وتبع جنازة فسمع رجلا يضحك فقال كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكأن الحق فيها
التي نرى من الاموات على غير وجب وكأن الذي نرى من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون
نبوئهم اجداثهم ونأكل تراثهم كانا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة

درمنا بكل جايحة طوبى لمن ذل فى نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وحسنت خليقته وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم تعدها الى بدعة قال السيد رحمه الله ومن الناس من ينسب هذا الكلام الى النبى صلى الله عليه واله وجه التنبيهات قلة اهتمام الناس بالموت لغفلتهم وعدم اعتبارهم بمن يموت وتبوء المكان اخذ منه موضعه والجايحة الداهية والكلام واضح وقال عليه السلام غيرة الرجل ايمان وغيرة المراة كفر وذلك لان غيرة الرجل انكارا لما اسخط الله وغيرة المراة انكار لما احبه الله ورضيه وقال عليه السلام لانسبن الاسلام نسبة لم ينسبها احد قبلى الاسلام هو التسليم و التسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو الاداء والاداء هو العمل هذه النسبة بالتعريف اشبه منها بالقياس فعرف الاسلام بانه التسليم لله والدخول فى طاعته وهو تفسير لفظ بلفظ اعرف منه والتسليم بانه اليقين وهو تعريف ملازم مساو اذ التسليم الحق انما يكون عن تيقن صدق من يسلم له واستحقاقه التسليم واليقين بانه التصديق اى التصديق الجازم المطابق البرهانى فذكر جنسه ونبه بذلك على حده او رسمه والتصديق بانه الاقرار بالله ورسله وما جاءوا به من البينات وهو تعريف بلفظ وتعريف بلفظ اعرف دالت النسبة الى تعريف الاسلام بالعمل وهو تعريف بخاصة له والاداء بانه العمل لله وهو عليه السلام عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذى منه هرب ويفوته الغنى الذى اياه طلب فيعيش فى الدنيا عيش الفقراء ويحاسب فى الاخرة حساب الاغنياء وعجبت للمتكبر الذى كان بالامس نطفة ويكون غدا جيفة وعجبت لمن شك فى الله وهو يرى خلق الله عجبت لمن نسى الموت وهو يرى من يموت وعجبت لمن انكر النشاة الاخرى وهو يرى النشاة الاولى وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء استعجال البخيل الفقر لعدم انتفاعه بما فى يده من مال حتى كانه فقير وذكر عليه السلام محل التعجب من هولاء الاربعة تنفيرا

عنهم

عنهم وهو ظاهر وقال عليه السلام من قصر فى العمل ابتلى بالهم ولا حاجة لله فيمن ليس لله فى نفسه وماله نصيب اراد العمل لله وذلك ان المقصر فيه يكون غالب احواله فى طلب الدنيا التى لا يقف طلبها والابتلاء بالهم من لوازم ذلك الطلب وفى المشهور خذ من الدنيا ما شئت ومن الهم ضعفيه وقال عليه السلام توقوا البرد فى اوله وتلقوه فى آخره فانه يفعل فى الابدان كفعله فى الاشجار اوله يحرق وآخره يورق اما توقيه فى اوله فلان البرد الخريفى يرد على الابدان وقد استعدت لغفلة بحرارة الصيف ويبسه وما يستلزمانه من التخلخل وكثرة التحلل فلذلك يكون قهره للفاعل الطبيعى وضعف للحار الغريزى وحدوث ما يحدث عن اجتماع البرد واليبس اللذين هما طبيعة الموت من ضمور الابدان وضعفها وانحسار الاوراق واما تلقيه فى آخره هو آخر الشتاء واول من الربيع فلاشتراك الزمانين فى الرطوبة التى هى مادة الحياة وانكسار سورة برد الشتاء بحرارة الربيع واعتداله فيقوى لذلك الحار الغريزى وينتعش الابدان ويكون بذلك نموها وقوتها وظهور الاوراق والثمار وقال عليه السلام عظم الخالق عندك يصغر المخلوق فى عينك هذا امر وجده اولياء الله وقيل لبعضهم فلان زاهد فقال فيما ذا فقيل فى الدنيا فقال الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة فكيف يعتبر الزهد فيها انما يكون فى شى والدنيا عندى لا شى وذلك لما وجد من عظمة الله وقال وقد رجع من صفين فاشرف على القبور بظاهر الكوفة يا اهل الديار الموحشة والمحال المقفرة والقبور المظلمة يا اهل التربة يا اهل الغربة يا اهل الوحدة يا اهل الوحشة انتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق اما الدور فقد سكنت واما الازواج فقد نكحت واما الاموال فقد قسمت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم التفت عليه السلام الى اصحابه فقال اما لو اذن لهم فى الكلام لاخبروكم ان خير الزاد التقوى اقول الفرط الذى يتقدم الواردة فيهيئ الارشاء والدلاء وخاطبهم عليه السلام خطاب

من يسمع اقامة لحالهم المعهودة مقام اشخاصهم الموجودة والفصل من ابلغ المواعظ والتذكير بامور الاخرة وهو واضح قال عليه السلام وقد سمع رجلا يذم الدنيا ايها الذام للدنيا المغتر بغرورها المنخدع باباطيلها امتى غرتك تصرعها انت المتجرم عليها ام هى المتجرمة عليك متى استهوتك ام متى غرتك المصارع ابائك من البلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك تبغى لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء لم ينفع احدهم اشفاقك ولم تسعف فيه بطلبتك ولم تدفع عنه بقوتك قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد احباء الله ومصلى ملائكة ومهبط وحى الله ومتجر اولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها قد اذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها واهلها فمثلت لهم ببلائها البلاء وشوقتهم بسرورها الى السرور راحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترهيبا وترغيبا وتخويفا وتحذيرا فذمها رجال غداة الندامة وحمدها اخرون يوم القيمة ذكرتهم الدنيا فذكروا وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا قوله المصارع اباءك استفهام استهزاء ومثلت وصورت وتصديق من صدقها اعترافه بتغيرها وزوالها وما مثلت به نفسه ودار عافية اى من عذاب الله لمن فهم عنها ما اخبرت به من عظاتها وعبرها واذنت اعلمت والبلاء والسرور بلاء الاخرة وسرورها اذ كان كل ما فى هذا العالم فهو صورة ومثال لما فى عالم الغيب ونسخة منه يعتبر به وغداة الندامة حين الموت وقال عليه السلام ان الله ملكا ينادى فى كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب واجمعوا للفناء اشار الى غايات الدنيا على وفق ما علم من القضاء الالهى وقال عليه السلام الدنيا دار ممر الى دار قرار والناس فيها رجلان رجل باع نفسه فاوبقها

ورجل

استعار لفظ الرود لمدة دولتهم وقد يستعار لفظ الضباع للاسقاط والاذلال وقال عليه السلام فى مدح الانصار هم والله ربوا الاسلام كما يربى الفلو مع غنائهم بايديهم السباط والسنتهم السلاط والفلو المهر السباط السماح ويقال للحاذق فى الطعن انه لسبط اليدين اى انه ثقيف فيه والسلاط الحداد الفصيحة ووجه الشبه تربية الفلو حسن الرعاية له والقيام فيه وقال عليه السلام العين وكاء السه وقال السيد وهذه من الاستعارات العجيبة كانه شبه السه بالوعاء والعين بالوكاء فاذا اطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء وهذا القول فى الاشهر الاظهر من كلام النبى صلى الله عليه واله وقد رواه قوم لامير المؤمنين عليه السلام وذكر ذلك المبرد فى كتاب المقتضب فى باب اللفظ بالحروف وقد تكلمنا على هذه الاستعارة فى كتابنا الموسوم بمجازات الاثار النبوية اقول انه استعار لفظ الوكاء وهو رباط القربة للعين باعتبار حفظ الانسان لنفسه فى يقظته ان يخرج منه ريح ونحوها كما يحفظ الوكاء وقال عليه السلام فى كلام له وقد وليهم وال فاقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه والكلام من خطبة طويلة ايام خلافته ذكر فيها قربه من رسول الله صلى الله عليه واله واختصاصه به الى ان قال عليه السلام فاختار المسلمون بعده بارائهم رجلا منهم فقارب وسدد حسب استطاعته على ضعف وجد كانا فيه ثم وليهم بعده وال فاقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه على عسف وعجز كانا فيه ثم استخلفوا ثالثا لم يكن يملك من امر نفسه شيئا غلب عليه اهله فقادوه الى اهوائهم كما تقود الوليدة البعير المخطوم ولم يزل الامر بينه وبين الناس يبعد تارة ويقرب اخرى حتى نزوا عليه فقتلوه ثم جاؤا فى مدب الدبا يريدون بيعتى فى كلام طويل والجران مقدم عنق البعير

وضرب بجرانه كناية عن استقراره وتمكنه كناية بالوصف المستعار وقال
يأتي على الناس زمان عضوض يعض الموسر فيه على ما في يديه ولم يؤمر به قال الله
سبحانه ولا تنسوا الفضل بينكم تنهد فيه الاشرار وتستذل فيه الاخيار
ويبايع المضطرون وقد نهى رسول الله صلى الله عليه عن بيع المضطرين
فاستعار لفظ العضوض لشدته وعض الموسر على ما في يديه كناية عن بخله
وتنهد ترتفع وقال عليه السلام يهلك فيّ رجلان محب مطر وباهت
مفتر وهذا مثل قوله عليه السلام هلك فيّ رجلان محب غال ومبغض قال
والمطري كثير المدح كالغلاة والباهت له المفتري عليه كالخوارج وسئل
عليه السلام عن التوحيد والعدل فقال التوحيد ان لا تتوهمه
والعدل ان لا تتهمه لان غاية التوحيد ان يحذف عنه تعالى كل ما
اثبته الوهم له كما نقل عن الباقر عليه السلام كل ما ميزتموه باوهامكم
فهو مخلوق مثلكم مردود عليكم كما مر بيانه في خطبة الاولى والمراد من العدل
اعتقاد جريان العدل في جميع افعاله تعالى وانه لا يفعل قبيحا ولا يخل
بواجب فلا يتهم بهما وقال لا خير في الصمت عن الحكم كما انه لا خير في القول
بالجهل فالحكم الحكمة فقد مر مثله وقال عليه السلام في دعاء استسقى به
اللهم اسقنا ذلل السحاب دون صعابها وهذا من الكلام العجيب الفصاحة
وذلك انه عليه السلام شبه السحاب ذوات الرعود والبوارق والرياح
والصواعق بالابل الصعاب التي تقمص برحالها وتتوقص بركبانها وشبه السحاب
الخالية من تلك الروائع بالابل الذلل التي تحتلب طيعة وتقتعد مسمحة
اقول انه استعار لفظي الذلل والصعاب للسحب لمكان المشابهة
المذكورة والتوقص النزو وتقارب الخطو والروائع الامور المخوفة وقيل له عليه السلام
لو غيرت شيبك فقال الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة يعني برسول الله
صلى الله عليه وآله وقال عليه السلام منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا واليهم

فينبغي ان لا يعتمد به ويركن اليه ومن خطبة له عليه السلام المعروف من
غير رؤية والخالق من غير روية الذي لم يزل قائما دايما اذ لا سماء ذات ابراج ولا دائما
حجب ذات ارتاج ولا ليل داج ولا بحر ساج ولا جبل ذو فجاج ولا فج ذو
اعوجاج ولا ارض ذات مهاد ولا خلق ذو اعتماد ذلك مبتدع الخلق ووا رثه
واله الخلق ورازقه والشمس والقمر دائبان في مرضاته يبليان كل جديد ويقربان
كل بعيد قسم ارزاقهم واحصى آثارهم واعمالهم وعدد انفاسهم وخائنة اعينهم
وما تخفي صدورهم من الضمير ومستقرهم ومستودعهم من الارحام والظهور
الى ان تتناهى بهم الغايات هو الذي اشتدت نقمته على اعدائه في سعة
رحمته واتسعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته قاهر من عازه ومدمر من
شاقه ومذل من ناواه وغالب من عاداه من توكل عليه كفاه ومن ساله اعطاه ومن
اقرضه قضاه ومن شكره جزاه عباد الله زنوا انفسكم من قبل ان توزنوا
وحاسبوها من قبل ان تحاسبوا وتنفسوا قبل ضيق الخناق وانقادوا
قبل عنف السياق واعلموا انه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ
وزاجر لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ اقول انه وصف الله سبحانه
باعتبارات من صفات جلاله وقد سبق بيان اكثر هذه الاعتبارات وقيامه
دوام وجوده لذاته وقوله اذ لا سماء الى قوله ذات اعتماد اشارة الى
اعتبار ازليته قيامه بذاته وسبقه لكل ممكن فتقدير القول الرسول صلى الله
عليه وآله كان الله ولا شيء والحجب ذات الارتاج السموات وابلاء الشمس
والقمر لكل جديد كناية عن بقائهما بعده ويحتمل ان يريد كونهما اسبابا معدة
لزوال كل كائن في هذا العالم وفساده وتقريبهما للبعيد جذبهما الى الموت
وبعده من احوال الآخرة وغاياتهم التي يتناهى بهم ما تختم به اعمالهم من
سعادة من شقاوة وقوله هو الذي اشتدت الى قوله نقمته اشارة الى كماله
وتنزيهه في اعتبارات احواله عن ملوك الدنيا فان حال الرحمة وحال الغضب

فيهم متضادان لا يجتمعان ولما كان كماله تعالى يقتضي ان يفيض على كل نفس
ما يستعد له وجاز ان يستعد الشخص الواحد للنعمة التي هي اثر الرحمة وللنقمة
التي هي اثر الغضب في حال واحد لا جرم اجتماع رحمته ونقمته في محل واحد في
وقت واحد باعتبارين كحال الكفار مثلا في الدنيا وقوله وغالب من ناواه
عاداه وزنة النفوس في الدنيا اعتبار اعمالها في الخير والشر ومراعاتها تقاومها
على حاق الوسط من الفضائل في سبيل الله ومحاسبة النفس ضبط اعمالها الخيرية
والشرية لتزكيها بما ينبغي لها وتعاقبها على فعل ما لا ينبغي وهو باب عظيم من
ابواب المرابطة في سبيل الله واستعار وصف النفس لتحصيل الراحة والنعمة
للآخرة بالاعمال الصالحة في الدنيا المستلزمة لها كما يستلزم التنفس راحة
القلب من الكرب ولفظ الخناق من الحبل للموت وانقادوا اي لاوامر الله
قبل عنف سياق الموت واعانة العبد على نفسه اعداد العناية الالهية لقوته
العقلية على قهر النفس الامارة بالسوء وتهيئتها لقبول السوانح الخيرية
ومن لم يحصل ذلك الاستعداد وملكة حتى يكون هو القاهر لنفسه لم يتمكن
من قهرها بمواعظ الغير وزجره وفي ذلك تنبيه على وجوب الاستعانة بالله
في احوال النفس ودفع الشيطان عنها وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام قوبل
تعرف بخطبة الاشباح وهي من جلائل الخطب روى مسعدة بن صدقة عن الصادق
جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال خطب امير المؤمنين صلى الله عليه وآله
بهذه الخطبة على منبر الكوفة وذلك ان رجلا اتاه فقال له يا امير المؤمنين
صف لنا ربنا لنزداد له حبا وبه معرفة فغضب عليه السلام ونادى الصلاة
جامعة فاجتمع الناس حتى غص المسجد باهله فصعد المنبر وهو مغضب متغير واثنى عليه وصلى على النبي صلى
اللون فحمد الله سبحانه وصلى على النبي محمد وآله ثم قال الحمد لله الذي لا يفره
المنع ولا يكديه الاعطاء والجود اذ كل معط منتقص سواه وكل مانع مذموم ما
خلاه هو المنان بفوائد النعم وعوائد المزيد والقسم عياله الخلائق ضمن ارزاقهم

وقدر

وقدر اقواتهم ونهج سبيل الراغبين اليه والطالبين ما لديه وليس بما سئل باجود
منه بما لم يسأل الاول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله والآخر الذي ليس له قبله
بعد فيكون شيء بعده والرادع اناسي الابصار عن ان تناله او تدركه ما
اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال
ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه اصداف البحار
من فلز اللجين والعقيان ونثارة الدر وحصيد المرجان ما اثر ذلك في جوده
ولا انفد سعة ما عنده ولكان عنده من ذخائر الانعام ما لا تنفده مطالب الانام
لانه الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين ولا يبخله الحاح الملحين فانظر
ايها السائل فما دلك القرآن عليه من صفته فائتم به واستضئ بنور هدايته
وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي
صلى الله عليه وآله وائمة الهدى اثره فكل علمه الى الله سبحانه وتعالى
فان ذلك منتهى حق الله عليك واعلم ان الراسخين في العلم هم الذين اغناهم
عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من
الغيب المحجوب فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما
وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا فاقتصر على ذلك ولا
تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين هو القادر
الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته وحاول الفكر المبرأ من
خطر الوساوس ان يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته وتولهت القلوب
اليه لتجري في كيفية صفاته وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه
الصفات لتنال علم ذاته ردعها وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلصة
اليه فرجعت اذ جبهت معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ولا
تخطر ببال اولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته الذي ابدع الخلق على
غير مثال امتثله ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله وارانا

قدرته

من ملكوت قدرته وعجايب ما نطقت به آثار حكمته واعتراف الحاجة من الخلق
الى ان يقيمها بمساك قوته ما دلنا باضطرار قيام الحجة على معرفته وظهرت في
البدايع التي احدثها آثار صنعته واعلام حكمته فصار كل ما خلق حجة له ودليلا عليه
وان كان خلقا صامتا فحجته بالتدبير ناطقة ودلالته على المبدع قايمة واشهد ان
من شبهك بتباين اعضاء خلقك وتلاحق حقاق مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك لم
يعقد غيب ضميره على معرفتك ولم يباشر قلبه اليقين بانه لا ند لك وكانه لم يسمع تبرؤ
التابعين من المتبوعين اذ يقولون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين
كذب العادلون بك اذ شبهوك باصنامهم ونحلوك حلية المخلوقين باوهامهم وجزوك تجزية

فاشهد

الجسمات بخواطرهم وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرايح عقولهم وان من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك والعادل كافر بما تنزلت به محكمات آياتك ونطقت
عنه شواهد حجج بيناتك وانك انت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهب
فكرها مكيفا ولا في رويات خواطرها محدودا مصرفا اقول قيل سميت خطبة الاشباح
لاشتمالها على ذكر الاشباح وهي الاشخاص وقيل لان سبح هو الطول والامتداد وهذه
الخطبة ذات اقسام طوال ممتدة كذكر السموات وكيفية تخليقها وكذكر الملائكة
واقسامهم وكيفية خلقتهم واحوالهم وذكر الارض وكيفية خلقها وغيره ويزيده وذكر
وهو المال ويكرمه ينتقص خيره وانما لم يقبل الزيادة والنقصان لاستلزامها الحاجة
والامكان المنزه قدسه عنهما ونزهه في الحكمين عن حال غيره في المعطين والمانعين و
فايدة التفجر ما افادهما وعوايد المزيد والقسم ما اعتادهما واستعار لفظ العيال
للخلق باعتبار ضمان ارزاقهم والقيام باحوالهم ولفظ الضمان ما وجب في الحكمة من
تقدير الاقوات والارزاق التي لا بد منها كالضمان وسبيل الراغبين اليه شريعته ودينه
ونهجه لهم افصاحه بالادلة وقوله ليس بما سئل باجود منه بما لم يسال فيه لطيفة
وهي ان فيضان ما يصدر عنه سبحانه له اعتباران احدهما بالنظر الى جوده وهو
من تلك الجهة غير مختلف في جميع الموجودات بل نسبته اليها على سواء فلا يقال

هو

هو بكذا اجود منه بكذا والا لاستلزم ان يكون ببعض الاشياء ابخل واليها احوج
فيلزمه النقصان تعالى عن ذلك والثاني بالنظر الى الممكن نفسه والاختلاف بالقرب
والبعد الى جوده انما هو من تلك الجهة فكل من كان اتم استعدادا او اقبل كان اقرب
الى جوده فالسايل اذن وان حصل له ما سال منه تعالى دون ما لم يسال فليس
منعه ما لم يساله لعزته عنده وليس بينه وبين ما سال بالنسبة الى جوده فرق
وتفاوت بل تخصيصه بما سال لتمام قبوله له ولو كان قايلا لما يسال الوصل اليه من
غير مسالة وان عظم خطره والى هذا اشار علي ابن موسى الرضا عليهما السلام وقد
سئل عن الجواد فقال لسوالك وجهان ان اردت المخلوق فالذي يودي ما افترض
الله عليه وان اردت الخالق فهو الجواد ان اعطى وان منع لانه ان اعطى من
له وان منع منع من ليس له واراد ان جوده متوقف على الاستعداد وعدمه وعدمه
اناسي الابصار عن اوراكه فهي مع لها بذل النقصان عن قبول ذلك لان القوة الباصرة
انما تتعلق بذي الوضع والجهة المنزه قدسه تعالى عنها ولم يختلف عليه دهر فيختلف
عن الزمان وبذلك لم يختلف عليه الاحوال لان الزمان هو مبدا الاختلاف وذكر اللجين
خبثه وما ينفيه الكير منه والعقيان الذهب لان العو والمرجان صغار اللؤلؤ او
حصيده محصوده وما اجتمع منه واستعار وصف الضحك للاصداف ووجه الشبه
انفتاح الصدفين واستعارهما عن اللؤلؤ الشبيه في بروه بالاسنان وعن لحمة نحيته
باللسان في هيئته ووضوح المشابهة يستدعي المشاهدة ولفظ الحصيد اضمار
اللؤلؤ لشبهه بالحصيد من الغلات ونبه بهذه القضية الشرطية على كمال قدرته
وعدم تناهي مقدوراتها وبين ذلك بضمير صغراه قوله لانه الجواد الى قوله المطيعين
وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلو وهب جميع ما ذكر لم ينقص ملكه وقوله فانظر الى
الى اخره تاديب للخلق في وصفهم لله سبحانه وتعليم لهم كيفية مدحهم وثنائهم
عليه فامرهم ان يقتدوا في ذكر بكتاب الله تعالى ومن يقوم به من الانبياء والائمة
من بعدهم اذ كان اولى ما يوصف به ما وصف به تعالى نفسه وان يفوضوا علم

ما لم يعلموا علمه تعالى وهو المراد بالتفويض المشهور وقوله واعلم ان الراسخين الى
قوله المحجوب تفسير لمعنى الرسوخ في العلم والاقتحام الدخول في الامور بشدة والسُّدُد
جمع سُدَّة وهي الابواب والحُجُب واعلم ان الحُجُب الغيوب طبقات كثيرة كما اشار
اليه الرسول صلى الله عليه واله ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها
لاحرقت سبحات وجهه كل من ادرك بصره وقد نبهنا عليها في الاصل وهنا لطيفة وهو
انه لما كان التكليف في نفس الامر انما هو على قدر العقول وتفاوت مراتبها كما
صلى الله عليه واله بعثت لا كلم الناس على قدر عقولهم كان كل عقل متوجها على
رفع حجاب من حجب الغيب وقفر عما وراءه واعترف به وبالعجز عنه فذلك تكليفه
وهو من الراسخين فيعلم هذا الى الرسوخ مرتبة واحدة هي تقليد ظاهر الشريعة واعتقاد
حقيتها فقط بل تقليدها مرتبة اولى من مراتبه وما وراء ذلك مراتب غير متناهية
بحسب مراتب السالكين وقوتهم على رفع حجب الانوار فظاهر كلامه عليه السلام
لا يبابي ذلك اذا انزل عليه فان قوله وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه
رسوخا صادق ايضا على قطع مرحلة من منازل السايرين الى الله والعجز عما وراءها والتوقف
عن التعمق فيه اذ لا يكلف بما لا يفي قوته بدركه والمقدر لعظمة الله بقدر عقله
هو المعتقد ان عقله ادركه واحاط به علما ووجه الهلاك في ذلك الاعتقاد ان
ما يحيط به العقول البشرية محدود مركب فكان ممكنا فالمعتقد لذلك معتقد
لغير الاله الها وقوله هو القادر الى آخره اشارة الى اعتبارات آخر وترجع حسيره
وارتما الاوهام استرسالها مجدة في المطالعة والتفتيش عميقات غيوب ملكوته
اسرار علم الغيب واستعار لفظ باعتبار عدم حصول غايتها الفكر الى منتهاها
والتوله شدة الشوق وردعها خلقها قاصرة عن ادراك ما تطلبه من هذه المطالب
نردع الاوهام لقصورها عن ادراك ما ليس بمحسوس وردع الفكر والعقول لقصورها
عن ادراك حقيقته ما ليس بمحدود مركب وقدع اعتبار قدرته تعالى على التوطئة انها
الاصل في ذلك الردع ويجوب تقطع وتطوف واستعار لفظ السُّدُف جمع سُدفة

وهي

ذهنه ..

وهي الظلمة لما لا يهتدي اليه الفكر من الغيوب ملاحظة لشبهها بالظلمة المحسوسة
والواو في قوله وهي للحال والعامل ردعها وخور الاعتساف شدة الجولان في بيداء
جلال الله وظاهر انه غير نافع في تحصيل ما لا يمكن وقوله واراننا الى قوله معرفته
فلكوت قدرته ملكها وانما نسبه الى القدرة لان اعتبارها مبدا الوجود كله
فهو مبدا المالكية واعتراف عطف على عجايب والى ان متعلق بالحاجة وقوله
ما دلنا مفعول ثان لاراننا وعلى معرفته متعلق بدلنا واستعار لفظ الاعلام لما
يدل على حكمة الصانع في فعله من الاتقان والاحكام والضمير في قوله فحجته يحتمل
عوده الى الله ويحتمل عوده الى الخلق الصامت وللسالكين في سماع نطق آثار
الله ومشاهدته في مصنوعاته مراتب ودرجات متفاوتة وقوله واشهد الى قوله
رب العالمين التفات وانما جعل المشبه به المستلزم للتركيب وكان ذكره اهم
ليظهر به تنزيهه تعالى عن هذا التشبيه برهانا لبراته عن الاعضاء وتباينها وتركيبها
فاما اشهادته عليه السلام بان المشبه له غير عارف به ولا متيقن لتنزيهه عن
المثل فالقرآن والبرهان مصدقان لشهادته اما القرآن فما نبه عليه بقوله كانه
لم يسمع الى آخر الآية ووجه الدليل ان المشبه وعبدة الاصنام ينكشف لهم في الآخرة
انهم كانوا ضالين في تشبيه اصنامهم برب العالمين فيثبت دليل هكذا المشبه
ضالون في تشبيههم لربهم فلا من كان ضالا فيه فليس بعارف به وكذلك كل من كان
كذلك فليس عنده له عن المثل واما البرهان فلان المشبه له بخلقه يلزمه الحكم عليه
بلوازم خلقه من الامكان والحدوث لان لازم المتشابهين لا يختلف وقوله كذب
العادلون الى قوله عقولهم تكذيب لهم واشارة الى تفصيل جهات عدولهم والسبب
في ذلك وهو الوهم الذي هو منشا التشبيه اذ كان حكمه لا يرتفع عن المحسوسات
ولذلك لم يترفع المشبه لله عن تشبيهه بالاصنام واشخاص الاجسام وتجزيتهم
له تجزية الجسمات هو ما يلزم حكمهم بكونه جسما من اثبات الاعضاء له وتباينها
وقوله واشهد الى قوله بيناتك شهادة ثانية بالكفر على من شبهه وبين ذلك

هيهنا عن الاعضاء والتركيب ... الاعضاء ...

بتعيا من اسند كبراه الى كتاب الله ونصوص ايانه المحكمة وبيناته الاعلام وشواهد حججه
هي تلك الايات كقوله تعالى أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض واما صغراه فلان
الشبه هو المثل العديل وقوله واشهد الى قوله مصرفاً شهادة فالنية هي خلاصة الاولين
بكمال الوهيته وتنزيهه عن التناهي في العقول البشرية واحاطتها به وتنبيه على ما
يلزم تناهيه فيها من كونه ذا كيفية تستثنيه العقول وتفرقه بها الاوهام والخيال و
معرفاً اي محكوماً عليه في ذاته بالتجزية والتحليل والتركيب ولما كانت هذه اللوازم
باطلة كان ملزومها وهو تناهيه في العقول باطل منها قدر ما خلق فاحكم تقديره
ودبره فاحسن تدبيره ووجهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته ولم يقصر دون الانتهاء
الى غايته ولم يستصعب اذا امر بالمضي على ارادته وكيف وانما صدرت الامور
من مشيته المنشي اصناف الاشيا بلا روية فكر ال اليها ولا قريحة غريزة اضمر عليها ولا
تجربة افادها من حوادث الدهور ولا شريك اعانه على ابتداع عجايب الامور
فتم خلقه واذعن لطاعته واجاب الى دعوته لم يعترض دونه ريث المبطي ولا اناة
المتلكي فاقام من الاشيا اودها ونهج حدودها ولاءم بقدرته بين متضادها ووصل
اسباب قرائنها وفرقها اجناساً مختلفات في الحدود والاقدار والغرائز و
الهيات بدايا خلايق احكم صنعها وفطرها على ما اراد وابتدعها اقول احكام
تقديره خلقه على وجه الحكمة وحسن تدبيره اتحاده مكاملاً في منفعته وما خلق
لاجله حسناً في صورته وتوجهه لوجهته بعثه بحسب الحكمة والعناية الالهية
الى غايته وتيسره لها وتوقيفه عندها وقد سبق ان الروية والفكر والتجربة من لواحق
الانسان فهو تعالى منزه عنها في ابداعه لخلقه وقريحة الغريزة قوة الفكر واذعان
خلقه دخوله في حكم قدرته دل الحاجة اليه والريث الاناء والتلكي التباطؤ وهو
من لواحق الجسم فكان تعالى منزهاً في خالقيته عنها والاود الاعوجاج واقامته
لاودها افادتها ما ينبغي بها على وجه الحكمة ونهج حدودها طرقها ونهجه لها اوضحه
لكل شي سبيل مقصده وغايته وتفريج لذلك ووصله لاسباب قرائنها كون كل شي

له

له قرينة من غريزة وطبيعة ولازم ونحوها واقتران الشيئين مستلزم لاقتران
اسبابهما وايضاً لها لاستحالة قيام الشي بدون سببه وهو منسوب الى جعل
قدرته تعالى والبدايا جمع بديه وهي الخلقة العجيبة واراد هي بدايا اي عجايب
مخلوقات احكم صنعها على وفق ارادته وبالله التوفيق ومنها في صفة السماء و
نظم بلا تعليق رهوات فرجها ولاحم صدوع انفراجها ووشج بينها وبين
ازواجها وذلل للهابطين بأمره والصاعدين باعمال خلقه حزونة معراجها
وناداها بعد اذ هي دخان فالتحمت عرى اشراجها وفتق بعد الارتتاق صوامت
ابوابها واقام رصداً من الشهب الثواقب على نقابها وامسكها من ان
تمور في خرق الهوى بايده وامرها ان تقف مستسلمة لامره وجعل شمسها
آية مبصرة لنهارها وقمرها آية ممحوة من ليلها واجراهما في مناقل مجراهما
وقدر سيرهما في مدارج درجهما ليميز بين الليل والنهار بهما وليعلم عدد السنين
والحساب بمقاديرهما ثم علق في جوها فلكها وناط بها زينتها من خفيات دراريها
ومصابيح كواكبها ورمى مسترقي السمع بثواقب شهبها واجراها على اذلال
تسخيرها من ثبات ثابتها ومسير سائرها وهبوطها وصعودها ونحوسها و
سعودها اقول الرهوات جمع رهوة وهي الفرجة المتسعة والصدوع الشقوق
ووشج بالتشديد شبك واراد بازواجها نفوسها وهي الملائكة السماوية بمعنى قرائنها
ولكل قرني زوج اي ربط بينها وبين نفوسها بقبول كل جرم سماوي لنفسه التي
لا يقبلها غيره والحزونة الصعوبة والاشراج جمع شرج بالفتح وهي العرى العيبة
التي يخاط بها واشارة الى ما يلف اجزائها في جمعها ونداه لها حكم
قدرته الالهية عليها بالكون والارتتاق الالتصاق وفتق صوامت
ابوابها قيل بالمطر وقيل كانت كرة واحدة ففتق ما بينها كقوله تعالى
اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما
والنقاب جمع نقب بفتح النون وهو الطريق في الجبل والرصد الذي

اقامه هو الشهب وذلك لان العرب كانت تعتقد ان الشياطين تصعد الى
السماء فتسترق الغيب من الملائكة ثم تلقيه الى الكهنة والسحرة فلما ان دون
السير والنهي عن التكهن ونحوه لما فيه من فساد اذهان الخلق القى الوحي اليهم
ان هذه الشهب انما جعلت رجوماً للشياطين فكل من استمع منهم رمي بشهاب
وان السموات حجبت عنهم لينقطع اوهام الخلق عن غير الحق وانوار النبوة وقد
مر ذكره في الخطبة الاولى وتمور تتحرك وايده قوته ورأى بايدة اي هالكة
وانفطار انه النهار هو تمام ضياء الشمس الذي هو مادة الابصار ومحو آية الليل هو ما
على القمر من لطخ السواد وقيل ابصار انه النهار كون نور الشمس له اثباتاً ومحو آية الليل
كون نور القمر مستفاداً من الشمس ومناقل مجراهما ومدارج درجهما هي بروجهما ومنازلهما
ومقاديرهما اي مقادير سيرهما واذلال تسخيرها اذلالها مسخرة تحت حكم القدرة
الالهية كقوله تعالى والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره والسيارة من الكواكب السبعة
النيران والخمسة المتحيرة والثوابت من باقي الكواكب وفلكها الثامن وسعودها
طلبها الشرف فيها ما دام الكوكب متوجهاً الى قوة شرفه فهو في الصعود والارتياد
فاذا جاوزها اخذ في الانتقاص والهبوط وهبوط كل كوكب مقابل شرفه ومعنى
سعودها ونحوسها كون الاتصالات لاسباب الصلاح شي من عالم الكون و
فساده وبالله التوفيق ومنها في صفة الملائكة عليهم ثم خلق سبحانه لاسكان
سمواته وعمارة الصفيح الاعلى من ملكوته خلقاً بديعاً من ملائكته ملأ بهم فروج
فجاجها وحشا بهم فتوق اجوائها وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين
منهم في حظائر القدس وسترات الحجب وسرادقات المجد ووراء ذلك الرجيج الذي
تستك منه الاسماع سبحات نور تردع الابصار عن بلوغها فتقف خاسئة
على حدودها انشأهم على صور مختلفات واقدار متفاوتات اولي اجنحة تسبح
جلال عزته لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه ولا يدعون انهم يخلقون شيئاً معه
مما انفرد به بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون جعلهم فيما

هنالك

هنالك اهل الامانة على وحيه وحملهم الى المرسلين ودايع امره ونهيه وعصمهم
من ريب الشبهات فما منهم زايغ عن سبيل مرضاته وامدهم بفوائد المعونة واشعر
قلوبهم تواضع اخبات السكينة وفتح لهم ابواباً ذللاً الى تماجيده ونصب مناراً
واضحة على اعلام توحيده لم تثقلهم موصرات الآثام ولم ترتحلهم عقب الليالي و
الايام ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم
ولا قدحت قادحة الاحن فيما بينهم ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم وسكن
من عظمته وهيبة جلالته في اثناء صدورهم ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على
فكرهم منهم من هو في خلق الغمام الدلح وفي عظم الجبال الشمخ وفي قترة الظلام الابهم
ومنهم من قد خرقت اقدامهم تخوم الارض السفلى فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق
الهوى وتحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية قد استفرغتهم
اشغال عبادته ووصلت حقائق الايمان بينهم وبين معرفته وقطعهم الايقان به الى الوله
اليه ولم تجاوز رغباتهم ما عنده الى ما عند غيره قد ذاقوا حلاوة معرفته وشربوا
بالكاس الروية من محبته وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته فحنوا
بطول الطاعة اعتدال ظهورهم ولم ينفد طول الرغبة اليه مادة تضرعهم ولا
اطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم ولم يتولهم الاعجاب فيستكثروا ما سلف منهم
ولا تركت لهم استكانة الاجلال نصيباً في تعظيم حسناتهم ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم
ولم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم ولم تجف لطول المناجاة اسلات السنتهم
ولا ملكتهم الاشغال فتنقطع بهمس الجنين اليه اصواتهم ولم تختلف في مقاوم الطاعة
مناكبهم ولم يثنوا الى راحة التقصير في امره رقابهم لا تعدوا على عزيمة جدهم بلادة
الغفلات ولا تنتضل في هممهم خدائع الشهوات قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة
ليوم فاقتهم ويمموه عند انقطاع الخلق الى المخلوقين برغبتهم لا يقطعون امد غاية
عبادته ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته الا الى مواد من قلوبهم غير منقطعة
من رجائه ومخافته لم تنقطع اسباب الشفقة منهم فينوا في جدهم ولم تأسرهم

الاطماع فيثنوهم واوثيك السعي على اجتهادهم ولم يستعظموا ما مضى من اعمالهم ولو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم ولم يفرقهم سوء التقاطع ولا تولاهم غل التحاسد ولا تشعبتهم مصارف الريب ولا اقتسمتهم اخياف الهمم فهم اسراء الايمان لم يفككهم من ربقته زيغ ولا عدول ولا ونى ولا فتور وليس في اطباق السموات موضع اهاب الا وعليه ملك ساجد او ساع حافد يزدادون على طول الطاعة بربهم علما وتزداد عزة ربهم في قلوبهم عظما اقول العرش الاعلى اشارة الى الفلك التاسع وهو العرش لكونه اعظم الاجرام واعلاها وسكانه الملائكة المدبرون له وفجاجها طرقها الواسعة واجواؤها الامكنة العالية المتسعة بها وفجوات الفجاج متسعاتها والزجل الاصوات وسبحات حظائر القدس لطهارتها عن نجاسات الجهل والحجب اشارة الى حجب الغيب او السموات واستعار لفظ السرادق وهو الستر الذي يمد فوق البيت لما يعقل من عظمة الملائكة في تنزههم عن الجسمية ولو احقها باعتبار ان ذلك المجد والشرف وهو الحاجب لهم عنا وكالسرادق المضروب بيننا وبينهم والرجيج والاضطراب وتستك الاسماع تصم واستعار سبحات النور الى جلال الله وعظمته وتنزيهه ان يصل اليه ابصار الملائكة وبه يكون ذكره وراء حجبهم على ان معارفهم لا تتعلق به كما هو بل وراء علومهم اطوار اخرى من جلاله تقصر معارفهم عنها وخاسئة ذليلة متحيرة واختلاف صورهم اختلافهم بالنوع وتفاوت اقدارهم تفاوت مراتبهم في الكمال واستعار لفظ الاجنحة اما القوى العقلية ولمعارفهم التي يطيرون بها في بيداء جلال الله ولا ينتحلون يدعون صنعه شيء من خلقه وريب الشبهات الشك الواقع واخبات السكينة تذللها واشعر قلوبهم ذلك التواضع جعله شعارا لها ملازما لها واستعار لفظ الابواب بوصف الذلة للوجوه اللائقة من تمجيده ووصف القيم بسهولتها عليهم لبراءة عقولهم من معارضات النفس الامارة ولفظ لما يستفيدون به تصور صفاته اللائقة بجلاله وكماله من اللوازم والخواص وما

يستفيدون

من ارشاد الديلمي

يحذف الاسناد مرفوعا الى الصادق ع قال لما بايع الناس عمر بعد ابي بكر اتاه من شبان اليهود وهو في المسجد فسلم عليه والناس حوله فقال يا امير المومنين دلني على اعلمكم بالله وبرسوله وبكتابه وسنته فاومى الى علي ع فقال بهذا فتحول الرجل الى علي ع فقال له انت كذلك فقال نعم فقال اني اسئلك عن ثلاث وثلاث وواحدة قال افلا قلت عن سبع قال لا انما اسئلك عن ثلاث فان اصبت فيهن سألتك عن ثلاث بعدها وان لم تصب لم اسئلك فقال امير المومنين ع اخبرني اذا اجبتك بالصواب والحق تعرف ذلك وكان الفتى من علماء اليهود واحبارها يروون انه من ولد هارون اخي موسى ع فقال نعم قال امير المومنين ع احلف بالله الذي لا اله الا هو لئن اجبتك بالصواب والحق لتسلمن وتدع اليهودية فحلف له وقال ما جئتك مرتادا اريد الاسلام فقال يا يهودي سل عما بدا لك تخبر ان شاء الله فقال اخبرني عن اول شجر نبتت على وجه الارض وعن اول عين نبعت على وجه الارض وعن اول حجر وضع على وجه الارض فقال اما اهل الارض يزعمون انه الزيتونة وكذبوا انما هي النخلة وهي العجوة هبط بها ادم من الجنة فغرسها واصل النخل كله منها واما اول عين نبعت على وجه الارض فان اليهود يزعمون انها العين التي ببيت المقدس تحت الحجر وكذبوا بل هي عين الحيوة التي انتهى موسى ع وفتاه اليها فغسل فيها السمكة فحييت وليس من ميت يصيبه في الماء الا حيي وكان الخضر على شرب منها ولم يجدها ذو القرنين واما اول حجر وضع على وجه الارض فان اليهود يزعمون انه الحجر الذي في بيت المقدس وكذبوا انما هو الحجر الاسود هبط به آدم من الجنة فوضعه على الركن والناس يستلمونه وكان اشد بياضا من الثلج فاسود من خطايا بني ادم قال فاخبرني كم لهذه الامة من امام هدى عادلين لا يضرهم خذلان من خذلهم واين منزل محمد من الجنة ومن معه من امته في الجنة قال امير المومنين ع اما قولك كم لهذه الامة من امام هدى واين منزل محمد في الجنة ومن معه من امته في الجنة فان لها اثنا عشر اماما واما منزل محمد فهي اشرف الجنان وافضلها وهي جنة عدن واما الذين معه فهؤلاء الائمة الاثنا عشر ائمة الهدى قال الفتى صدقت والله

الذي لا اله الا هو انه مكتوب عندي باملاء رسول الله ص موسى وخط هرون بيده قال الخضر
كم يعيش وصي محمد ص بعد موته وهل يموت موتا او يقتل قتلا قال له ويحك انا وصي
محمد ص اعيش بعده ثلثين لا تزيد يوما ولا تنقص يوما ثم يبعث اشقاها اشقى
عاقر ناقة صالح فيضربني ضربة فيخضب منها لحيتي ثم بكى علي عم بكاء شديدا [illegible]
الفتى وقال اشهد ان لا اله الا الله قال فصرخ
وروى عن سلمان الفارسي رحمه الله قال دخل ابو بكر وعمر وعثمن على رسول الله ص فقالوا
يا رسول الله تفضل علينا عليا في كل حال فقال ما انا فضلته بل الله فضله فقالوا
وما الدليل فقال عم اذا لم تقبلوا مني فليس من المؤمنين عندكم اصدق من اهل الكهف
وانا ابعثكم وعليا واجعل سلمان شاهدا عليكم الى اصحاب الكهف حتى تسلموا
عليهم فمن احياهم الله له واجابوه كان الافضل قالوا رضينا فامر عم فبسط بساطا
لهم ودعا عليا فاجلسه في وسط البساط واجلس كل واحد منهم على قرنة من البساط واجلس
سلمان في القرنة الرابعة ثم قال يا ريح احمليهم الى اصحاب الكهف وردهم الى
قال سلمان رحمه الله فدخلت الريح تحت البساط وسارت بنا واذا نحن بكهف
عظيم فحططنا عليه فقال امير المؤمنين يا سلمان هذا الكهف والرقيم
فقل للقوم تتقدمون او اتقدم فقالوا نحن نتقدم فقال كل واحد منهم فصلى
ودعا وقال السلام عليكم يا اصحاب الكهف فلم يجبهم احد وقام امير المؤمنين عم
بعدهم فصلى ركعتين ودعا ونادى يا اصحاب الكهف فصاح الكهف وصاح القوم من
داخلها بالتلبية فقال امير المؤمنين عم ايها الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم هدى
فقالوا وعليك السلام يا اخا رسول الله ص ووصيه ويا امير المؤمنين لقد اخذ الله
علينا العهد بعد ايماننا بالله ورسوله بالولاء لك يا امير المؤمنين الى يوم القيمة فسقط
القوم على وجوههم فقالوا لسلمان يا ابا عبد الله ردنا فقال ليس ذاك الي فقالوا
يا ابا الحسن ردنا فقال عم يا ريح ردينا الى رسول الله ص فحملتنا فاذا نحن بين يديه

الكهف ج